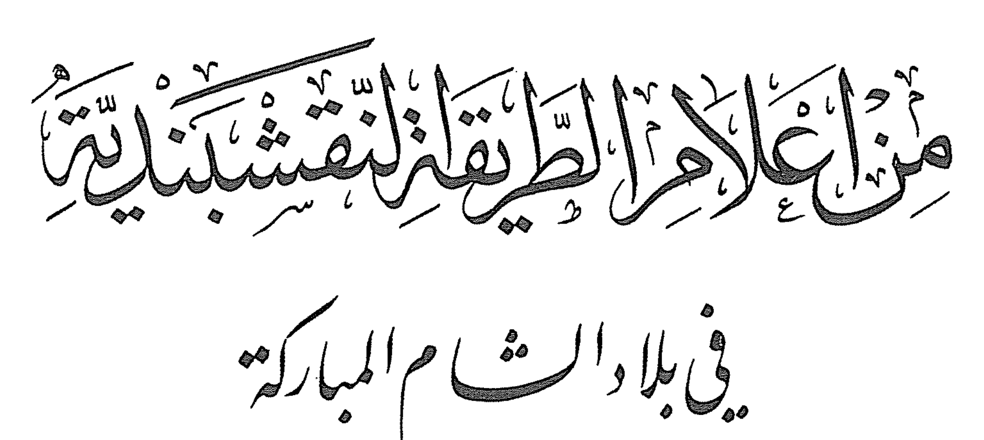


(ترجمة مفصَّلة لخلفاء مولانا خالد الحضرة الحمصيين:
الشيخ أحمد الطوزقلي، والشيخ سليم الخلف، والشيخ محمد أبو النصر،
وتلاميذهم من علماء الشام الأعلام)

وهو ذيل أول لكتاب: الحدائق الوردية في حقائق أجلاء النقشبندية

أعدَّه وجمعه
محمد زكريا المسعود

قدَّم له

الشيخ إسماعيل عبد الخالق أبو النصر الحمصيّ النقشبنديّ

الجزءُ الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

اسم الكتاب: من أعلام النقشبندية في بلاد الشام المباركة.

المؤلف: محمد زكريا المسعود.

قدَّم له: إسماعيل عبد الخالق أبو النصر الحمصي النقشبندي.

راجعه: عبد الله مسعود.

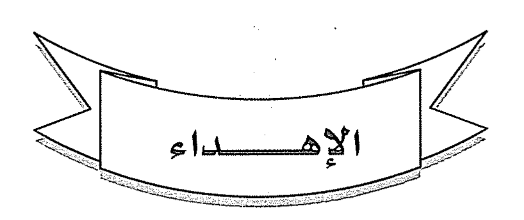
النشر: الطبعة الأولى، ربيع الأول ١٤٣٠ هـ/ آذار ٢٠٠٩ م. مجلدان.

موافقة وزارة الإعلام: رقم ٩٧٩٦٩، تاريخ ٢٥/٢/٢٠٠٨.

تنفيذ الأعمال الطباعية: فُصّلت للدراسات والترجمة والنشر.

سورية. حلب. أقيول. أمام المطبوعات المدرسية. هاتف: ٤٤٦٠٢٩٨ ٠٠٩٦٣٢١ فاكس: ٢١١٢٩٨٩ ٠٠٩٦٣٢١

جوال: ٩٥٢٦٠٩ ٠٠٩٦٣٩٤٤ ص.ب: ٨٢٦٠ البريد الالكتروني: fusselat@akkam.org



إلى الرَّبَّانيِّ الأول سيِّدنا محمَّد صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

وإلى أصحابه الكرام، وآل بيته الفخام...

الذين كانوا بتربيته وتزكيته ﷺ ربَّانيين حقاً؛ حكماء علماء، حلماء أتقياء.

وإلى رجال السلسلة المباركة النقشبندية قدَّسَ اللهُ أسرارهم العلية.

وإلى خلفائهم وورَّاثهم وأتباعهم ومريديهم، ومحبِّيهم.

وإلى رجال السلاسل المباركة من الداعين إلى الله سبحانه من كافَّة ربَّانيي هذه الأمة ورجالها العارفين بالله، الذابِّين عن سُنة رسول الله ﷺ، حيثما كانوا، وإلى أيِّ ربَانيٍّ انتسبوا.

وإلى أسيادنا الكرام شيوخ المدرسة النقشبدية وأعلامها:

إلى مولانا خالد الحضرة قدَّس اللهُ سرَّه العزيز (دفين دمشق)؛

وإلى مولانا أحمد الطوزقلي قدَّس اللهُ سرَّه العزيز (دفين حمص)؛

وإلى مولانا محمد سليم خلف الجندي قدَّس اللهُ سرَّه العزيز (دفين حمص)؛

وإلى مولانا الشيخ محمد أبي النصر خلف قدَّس اللهُ سرَّه العزيز (دفين حمص)؛

وإلى مولانا الشيخ عبد الباسط أبي النصر قدَّس اللهُ سرَّه العزيز (دفين حلب)؛

وإلى مولانا الشيخ إسماعيل "عبد الخالق" أبي النصر حفظه الله ورعاه وأمدَّ بعمره؛

وإلى آل بيت مولانا الشيخ أبي النصر حفظهم الله ورعاهم... كبارهم وصغارهم.

وإلى كافة أتباع الربَّانيين، وتلاميذ العارفين بالله، ومحبِّي آل بيت رسول الله، والسالكين نهجهم، والمتربين في مدارسهم الإيمانية، والسائرين على طريقهم الموصلة إلى الله سبحانه.

وإلى كل محبٍّ ومُحبَّة لله ورسوله وللمؤمنين...

أهدي هذه الصفحات.

خادمهم ومحبُّهم

محمد زكريا بن الشيخ محمد علي بن الشيخ محمد المسعود

شكر – واعتذار – ورجاء

شكر:

لكلٍّ من تفضل وأكرمنا بالمعلومات اللازمة التي أوردناها في هذا الكتاب عن ساداتنا المترجم لهم، وتلامذتهم من العلماء والعامة. الشكر لكل من استجاب لنا وزودنا بالمعلومات، ولو كانت قليلة، فإنها أعانت في جمع التراجم عن هؤلاء الأعلام الذين أكملوا لنا الصورة عن سادتنا رجال السلسلة، من خلفاء مولانا خالد، وأعني بهم الشيخ أحمد الطوزقلي ثم خليفته مولانا سليم خلف ثم خليفته مولانا الشيخ محمد أبي النصر ثم خليفته أستاذنا الشيخ عبد الباسط أبي النصر.

واعتذار:

عن كل عالم منتم لهؤلاء السادة، ولم يذكر في هذه التراجم، وذلك أننا أثبتنا فيها من وصل إلينا العلم بانتمائه إلى رجال هذه السلسلة المباركة، وحصلنا على المعلومات اللازمة لترجمته، أما من لم نحصل على المعلومات عنه، فعذرنا في إغفال ترجمته أو اسمه واضح.

ورجاء:

إلى كل من اطلع على هذا الكتاب أو علم بمحتواه، وعنده معلومات لم نوردها عن هؤلاء الرجال الأعلام الذين بيضنا صحائفنا بذكرهم، أو أغفلنا بعضهم – لعدم توفر المعلومات اللازمة – أن يوافينا بها لنضعها في موضعها من هذا الكتاب في الطبعات القادمة، مع وافر الشكر له ولمن ساهم في ذلك.

المؤلف

محمد زكريا محمد علي المسعود

محتوى الكتاب

حسب ورود الأبحاث فيه

أولاً– المقدمات: وتشمل:



٦- الشيخ المحدِّث بدر الدين الحسني.

٧- الشيخ العلامة عبد القادر القصاب.

٨- الشيخ أسعد الجندي.

٩- الشيخ راغب الدويري.

١٠- المؤرخ الشيخ عبد الهادي الوفائي.

١١- الشيخ أحمد بركات (التلاوي).

١٢- الشيخ بشير دحدوح الحلبي.

١٣- الشيخ شريف المصري الحمصي.

١٤- الشيخ عبد الجليل مراد الحمصي.

١٥- الشيخ قاسم التلمنسي المعري.

١٦- الشيخ محمود السباعي.

١٧- الشيخ نجيب عيون السود.

١٨- الشيخ عبد الغفار عيون السود.

١٩- الشيخ عارف الأتاسي.

٢٠- الشيخ أحمد الفاخوري.

٢١- الشيخ محمد طاهر حسين آغا.

٢٢- الشيخ محمود حمادة.

٢٣- الشيخ سعيد الجابي السباعي.

٢٤- الشيخ مصطفى الأحمد السباعي.

المبحث الثالث: تلاميذه ومريدوه ومحبوه من العامّة:

١- أبو سعيد الشعّار.

٢- مع أحد قبضايات حمص.

٣- مع أحد فرسان العرب، وأبطال المصارعة.

٤- مع حفيده عجم الحاج يونس.

٥- مع أحد أبطال المصارعة.

المبحث الرابع: أحواله المباركة وكراماته.

- استسقاء أهل حمص. - الماء بدلاً من الكاز. - الشيخ سليم ينادي ولده في دمشق ويسمع. - جملة من كرامات الشيخ سليم. - الاستقامة على الشرع رأس الكرامة. - آثار الشيخ سليم بعد وفاته. - شذرات من أحواله المباركة. - خاتمة.

رابعاً - الفصل الثالث: سيدنا ومولانا الشيخ محمد أبو النصر.

١- مقدمة عن حياته وسيرته وأخلاقه وبعض شمائله.

٢- دعوته إلى الله وأثرها في القلوب.

٣- بعض كمالاته وشمائله الكريمة.

٤- صور من حياة الشيخ أبي النصر كما يرويها محبّان.

٥- فصول وقطوف من سيرته العطرة؛ وتشمل:

- مقدمة. - تنويه في تنبيه. - المباحث التالية:

المبحث الأول: نبذ وقطوف من كرامات الشيخ أبي النصر.

المبحث الثاني: أثر الارتباط بالشيخ بعد وفاته.

المبحث الثالث: ما قاله الشعراء من مراثٍ ومدائح وقصائد فيه.

المبحث الرابع: علاقته بالعلماء وأهل الطرق الأخرى.

المبحث الخامس: آثار أبي النصر في مريديه من عامة الإخوان.

المبحث السادس: آثار تربيته في مريديه من العلماء الكرام.

أ - المقدمة.

ب - تراجم بعض العلماء الذين عاصروا الشيخ سليم ثم الشيخ أبو النصر:

١- الشيخ راغب الدويري.

٢- الشيخ قاسم التلمنسي.

٣- الشيخ عبد الجليل مراد.

٤- الشيخ محمود السباعي.

ج - تراجم علماء حمص:

١- خليفته الشيخ عبد الباسط أبي النصر خلف.

٢- وابنه الشيخ إسماعيل عبد الخالق أبي النصر.

٣- فروع الشجرة الحمصية المباركة: أبناء مولانا الشيخ محمد أبي النصر.

٤- آل عيون السود: الشيخ محمد علي بن عبد الغني وأبناؤه عبد اللطيف وعبد العزيز ومحمد نور وأحمد؛ ونجيب بن عبد الغني وإخوته عبد الله وعبد الغفار عيون السود.

٥- آل الأتاسي: السادة طاهر وتوفيق وبدر الدين وتقي وأبو السعود وزاهد وعارف وعبد الفتاح وطيب الأتاسي.

٦- آل السباعي: الشيخ محمود أتماز السباعي والشيخ فائق أتماز والشيخ عادل أتماز والشيخ عبد الكريم أتماز والشيخ عبد الكريم الأحمد والشيخ رفيق والشيخ بدوي السباعي.

٧- آل صافي: الشيخ سليم وابنه الشيخ أحمد، والشيخ محمود صافي.

٨- آل الكعكة: الشيخ أحمد والشيخ محمود والشيخ محمد الخالد والشيخ ممدوح والشيخ أحمد جنيد الكعكة.

٩- آل المسدي: الشيخ وصفي والشيخ عبد الفتاح المسدي.

١٠- آل الدروبي: الشيخ عبد الفتاح وابنه الشيخ عبد الغفار الدروبي.

١١- ومن أكابر علماء حمص: الشيخ عبد القادر حسن الخوجة، والشيخ محمد الياسين عبد السلام "بسمار"، والشيخ أبو السعود عبد السلام.

١٢- ومن علماء حمص: الشيخ طاهر الرئيس، والشيخ أنيس الكلاليب، والشيخ عبد الخالق الحصني، والحاج كامل رجوب، والشيخ عبد السلام عباس، والشيخ حسن شمس الدين، والشيخ أحمد ويس، والشيخ عبد المعطي شمسي باشا، والشيخ محمد مؤيد شمسي باشا.

١٣- من آل مشعل: الشيخ حسين، والشيخ محمد علي مشعل.

١٤- ومن علماء حمص: الشيخ راتب الحاكمي، والشيخ مصطفى تدبير، والشيخ تقي البيطار، والشيخ عبد الله جركس، والشيخ فضل الأنصاري، والشيخ محيي الدين الدوخي.

١٥- ومن أشراف حمص: عبد الكريم حسين آغا، ومحمد غازي حسين آغا.

د - تراجم من سكن المدينة المنورة أو مكة المكرمة:

١- الشيخ السيد علوي المالكي.

٢- الشيخ السيد محمد علوي المالكي.

٣- الشيخ حسن جسومة البابي.

٤- الشيخ محمد علي كنعان الحلبي.

٥- الشيخ أحمد القلاش.

٦- الشيخ محمد الحجار.

٧- الشيخ معروف الدواليبي.

٨- الشيخ عمر ملاحفجي.

هـ - تراجم علماء حلب:

القسم الأول: أكابر علماء حلب في القرن الماضي.

القسم الثاني: مريدو الشيخ أبي النصر من علماء حلب:

١- الشيخ عيسى البيانوني.

٢- ولده الشيخ أحمد البيانوني.

٣- الشيخ محمد الجبريني.

٤- الشيخ محمد بشير الدحدوح.

٥- الشيخ محمد سعيد الدحدوح.

٦- الشيخ محمود العلبي.

٧- الشيخ زكي العلبي.

٨- الشيخ محمد نجيب خياطة.

٩- الشيخ عبد الله الريحاوي.

١٠- الشيخ عبد القادر ولي.

١١- الشيخ محمد الغشيم.

١٢- الشيخ محمد النبهان.

١٣- الشيخ سلمو النبهان النيربي.

١٤- الشيخ محمد المصري.

١٥- الشيخ أحمد مصري.

١٦- الشيخ بكري ملاحفجي.

١٧- الشيخ مصطفى العزيزي.

١٨- الشيخ محمد بلانكو.

١٩- الشيخ ناجي أبو صالح.

٢٠- الشيخ عبد الرحمن الحوت

٢١- الشيخ محمد بن درويش الخطيب.

٢٢- الشيخ محمد أديب حسون.

٢٣- الشيخ محمد فوزي فيض الله.

و - تراجم علماء حماه:

١- الشيخ محمد سليم المراد.

٢- الشيخ محمد علي بن محمد سليم المراد.

٣- الشيخ أحمد بن محمد سليم المراد.

٤- الشيخ عبد العزيز بن الشيخ أحمد سليم المراد.

٥- الشيخ محمد سيادي بن الشيخ أحمد سليم المراد.

٦- الشيخ بشير بن الشيخ أحمد سليم المراد.

٧- الشيخ محمد علي بن محمد سليم المراد.

٨- الشيخ محمد الحامد.

٩- الشيخ موسى الحلفاوي وابنه الشيخ محمد.

١٠- الشيخ حسن رزوق الخطابي.

١١- الشيخ توفيق الصباغ.

١٢- الشيخ منير لطفي.

١٣- الشيخ عبد الحميد طهماز.

ز - تراجم علماء إدلب والمعرة:

١- الشيخ محمد بن سليم أفندي فخر الدين الإدلبي.

٢- الشيخ أحمد الحصري المعري.

٣- الشيخ نجيب سالم الأريحاوي.

٤- الشيخ محمد أديب الياسين المارعي، الإدلبي.

٥- وابنه خالد الياسين الإدلبي.

٦- الشيخ محمد أديب يحيى الأرمنازي.

٧- الشيخ نعمان حبوش الأريحاوي الإدلبي.

ح - تراجم علماء الباب وتادف:

١- الشيخ محمد المسعود البابي.

٢- الشيخ محمد سعيد المسعود البابي.

٣- الشيخ محمد علي المسعود البابي.

٤- الشيخ مصطفى الحفني الدملخي "شويحة"

٥- الشيخ مصطفى الغزال البابي الحلبي.

٦- الشيخ محمد بدر الحسيني البابي.

٧- الشيخ كامل بدر الحسيني البابي.

٨- الشيخ محمد أديب العباس البابي.

٩- الشيخ حامد بن موسى الحفني.

١٠- الشيخ عمر بن سعيد البوشي البابي.

١١- الشيخ رضا الأيوبي.

١٢- الشيخ بكري الرجب البابي.

١٣- الشيخ أحمد الحامد النعساني البابي.

١٤- الشيخ حسن العاروني البابي.

١٥- الشيخ عبود المصطاوي (شويحة).

١٦- الشيخ حسن الهاشم البابي.

١٧- الشيخ حمام النعساني البابي.

١٨- الشيخ عبد الوهاب سكر البابي.

١٩- الشيخ مصطفى الزعيتر البابي.

٢٠- الشيخ عبد الله الزعيتر البابي.

٢١- الشيخ عبد الله سليمان البابي.

٢٢- الشيخ عبد الله النعمة البابي.

٢٣- الشيخ محمد الخليلو التادفي.

٢٤- الشيخ عيسى الحداد التادفي.

٢٥- الشيخ محمد خلوف المامو التادفي.

٢٦- الشيخ مصطفى الشيخ صالح التادفي.

٢٧- الشيخ محمد بن مصطفى حماد التادفي.

٢٨- الشيخ مصطفى المامو التادفي.

٢٩- الشيخ رشيد الراشد التادفي.



٣٠- الشيخ محمد بن حسن البكار التادفي.

٣١- الشيخ رشيد بن صالح النجار.

٣٢- الشيخ رشيد العلو التادفي.

ط - تراجم علماء إعزاز ومنطقتها:

١- الشيخ عثمان عبيدو المارعي.

٢- الشيخ عيسى بن علي الزيادي.

٣- الشيخ يونس عبد الغني المارعي.

٤- الشيخ يوسف المنصور الدابقي.

٥- الشيخ مصطفى الحمو المارعي.

٦- الشيخ بكري النجار المارعي.

٧- الشيخ عبد السلام الدابقي.

٨- الشيخ مصطفى ياسرجي الإعزازي.

٩- الشيخ عبد الرحمن البكري المنغي.

١٠- الشيخ إسماعيل الحمدو البارحي.

١١- الشيخ مصطفى خليل النجار المارعي.

١٢- الشيخ عيسى الخطيب الإعزازي.

١٣- الشيخ محمد خير الحجي المارعي.

١٤- الشيخ عبد السلام طبشو الحربلي.

١٥- الشيخ موسى الزيادي.

١٦- وأخيراً ترجمة جامع هذا الكتاب.

الخاتمة.

كلمة مُراجع الكتاب الأستاذ الشيخ عبد الله مسعود

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، الذي بنعمته تتمُّ الصالحات، وتتنزل الرحمات، وتعمّ الخيرات والبركات.

والصَّلاة والسَّلام على سيِّدنا محمَّد وآله الهداة، وصحبه الأنجم الزاهرات، ومن تبع سنَّته بإحسان، فسعد في الحياة وبعد الممات.

وبعد: طلب مني الشيخان الفاضلان، الكريمان الأصيلان: الشيخ إسماعيل عبد الخالق أبو النصر، والشيخ محمد زكريا المسعود قراءةَ هذا السفر المبارك، حسن ظنٍّ منهما بي، ولما كان طلبهما مني بمثابة أمر لا استطيع ردَّه، وبعد القراءة أقول:

أولاً: لقد استمتعت واستفدت بمطالعة هذا السفر المبارك، الذي جمع فأوعى:

سيرة رجال: ﴿من المؤمنين رجالٌ صدَقوا ما عاهدوا اللّه عليه فمنهمْ منْ قضَى نحبَه ومنهم منْ ينتظر وما بدَّلوا تبديلاً﴾ [الأحزاب:٢٣].

سيرة رجال: عاشوا لله وماتوا لله.

عاشوا لله حالاً قبل المقال، سلوكاً وأخلاقاً، علماً وعملاً.

تحققوا في تبتلاتهم ضارعين: ﴿قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم ديناً قِيَماً ملَّةَ إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين﴾ [الأنعام:١٦١].

ترفعوا عن الطين والوحل.

وما أجمل وأصعب أن يرتقي الإنسان من الطين والوحل، إلى سمو الروح وصفاء القلب وزكاة النفس ... !

سخَّروا المواهب والملكات لخدمة باريها ومعطيها، تجردوا عن الهوى والشهوات والشبهات.

عاشوا لربِّ الأرض والسموات.

علموا أن الدنيا مزرعة للآخرة فازدرعوا فيها الخير أينما حلوا وحيثما ارتحلوا.

علموا أن الدنيا ساعة، فجعلوها لله طاعة، فكان أحدهم أحرص على وقته من حرص أحدنا على دراهمه ودنانيره؛ فأصبحوا سُرجاً في الظلمات، وفرجاً في الخطوب المدلهمات جلاءً وصقلاً للنفوس من الكدورات، شفاءً لأمراض القلوب وبلسماً لما أثخنها من الجراحات، رحمةً للعباد، دعاة للرشاد، زينة للدنيا، بهجة للناظرين.

سيرهم عطرة، أمورهم خطرة، لولا أنهم واقع مشاهد بالعيان، لما استطاع أن يصدق ما خطه عنهم اليراع والبنان: ﴿ذلك فضلُ الله يؤتيه مَن يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾ [الحديد:٢١].

أمَّا عن دورهم وسيرهم في الحياة، والحاجة إلى أخبارهم فهو عظيم الأثر غزير النفع، يوقظ القلب الغافل، ويرد الشارد الجاهل، يقوي المريد، وينفع المستفيد. كيف لا ... ؟ والله جلَّ في علاه، يقول لحبيبه ومصطفاه: ﴿وكُلاً نقصُّ عليك مِنْ أنباء الرُّسل ما نثبِّتُ به فؤادَك وجاءكَ في هذه الحقُّ وموعظةٌ وذكرى للمؤمنين﴾ [هود:١٢٠].

طلب منه السيرَ على نهج الأنبياء، والسابقين من الرُّسل الأصفياء، بعد أن ذكر له ثمانية عشر نبياً، ختمها بقوله: ﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتَدِهْ﴾ [الأنعام:٩٠].

فنشر سيرهم، إحياء لمآثر الصالحين، ووفاء لعهد الآباء الطاهرين، ونبراساً لهدي المهتدين، وإن شئت فقل: مدرسة للحب، منار للدرب، حافز للقرب.

جعلنا الله وأهلينا ممن قال فيهم: ﴿والذينَ آمنوا واتَّبعتهمْ ذرِّيتُهمْ بإيمانٍ ألحقْنا بهم ذريَّتهم وما ألَتْناهمْ منْ عملهم منْ شيءٍ كلُّ امرئٍ بما كسبَ رهينٌ﴾ [الطور:٢١].

ثانياً: بعد قراءتي لهذا السفر المبارك، خرجت بالنتيجة التالية:

أولاً- المرء مع من أحب:

أخرج الشيخان واللفظ لمسلم، عن أنس بن مالك قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله متى الساعة ؟ قال ﷺ: (وما أعددتَ للساعة ؟). قال: حبَّ الله ورسوله. قال ﷺ: (فإنَّك مع مَنْ أحببتَ). قال أنس: فما فرحنا بعد الإسلام فرحاً أشد من قول النبي ﷺ: (فإنَّك مع مَنْ أحببتَ).

وفي رواية لهما: قال: يا رسول الله ما أعددت لها من كبير صلاة ولا صيام ولا صدقة، ولكني أحب الله ورسوله. قال: (فأنت مع من أحببت).

أقول: كما قال سيدنا أنس معبراً عن حبي للنبيِّ ﷺ وآله وصحبه الكرام.

وهؤلاء الرجال الكمَّل الذين حواهم هذا السفر المبارك... وإن لم أعمل بعملهم، راجياً من الله – وهو أهل الفضل – أن أكون معهم.

ثانياً– ليصاحب المرء حمصياً.

بعد قراءتي للسفر الأول من هذا الكتاب، وما حواه عن أهل حمص خاصة، حيث معظم هذا الجزء يتناول سيرهم العطرة المباركة، أقول: أخرج الإمام أحمد والطبراني والبزار عن سيدنا عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ: (ليبعثن الله تعالى من مدينة بالشام يقال لها حمص سبعين ألفاً يوم القيامة لا حسابَ عيهم ولا عذاب، مبعثهم فيما بين الزيتون والحائط، في البرث الأحمر).

لذا: فأنا أحب حمص وما حوته من الصالحين، بدءاً من سيف الله خالد وإخوانه من الصحابة المجاهدين، الذين يعدون بالمئات، وهي بعد الحرمين الشريفين من أكثر بلاد الله ضمت الصحابة الكرام، ثم أحب التابعين لهم بإحسان، ثم مشايخنا من رجال السلسلة العلية أهل الله خصوصاً، والمسلمين عموماً. نُشِّئتُ على ذلك...، وأرجو الله تعالى أن يختم لي بالإيمان على ذلك، وأقول كما قال الإمام الشافعي رحمه الله:

أحب الصالحين ولست منهم ... لعلِّي أن أنال بهم شفاعة

وأكره مَن بضاعته المعاصي ... وإن كنا سواءً في البضاعة

وأزيد عن حمص بما سمعت من الشيخ أديب المارعي رحمه الله، عن علامة زمانه مفتي إدلب الشيخ طاهر المنلا الكيالي، عصريِّ شيخ الإسلام أبي الهدى الصيادي وصديقه، كان يقول: ليتخذ المرء صديقاً حمصياً، بعد معرفته بشيخنا أبي النصر قدَّس سره، ولعله إشارة لهذا الحديث الشريف الذي أوردته.

وكان يقول عن شيخنا عبد الباسط أبي النصر، رحمه الله ونوَّر ضريحه: أين عيوني ؟ حيث كان الشيخ عبد الباسط يقوده وقد كفَّ بصره.

وهي إشارة كما ترى لحبّه لشيخنا أبي النصر ونجله الشيخ عبد الباسط رحمهما الله، بهذه العبارة اللطيفة البليغة.

ثالثاً- هذا الجهد المبارك:

إن هذا الجهَد المبارك الذي تجاوز جغرافية البلاد الشامية والجزيرة، ليصل إلى الحرمين الشريفين، استغرق وقتاً وجهداً متميزاً في سياحة استمرت ربع قرن من الزمن لالتقاط حبات اللؤلؤ هذه، ونظمها في عقد فريد، يزين جيد الزمان، بذكر هؤلاء الأعلام. وخاصة أن منهم مضى على وفاقم قرن أو يزيد، وأصبح جمع سير بعضهم كما تجمع حبَّات السكر من فم النمل.

لنقدر العمل المبرور والجهد المشكور الذي قام به مؤلف هذا الكتاب بمفرده، وذلك يؤهله فضل الله أن يدخل دوحة هؤلاء الأعلام، وينتظم في سلكهم.

ختاماً: أسأل الله أن ينفع به كما نفع بهؤلاء الرجال، وأن يترل عليهم سحائب الرحمة والرضوان، وعلينا معهم على أحسن حال يرضيه، في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

وصلَّى الله وسلَّم وبارك وشرَّف وعظَّم على معلم الناس الخير سيدنا محمَّد، أفضل وأجمل وأزكى وأعظم ما صلَّى على نبيٍّ من أنبيائه، وصفيٍّ من أصفيائه، وعلى آله وأزواجه وذريته مثل ذلك، وعنا معهم، وسلَّم تسليماً كثيراً، كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

حلب. جامع الأنوار. الأربعاء ١٥ جمادى الآخرة ١٤٢٩ هـ، الموافق ٢٠٠٨/٦/١٨م.

وكتب: عبد الله مسعود

تقديم الكتاب

بقلم صاحب الفضيلة والسيادة الأستاذ الشيخ

إسماعيل "عبد الخالق" بن الشيخ عبد الباسط أبي النصر

شيخ الطريقة النقشبندية في حلب الشهباء وتوابعها، حفظه الله ورعاه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد بن عبد الله، وعلى آله الأطهار وصحبه الأخيار، وعلى أئمة الهدى والصلاح، وبعد:

في الزمن الصعب، وفي الظروف الحالكة تهفو النفوس إلى نسائم الإيمان، وترنو إلى منارات التاريخ، ترشف من رحيقها يقيناً، وتستجمع من خيوطها أملاً، وتستمد من حقائقها عزيمة، وتستخلص من أحداثها عبراً وعظات، غايتها في ذلك أن تقوى على الثبات أو تجد لنفسها مبرر الوجود والاستمرار.

وليس في تاريخنا - تاريخ العرب والمسلمين - مصدر أغزر عطاءً، وأعمق أثراً، أو أنفع دواءً من تاريخ الإسلام ونبي الإسلام سيدنا محمد ﷺ.

ففي سيرته العطرة، وتعاليمه النيِّرة، ومبادئه القيِّمة وشمائله الحميدة خير مَعين لنا، حيث نشخِّص داءنا ونجد دواءنا، هيهاتَ هيهات أن نجد خلاصنا وسعادتنا إلا في ظل تلك العقيدة، ومن خلال تلك المبادئ والقيم.

ولما كانت النفس البشرية تملك فطرة الخير والشر وتملك الإرادة الحرة، وهي بصيرة بما تعمل، ومسؤولة عما يصدر منها، فهي رهينةٌ يومَ القيامة بما كسبت.

ولما كانت متوازنة في تكوينها: فيها صفات إيجابية وأخرى سلبية، ولما كان ميلها إلى أحد الجانبين يعود - في أغلب الأحيان - إلى البيئة التي تنشأ فيها، والمبادئ التي تتلقاها

والعقيدة التي تحملها، ولما كانت هذه النفس تملك خاصية التغير والتبدل. من أجل ذلك كله كان للتربية أو التزكية دورها الكبير في حياة الإنسان ومآله؛ وكانت هذه التزكية إحدى مهمات أربع بعث بها رسول الله ﷺ، قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (٢: الجمعة).

والتزكية لغة: التطهير والزيادة. وفي اصطلاح أهل التربية: هي الارتقاء بالنفس البشرية إلى مستوى عالٍ من المعرفة والإيمان والخلق القويم، وبها يتحقق الإخلاص والصدق والاستقامة، ويُقبل العمل ويتجلى الإسلام كما أراده الله تعالى لعباده.

والتزكية لابدَّ لها من مُزكٍ، وإنَّ إمام المزكين هو نبينا محمد ﷺ الذي زكاه ربُّ العالمين، ولا شك أن الصحابة الكرام ورثوا جانباً كبيراً من ذلك وكذلك السلف الصالح من بعدهم، وقد ظهرت آثار ذلك في سجل التاريخ المشرق، ولعل هذا هو دور العلماء العاملين والدعاة المخلصين ليبقى هذا الدين فاعلاً مؤثراً كما أراده الله تعالى.

وتلك هي الوراثة المرجوة من رسول الله ﷺ فالنبي ﷺ لم يورث درهماً ولا ديناراً، وإنما ورَّث العلم فمن أخذ به أخذ بحظ وافر [1]، وإن أفضل ما في هذا العلم التزكية لأنها التطبيق العملي لهذا العلم.

وعلى مرّ العصور وفي شتى بقاع العالم نسمع عن علماء ورثوا عن النبوة هذه المهمة، ذاقوها بأنفسهم وملكوا القدرة على تزكية غيرهم، فإذا استمعت إليهم انشرح صدرك وهدأت نفسك وإذ بك تخرج من مجالسهم بإشراقة إيمانية ساطعة وهمة عالية.

---

[1] وهذا قطعة من حديث رواه أبو داود في سننه عن أبي الدرداء قال: فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالْحِيتَانُ فِي جَوْفِ الْمَاءِ وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ **وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا وَرَّثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ**). سنن أبي داود ج١٠ ص٤٩.

وما أحوجنا اليوم إلى أمثال هؤلاء النخبة، من أجلنا ومن أجل أبنائنا أمام ما يحاك من مؤامرات كثيرة لهدم أخلاق هذه الأمة وإبعادها عن عقيدتها ودينها لا سيما وقد كثرت الوسائل الحديثة التي تجذب الأبناء إلى الانعتاق الأخلاقي والتسيب الديني.

إن الباحث في سيرة نبي الإسلام سيدنا محمد ﷺ سيلاحظ بكل إكبار وإعجاب التأثير البالغ لتربية هذا النبي الكريم ﷺ في كل خلجة وحركة تمّت في تاريخ المسلمين.

وكان ﷺ يجسد تعاليم الإسلام في كل قول أو فعل، فكان قدوة حسنة لأصحابه ولمن أتى بعدهم، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (٢١: الأحزاب). وحريٌّ بنا أن نتعرف إلى ذلك المنهج النبوي الذي ارتضاه له ربه في ميدان التربية والتزكية.

إن أية عملية تربوية لا بد لها من **أصول خمسة** حتى تثمر وتؤتي أكلها، لا بد من **مربّ**، و**آخذ**، و**مبدأ أو هدف**، و**مثل حيّ يجسد التعاليم**، و**علاقة** تربط بين المربي ومن يراد تربيته.

وإن نجاح العملية التربوية ليتحدد بمدى فاعلية المربي واستعداد المتلقي وجديته وقناعته، وبمدى عمق الهدف وأثره في الإنسان وكذا بمدى مصداقية المثل الحي الذي يجسد التعاليم، ثم بمدى حجم تلك العلاقة التي نشأت بين أطراف العملية التربوية.

وإن العملية التربوية الإسلامية أو ما أطلق عليه اسم التزكية خضعت بدورها لهذه القواعد والأصول.

فالمزكي هو رسول الله ﷺ، **والمُزكّى** جيل الصحابة الكرام، **والمبدأ** هو الإيمان بالله وتحقيق رضاه، **والمثل الحي** هو رسول الله ﷺ بأفعاله وأقواله وأحواله، **والعلاقة** هي ذلك الاعتقاد الذي نشأ في قلوب الصحابة الكرام بأن محمداً ﷺ هو رسول رب العالمين، ودعّمه ذلك الحب الكبير الذي غمر به نبينا أصحابه، وكذلك عمق ذلك الحب الذي تمكن في قلوب الصحابة تجاه رسول الله ﷺ إيماناً به وإعجاباً بخلقه وسجاياه.

ولقد آتت العملية التربوية الإسلامية أكلها وأينعت ثمارها كما وصفهم ربهم: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (١١٠: آل عمران).

لقد أعدَّ الله نبيه محمداً ﷺ لهذه المهمة أكمل إعداد، وجمع فيه كل صفات الكمال التي جعلت منه قدوة صالحة للاقتداء والاتباع وأهَّله بكل وصف يجعله قريباً من العقول والقلوب، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (٥٢: الشورى).

وقال عزَّ من قائل: ﴿... وَأَنزَلَ اللّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ (١١٣: النساء).

لقد كان القرآن الكريم مصدراً **نظرياً تعليمياً**، وكانت السنة المطهرة مصدراً **عملياً تطبيقياً**، وأثمر المنهج النبوي للتزكية في نقل العرب من الكفر إلى الإيمان ومن الضلالة إلى الهدى ومن الجهل إلى العلم ومن سوء العادات والأخلاق إلى أرفعها وأكملها.

وكان الصحابة الكرام المثل الحي لثمار هذه التزكية، وإن كل صحابي من صحابة رسول الله ﷺ يصلح أن يكون النموذج الأمثل لهذه التزكية وثمارها.

عمر بن الخطاب ﷺ، عَلَمُ الإسلام الكبير عاش خمساً وستين سنة نصفها في ظلام الخمول، وكان فيها نكرة مجهولاً لا اسم له ولا مجد، يرعى أغناماً لخالاته على قبضة من تمر أو زبيب، ونصف عمره الثاني في نور العظمة كان فيه علماً من الأعلام وعظيماً من العظماء.

لقد كانت نقطة التحول في اللحظة التي قال فيها: أشهد ألا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، هنالك ولد عمر حقاً وبدأت حياته في التاريخ عندما دخل مدرسة التزكية الإيمانية مدرسة محمد بن عبد الله ﷺ، عمر هذا كان سريع الغضب، شديد الكفر، ظلوماً جهولاً صفع أخته فأدمى وجهها لأنها دخلت في الإسلام، وإذ به بعد الإسلام وبعد دخوله مدرسة التزكية يبكي ويعاتب نفسه لأقل هفوة تصدر منه، وإذ به يغدو رقيقاً سمحاً، يحاسب نفسه على كل صغيرة وكبيرة وغدا رمزاً من رموز العدل في الدنيا.

إن وسائل التربية أو التزكية قد تكون مشتركة بين الدعاة، وهي ما اتفق المربون على قواعدها مراعاة لأصول العلم وطبائع النفوس، وهذه الوسائل يتفاوت الدعاة فيها حسب

الاستعداد والإعداد، ولاشك أن رسول الله ﷺ قد فاق في ذلك كل المربين بما أدبه ربه تعالى وأعده لهذه المهمة الكبرى.

وهي وسائل تعتمد على صفات الداعي من علم ومعرفة وسعة أفق وخبرة وأخلاق حميدة وصدق وتطبيق عملي لما يدعو إليه مع إيمان عميق بالمبدأ الذي يدعو إليه ويمكن أن نطلق على هذا الأسلوب **صفة الأسلوب العام.**

ولقد ضرب رسول الله ﷺ في ذلك أبلغ مثل وأرفع مستوى، نجد ذلك في سيرته العطرة من خلال الثمار التي أينعت في جيل الصحابة ومن بعدهم من رجال السلف الصالح.

ولكن حين لا ينفع العقل والمنطق، وحين تكابر العقول والنفوس، تأتي النبوة لتحقق الهدف، وهنا تظهر الخصائص الشخصية لرسول الله ﷺ فيما أكرمه الله وأيده وأعطاه.

هناك حالات تتطلب تدخلاً سريعاً لإثبات النبوة وإزالة القلق وشدة الاضطراب عن الناس ويمكن أن نطلق على هذا الأسلوب **صفة الأسلوب النبوي الخاص.**

ولكلٍ من الأسلوبين العام والخاص أمثلة عديدة في حياة رسول الله ﷺ.

* **إن الأسلوب التربوي العامّ** عند رسول الله ﷺ تجلى في مظاهر عدة، تجلى في إيمانه بمبدئه وقناعته وثقته بالله تعالى، وفي إصراره وثباته، وفي صبره وتحمله، وفي صدقه القولي والفعلي، وفي تواضعه ومساواته، وفي لينه ورأفته ورفقه ولطف معشره، وفي منهج التيسير الذي ارتضاه، كما تجلى في عقله الراجح الكبير وفطنته وذكائه، وأقيسته وأمثلته، وفي حكمته وبعد نظره وسعة أفقه، وفي إعلائه لمكانة العلم والفكر وانتهاجه مبدأ التعليم والتمثيل والقصص والعبر وفي اعتماده أسلوب الحوار والحثّ والتشجيع، وتجلى في زرع الحب وكسب القلوب والنفوذ إليها، وكذلك في فهم شخصية المخاطَب وظروفه المحيطة ثم بانتهاجه مبدأ الثواب والعقاب وتقرير مبدأ العبادات التي ميزت منهج الإسلام عن منهج الفلاسفة، تلك العبادات التي تترك أثرها في العقل والروح وتنتهي إلى تنظيم الغرائز وتوازنها والسمو بها، إلى غير ذلك من الوسائل العلمية والعقلية والطرق الوجدانية والروحية التي تنتهي إلى تزكية الفرد والمجتمع وتجعل الأفراد أقرب إلى الكمال. وقد كان

ذلك في جيل الصحابة الكرام، وفي رجال السلف الصالح، بل في كل فرد - على مر العصور - رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبسيدنا محمد ﷺ نبياً ورسولاً.

وإليك أمثلةً على العقل الراجح والحكمة وبُعد النظر، وعلى الحلم والصبر في معالجة الأمور وصهر النفوس:

◆ في صلح الحديبية أوفدت قريش سهيلاً بن عمرو ليفاوض عنها مع المسلمين، وكان ذا عقل وحزم، ولقد وضع شروطاً قاسية للصلح فيها إجحاف ظاهر بحق المسلمين، واعترض الصحابة، وفي مقدمتهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي حار في أمر هذا الصلح وكاد أن يُفتتن، وامتنع علي كرم الله وجهه عن الاستجابة لأمر رسول الله ﷺ بمحو كلمة (رسول الله) من صك الصلح فمحاها رسول الله ﷺ بيده بعد أن أشار إليها عليّ رضي الله عنه.

ولكن بعد أن تم الصلح ومرت الأيام ظهرت وتجلت حكمة رسول الله ﷺ وتجلّى بعد نظره ولم تستفد قريش من شروطها وانقلبت عليها، لقد أعقب هذا الصلح نصراً واعتبر فتحاً.

ووجدنا أن رسول الله ﷺ لم يزجر عُمر بل قال له: (إني رسول الله ولن يضيّعني)، وغض بصره عن امتناع عليّ عن محو العبارة المكتوبة، وصبر على سهيل بن عمرو، وبقيت ذكريات الصلح في مخيلة سهيل بن عمرو وحمل في طيات ذاته إعجاباً برسول الله ﷺ حيث رأى الحكمة والعقل والصبر والتحمل، وعلى الرغم من تأخر إسلامه إلى ما بعد الفتح، إلا أن كتب السيرة تروي أنه لم يكن أحد من كبراء قريش الذين تأخر إسلامهم أكثر صلاة ولا صوماً ولا صدقة منه حتى شحب لونه وتغير من طول العبادة والقيام، وصار يذهب إلى معاذ بن جبل ليقرئه القرآن ورويت عنه عبارات كثيرة تعبر عن خجله من رسول الله ﷺ لموقفه منه في صلح الحديبية، ولكنه كان له موقف مشرف بعد وفاة رسول الله ﷺ ولما شاعت أخبار الردة بين القبائل ووصلت إلى مكة وقف في مكة خطيباً يحث أهلها على الإيمان والثبات، وكان مما قال حينئذ: إن هذا الدين ليمتدنّ امتداد الشمس والقمر.

جملتان قالهما رجل واحد:

الأولى: قالها لما كان كافراً يفاوض في صلح الحديبية قال: لو شهدنا أنك رسول الله ما

قاتلناك.

والثانية قالها في مكة بعد الإيمان: إن هذا الدين ليمتدنَّ امتداد الشمس والقمرْ.

جملتان قالهما رجل واحد تفصل بينهما سنوات قليلة قلبت حياة الرجل ونقلته من الظلمات إلى النور إنها أنوار الإسلام وشخصية رسول الله ﷺ.

◆ لقد اعتمد رسول الله ﷺ في تزكيته على الحوار وتحريك العقل والعاطفة، ولما جاءه شاب يستأذنه في الزنا وقال له صراحة: إئذن لي بالزنا فأقبل القوم عليه فزجروه، وقالوا: مه ! مه ! فقال النبي ﷺ: (أدن مني)، فدنا منه فقال له ﷺ: (أترضاه لأمك ؟). قال: لا. قال الرسول الكريم ﷺ: (ولا الناس يرضونه لأمهاتهم. أترضاه لابنتك ؟). قال: لا، قال: (ولا الناس يرضونه لبناتهم)، وكرر عليه الرسول الكريم ﷺ أسئلته حتى شمل كل قريبات الشاب، وفي كل مرة يقول الشاب: لا، لا أرضاه، وكأنَّ الشاب فقد مبرر استئذانه فما كان من الرسول الكريم ﷺ إلا أن وضع يده على صدره وقال: (اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصِّن فرجه)، فلم يكن الفتى يلتفت إلى شيء[1]. إنه خطاب العقل والقلب ولمسات النبوة.

*** كان يرفق بالجاهل، ويصبر على غلظة الأعراب.**

◆ جاءه أعرابي يطلب عطاءً، فأعطاه رسول الله ﷺ شيئاً، ثم قال: (أحسنتُ إليك ؟)، قال الأعرابي: لا ولا أجملت. فغضب بعض المسلمين، وهموا أن يقوموا إليه، فأشار رسول الله إليهم: أن كفوا. فلما قام رسول الله ﷺ وبلغ إلى منـــزله، دعا الأعرابي إلى البيت، فقال له: (إنك جئتنا فسألتنا فأعطيناك، فقلت ما قلت) فزاده رسول الله ﷺ شيئاً، وقال: (أحسنت إليك ؟) فقال الأعرابي: نعم، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرًا.

قال النبي ﷺ: (إنك جئتنا تسألنا فأعطيناك، فقلت ما قلت، وفي أنفس أصحابي عليك من ذلك شيء، فإذا جئت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدي، حتى يذهب عن صدورهم). قال: نعم.

---

[1] رواه الإمام أحمد في مسنده عن أبي أمامة.

فلما جاء الأعرابي. قال ﷺ: (إن صاحبكم كان جاءنا فسألنا فأعطيناه، فقال ما قال، وإنا قد دعوناه فأعطيناه فزعم أنه قد رضي. كذلك يا أعرابي؟). قالَ الأعرابي: نعم، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرًا.

فقال النبي ﷺ: (إن مثلي ومثل هذا الأعرابي كمثل رجل كانت له ناقة، فشردت عليه، فاتبعها الناس فلم يزيدوها إلا نفورا. فقال لهم صاحب الناقة: خلوا بيني وبين ناقتي، فأنا أرفق بها، وأعلم بها. فتوجه إليها وأخذ لها من قَتَام الأرض، ودعاها حتى جاءت واستجابت، وشد عليها رحْلها، وإنه لو أطعتكم حيث قال ما قال لدخل النار) [1].

رفق ولين، صبر وتحمل، دراية وحكمة، ثم تعليق صريح من أجل التعليم وتثبيت الفكرة إنها التزكية عند رسول الله ﷺ.

*** كان يمهِّد للمسألة التي يعلِّمها ويقرِّبها لفهم السائل:**

ويعتمد التشبيه في توضيح المعاني التي يريدها مما يجعل المتعلِّم يتوصل بنفسه إلى الحكم الشرعي ويتعلمه.

◆ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ: أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وُلِدَ لِي غُلَامٌ أَسْوَدُ. فَقَالَ: (هَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ ؟) قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: (مَا أَلْوَانُهَا ؟). قَالَ: حُمْرٌ. قَالَ: (هَلْ فِيهَا مِنْ أَوْرَقَ ؟). قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: (فَأَنَّى ذَلِكَ ؟). قَالَ: لَعَلَّهُ نَزَعَهُ عِرْقٌ. قَالَ: (فَلَعَلَّ ابْنَكَ هَذَا نَزَعَهُ) [2]. ولم يرخص له في الانتفاء منه.

◆ لقد استطاع رسول الله ﷺ بأسلوبه الحكيم أن ينتزع حبَّ الدنيا والمال من قلب حكيم بن حزام، فعن حَكِيمَ بْنَ حِزَامٍ ﷺ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَعْطَانِي ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي ثُمَّ قَالَ: (يَا حَكِيمُ إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا

---

[1] رواه البزار: عن أبي هريرة ﷺ. وقتام الأرض: غبارها. وهنا يعني ما في الأرض من عشب وغيره.

[2] صحيح البخاري ١٦ص٣٥٦. الأورق: ما كان لونه أبيض مائلاً إلى السواد.

يَشْبَعُ، الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنْ الْيَدِ السُّفْلَى). قَالَ حَكِيمٌ: فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا أَرْزَأُ أَحَدًا بَعْدَكَ شَيْئاً حَتَّى أُفَارِقَ الدُّنيَا، فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ يَدْعُو حَكِيماً إِلَى الْعَطَاءِ فَيَأْبَى أَنْ يَقْبَلَهُ مِنْهُ ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ ﷺ دَعَاهُ لِيُعْطِيَهُ فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَ مِنْهُ شَيْئًا فَقَالَ عُمَرُ: إِنِّي أُشْهِدُكُمْ يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى حَكِيمٍ أَنِّي أَعْرِضُ عَلَيْهِ حَقَّهُ مِنْ هَذَا الْفَيْءِ فَيَأْبَى أَنْ يَأْخُذَهُ فَلَمْ يَرْزَأْ حَكِيمٌ أَحَدًا مِنْ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى تُوُفِّيَ [1].

فانظر كيف أعطاه ما سأله ثلاثاً ثم علّمه حكمة جعلته غني النفس، فصار العطاء يأتيه فيرده.

◆ لقد كان عطاء النبي ﷺ للأعراب فهماً لنفوسهم وتأليفاً لقلوبهم، لقد أعطى صفوان بن أمية مئة من الغنم ثم مئة ثم مئة، وفي رواية أخرى أعطاه وادياً من غنم، مما جعله يقول: والله ما طابت بهذا إلا نفس نبي، وهُرع إلى قومه يقول: أسلموا فإن محمداً يعطي عطاء من لا يخشى الفقر. وروي عنه أنه قال: والله لقد أعطاني النبي ﷺ وإنه لأبغض الناس إلي، فما زال يعطيني حتى إنه لأحب الناس إلي.

◆ بهذا الفهم للنفوس عالج أصحابه، ومن خلال هذا الفهم جعل لأبي سفيان كياناً ومنـــزلة يوم فتح مكة حيث قال: (من دخل دار أبي سفيان فهو آمن)، وكذلك كان إكرامه لعدي بن حاتم وتقديم الوسادة له.

◆ ومن هذا المنطلق يمكن تفسير قول جرير بن عبد الله البجلي: «ما حجبني رسول الله ﷺ منذ أسلمت، ولا رآني إلا ابتسم».

لقد نفذ حبه ﷺ إلى القلوب واستأثر بها مما جعل أصحابه يفدونه بأرواحهم وأموالهم لا يخالفونه في أمر ولا يطيقون فراقه ساعة من الزمن.

لقد جعل هذا الحب علـــيّاً – كرّم الله وجهه – ينام في فراشه ليلة الهجرة، وجعل أبا بكر ﷺ يأتي بكل ماله في سبيل الله، وجعل عثمان ﷺ يجهز جيش العسرة، وجعل عمر

---

[1] صحيح البخاري ج٥ ص٣٢١. (لا أرزأ: أي لا أطلب من أحد شيئاً من ماله).

ﷺ يحبه أكثر من نفسه التي بين جنبيه، وجعل ثوبان ﷺ يتغير لونه إذا فارقه.

لقد كان الحب أسلوباً فاعلاً في التزكية والتربية ولقد أدهش هذا الحبُ أبا سفيان مما جعله يقول: ما رأيت أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمَّدٍ محمداً .

لقد كان لهذا الحب أثره، وكان لطيب المعشر فاعليته في تحويل صفية بنت حيي بن أخطب من امرأة يهودية قتل أبوها وزوجها وأخوها في حربهم مع المسلمين إلى امرأة مؤمنة بل إلى زوجة محبة تقية نقية دخلت في عداد أمهات المؤمنين وقالت لزوجها رسول الله ﷺ لما مرض واشتكى: ليت الذي بك بي يا رسول الله.

◆ إن هذا الحب مع الأسلوب التشجيعي الذي انتهجه رسول الله ﷺ جعل عميراً بن الحمام يستجيب لدعوة رسول الله ﷺ حين قال لأصحابه يوم بدر، حين أقبل المشركون في عَدَدهم وعُدَدهم: (قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض). فقال عمير بن الحُمام: عرضها السموات والأرض ؟! فقال رسول الله ﷺ: (نعم). فقال: بخٍ بخ، فقال: (ما يحملك على قولك بخ بخ ؟). قال: رجاء أن أكون من أهلها ! قال: (فإنك من أهلها). فتقدم الرجل فكسر جفن سيفه، وأخرج تمرات فجعل يأكل منهن، ثم ألقى بقيتهن من يده، وقال: لئن أنا حييت حتى آكلهن إنها لحياة طويلة ! ثم تقدم فقاتل حتى قتل ﷺ [1].

كما جعل أبا دجانة يهرع إلى أخذ السيف من يد رسول الله ﷺ عندما نادى في أصحابه يوم أحد: (من يأخذ هذا السيف بحقه). وكان حقه الجهاد حتى الشهادة.

◆ واستمع إلى رسول الله ﷺ يحث أصحابه على الصلاة قائلاً: (أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْراً بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ ؟). قَالُوا: لَا يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ. قَالَ: (فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ يَمْحُو اللَّهُ بِهِنَّ الْخَطَايَا) [2].

◆ واستمع إلى رسول الله ﷺ يعلم معاذاً بن جبل ويوصيه حين أرسله إلى اليمن: (إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فَإِذَا جِئْتَهُمْ فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ

---

[1] رواه مسلم ج٢ص١٣٩.

[2] صحيح مسلم ج٣ ص ٤١٩.

مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ طَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ طَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ طَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ)[1].

◆ وانظر إليه كيف كان يعلِّم الأعراب؛ فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ أَنَّ أَعْرَابِيّاً بَالَ فِي الْمَسْجِدِ فَقَامُوا إِلَيْهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (لا تزْرِمُوهُ). ثُمَّ دَعَا بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ فَصُبَّ عَلَيْهِ، ثم قال للأعرابي: (إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر، إنما هي لذكر الله والصلاة وقراءة القرآن)[2].

تعليم وتلقين، تدرج وتيسير، فهم لطبيعة النفوس وتأصيل لقواعد العدل والأخلاق مع اللين والشفقة والرفق ذلك هو رسول الله ﷺ.

تلك بعض النماذج من الأسلوب العام الذي انتهجه رسول الله ﷺ في تربية الأمة وتزكيتها وإصلاح شأنها، فكانت الثمار يانعة، والأشجار مثمرة تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ، وما ذُكر غيضٌ من فيض.

* وثمة **أسلوب خاص للتزكية** تفرَّد به رسول الله ﷺ عن غيره من المربين، وهو أسلوب خاص جداً مبعثه النبوة، وتلك القوة الروحية الخاصة التي زُود بها رسول الله ﷺ ليدل بها على صدق دعوته، ومصدر رسالته، وأنه رسول رب العالمين لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحيٌ يوحى.

إنها مواقف لا ينفع فيها العقل والبرهان، فقد يكون منها جحود للحقيقة البارزة، ومنها كبر وعناد، ومنها وساوس شيطانية، وخواطر نفسية لا ينفع فيها الأسلوب التربوي العادي، فلا بد من الحال الإيماني والتأثير الروحي الذي أمدَّ الله به نبيَّه ﷺ إثباتاً للرسالة ودعماً للحق.

---

[1] البخاري ج١٣ ص٢٤٣.

[2] صحيح البخاري ج١٨ ص٤٤٨. ومعنى (لا تزرموه): أي لا تقطعوا عليه بوله.

وهي مواقف كثيرة ومتنوعة تركت أثراً كبيراً في أولئك الذين آمنوا برسول الله ﷺ بل فيمن جاء بعدهم على مر الأيام العصور.

وإليك بعض الأمثلة:

● أخرج الإمام مسلم في باب: أن القرآن نزل على سبعة أحرف، عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ قَالَ: كُنْتُ فِي الْمَسْجِدِ فَدَخَلَ رَجُلٌ يُصَلِّي فَقَرَأَ قِرَاءَةً أَنْكَرْتُهَا عَلَيْهِ ثُمَّ دَخَلَ آخَرُ فَقَرَأَ قِرَاءَةً سِوَى قِرَاءَةِ صَاحِبِهِ فَلَمَّا قَضَيْنَا الصَّلاةَ دَخَلْنَا جَمِيعًا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ إِنَّ هَذَا قَرَأَ قِرَاءَةً أَنْكَرْتُهَا عَلَيْهِ وَدَخَلَ آخَرُ فَقَرَأَ سِوَى قِرَاءَةِ صَاحِبِهِ فَأَمَرَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَرَأَا فَحَسَّنَ النَّبِيُّ ﷺ شَأْنَهُمَا فَسَقَطَ فِي نَفْسِي مِنْ التَّكْذِيبِ وَلا إِذْ كُنْتُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا قَدْ غَشِيَنِي ضَرَبَ فِي صَدْرِي فَفِضْتُ عَرَقًا وَكَأَنَّمَا أَنْظُرُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَرَقًا فَقَالَ لِي: (يَا أُبَيُّ أُرْسِلَ إِلَيَّ أَنْ اقْرَأْ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ فَرَدَدْتُ إِلَيْهِ أَنْ هَوِّنْ عَلَى أُمَّتِي، فَرَدَّ إِلَيَّ الثَّانِيَةَ اقْرَأْهُ عَلَى حَرْفَيْنِ فَرَدَدْتُ إِلَيْهِ أَنْ هَوِّنْ عَلَى أُمَّتِي، فَرَدَّ إِلَيَّ الثَّالِثَةَ اقْرَأْهُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ فَلَكَ بِكُلِّ رَدَّةٍ رَدَدْتُكَهَا مَسْأَلَةٌ تَسْأَلُنِيهَا. فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لأُمَّتِي اللَّهُمَّ اغْفِرْ لأُمَّتِي، وَأَخَّرْتُ الثَّالِثَةَ لِيَوْمٍ يَرْغَبُ إِلَيَّ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ حَتَّى إبراهيم عليه السلام)[1].

تلك إذاً ضربة نورانية، إشعاعات نبوية ثم يأتي بعدُ البيان والشرح والتفصيل.

وكذلك فقد كان الصحابة الكرام يستفيدون من الحال النبوي في أثناء مجالسته، والاستماع إليه ﷺ، وكانوا يَشْكونَ أحياناً تبدل أحوالهم حينما يبتعدون عن تلك المجالسة أو ذلك الفيض.

● هذا ما حدث مع حنظلة حين شكا أمره إلى أبي بكر رضي الله عنه، فقد روى الإمام الترمذي عَنْ حَنْظَلَةَ الْأُسَيِّدِيِّ وَكَانَ مِنْ كُتَّابِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ مَرَّ بِأَبِي بَكْرٍ وَهُوَ يَبْكِي فَقَالَ: مَا لَكَ يَا حَنْظَلَةُ قَالَ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ يَا أَبَا بَكْرٍ نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ كَأَنَّا رَأْيَ عَيْنٍ فَإِذَا رَجَعْنَا إِلَى الْأَزْوَاجِ وَالضَّيْعَةِ نَسِينَا كَثِيرًا. قَالَ: فَوَاللَّهِ إِنَّا

---

[1] صحيح مسلم ج ٤ ص ٢٥٦.

لَكَذَلِكَ انْطَلِقْ بِنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَانْطَلَقْنَا فَلَمَّا رَآهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (مَا لَكَ يَا حَنْظَلَةُ ؟). قَالَ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ. نَكُونُ عِنْدَكَ تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ كَأَنَّا رَأْيَ عَيْنٍ فَإِذَا رَجَعْنَا عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالضَّيْعَةَ وَنَسِينَا كَثِيرًا. قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (لَوْ تَدُومُونَ عَلَى الْحَالِ الَّذِي تَقُومُونَ بِهَا مِنْ عِنْدِي لَصَافَحَتْكُمْ الْمَلَائِكَةُ فِي مَجَالِسِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ وَعَلَى فُرُشِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً، سَاعَةً وَسَاعَةً).

● ولقد تحول فضالة بن عمير بلمسة من لمسات رسول الله ﷺ من رجل منافق يكره رسول الله ﷺ ويحاول قتله إلى رجل مؤمن محب يقول فضالة في ذلك: والله ما رفع يده عن صدري حتى ما خلق الله شيئا أحبَّ إلي منه.

وكذلك كان شأن شيبة بن عثمان بن أبي طلحة يوم حنين حينما قال: اليوم أدرك ثأري منه – قال: فذهبت لأجيئه عن يمينه، فإذا أنا بالعباس بن عبد المطلب قائماً، عليه درع بيضاء كأنها فضة، يكشف عنها العجاج، فقلت: عَمُّه ولن يخذله. قال: فجئته عن يساره، فإذا أنا بأبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، فقلت: ابن عمه ولن يخذله. فجئته من خلفه، فلم يبق إلا أن أسَوّره سورة بالسيف، إذ رفع لي شُوَاظ من نار بيني وبينه، كأنه برق، فخفت أن تَمْحَشَني، فوضعت يدي على بصري ومشيت القهقرى، فالتفت رسول الله ﷺ وقال: (يا شيبَ، يا شيبَ ادْنُ مني؛ اللهم أذهب عنه الشيطان). قال: فرفعت إليه بصري، ولهو أحبّ إلي من سمعي وبصري، فقال: (يا شيب قاتل الكفار).

ثم انطلق شيبة يدافع عن النبي ﷺ ويضرب بسيفه أمامه [1].

ويتابع شيبة حديثه قائلاً: الله يعلم أني أحب أن أقيه بنفسي كل شيء، ولو لقيت تلك الساعة أبي لو كان حياً لأوقعت به السيف.

● وحدَّث أبو سفيان بن حرب نفسه قائلاً: ما أدري بم يغلبنا محمد ؟ فضرب رسول الله ﷺ في ظهره وقال: (بالله يغلبك). فقال: أشهد أنك رسول الله.

---

[1] رواه البيهقي. ومعنى تمحشني: تحرقني.

وكذلك لما حدثته نفسه بأن يعاود قتال رسول الله ﷺ وأن يجمع له الجموع فاجأه رسول الله ﷺ بضربة في صدره وقال له: (إذاً يخزيك الله). فقال: أستغفر الله وأتوب إليه والله ما تفوهت به؛ ما هو إلا شيء حدّثت به نفسي. وقال: ما أيقنت أنك رسول الله حتى الساعة، إني كنت أحدِّث نفسي بذلك.

وكم أحيَتْ نفثاته من قلوب وأيقظت لمساته من أرواح وكم كان لدعواته المباركة من أثر في مستقبلِ أصحابه.

لقد دعا لأبي هريرة بعدم النسيان لما شكا له ذلك فما نسي شيئاً بعد، ودعا لعلي كرم الله وجهه بحسن القضاء لما وجهه إلى اليمن قاضياً فكان موفقاً في قضائه، ودعا لجرير ابن عبد الله أن يثبت على الخيل فثبت، ودعا لحرملة حين شكا إليه النفاق فأخذ بلسانه وقال: (اللهم اجعل له لساناً صادقاً وقلباً شاكراً وارزقه حبي وحب من يحبني وصَيِّرْه إلى الخير)، فذهب النفاق وأصبح مؤمناً حقاً.

حوادث كثيرة، ومواقف عدة، ظهرت فيها آثار النبوة جلية واضحة.

إنه الأسلوب الخاص في التزكية ذلك الذي اختص به رسول الله ﷺ من بين المربين لتظهر النبوة جلية أو ليثبت الإيمان في القلوب، ولتصل رسالة السماء إلى الأرض.

تلك هي بعض ملامح المنهج النبوي في التزكية، والبحث فيه واسع يضيق عنه مقال أو كتاب فحياته ﷺ بما فيها من أقوال وأفعال وأحوال مثل حي لهذه التزكية، وقد صنعت رجالاً وأوجدت أمة شهد لها التاريخ، ولا يزال يحني رأسه أمام سمو مبادئها وصدق رجالها.

والتزكية عملية دائمة مستمرة ليس لها زمان أو مكان ولا مرحلة معينة، ولا تنتهي إلا بانتهاء الحياة، قد تضعف وقد تقوى وعلى المرء أن يجاهد ويثابر ويطلب العون من الله تعالى القائل:﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ (٩٩: الحجر).

وبعد:

فقد كنت ولا أزال أعتقد أن التصوف هو جوهر الإسلام وحقيقته، ظاهراً وباطناً،

سلوكاً واعتقاداً وإن كنت أرى أن معاني التصوف أو تعبيرات رجاله التي أثرت عنهم ما هي إلا إسقاطات شخصية لكل واحد منهم كما فهم وحسبما ذاق وأحس. ويجب ألا يقف الناظر فيها أكثر من حد الاستئناس، ولم أجد نفسي ملزماً بقول أو مصطلح لم أستطع فهمه أو لم أجد له دليلاً من مصادر الشريعة المعتبرة.

كما أنني كنت ولا أزال أرى في أشخاص مثل **الشيخ سليم الخلف والشيخ أبي النصر** نماذج بشرية رائعة للقدوة الحسنة والاتباع الكامل لسيدنا رسول الله ﷺ، كما أرى في سلوكهم وأقوالهم ما يتناسب مع المنهج الذي يهتدي بالكتاب والسنة بعيداً عن الآراء والتفريعات حيث لم أسمع ولم أرَ في تاريخهم ما يتطلب جهداً لتفسير سلوك أو قول، بمعنى أن تصوفهم كان تصوفاً عملياً بعيداً عن المصطلحات النظرية والتفريعات الفكرية التي تساهم في حيرة ضعيف مثلي. لقد كنت أجد في سيرتهم البلسم الشافي ولطالما وجدت حالي يشبه في هذا الجانب حال الشيخ محمد الحامد رحمه الله تعالى حيث أثر عنه أنه قال: - وربما في مرحلة من مراحل سلوكه - كنت إذا قرأت في كتب الصوفية أشعر أنني بعيد عنها وأنه يصعب علي الاقتناع، وحين أرى الشيخ محمد أبا النصر وأجالسه وأرى سلوكه وأسمع كلامه وأجد حاله أؤمن بالتصوف.

إنني لأميل إلى المنهج العملي في السلوك بعيداً عن المصطلحات والرموز، وقد كنت أرى فيهم وراثاً حقيقيين ومجددين مخلصين دورهم كدور أنبياء بني إسرائيل، ولطالما نزعت حالهم وأخبارهم المباركة الكثير من متاهات النفس، واضطراب الأفكار بل وطرد الوساوس والخيالات.

إن ما أكرمهم الله به من كرامات وخوارق العادات بلغت حد التواتر فيما أرى، لكثرة تعدد طرق روايتها وتنوع الأشخاص الذين سمعت منهم، مما أفاد عندي وبشكل شخصي العلم القطعي بصدق أخبارهم وصحة منهجهم وجعلني أجد الكثيرين في هذا الميدان عالة عليهم، وأسماء بدون مسميات. كما كنت ألزم نفسي بضرورة الالتزام بل وأعتبر نفسي وأسرتي (آل الشيخ سليم وأبي النصر) محفوفين بالعناية والحظ حيث كانوا

من السلالة وكانوا مقربين من هذه الشخصيات التي تقطع على المرء الكثير من متاهات الفكر واضطراب الاتجاهات التي مرَّت ولا تزال في حياة البشر.

إن القرب من هذه الشخصيات هو نوع من العناية الربانية الخاصة والحظ الوافر بل الرزق الحقيقي؛ وجدير بنا أن نكون أوفياء فنحسن إلى أنفسنا قبل الآخرين، بل نكون محط هداية وإرشاد من باب قوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاء الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ (٦٠: سورة الرحمن).

والحق أنهم آيات بينات على صدق الدعوة وصحة المنهج، فأخبارهم تثبِّت إيماني، وتزيد يقيني، وتطمئن قلبي، وتفعل فيَّ ما لا تستطيع فعله آلاف المحاضرات مع إجلالي وتقديري، بل وانحنائي أمام العلم والعلماء. ألم يقولوا: حال رجل في ألف رجل أقوى من قال ألف رجل في رجل.

إن غياب الشخصيات الصوفية أو ندرتها جعلت الناس يترددون في قبول مفاهيم التصوف ومسالكه العملية، ويجب ألا نغفل ذلك المد المادي الذي جرف القلوب وكلَّم الأرواح وأبعد الناس عن دينهم.

كم هو كبير ومدهش ذلك التشابه العجيب بين شخصية التابع وشخصية المتبوع.. بين شخصية أبي النصر وبين شخصية سيدنا رسول الله ﷺ: لين الكف وطراوتها، سرعة السير بين الأصحاب. بركة الطعام، إجابة الدعاء، الكشف، البكاء... إلخ، مما يدل على وحدة المصدر وتوافق المنهج.

*** إنه ليصعب فهم الكثير من مصطلحات الصوفية في حال غياب المرشد الكامل.**

فمهما بذلتَ من جهد، وحاولت أن تقرِّب أو تمثل يبقى المعنى بعيداً عن الإحاطة والشمول.

وفي حال وجود المرشد الكامل يكفيك توجهه نحوك أو إرشاده لك أو – بعبارة القوم – حاله لتدرك المقصود وتصل إلى درجة القناعة واليقين. وسوف تجد أنها معانٍ شرعية لا تتجاوز قواعد الأدب والدين.

إني أرى أن أسباب غياب الحقيقة الصوفية عن الناس اليوم التطبيق المشوه لمصطلحات

القوم المسطَّرة في الكتب على الشخصيات المعاصرة التي هي أبعد ما تكون عن التصوف والصوفية، وهذا يفسر لنا ما قيل: إن الاعتراضات على الصوفية لم تكن في عهد الرجال الصادقين كالشيخ الرفاعي والجيلاني قدس الله أسرارهما العلية وإنما كان بعدهم.

يقولون: على المريد أن يكون بين يدي شيخه كالميت على المغتسل، فيحار إنسان اليوم أين هو ذلك الذي بلغ في الإرشاد الكامل ذلك الحد، وظهرت صفاته واضحة جلية حتى لا يناقش الإنسان هذه الفكرة ويسلم نفسه له وكفى.

يقولون: على المريد أن يسخر ماله ونفسه لخدمة الشيخ، فأين هو ذاك الذي ستمنحه تلك الثقة ؟

لقد كان هناك رجال، ولكن أين هم الآن ؟ أرجو ألا نفتقدهم في زماننا وألا يخلو منهم عصرنا.

كنت أرى في والدي الشيخ عبد الباسط رحمه الله تعالى مصداقية العبارة التي تقول: التصوف كله أخلاق، فمن زاد عليك في الأخلاق زاد عليك في التصوف.

إنها الأخلاق التي لا تعني أدب المعاملة فحسب بل تضمن القاعدة الإيمانية والمعاني الروحية التي تبنى عليها الأخلاق حتى تكون صادقة ومستمرة أعني بناء الأخلاق على أساس إيماني وليس مصلحة اجتماعية من أجل النجاح في الحياة.

إنه المعنى الذي توحي به الآية القرآنية الكريمة: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ (الحجر: ٨٥).

كما وإني أميل إلى القول بأن الطريق أو السلوك – المصطلح – هو التزام أكثر منه تبرك، حيث أن التبرك قد يكون جميلاً ونافعاً في بعض الأحيان وقد ينسجم مع نفس مؤمنة تتطلع إلى الهدوء والاستقرار، **غير أن الالتزام هو المنحى الجاد الذي يؤتي أكله ويبرز دور الطريق أو السلوك في صنع الرجال وبناء المجتمعات ويُظهر صورة الإسلام والمسلمين ناصعة بيضاء على جميع مستويات الحضارة الإنسانية.**

كما وإني أميل إلى دقيقة ذكر، ولحظة تأمل وفكر، واستشعار نعمة وشكر، أكثر من

بذل جهد لفهم مصطلح، أليس التصوف هو علم أذواق، وليس علم أوراق ؟

إنني لا أحب أن أقف عند أولئك الذين يحفظون أقوال الرجال وتعريف المصطلحات ويؤصلون ويفصلون في المراتب والمقامات ويقارنون بين مراتب الرجال ولا أجد في سلوكهم أو شخصيتهم نفحة صوفية.

*** ينبغي أن لا نلغي الآخر بل نحترم الجميع ونعتقد أن في كل قوم أو جماعة أو مشرب؛ خيراً وفائدة ما داموا متمسكين بالكتاب والسنة، لا يتجاوزون في مسالكهم حدود الدين والأدب فالناس مشارب ولله طرائق بعدد أنفاس الخلائق، هي طرائق أي وسائل تربوية وليست مبادئ واعتقادات.**

على المرء أن يبذل جهده، كل حسب إمكاناته، والأمر المهم هو الصدق والإخلاص. ولا يشترط بلوغ مرتبة ما لكي تبلِّغ أو تدعو، بل لقد قال رسول الله ﷺ: (بلغوا عني ولو آية).

قد تجانب الصواب أو توافقه ولكن عليك أن تبذل ما تستطيع بنية صادقة بعد بذل الجهد لتحصيل العلم الضروري الذي لابد منه للعبادة والسلوك والتعامل.

إن ما أقوله في هذه المقدمة المتواضعة عصارة قلبية ممزوجة بقناعة فكرية أكثر منها مقدمة علمية بحتة.

وإني لأتوجه بالشكر والتقدير إلى الأخ الكريم الشيخ محمد زكريا المسعود مؤلف هذا الكتاب وجامعه الذي بذل جهداً جلياً في تجميع مادة هذه الموسوعة القيمة.

ولا شك أنه قد صرف الساعات الطويلة وقطع المسافات البعيدة ليحظى بمعلومات دقيقة ومفيدة، فجزاه الله خير الجزاء وبارك له في عمله وسعيه، وبارك الله في أسرته الطيبة أسرة آل المسعود تلك الأسرة التي عرفت بحبها للعلم والعلماء وبالتفافها حول الصالحين والأتقياء، بل كان منها كثير من العلماء والأصفياء.

كما تميزت بعلاقتها التاريخية مع أسرة آل أبي النصر فكان هناك ود وحب وألفة وتعاون، ولقد سرى هذا في الأولاد والأحفاد ولا تزال آثاره تتضح في كثير من المواقف

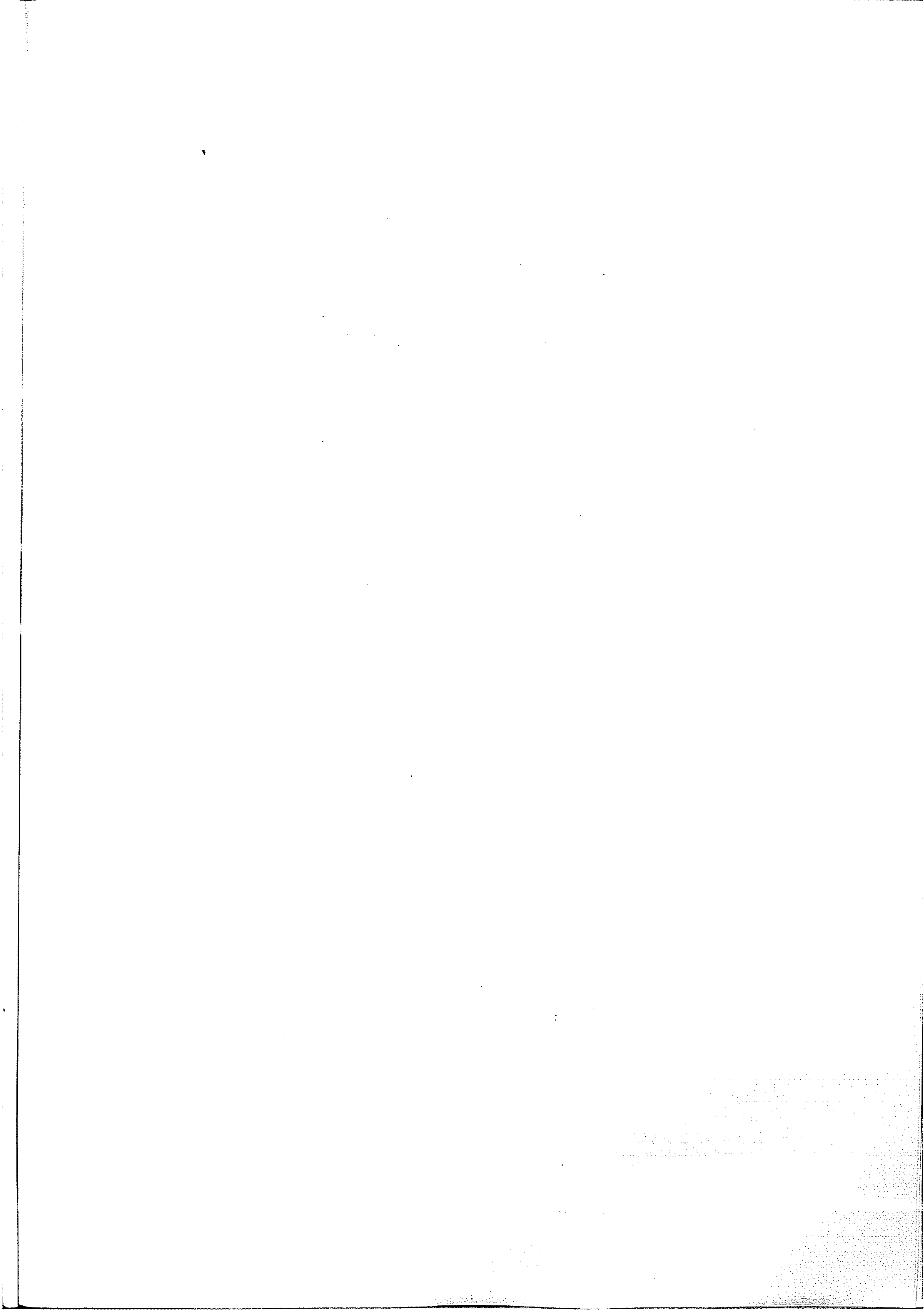
التي تعبر عن أصالة العلاقة وصدق التوجه.

وفي نهاية المطاف أتوجه إلى الله العلي القدير أن يتقبل هذا العمل من الأخ الكريم الشيخ محمد زكريا المسعود وأن يبارك فيه وفي أسرته وفي إخوته وأولاده، وأن يجزل له ولهم العطاء ولكل من ساهم في إخراج هذه الموسوعة المباركة .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

إسماعيل عبد الخالق

ابن الشيخ عبد الباسط أبو النصر



لطائف

الأولى: من هو الرباني ؟

قال الله تعالى: ﴿ولكن كونوا ربَّانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون﴾ (آل عمران: ٧٩).

وقال سيدنا علي ﷺ: (**أنا ربّانيُّ هذه الأمة**)؛ وقال أيضاً في حديثه لكُميل بن زياد: (الناس ثلاثة؛ **فعالم رباني**، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع أتباع كل ناعق).

وقال سيدنا محمد بن الحنفية (ابن سيدنا علي رضي الله تعالى عنهما) يوم مات ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: **اليوم مات ربَّاني هذه الأمة**. (حلية الأولياء)



وقال القرطبي في تفسيره للآية السابقة: (الربانيّون: واحدهم رباني؛ منسوب إلى الرب، والرَّبَّاني: الذي يربي بصغار مسائل العلم قبل كباره. أي بصغار مسائل العلم. وكأنه يقتدي بالرب سبحانه في تيسير الأمور. وروي معناه عن ابن عباس ﷺ وكذلك ذكره ابن العربي في الأحكام.

وقال المبرد: الربانيون؛ أرباب العلم.. يدبّرون أمور الناس ويصلحونها. وروى شعبة عن عاصم عن زر عن عبد الله بن مسعود ﷺ في تفسيرها قال: حكماء علماء. وعن ابن جبير: حكماء أتقياء. وقال أبو عبيدة: سمعت عالماً يقول: الرباني: العالم بالحلال والحرام، والأمر والنهي، العارف بأنباء الأمة، وما كان وما يكون) اهـــ من القرطبي.

وقال ابن كثير في تفسيره: (قال ابن عباس: حكماء علماء حلماء. وقال الحسن: فقهاء، وعنه أيضاً: أهل عبادة وتقوى) اهـــ من ابن كثير.



الثانية: **الربانيون بلسان أحدهم.**

قال أبو سعيد الخراز شيخ الصوفية في وقته: إن الله عز وجلَّ عجل لأرواح أوليائه التلذذ بذكره، والوصول إلى قربه، وعجل لأبدانهم النعمة بما نالوه من مصالحهم، وأجزل لهم نصيبهم من كل كائن، فعيش أبدانهم عيش الجنانيين، وعيش أرواحهم عيش الربّانيين.

لهم لسانان، لسان في الباطن يعرفهم صنع الصانع في المصنوع، ولسان في الظاهر يعلمهم علم الخالق في المخلوقين، فلسان الظاهر يكلم أجسامهم، ولسان الباطن يناجي أرواحهم [1].

❁ ❁ ❁

الثالثة: **مطلبهم.**

قال أحدهم:

قوم همومهم بالله قد علِقت   فما لهم هـمم تسـمو إلى أحد

فمطلب القوم مولاهم وسـيدهم   يا حُسن مطلبهم للواحد الأحـد

وسمعت سيدي الوالد الشيخ محمد علي المسعود رحمه الله وقدس روحه يقول: حكايا الصالحين سلاح للمريد، بدليل قوله تعالى: ﴿وكلاً نقصُّ عليك من أنباء الرسل ما نثبِّت به فؤادك﴾، فإذا كان القصص تثبيتاً للرسول الكريم ﷺ فنحن من باب أولى !

❁ ❁ ❁

الرابعة: **ونحن اليوم !**

في هذا الزمان الذي كثر فيه التشكيك في أحقية الدين، والطعن في أصوله وفروعه، وفي زمان طغيان الشهوات والغفلات التي خيمت على عقول كثير من الناس حتى أصبحت

---

[1] أبو سعيد الخراز، شيخ الصوفية في وقته واسمه أحمد بن عيسى، من أهل بغداد، وصحب ذا النون المصري، وسرياً السقطي، وبشراً الحارث وغيرهم، توفي سنة ٢٧٩هـ، انظر ترجمته في شذرات الذهب ج٢، ص١٩٢، وطبقات السلمي، والرسالة القشيرية. وهذا النص من طبقات الصوفية للسلمي. ص٢٢٩.

كالليل إذا يغشى، أصبح من الواجب بل من الضرورة أن نَعرِض سِيَرَ الربانيين لتشرق على حياة أجيالنا الحاضرة والآتية، وتصبح لهم كالنهار إذا تجلى !

ولعلها تزيل الغاشية عن العيون، والران عن القلوب، فتنشَط العقول للتفكر والتدبر، وتتحرك القلوب للاقتداء والتأسي، والسير في طريق الهداية، وتأخذ الراية والسيادة، والريادة والقيادة لهذه الأمة المرحومة.

ومن أجل هذا الهدف كانت هذه الحلقة من سلسلة (الربانيين) ترجمة لسيرهم، وعرضاً لمبادئ تربيتهم وتزكيتهم التي تلقوها من مصدرها (الرسول الأعظم ﷺ) كابراً عن كابر.

وليعلم أبناؤنا وبناتنا أن الانتساب لهذا الدين هو العز والسيادة في الدنيا والآخرة، إذ أن من ترجمنا لهم في هذا الكتاب، وذكرنا سيرهم إنما ارتفعوا وعَزُّوا بسبب ارتباطهم الوثيق بهذا الاسلام عن طريق دعاته وحملته من أشياخهم؛ ربّانِيِّي هذه الأمة، وُرَّاث الرسول المربي ﷺ.

ولما سلكوا طريقه بالتقوى والعلم صاروا شموس هداية طالعة، وكواكب عزٍّ ساطعة، تهدي الناس إلى أقوم طريق، طريق الجنة التي أعدت للمتقين.



مقدمة عامة عن الربَّانيين

بقلم مؤلف الكتاب

الحمد لله قيوم السماوات والأرض ومن فيهن، ورحمان الدنيا والآخرة ورحيمهما، يا ربَّنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ولعظيم سلطانك، سبحانك لا نحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على من خصصته بالكمالات العظمى، والمنح الكبرى، وجعلته للمرسلين إماماً، وللنبيين ختاماً، وللعالمين رحمةً مهداة، سيد الربانيين، وإمام العارفين، وقدوة الأتقياء الكاملين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد: إليك أخي الإنسان العاقل، أينما كان موقعك في هذه الحياة، وحيثما كنت في مهمات أمرك، صغيرها وكبيرها، أنّى اتجهت في مسيرة حياتك، إليك أقدم هذه الكلمات، وأضع بين يديك هذا الجزء (**صور ومواقف من حياة الربانيين**) من هذه الأمة المرحومة. وهو خاصّ بأعلام النقشبندية المرتبطين بسيدنا سليم خلف وابنه أبي النصر.

وما أكثر تلك المواقف، وما أعظمها ! وما أجمل هذه الصور وما أحلاها !

- **تطالعها في كتاب** تقرؤه؛ فترى أن كلمات هؤلاء الربانيين ذات شعاع ساطع، لم يَخْبُ بريقها رغم تطاول الزمن وقِدَم العهد، ولكأنَّ زَنْدها أوريَ قدْحاً هذه الساعة.
- **وتراها في رجال**؛ تحس بأن روح النبوة منبعثة فيهم، تضيء لمن استنار بها نوراً يسطع في القلب، وحُباً وخيراً وهدايةً تنبعث في الوجدان.

– فكم من **مسرف** على نفسه ردَّت كلماتهم المباركة إسرافه إلى القصد والاعتدال، فصار معهم **ربانياً**.

– وكم من **مذنب** مرتكب للموبقات، أحدثت مواعظهم في قلبه الخشية والخوف، فاندرج في سلكهم **تائباً**.

– وكم من **مريض** في الجسم شفت لمسات أيديهم علته وسقمه، فأضحى **صحيح**

الجسم والروح، فالتزمَ الدربَ القويم، والصراط المستقيم.

– وكم من **مكروب مهموم**، فرّجت دعواتهم وابتهالاتهم كربته، ونفّست همَّه، فغدا في رغد العيش وأَنْعَمِهِ، شاكراً لله أنعُمَهُ.

– وكم من **شارد الفكر**، زائغ القلب، التقاهم وصحبهم ولو ساعة، فأمسى **من ذوي الألباب**، وانقلب بنعمة من الله وفضل كأن لم يمسَّه سوء الحياة، ولم يعرف درب الشقاء.

فإليك أيها الأخ العاقل هذه (الصور والمواقف من حياة الربانيين) أقدمها هدية لك لترى نفسك مع أهلها، تحيا معهم بدفءِ كلماتهم، ويحيون معك بصدق مواقفهم فما أنت منهم ببعيد، وما هم عنك بغائبين.

❁ ❁ ❁

إليك هذه المواقف تعيشها.. تنعم بصدقها؛ صدق القول، وصدق العمل، وحسن الأسوة، وإخلاص العمل، وتكون مع هؤلاء الربانيين شاهداً على أن الخير في هذه الأمة لا ينتهي، ومعينه لا ينضب حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

❁ وإن حدثتك عنهم وعن أخلاقهم وأحوالهم وسيرهم، وعرضتها لك كأنك تحياها، فإنما أدعوك لتكون منهم، وتسير في ركبهم. فتصاحبهم إن رأيتهم وعرفتهم، وتبحث عنهم إن أحببتهم ولم تلتق بهم؛ فهم أكثر الناس تواضعاً، وأوفرهم بخلق الله رحمةً، وألينهم عريكة، وآلفهم للناس، وأحب الخلق إلى الله. سيماهم الرحمة، والحب والتواضع، لا شارة لهم تميزهم عن خلق الله، ولا علامة لهم يعرفون بها، سوى أنهم يألفون ويؤلفون، ويُحِبُّون ويُحَبُّون، من الأحاسن أخلاقاً، والموطئين أكنافاً.

❁ قد تستدل عليهم؛ من كَلِمِهم الطيب، الذي يقع في القلب كالوابل الصيِّب، ومن السلوك المحبب، والخلق المهذب؛ يسرك قالهم، ويجذبك إليهم حالهم، تعامُلُهم رحيمٌ، وشفقتهم غامرة، وأوقاتهم بالله عامرة، حَدْبهم وحُنُوهم على الضعفاء والفقراء، وذوي الحاجة والبؤساء، ولا يحرم من رحمتهم ورفقهم الحيوان، فضلاً عن الإنسان.

وقد تجدهم في هذه الحال أو ذاك، أو في هذه الأوصاف أو تلك الأخلاق.

ولعلّي ولعلك أيها الأخ المؤمن، أن تنفعنا سيرهم، وقصصهم، وأخبارهم وشمائلهم، فنسير على آثارهم، ونهتدي بهديها، فقد قص الله سبحانه وتعالى على رسوله ﷺ قصص الأنبياء والمرسلين وقال له: ﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾.

وقص علينا قصص الصالحين من أنبياء ومؤمنين، وقال لنا: ﴿لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب﴾، وإذا كان الله سبحانه وتعالى أمر رسوله وأمرنا أن نكون ربانيين بقوله: ﴿ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلِّمون الكتاب وبما كنتم تدرسون﴾ فحريٌّ بنا أن نبحث عن سير الربانيين وشمائلهم وأخلاقهم وكمالاتهم حتى نستجيب بحق لأمر ربنا تبارك وتعالى بقوله: ﴿ولكن كونوا ربانيين﴾.



وفيما يلي من الصفحات أضع بين يدي إخواني المؤمنين فصولاً من حياة أكابر ربانيي عصرنا؛ من بعد مولانا الشيخ خالد ضياء الدين النقشبندي قدس الله سره العزيز الشهير **بالحضرة**، وهم:

خليفته؛ سيدنا ومولانا الشيخ أحمد الطوزقلي قدس الله سره، والقائم بأمره في مدينة حمص المحروسة.

ثم خليفته ومريده مولانا الشيخ محمد سليم خلف الجندي الحمصي النقشبندي قدس الله سره.

ثم خليفته ولده الشيخ محمد أبو النصر خلف قدس الله سره، ونفعنا الله بهم أجمعين.

وبعد ترجمة كل رباني منهم أُلْحِقُ تراجم تلامذته ومريديه من العلماء الأعلام الذين تخرجوا من مدرستهم المباركة..

وأحب أن أنوه هنا؛ بأني اخترت اسم **الربّانيين** [1] لهؤلاء الأولياء والعلماء الصلحاء،

---

[1] هذا اللقب أسلم من لقب صوفية الذي يثير بعض الناس النقد والشَّغب حوله. (شيخنا القلاش).

إحياءً لهذا الوصف القرآني، والتزاماً بهذا الأمر الربَّاني: ﴿ولكن كونوا ربانيين﴾، فهم أحق الناس بهذا اللقب، وأحرى أن يوصفوا به عن غيرهم، وأن يتميزوا بنعته وسمته عن سائر المؤمنين، من أتباع سيد المرسلين، فهم الأنقياء الأتقياء، والأولياء الصلحاء، والعلماء والحكماء، وهم الربَّانيُّون الهادون المهديون.

وأرجو من الله سبحانه أن يمنّ عليَّ وعلى والديَّ بالقبول، وأن يدرجني في سلكهم، كما اندرج آبائي في خدمتهم، وفازوا بصحبتهم، وهو أكرم مسؤول وخير مأمول.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

قاله وكتبه خادم طريقهم والمتشرف بمحبتهم

محمد زكريا بن الشيخ محمد علي المسعود

غفر الله له ولوالديه

مدخل خاص إلى رياض هؤلاء الربانيين

هذه قطوف نرجو الله أن يعين على إتمامها، أحببتُ أن أجمعها من حدائق أئمتنا الربانيين، وُرَّاث الحبيب الأعظم ﷺ، أقطفها من رياض حدائقهم؛ وأضمها إلى بعضها في بساتينهم، وأقدمها لهم بعد قبولها منهم، كيما أنال شرف الانتساب إليهم، وأكون من محبيهم، ومن المرضيين لديهم، فأنال القبول إن شاء الله تعالى في الدنيا والآخرة.

ولهذه القطوف قصة: فمنذ زمن يزيد على عشر سنوات من كتابة هذه المقدمة (المدخل)، جرى الحديث أمام شيخنا وأستاذنا الشيخ عبد الباسط بن سيدنا الشيخ محمد أبي النصر بن سيدنا ومولانا الشيخ سليم خلف الجندي الحمصي النقشبندي، رحمهم الله تعالى وقدس أسرارهم، وتغمدهم بفيض أنواره وجميل رضوانه، أقول جرى الحديث والمذاكرة حول جمع بعض تراجم سادتنا رجال سلسلة الطريقة العلية النقشبندية من بعد مولانا خالد ضياء الدين النقشبندي قُدس سره العزيز، لتكون هذه التراجم ذيلاً وتكملة (للحدائق الوردية)، في حقائق أجلاَّء النقشبندية، وهذا الكتاب ألَّفه الشيخ عبد المجيد الخاني، المتوفى سنة ١٣٠٦هـ، وهو خليفة مولانا خالد، وترجم فيه لرجال هذه السلسلة المباركة بدءاً من سيدنا رسول الله ﷺ وانتهاءً بمولانا خالد الحضرة رضي الله عنهم جميعاً.

واستقر الرأي أن نكتب تحت إشراف شيخنا عبد الباسط (أبي نزار) ما ييسر الله جمعه أثناء الدرس الذي كنا نقرؤه على شيخنا أبي نزار في بيته في حي الأنصاري بحلب، حيث كان يقرأ لنا صحيح البخاري، والرسالة القشيرية، عصر كل يوم، وكان الحاضرون للدرس، أخانا الشيخ مصطفى العزيزي رحمه الله تعالى، وأخي الشيخ عبد الله المسعود، وأحياناً عمنا الشيخ عمر ملاحفجي، وولديه الشيخ محمد ضياء الدين والشيخ عبد الله عز

الدين، ومن يحضر من الإخوان والمحبين، كما كان شيخنا الحالي الشيخ إسماعيل نجل سيدي أبي نزار يحضر الدرس أحياناً.

وقد أملى علينا شيخنا (أبو نزار) ورقات ليست بالقليلة من ترجمة مولانا سليم وأبي النصر، وكنا نخاف على هذه الورقات من الضياع، وكنت لشدة حرصي عليها أضع الكراسة ضمن كتاب البخاري الذي نقرأ الدرس فيه، لأن شيخنا أبا نزار ذكر لنا أنه لم تتم ترجمة للشيخ سليم ولا للشيخ أبي النصر، وأن الشيخ بكري رجب رحمه الله تعالى كان كتب ترجَمة وافية عنهما ثم فقدت..

.. وتمضي الأيام، وتمر على بلادنا السورية تلك الفتنة التي بعثرت كثيراً من المجموعات وفرقت الجماعات، فالتزم كثير من الناس بل غالبهم بُيوتَهم، وانقطعنا عن درسِنا اليومي لدى شيخنا رحمه الله تعالى، وحتى لقاء الشيخ الأسبوعي بإخوانه (تلاميذه) في جامع أبي ذر الذي أسسه الشيخ أبو النصر منذ ما يزيد عن ثمانين سنة، توقف أيضاً.

وفي هذه الأثناء فقدت الكُرَّاس الذي كتبنا فيه تراجم الشيخين، وبحثت عنه بين كتبي، وفي زاوية الشيخ دون جدوى، وأسفت أشد الأسف لفقده، وأنا الحريص على ذلك... ومرت الأيام، ثم عادت الأمور إلى مجاريها تدريجياً بعد انطفاء الفتنة، وانتقل شيخنا عبد الباسط إلى رحمة الله ورضوانه في عام ١٤٠٣هـ.

وأكرم الله إخواننا وأحبابنا بأن جمعهم على خليفته وولده الشهم الكريم العالم الداعي إلى الله الأستاذ عبد الخالق، المعروف بالشيخ (إسماعيل) أبي النصر حفظه الله تعالى وأمد في عمره مع كمال التقوى والعافية، وذلك تنفيذاً لوصية والده شيخنا عبد الباسط رحمه الله تعالى، هذه الوصية التي كانت تحقيقاً لآمال النقشبنديين وأمنيتهم، والذين اجتمعت قلوبهم على محبته في حياة والده رحمه الله تعالى؛ فقام بعد والده بجمع الإخوة والأحباب على الله سبحانه وتعالى، وأحيا ليلة الجمعة في دارهم (الزاوية) في الأنصاري بحلب، ثم بتوفيق الله سبحانه وتعالى تم نقل هذه الليلة (ليلة الجمعة) إلى جامع العثمانية بحلب، والحمد لله على كل خير، وصار يقام فيها بالإضافة إلى ختم يوم الجمعة المولد العام ليلة الجمعة، وتلقى

فيها الدروس والمواعظ بعد المولد من قبل طلاب العلم الذين يكلفهم الشيخ إسماعيل حفظه الله تعالى بإلقائها، كما أقام فيما بعد في الزاوية النقشبندية بجانب جامع الفرقان ذكراً ومجلساً ليلة الإثنين من كل أسبوع.

وعادت فكرة جمع تراجم مشايخنا من جديد إلى الأذهان، ونشط لها الشيخ إسماعيل حفظه الله تعالى، واستقر الرأي على أن يكتب إلى كل أخ من إخوان الشيخ أبي النصر، ليكتب لنا أو يحدثنا عما يعرف من سيرة الشيخين سليم وأبي النصر قُدس سرهما، وكتب لهم فعلاً. ومضى زمن غير قليل عادت فيه الفكرة إلى الخمول... إلا أنها لا تزال تراودني رغم العوائق والمشاغل.. وعزمت من جديد على كتابتها بمعونة إخواننا وتوجيهات شيخنا الحالي الشيخ إسماعيل، فكتبت ترجمة لسيدنا أبي النصر ألقيت بعضاً منها في مسجد العثمانية ليلة الجمعة مستهل ربيع الأول عام ١٤٠٨ هـ، ومضت فترة من الزمن حتى كان اليوم الأول من رمضان ١٤١٨هـ حيث كنت أنقل فائدة كتبها لي سيدي الوالد حفظه الله تعالى بخطه عن كتاب (الحكم) للإمام الرباني سيدي أحمد الرفاعي قدس الله سره، فأثبتُّها في مجموع لي أكتب فيه الحكم والفوائد، ولا مانع من أن أدونها هنا وهي: يقول سيدنا الشيخ أحمد الرفاعي في وصية لتلميذه عبد السميع الهاشمي: (**ولا تعمل عمل أهل الغلو، فتعتقد العصمة في المشايخ، أو تعتمد عليهم فيما بينك وبين الله، فإن الله غيور، لا يحب أن يدخل فيما آل إلى ذاته فيما بينه وبين عبده أحداً، نعم، هم أدلاء على الله برضى الله تعالى عنهم، لا يخزي الله عباده الذين أحبهم وهو أكرم الأكرمين**).

ثم يكتب سيدي الوالد؛ وكان الشيخ الرفاعي ﷺ ذكر قبل هذه الوصية حديث سيدنا حذيفة المشهور، كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني.. الحديث.

أقول: لما كتبت هذه الوصية، أحببت أن أثبت نص الحديث، حديث سيدنا حذيفة ﷺ من صحيح الإمام البخاري، وإن كنت أحفظه وأردده في خطبي ودروسي لما له من بالغ الأثر والفائدة، ولأن شيخنا عبد الباسط كان يطلب مني أن أذكره دائماً للإخوان،

عندما يكلفني بموعظة أو درس، وكان يحب أن يطبعه ويوزعه على الإخوان، لما فيه من الوصية بلزوم الجماعة وعدم الفرقة.. فقمت إلى مكتبتي وتناولت صحيح البخاري الجزء الأخير، وكم كانت دهشتي عظيمة، وسروري أعظم عندما وجدت الكراس الذي فقدته من سنين وسجلت فيه تراجم أشياخنا، وجدته ضمن الكتاب، فعزمت من يومها أن أخصص جزءاً من وقتي لأبيِّض تراجم أشياخنا من هذا الكراس وغيره من المصادر لعل الله سبحانه وتعالى يبيض صحيفتي ﴿يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ، إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾.

وأما حديث سيدنا حذيفة ﷺ فإليك هو أخي المؤمن:

روى البخاري في صحيحه عن حذيفة بن اليمان ﷺ قال (**كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر، مخافة أن يدركني، فقلت يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم. قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال نعم، وفيه دخن. قلت وما دخنه؟ قال: قوم يهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر. قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: نعم، دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها. قلت: يا رسول الله صفهم لنا، قال: هم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا. قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم. قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة، حتى يدركك الموت وأنت على ذلك**) [1]، والحمد لله رب العالمين.

ملاحظة: تكرر الطلب من إخواننا في درس الجمعة العام أن أتحدث عن سيرة الشيخين مولانا سليم وشيخنا أبي النصر، فكان هذا منشطاً لأن نشد العزم، ونقوي الهمة على هذا البحث، وكان البدء منذ ذلك الطلب، والله المستعان، ثم استحثني شيخنا إسماعيل حفظه الله على سرعة إنجاز الكتاب وذلك أثناء المعايدة في عيد الفطر عام ١٤٢٢هـ، وأرجو الله سبحانه أن يوفق للإتمام بمنه وكرمه.

---

[1] صحيح البخاري، كتاب الفتن: ٩/٦٥.

توطئة هامة بين يدي التربية الربانية

في هذا العصر الذي بعدت فيه القلوب عن ورد موارد الحب الصافي الذي يجعل الحياة سكناً وطمأنينة، وجفت فيه ينابيع الشفقة والرحمة من قلوب الكثير من خلق الله، أصبحنا في أشد الحاجة إلى مورد عذب صافٍ ننهل منه حباً ورحمة، وشفقة ومودة، وليس هناك مورد أعذب من مورد رسول الله ﷺ وأصحابه الذين أوردهم أعذب الموارد وأنقاها؛ مورد الرحمة الإلهية والحب العظيم، بشهادة قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (١٠٧:الأنبياء)، وقوله سبحانه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ.. ﴾ (١٥٩: آل عمران)، وقوله عز من قائل: ﴿لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٢٨: التوبة)، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ.. ﴾ (٦:الأحزاب)، وقوله ﷺ عن نفسه: (إنما أنا رحمة مهداة).

ولذا نهج وراثه ﷺ العظام هذا النهج الرحيم في تربيتهم، بدءاًمن سادتنا الصحابة الكرام، وحتى سادة وقتنا الذين نتفيأ ظلالهم في هذه الورقات والصفحات..

ولئن سمّى نهجهم وتربيتهم بعض الناس (تصوفاً) ونعته غيرهم بأنه (تزكية وتخلقاً) وقال آخرون إنه (الإحسان) بعد (الإسلام) والإيمان.. وقلنا عنه أنه (التربية الربانية) عملاً بقوله تعالى: ﴿ولكن كونوا ربانيين﴾، فإن النتيجة واحدة؛ هي الوصول إلى التزكية الإيمانية الربانية امتثالاً لقوله تعالى: ﴿هُوَ الذي بَعَثَ في الأمِّيين رَسُولاً مِنهُمْ يتلُوا عليهمْ آياته ويزكّيهم ويعلّمهمُ الكتابَ والحكمةَ وإنْ كانوا مِنْ قبْلُ لفي ضلال مبين﴾ (٢: الجمعة).

ولنستمع إلى السيد الكريم الداعي إلى الله، العالم الرباني أبي الحسن الندوي رحمه الله تعالى يحدثنا عن هذا في كتابه الرائع (ربانية لا رهبانية)، قال: (إن للمصطلحات والأسماء الشائعة بين الناس جناية على الحقائق.. ومن هذه المصطلحات والأسماء العرفية التي شاعت

بين الناس (التصوف) ومن هنا ثارت أسئلة وبحوث، وتساءل الناس: ما مدلول الكلمة وما مأخذها؟ هل هو من الصُّوف، أو من الصفاء أو من الصفو ؟... ومتى حدثت هذه الكلمة ؟ لم نعرف لها أثراً في الكتاب والسنة، وما جاءت في كلام الصحابة رضي الله تعالى عنهم والتابعين لهم بإحسان، وما عرفت في خير القرون الأُوَل، وكل ما كان هذا شأنه، فإنه من البدع المحدثة، وقد حميت المعركة بين أصدقائه وخصومه، والموافقين والمعارضين، حتى تكونت بذلك مكتبة كبيرة يصعب استعراضها.

أما إذا عدلنا عن هذا المصطلح الذي نشأ وشاع في القرن الثاني، ورجعنا إلى الكتاب والسنة وعصر الصحابة والتابعين، وتأملنا في القرآن والحديث، وجدنا القرآن ينوّه بشعبة من شعب الدين، ومهمة من مهمات النبوة يعبر عنها بلفظ (التزكية)، ويذكرها كركن من الأركان الأربعة التي بعث الرسول الأعظم ﷺ لتحقيقها وتكميلها ﴿هُوَ الذي بَعَثَ في الأمِّين رَسُولاً مِنهُمْ يتلُوا عليهمْ آياته ويزكِّيهم ويعلِّمهمُ الكتابَ والحكمةَ وإنْ كانوا مِنْ قبْلُ لفي ضلال مبين﴾ (٢: الجمعة).

وهي تزكية النفوس وتهذيبها وتحليتها بالفضائل، وتخليتها من الرذائل، التزكية التي نرى أمثلتها الرائعة في حياة الصحابة رضوان الله عليهم وإخلاصهم وأخلاقهم...

ووجدنا لسان النبوة يلهج بدرجة هي فوق درجة الإسلام والإيمان، ويعبر عنها بلفظ (الإحسان) ومعناها كيفية من اليقين: (أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك) متفق عليه.

ووجدنا الشريعة، وما أثر عن رسول الله ﷺ من الأقوال والأحوال ودُوِّن في الكتب ينقسم بين قسمين:

أفعال وهيئات وأمور محسوسة: كقيام وقعود، وركوع وسجود، وتلاوة وتسبيح، وأدعية وأذكار، وأحكام ومناسك، قد تكفل بها الحديث رواية وتدويناً، والفقه استخراجاً واستنباطاً، وقام بها المحدثون والفقهاء - جزاهم الله عن الأمة - فحفظوا للأمة دينها، وسهلوا لها العمل به.

وقسم آخر هو كيفيات باطنية: كانت تصاحب هذه الأفعال والهيئات عند الأداء وتلازم الرسول ﷺ قياماً وقعوداً، وركوعاً وسجوداً، وداعياً وذاكراً، وآمراً وناهياً، وفي خلوة البيت وساحة الجهاد، وهو **الإخلاص والاحتساب، والصبر والتوكل، والزهد وغنى القلب، والإيثار والسخاء، والأدب والحياء، والخشوع في الصلاة، والتضرع والابتهال في الدعاء، والزهد في زخارف الحياة، وإيثار الآخرة على العاجلة، والشوق إلى لقاء الله، إلى غير ذلك من كيفيات باطنية وأخلاق إيمانية هي من الشريعة بمنـــزلة الروح من الجسد، والباطن من الظاهر**، وتندرج تحت هذه العناوين تفاصيل وجزئيات وآداب وأحكام، تجعل منها عملاً مستقلاً، وفقهاً منفرداً، فإن سمي العلم الذي تكفل بشرح الأول وإيضاحه وتفصيله والدلالة على طرق تحصيله (**فقه الظاهر**) سمي هذا العلم الذي يتكفل بشرح هذه الكيفيات، ويدل على طرق الوصول إليها (**فقه الباطن**) [1].

ثم قال رحمه الله تعالى ص١٩: (فلا شك أنه لولا هؤلاء - أصحاب النفوس المزكاة، الذين وصلوا إلى درجة الإحسان وفقه الباطن - لانهار المجتمع الإسلامي إيماناً وروحانية، وابتلعت موجة المادية الطاغية العاتية، البقية الباقية من إيمان الأمة وتماسكها، وضعفت صلة القلوب بالله، والحياة بالروح، والمجتمع بالأخلاق، وفُقِدَ الإخلاص والاحتساب، وانتشرت الأمراض، واعتلّت القلوب والنفوس، وفُقِدَ الطبيب، وتكالب الناس على حطام الدنيا، وتنافس أهل العلم في الجاه والمال والمناصب، وغلب عليهم الطمع والطموح، وتعطلت شعبة من أهم شعب النبوة ونيابتها، وهي (**تزكية النفوس، والدعوة والإحسان، وفقه الباطن**).

انظر إلى بلاد ضعفت فيها الدعوة إلى الله، والتزكية الربانية، وتزكية النفوس، من زمان؛ ونَدَرَ فيها وجود الدعاة إلى الله وتجديد الصلة بالله وإصلاح الباطن، بنفوذ الحضارة الغربية، أو للقرب من مركزها أو بفعل عوامل أخرى، إنك تشعر فيها بفراغ هائل لا يملؤه

---

[1] ربانية لا رهبانية ص١٣.

التبحر في العلم، ولا التعمق في التفكير، ولا فضل من ذكاء، ولا غنى من أدب، ولا نسب قريب بلغة الكتاب والسنة، ولا نعمة من استقلال، إنها أزمة روحية وخلقية لا علاج لها، ومشكلة من أدق مشكلات المجتمع لا حل لها، **فالدهماء** والشعب فريسة المادية الرعناء، ونهامة المال العمياء، والأمراض الاجتماعية والخلقية.

والمثقفون الثقافة الدينية فريسة الحرص على الجاه والمنصب والأمراض الباطنية من حسد وشح ورياء وكبر وأنانية، وحب ظهور، ونفاق ومداهنة وخضوع للمادة والقوة.

والحركات الاجتماعية والسياسية تفسدها الأغراض، وعدم تربية النفوس وضعف القادة، **والمؤسسات** يفسدها الخلاف والشقاق وقلة الشعور بالمسؤولية، والتفكير الزائد بالمادة وزيادة الرواتب، **والعلماء** يُضعف سلطانَهم اهتمامُهم الزائد بالمظاهر، وخوفهم الزائد من الفقر وسخط الخاصة والعامة، واعتيادهم الزائد للحياة الرضية الناعمة.

ولا علاج لكل ذلك إلا في (**التزكية النبوية**) التي نطق بها القرآن وبعث لها الرسول، وفي الربانية التي طولب بها العلماء ﴿... وَلَكِن كُونُواْ رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ (٧٩: آل عمران) [(١)].

وبعد أن استعرض أبو الحسن الندوي رحمه الله تعالى سير هؤلاء الربانيين، وبين الحاجة إلى تجديد العهد والميثاق على أيديهم، وذكر جهادهم لرد اعتبار الإنسان وإيمانه بكرامته وشرفه، وذكر دورهم الإصلاحي في سائر بلاد المسلمين وفي الهند، وتأثيرهم في مختلف طبقات المجتمع، وذكر نماذج منهم كالسيد عبد القادر الجيلاني، وجلال الدين الرومي، والشيخ أحمد السرهندي، وغيرهم من العارفين والمربين الربانيين، قال في ص١٢٢: (إن تاريخ التصوف في الهند حافل بأمثلة رائعة من الزهد والقناعة والاعتزاز بالنفس والكرامة والطموح والإيثار، لا تخلو طريقة صوفية من هذه الأمثلة في هذه البلاد، ونقدم هنا عدة أمثلة من القرنين الثالث والرابع عشر، وهو عهد رسخت فيه أقدام المادية في الهند.

[(١)] ربانية لا رهبانية ص٢١.

كان الشيخ شمس الدين حبيب الله المعروف بميرزا جان جانان مظهر الدهلوي من شيوخ الطريقة النقشبندية المجددية (توفي ١١٩٥هـ) قال له ملك الهند مرة، إن الله أعطاني مملكة واسعة فأرجو أن تقبلوا منها شيئاً فقال الشيخ: إن الله قد وصف الدنيا بقوله: ﴿... قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى.. ﴾ (٧٧: النساء)، أما مملكتكم فهي ولاية صغيرة من أقاليم هذه الدنيا، فلا أريد أن أرزأكم في هذا الجزء الصغير.

وقدم له الأمير (آصف جاه) وزير المملكة المغولية في الهند عشرين ألف روبية فلم يقبلها، فقال الأمير: خذوها وقسِّموها على أهل الحاجة، فقال: إني لا أحسن هذا العمل، فتولوا توزيعه بنفسكم).

وفي فصل البطولة والكفاح من كتابه القيِّم (ربانية لا رهبانية) فنَّد الندوي الشائعات التي تناقلها الناس بالقبول والتي لا أساس لها من الصحة، بأن التصوف عبارة عن البطالة والكسل والجمود، والفرار من معترك الحياة، فقال: (ولكننا ننفي هذه الأوهام حين نجد أمامنا حلقة متصلة من الحقائق تقضي على هذا الزعم الباطل سواء من ناحية التاريخ والواقع، أو من ناحية النفسية والبرهان، ثم قال: (سرِّحْ طرفك في هذه القرون الأخيرة، تجد فيها أمثال الأمير عبد القادر الجزائري، والشيخ محمد أحمد السوداني، وسيدي الشيخ أحمد السنوسي، والسيد الإمام أحمد الشهيد الذي كان شيخ طريقة وزعيماً روحياً في جانب، ومجاهداً وقائداً ومناضلاً في جانب آخر) ص١٣٣.

ثم قال: (وأما في الهند قد اتجهت حكومة (أكبر) إلى اللادينية والإلحاد اتجاهاً سافراً، وأراد (أكبر) وكان أكبر الملوك الذين عرفتهم الهند، وأقواهم، أن يطمس على معالم الإسلام وملامحه الواضحة وميزاته البارزة بجميع ما عنده من وسائل ومواهب وطاقات، وقد اجتمع عنده جمع من الأذكياء، وذوي الكفاءات النادرة يعينونه على هذا الباطل، و لم يكن هناك ضعف أو هرم في الدولة يشير إلى زوالها، أو يدل على ثورة يتأجج أوارها، وكأن العلم والمنطق والقياس الظاهر، لم يكن يصدق أنه سيقع هناك تغيير سارٌّ، أو تحول بارز في الحكومة والشعب.

هناك قيض الله أحد عباده للإصلاح والتجديد فحمل راية الثورة بمفرده، وبدأ في ثورة داخلية بقوة إيمانه ويقينه وعزمه وتوكله، وروحانيته وإخلاصه، حتى أصبح كل وارث للحكم المغولي أحسن من سابقه، ثم تربع أخيراً على هذا العرش السلطان (أورنك زيب عالمكير) الملك الفاضل الصالح المسلم الغيور الذي ندر نظيره في تاريخ الحكومات الإسلامية، وكان رائد هذه الثورة المباركة، إمام الطريقة النقشبندية المجددية الشيخ أحمد السرهندي)[1] اهـ.

[1] راجع ترجمة الشيخ أحمد الفاروقي السرهندي مجدد الألف الثاني في كتاب الحدائق الوردية والرشحات.

ماذا يقول الربانيون عن سيرهم ومنهجهم ؟!

والباحث عن الحق لا تقف أمامه الأسماء لتحجبه عن مقصوده، ولا يرفض الحق لأنه جاء عن غير أستاذه، وكم حجبت هذه المصطلحات كثيراً من الناس، فتوقفوا عن قبول الحق لأنه جاء عن غير جماعتهم، فحرموا خيراً كثيراً، وحاربوا أولياء الله من حيث ادعوا أنهم أنصار الله، لأنهم رفضوا كل خير يأتي تحت عنوان التصوف والصوفية.

ولنستمع إلى الأئمة الربانيين يحدثوننا عن هذا المصطلح:

الإمام القشيري في رسالته: قال السيد الأجل الإمام أبو القاسم عبد الكريم القشيري المتوفى سنة (٤٦٥هـ) في رسالته المسماة بالرسالة القشيرية:

(اعلموا، رحمكم الله، أن شيوخ هذه الطائفة بنوا قواعد أمرهم على أصول صحيحة في التوحيد، صانوا بها عقائدهم عن البدع ودانوا بما وجدوا عليه السلف وأهل السنة من توحيد ليس فيه تمثيل ولا تعطيل، وعرفوا ما هو حق القدم، وتحققوا بما هو نعت الموجود عن العدم، ولذلك قال سيد هذه الطريقة الجنيد [1]، رحمه الله: "التوحيد إفراد للقدم من الحدث". وأحكموا أصول العقائد بواضح الدلائل، ولائح الشواهد، كما قال أبو محمد الجريري [2]، رحمه الله: "من لم يقف على علم التوحيد بشاهد من شواهده زلت به قدم الغرور في مهواة من التلف" يريد بذلك: أن من ركن إلى التقليد، ولم يتأمل دلائل التوحيد؛ سقط عن

---

[1] الجنيد بن محمد، أبو القاسم الخزاز القواريري، أصله من نهاوند ومولده ومنشؤه بالعراق، كان فقيهاً متقناً صحب السري السقطي، والحارث المحاسبي وغيرهم، وهو من أئمة القوم وسادتهم، مقبول على جميع الألسنة توفي٢٩٧هـ، راجع ترجمته في طبقات الصوفية للسلمي وغيرها.

[2] أبو محمد الجريري يقال اسمه أحمد بن محمد بن الحسين وكنية والده أبو الحسين وقيل اسم الجريري: الحسن بن محمد وقيل عبد الله بن يحيى، وكان من كبار أصحاب الجنيد وصحب سهل بن عبد الله التستري، وهو من مشايخ وعلماء القوم، أقعد بعد الجنيد في مجلسه لتمام حاله، وصحة علمه، توفي ٣١١هـ، وهذا النص من الرسالة القشيرية.

سنن النجاة؛ ووقع في أسر الهلاك؛ ومن تأمل ألفاظهم، وتصفح كلامهم، وجد في مجموع أقاويلهم ومتفرقاتها ما يثق – بتأمله – بأن القوم لم يقصروا في التحقيق عن شأو، ولم يعرجوا في الطلب على تقصير)[1].

ثم قال بعد أن ذكر تراجم طائفة من شيوخ الصوفية: (وكان الغرض من ذكرهم في هذا الموضع التنبيه على أنهم مجمعون على تعظيم الشريعة؛ متصفون بسلوك طرق الرياضة، مقيمون على متابعة السنة، غير مُخلِّين بشيء من آداب الديانة، متفقون على أن من خلا من المعاملات والمجاهدات ولم يبن أمره على أساس الورع والتقوى كان مفترياً على الله سبحانه وتعالى، فيما يدعيه، مفتوناً، هلك في نفسه، وأهلك من أغتر به ممن ركن إلى أباطيله)[2].

الشيخ عبد الخالق الغجدواني[3]: وكان من وصايا شيوخ هذه الطريقة؛ ماكتبه واضع أصول الطريقة النقشبندية الشيخ عبد الخالق الغجدواني قدس سره، حيث كتب إلى أحد تلاميذه: (يا بني أوصيك بتحصيل العلم والأدب وتقوى الله تعالى، واتبع آثار السلف الصالح، ولازم السنة والجماعة، واقرأ الفقه والحديث والتفسير، واجتنب الصوفية الجاهلين، ولازم صلاة الجماعة..، وإياك والشهرة فإنها آفة، وكن واحداً من الناس، ولا تمل لمنصب ولو كان محموداً). ص١١١من الحدائق الوردية

أقول: وهذه الرسالة قيّمة نفيسة فطالعها لزاماً في الحدائق الوردية.

---

[1] الرسالة: ص ٣.

[2] الرسالة: ص ٣٣.

[3] الشيخ عبد الخالق بن الإمام عبد الجميل الغجدواني ترجمه في الحدائق الوردية بأنه رأس هذه الطريقة النقشبندية، ومنبع طريق الخواجكان، ولد في قرية غجدوان قرية عظيمة من قرى بخارى وبها منشؤه ومدفنه، ونسبه الشريف يتصل بالإمام مالك، وكان والده الإمام عبد الجميل من أكابر علماء ملاطية الروم في الظاهر والباطن، وقد رأى والده الخضر وبشره بالسيد عبد الخالق وسماه بهذا الاسم، وكان تحصيله للعلوم في بخارى ولقنه الخضر الذكر القلبي، ولزم خدمة الغوث الرباني يوسف الهمداني لما قدم بخارى، انتشر صيته في البلدان، ورحل إليه من جميع الأقطار، ثم سافر إلى الشام وبقي فيها عدة أعوام وبنى فيها زاوية، وترجمه أيضاً في رشحات عين الحياة ولم يذكر تاريخ ولادته ووفاته إلا أنه قال أنه الرابع من خلفاء مولانا يوسف الهمداني، وقد ولد مولانا يوسف ٤٤٠ هـ وتوفي ٥٣٥ هـ. اهـ من الرشحات.

شيخ الطريق محمد بهاء الدين نقشبند: قال قدس سره العزيز لما سئل بماذا يصل العبد إلى طريقكم ؟ قال: (بمتابعة سنة رسول الله ﷺ، إن طريقتنا من النوادر وهي العرْوة الوثقى، وما هي إلا التمسك بأذيال متابعة السنة السنيَّة واقتفاء آثار الصحابة الكرام) [(١)].

الإمام السرهندي المجددي: أما الإمام الرباني الشيخ أحمد السرهندي الفاروقي المجددي رحمه الله تعالى وقدس سره العزيز، فإن مكتوباته وأقواله ووصاياه، كلها تؤكد لزوم اجتناب البدعة، والتزام الشريعة، وقد صحح المفاهيم الشرعية ودعا إليها قولاً وعملاً وحالاً، في زمن قدس فيه الفرد ولو خالف الشرع، وكان يكتب إلى تلامذته في الآفاق يوصيهم بذلك قال: قال ﷺ: (ما أحدث قوم بدعة إلا رفع مثلها من السنة، فتمسُّكٌ بسنةٍ خير من إحداث بدعة) رواه أحمد، وعن حسان بن عطية المحاربي قال: (ما أحدث قوم بدعة في دينهم إلا نزع الله من سنتهم مثلها، ثم لم يعدها إليهم إلى يوم القيامة)؛ بناءً عليه فبعض البدع التي قال عنها العلماء أنها حسنة؛ إذا تأملتها تجدها أنها رافعة لسنة، فمثلاً قالوا في تكفين الميت: العمامة بدعة حسنة، مع أن هذه البدعة رافعة لسنة، فإن الزيادة على العمل المسنون الذي هو ثلاثة أثواب؛ نسخ والنسخ عين الرفع، وهكذا..) [(٢)]. اهـ.

مولانا خالد ضياء الدين الحضرة: ومن وصايا مولانا خالد ضياء الدين النقشبندي، الشهير بالحضرة إلى بعض مريديه في العراق: (أما بعد فأوصيكم بالتأكيد الأكيد بشدة التمسك بالسنة السنية، والإعراض عن الرسوم الجاهلية، والبدع الردية، وعدم الاغترار بالشطحات الصوفية.. واعلموا أن أحبكم إلي أقلكم اتباعاً وعلاقة بأهل الدنيا، وأخفكم مؤونة، وأشغلكم بالفقه والحديث) [(٣)]. اهـ.

---

(١) الدر اللطيف ص٧١، وانظر في الحدائق الوردية (ترجمة الشيخ بهاء الدين نقشبند) – ولد سنة ٧١٧هـ وتوفي ٧٩١هـ – فإنها ترجمة عظيمة حافلة.

(٢) من الحدائق الوردية ص١٨٥. الإمام السرهندي ولد سنة ٩٧١هـ وتوفي ١٠٣٤هـ، راجع ترجمته في الحدائق الوردية من ص ١٧٨إلى ص١٩١فهي ترجمة حافلة مهمة، وطالع في مكتوباته فإنها قيمة نافعة.

(٣) ص٩٥ البهجة السنية. أنظر ترجمة مولانا خالد في نهاية المقدمات من كتابنا هذا، قبل ترجمة مولانا الطوزقلي قدس سرهما.

سيدنا الشيخ محمد أبو النصر: ومن وصايا مرشدنا وشيخنا محمد أبي النصر بن الشيخ سليم الخلف الحمصي النقشبندي رحمه الله تعالى وقدس سره للجد الشيخ محمد المسعود رحمه الله تعالى، عندما أرسل إليه بطلب رأيه في الجواب على اعتراض أحد علماء العصر على الطريق وأهله، فكان جوابه: (فهمنا ما يصدر من الشيخ "..." من الاعتراض، فالله سبحانه وتعالى يهدينا وإياه سواء السبيل، ولا يخفى على حضرتكم أن الاعتراضات ما خلا منها وقت من الأوقات على السادة الصوفية، ولله في ذلك شؤون ولهم برسول الله أسوة حسنة، ولنا بهم تسلية وموعظة، نعم نحن علينا الثبات على كل ما لا يخالف الكتاب والسنة من أعمال طريقتنا العلية التي امتازت من غيرها من الطرق بموافقة جميع ما اشتملت عليه للكتاب والسنة، **ومن أحدث فيها ما ينكره الشرع فهو مردود عليه،** كما قال عليه الصلاة والسلام: (**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**) [1].

الشيخ محمد الحامد: ومن المناسب هنا أن نذكر هنا ما قاله أحد الربانيين المعاصرين الذي تربى على يدي سيدي الشيخ محمد أبي النصر، ألا وهو العالم العامل المجاهد الشيخ محمد الحامد رحمه الله تعالى، قال: (اعلم أن التصوف هو تنقية الظاهر والباطن من المخالفات الشرعية، وتعمير القلب بذكر الله تعالى ومراقبته وخشيته ورجائه، والسير في العبادات والأعمال على النهج الشرعي طبق السنة الشريفة، وخلافاً للبدعة السيئة التي يحظرالإسلام التلبس بها) اهـ [2].

وقد فهم الشيخ محمد الحامد رحمه الله تعالى من خلال تربيته الصوفية وسلوكه لدى الشيخ أبي النصر رحمه الله تعالى أن (السلفية الحقة والصوفية الصحيحة) لا يفترقان، فقال: (وبعد فالسلفية الحقة مجتمعة مع الصوفية الصحيحة، متى حسُن الفهم وصح العزم على الجمع الذي هو شأن الدعوة وأدب الأخلاق، وإذا زخرت الصوفية بالروحانية العامرة

---

[1] راجع نص الرسالة بتمامها في ترجمة الشيخ محمد المسعود من هذا الكتاب.

[2] المحامد في سيرة الشيخ محمد الحامد ص١٢٢.

والرقة العميقة فليست بمنكرة على أختها السلفية تحريها تنقية الإسلام مما لابسه من الغرائب عنه كي يعود إلى صفائه وخلوصه، لا يفترق الأخذ بالعزائم وعمق الفهم لأسرار الدين، عن نفي ما علق به من أدران، ولحق به من أوضار عبر الأزمان، ولا يصدم هذا النـــزوع إلى الخطة الأولى، إلى الإسلام العتيق الصافي الذي سارت فيه القرون الثلاثة المشهود لها بالخيرية)[1].

وقد كان الشيخ محمد الحامد يقول هذا الكلام مغترفاً من ينابيع الشيوخ الربانيين، شيوخ التصوف الحق، أمثال الشيخ بهاء الدين نقشبند عندما أجاب سائلاً بماذا يصل الإنسان إلى طريقكم فقال له: (بمتابعة سنة رسول الله ﷺ، إن طريقتنا من النوادر وهي العروة الوثقى، وما هي إلا التمسك بأذيال متابعة السنة السنية واقتفاء آثار الصحابة الكرام) اهـ[2].

ومسك الختام: ما كان يحدث به سيدي وأستاذي الشيخ عبد الباسط بن سيدنا الشيخ محمد أبي النصر رحمه الله تعالى إذ كان يقول: (الشيخ غير معصوم، يخطئ ويصيب، ولكن علينا أن ننظر إلى الشيخ نظرة العالم المربي، التقي الصالح، كي تتم الاستفادة منه.

وإذا كان الشيخ بمثابة الأب المربي بالنسبة للمريد، فإن الشيخ الآخر هو أخو الشيخ وهو بمثابة العمّ).

---

(1) المحامد في سيرة الشيخ محمد الحامد ص١٢٤.

(2) نفس المصدر ص ١٢٤.

مبحث ضروري وهامّ ...

هل نحن بحاجة إلى التربية الربانية ؟

والآن وبعد أن سمعنا وقرأنا ما قاله هؤلاء العلماء عن التزكية الإيمانية أو الربانية كما سماها القرآن الكريم أو (الإحسان) كما قاله الرسول الرؤوف الرحيم ﷺ، آن لنا أن نسال أنفسنا هل نحن بحاجة إلى هذه التزكية الإيمانية، وأن نكون ربانيين، لنصل إلى مقام الإحسان بعد الإسلام والإيمان ؟

وبدهي أن نقول نعم طالما أن القرآن الكريم قال لنا في سورة آل عمران: ﴿.. وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّانِيِّينَ.. ﴾، وأعلمنا الذكر الحكيم أيضاً أن الله سبحانه منَّ على المؤمنين: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (١٦٤: آل عمران).

وأن الرسول المربي ﷺ لما سئل عن مراتب الدين الثلاث: الإسلام والإيمان والإحسان، قال عن الإحسان: (أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك) كما رواه الإمام البخاري ومسلم.

بعد هذا نقول: (هل هذه التزكية أو الربانية أو الإحسان من الفروض أو الواجبات، أم من نوافل الأعمال الصالحات ؟!

وقبل الإجابة على هذا السؤال، نسأل سؤالاً آخر قبله، كيف نحقق الإسلام والإيمان والإحسان في ذواتنا وفي حياتنا، عبادة وسلوكاً، وتعاملاً وأخلاقاً ؟

فإذا كان الإسلام بعد الشهادتين هو الصلاة والزكاة والحج والصيام، فكيف نقوم بهذه الأركان كما يحب ربنا ويرضى ؟ فهل الصلاة قيام وقعود وركوع وسجود ؟ والصيام امتناع عن الطعام والشراب ؟ والزكاة دفع مال محسوب ؟ والحج سفر وإقامة وحط

ونزول ؟ وتجرد عن الثياب وعودة إلى الديار مع الهدايا واللطائف ؟!

كيف نقوم بأداء هذه العبادات ؟ وماذا تنتج فينا من آثارها السلوكية والخلقية ؟!

إذ إن الله سبحانه يقول عن الصلاة: ﴿.إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ (٤٥: العنكبوت)، وعن الصيام أنه يحقق التقوى: ﴿لعلكم تتقون﴾، والزكاة تزكية وتطهير: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (١٠٣: التوبة).

وعن الحج يقول ﷺ: (من حج لله فلم يرفث ولم يفسق؛ خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه). متفق عليه.

وإذا كان الإيمان بأركانه الست (إيماناً بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره) فماذا يحقق هذا الإيمان فينا من أواصر الصلة بالله سبحانه، واستشعار عظمته، وقيوميته ورهبة الوقوف بين يديه يوم يجمع الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم ؟ وكيف نتذوق حقيقة أن (ما أخطأك لم يكن ليصيبك وما أصابك لم يكن ليخطئك) [1].

فإذا كانت قراءة القرآن الكريم بتؤدة وأناة، وقراءة الأحاديث الشريفة برويَّة وإمعان، ومطالعة كتب العلم التي تفسر القرآن الكريم وتشرح الأحاديث الشريفة تعطينا صوراً واضحة عن كيفية إقامة العبادات وإقامة العلاقات مع الله والناس فهل بعد هذا وجه للحاجة إلى المعلمين والمربين، والمدرسين والمزكين !

وهل هناك حاجة إلى إرسال الرسل إلى الأمم ؟! أما في الصحف والكتب وما أنزل فيها من وحي كفاية للهداية ؟!

الواقع والحقيقة تقول: أنه ما من كتاب أنزل أو صحف أوحي بها إلا وجاء معها رسول يعلم ويربي ويهذب ويزكي، وبذلك نطق القرآن الكريم بقوله: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا

---

[1] قطعة من حديث أخرجه الترمذي عن عبد الله بن عباس قال: كنت خلف النبيّ ﷺ فقال: (يا غلام. إني اعلمك كلمات...). وهذه منها.

مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (٢: الجمعة). وقصص الرسل في القرآن شاهد كبير على ذلك.

وتواترت الأخبار إلينا من لدن رسول الله ﷺ أنه كان يعلم الصحابة الكرام القرآن والسنة ويهذبهم ويزكيهم ويعلمهم ويربيهم، ويقول لهم: (صلوا كما رأيتموني أصلي)، و(خذوا عني مناسككم)، ويجاهد معهم ويصوم ويفطر ويرقد، ويتصدق وينفق، ويعلم الجاهلين، ويعفو عن المسيئين، ولا تزيده شدة الجهالة عليه إلا حلماً، يفعل ذلك كله ليقتدوا به، ويسيروا على هديه، وأفادنا القرآن الكريم أنه هو الأسوة والقدوة: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (٢١ الأحزاب).

وكذلك فعل أصحابه من بعده متعلمين ومعلمين، وقادة وسادة مربين ومزكين، ووراثاً كاملين لهذا الرسول الكريم في أخلاقه وسلوكه وجهاده وعباداته، مستشعرين ذائقين لحلاوة الإيمان، ولذة الأنس بالله سبحانه من جراء قيامهم بالعبودية بين يديه، وعلى هذا سار المسلمون رعيلاً إثر رعيل، وأمة بعد أمة، وجيل وراء جيل...

وكما نقل إلينا التاريخ، وسطرت الأسفار، أنه تخصص في هذه الأمة علماء كرام، وأتقياء عظام؛ منهم من اعتنى بالقرآن الكريم حفظاً وترتيلاً وتعليماً وإقراء، ومنهم من جمع الأحاديث الشريفة وحفظها رواية ودراية، ومنهم من استنبط مسائل الفقه وقواعده اجتهاداً واستخراجاً، ومنهم من عني بتفسير آيات الذكر الحكيم، وآخرون بكلام العرب ولغتهم.

كذلك تواتر لدينا العلم بأنه كان هناك: ﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ (٣٧: النور).

كان همهم وديدنهم تتبع سيرة الرسول المربي المزكي في عباداته وأخلاقه، وسيرته وجهاده، وقيامه وقعوده، في سفره وحضره وكيف كان يحقق مقام الإحسان في مرتبتي الشهود والمراقبة، من خلال تزكية ربه له، وتزكيته هو للصحابة الكرام.

كان هذا المقام، مقام الإحسان عن طريق التزكية الربانية التي كان يقوم بها رسول الله ﷺ لنفسه ولأصحابه هو الغاية من هذا الدين القيم، وهو الثمرة للعبادات كلها..

وكما أسلفنا فإن المحدثين والفقهاء حفظوا لنا الأفعال والهيئات الظاهرية والأمور

المحسوسة في الصلوات والصيام والحج وسائر الأحكام الشرعية، لكن الكيفيات الباطنية التي كانت تصاحب هذه الهيئات الظاهرة لدى الرسول المربي والصحابة الكرام، من الإخلاص والزهد وغنى القلب، والخشوع في الصلاة، والتفرغ والابتهال في الدعاء، وإيثار الآخرة على الدنيا، والأدب والحياء، والمراقبة والخشية وما إليها من تقوى القلوب.

كانت هذه كلها (وهي الثمرة للعبادات وهي الغاية من خلق الجن والإنس) قد حفظها لنا ونقلها بل وتحقق بها وذاقها علماء آخرون، كانوا في قمة درجات الإيمان والفقه في الدين، والتبصرة في التزكية الربانية، والأخلاق الإيمانية، تحققوا في **فقه الباطن** إلى جانب تحققهم في **فقه الظاهر**، فعاشوا حياة التزكية والتربية الربانية وذاقوها وأذاقوها لتلامذتهم وإخوانهم الذين صحبوهم وعايشوا حياتهم وعاشوا معهم على هذه الأخلاق والأذواق.

أولئك هم العلماء الربانيون والعارفون المحسنون الذين وصلوا إلى درجة الإحسان ذوقاً وتخلقاً، وسلّكوا إخوانهم وأصحابهم بها معرفة وتحقيقاً.. فعاشوا وماتوا في مقام الإحسان، وورّثوه لمن بعدهم على مختلف العصور والأوقات، وهم الذين أعطوا الروح الحقيقية لجسم الإسلام، ونفخوا في جماهير الأمة روح الإحسان حساً وذوقاً، ومعرفة وعملاً.

ولن نقف وراء حجب الألفاظ في تسمية هؤلاء الرجال الذين تزكت أرواحهم وتهذبت أخلاقهم بتزكية القرآن والسنة فكانوا ربانيين فعلاً، ومحسنين سلوكاً وخلقاً؛ فنقول عنهم كما قال العلماء من سلفنا الصالح أنهم (صوفيون)، ولكننا سنخرج من سجن الألفاظ المختلف فيه إلى رحب ساحة القرآن والسنة المتفق عليه، ونقول عنهم إنهم كانوا (ربانيين) وأنهم ممن تزكوا وتهذبوا بتزكية القرآن والسنة وتخلقوا بأخلاق النبوة، وورثوا علمها الظاهر والباطن فكانوا من أهل الإحسان بعد الإسلام والإيمان!

فهل في هذا النعت اختلاف ونزاع؟ وقول القائل به يحدث الشقاق والفراق ؟!

وبالطبع: سيقول المؤمن من أهل العلم والإنصاف، والذوق والفطنة والفهم والتحقيق؛ لا، فهذه الألفاظ نحن عليها متفقون، وقد ورد بهذا الكتاب والسنة والسلف الصالح من هذه الأمة.

❁ ❁ ❁

إذن فعلى هذا الاتفاق سنلتقي وبهذا الوفاق سنمضي إلى تقرير **قواعد** هذه التزكية الإيمانية والتربية الربانية، وسننبذ كل ما خالف الكتاب والسُّنَّة من فهوم غريبة دخلت على هذه التربية الإيمانية، وسنردُّ كل ما خالفها من أفعال أقحمت فيها، وأقوال ليست منها، ومفاهيم لا تحتملها.

وقبل الشروع في تقرير قواعد ومبادئ هذه (التزكية) وبيان أمهات هذا الفقه الذي يُصلِحُ (**باطن النفس**) بعد أن قُرِّرَت قواعد الفقه التي تصلح (**ظاهر النفس**)، قد تعترضنا بعض العبارات المتشابهة مما يحتمل أكثر من معنى، معانٍ منها أو مغايرة لها، أو قد نجد بعض الألفاظ التي تتجاذبها مفاهيم داخلة فيها أو خارجة عنها؛ وفي الواقع هناك بعض هذه العبارات، فهل نقول إن هذا مخالف للإسلام، ولا تحتمله قواعد الشريعة، وعلينا أن نطرحه جانباً ونرده خارجاً، ثم نصم قائله بالفسوق والعصيان ؟!

ومن الثابت والمعلوم أن القرآن قد حوى ألفاظاً متشابهة وكذلك السنة النبوية !! فماذا نفعل ؟

وما هو تصرفنا تجاه هذه العبارات المتشابهة التي نجدها في كلام أئمة القوم مما لا تحتمله عقول أبنائنا اليوم ؟!

والجواب يسير وبسيط فكما حملنا كلام الله ورسوله المتشابه ورددناه إلى المحكم وفوضنا أمره إلى الله أو فسرناه بما لا يخرج عن قواعد التنـــزيه والتقديس، وعلى هذا سار سلف الأمة وخلفها من علمائها الأعلام، ورجالها الكرام، فإننا لا نخرج عن هذه القواعد في فهم المتشابه من كلام هؤلاء السادة الربانيين وبما تحتمله أصول الإسلام أو قواعد اللغة العربية، بل نستنطق أهل المعرفة والذوق، وأهل الفهم والتحقيق فيما استنبطوه من فهم كلامهم - وإن كان هذا قليلاً - ولا نخرج عن القواعد والمبادئ المتفق عليها في هذه الشريعة المطهرة.

❁ ❁ ❁

وبعد: أليس هناك مذاهب متعددة في استنباط الأحكام الشرعية واستخراج أدلتها من الكتاب والسنة، قدمت للناس فقه المعاملات والعبادات والأخلاق والعادات ؟!

كما أن هناك مفسرون للكتاب العزيز في كل عصر من العصور قربوا فهم كلام الله سبحانه إلى أذهان الناس، وقدموه بما ييسر تلاوة الكتاب الحكيم وتدبر آياته ؟!

وهناك محدثون حفاظ لسُنة رسول الله ﷺ جمعوها واستخرجوها من صدور الرواة وحفظوها لنا في بطون الكتب والأسفار نرجع إليها آناء الليل وأطراف النهار ؟!

وهناك علماء في مختلف فنون العلم، وأبواب الشريعة سهروا واجتهدوا وعملوا من أجل تيسيرها للناس وتقديمها لهم دون لبس أو غموض ؟!

إن كل هذا قد تم وكمل، ونضج واستوى ! وملأت تراجمهم وسيرهم بطون الكتب والمجلدات على مرور السنين والعصور.

كذلك فإن سير هؤلاء الربانيين وتراجم هؤلاء المربين العارفين قد انتشرت وتناقلتها الألسن والأقلام والمحابر والدفاتر، وكان كل واحد منهم **مدرسة قائمة بذاتها** لها منهجها وبرامجها وأنظمتها وقواعدها، ولها طلابها وتلامذتها وأساتذتها والقائمون عليها الذين لا يألون جهداً ولا يبخلون في معروف لدعوة الخلق إلى الحق، وتبصير عباد الله بحقوق الله عليهم وواجبهم تجاه ربهم وخالقهم، ومنها تعددت الطرائق، بتعدد الخلائق، وصار لكل واحد من هؤلاء المربين مدرسة اشتهرت باسمه أو بأسماء تلامذتهم والمنسوبين إليهم أو المحسوبين عليهم.

وكما اشتهر اسم الشافعي ومدرسته في الفقه، وأبي حنيفة وتلامذته، ومالك والدارسين عليه، وابن حنبل والمتلقين عنه، كذلك اشتهرت في مدارس التربية الربانية والتزكية الإحسانية أسماء رجال عظام، وعارفين كرام أمثال الحسن البصري، والجنيد البغدادي، ويوسف الهمداني، وعبد القادر الجيلاني، وعبد الخالق الغجدواني، وأحمد الرفاعي، ومحمد أويس البخاري الشهير بشاه نقشبند، وأبي الحسن الشاذلي، وإبراهيم الدسوقي، وخالد ضياء الدين الشهرزوري الملقب بذي الجناحين دفين دمشق، وغيرهم مما

لا يحصيه كتاب واحد، ولا يحيط به سفر كامل.

❁ ❁ ❁

وقبل أن نترجم لرجال منهم من عاصرناه ورأيناه وانتفعنا به أو من سبقهم من رجال مدرسة التربية والتزكية المنسوبة في أولها إلى سيدنا أبي بكر الصديق ثم إلى سيدنا محمد أويس البخاري النقشبندي ثم إلى مولانا خالد ضياء الدين ذي الجناحين المنتهية في أوائل عصرنا إلى أستاذنا وشيخنا محمد أبي النصر الحمصي النقشبندي؛ **أحبَّ أشياخنا المعاصرون وأحببنا معهم أن نبين معالم هذه المدرسة الإيمانية، وقواعد السلوك والتربية في منهاج العارفين الربانيين من أساتذة هذه المدرسة النقشبندية**، ومع علمنا الذي أصبح مستفيضاً في هذا الزمن، بأن المدارس العصرية التي تنشؤها الحكومات لتعليم الناس وإعطائهم الشهادات مهما تعددت هذه المدارس وكثر أساتذتها ومعلموها وتباينت طرائق تعليمهم وتربيتهم، فإن نظامها واحد، ومنهاجها واحد، وشهاداتها واحدة.

فكذلك نقول نحن: مهما تعددت مدارس التربية الإيمانية، والتزكية الربانية، فإن منهاجها واحد ونظامها واحد هو القرآن والسُّنة وما استنبط منهما، وإن نسب الخريجون في هذه المدارس إلى أسماء المعلمين والمربين العارفين كالنقشبندي والشاذلي والرفاعي والجيلاني وأمثالهم، فإن المنهاج واحد، والغاية واحدة، ألا وهي تحقيق العبودية التي خلقنا من أجلها لله، وإحسان الصلة مع الله، ومع عباد الله، لنفوز برضوان الله في الدنيا والآخرة.

فنرجو الله سبحانه الإعانة والتوفيق لما أردناه وبدأناه، ونستمد منه عز وجل المدد في أن يكون ما نقوم به من بيان وإيضاح لمعالم ومبادئ هذه المدرسة الربانية (النقشبندية) وتقديم سير رجالها ودعاتها خالصاً لوجهه الكريم وعوناً لإخواننا المسترشدين، والمقتدين بهدي أولئك الربانيين يوصلنا ويوصلهم إلى رضوان الله سبحانه والفوز بجنات النعيم، ﴿يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (٨٨-٨٩: الشعراء).

معالم ومبادئ التزكية والتهذيب في المدرسة النقشبندية

بعد إيرادنا لهذه المقدمات، وولوجنا هذه المداخل التي أوصلتنا إلى مدارس التربية والتزكية الربانية، حري بنا أن نعرف بعض معالم ومبادئ مدرستنا النقشبندية، وقواعد تزكيتها وتهذيبها، وبالطبع فإن ذكرنا لمبادئ مدرستنا النقشبندية، هو من باب تعرفنا إلى آبائنا الروحانيين، ومربينا الربانيين، وطرق تربيتهم وتهذيبهم، فإن معرفتنا بهم وبقواعد سلوكهم في التزكية والتهذيب تعيننا على السير في طريق مرضاة الله سبحانه وتحفظنا من الضلال في ظلمات عصرنا الذي صارت فيه الفتن كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل.

وبادئ ذي بدء نقول: إن الإطار العام لهذه المدرسة النقشبندية، وسائر مدارس التربية الإيمانية إنما هو الإسلام؛ وحياً معجزاً، ووحياً غير معجز، وهو الذي تضمنه القرآن الكريم والسنة النبوية، وما شرحه وفسره علماؤنا الأعلام في كتب الفقه من عبادات ومعاملات، وأخلاق وآداب.

لذلك فإن أول قدم يخطو به السالك في هذه المدرسة الإيمانية؛ هو **العلم** بأحكام الشريعة الإسلامية وبخاصة فيما يحتاج إليه من عبادات ومعاملات ومعرفة حكم الشرع فيما يعترضه من مشكلات، والوقوف عند هذه الأحكام التزاماً وعملاً، وحالاً وسلوكاً، يصاحب هذا العلم وتلك المعرفة **العمل** بهذه الأحكام الشرعية والتخلق بها، وتطبيقها في نفسه وعياله ومن ولاه الله عليهم، وهذا كله مقرون **بالإخلاص** لله تعالى في النيات والأعمال، والأقوال والأحوال، كما قال علماؤنا وفقهاؤنا: (إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً لوجهه موافقاً لشرعه)، فإن العلم هو الشريعة والعمل هو الطريقة والإخلاص هو الحقيقة وهذا أحد تعريفات هذه المصطلحات الثلاث.

ويراعي السالك والمتعلم المتربي في هذه المدرسة علاقاته الثلاث:

أولاً– مع الله سبحانه: عابداً متذللاً، مفتقراً إليه في جميع أحواله وتقلباته، ذاكراً شاكراً، صابراً محتسباً، إذ إن الغاية من خلق الناس بيَّنها الحق سبحانه بقول: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٥٦: الذاريات)، متخلقاً بكل ما يحقق في ذاته مراتب العبودية مراقبة وشهوداً.

ثانياً– مع نفسه: شارعاً في طرق التزكية والتهذيب، تحت أنظار المربي المرشد والأستاذ الكامل، ملاحظاً في ذلك أن هذا من أهم الوسائل التي تحقق فيه الوصول إلى هذه التزكية الربانية عملاً بقوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا (١٠)﴾ سورة الشمس.

ثالثاً– مع الناس: بدءاً من أهله وعياله، ووالديه وإخوانه، وجيرانه وأرحامه، والناس أجمعين متحققاً بقوله ﷺ: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) رواه الشيخان، وقوله ﷺ: (الخلق كلهم عيال الله وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله).

ولتحقيق **العلم والعمل والإخلاص،** في علاقات المؤمن الثلاث التي ذكرناها آنفاً، اختلفت وسائل المربين الربانيين والمرشدين الكاملين في تربية السالكين وإيصالهم إلى مقام الإحسان في هذا الذي قلناه، والعلائق التي حكيناها، ولكنها كلها تنصب ضمن إطار **الصحبة الصالحة** للمرشد الكامل، مع **المحبة**، و**كمال اتباع الشريعة،** ويستعين المعلم الرباني بآداب الشريعة التي يراها أحوج للمتعلم المسترشد في طريق الوصول إلى الإحسان وبغيرها من الآداب الأخرى.

ولكل متعلم مسترشد آداب قد تصلح له ولا تصلح لغيره، كالذكر والخلوة، والصيام والعزلة والإنفاق والصدقة، أو كثرة الذكر والتلاوة، وغير ذلك من آداب الشريعة الإسلامية.

وقد لاحظنا من خلال تراجم وسير علمائنا الذين سلكوا طريق التربية الربانية وأرشدوا غيرهم إليها أنهم كانوا أبناء وقتهم، فكانوا يعلِّمون ويربون ويُخَلِّقون إخوانهم بما يحتاجه الوقت

والزمان، وبما يلائم ويعين في كل عصر على فهم طبيعة الناس المسترشدين، وما يصلحهم في أمور الدين والآخرة، كل ذلك ضمن إطار الشريعة الإسلامية ولا يخرج عنها أبداً.

والوسائل تختلف بحسب فهم الناس واستعداداتهم؛ إلا أننا رأينا في كل الأحوال والأطوار والأزمنة والأوقات، أن أهم عنصر يحفظ على المؤمن دينه وعقيدته، وأخلاقه وسلوكه، ويجعله في مدارج الكمال والإحسان هو **المحبة الصادقة والصحبة الصالحة** للشيخ المربي والإخوان الصالحين، فإذا وجدت هذه مع المريد الصادق، وكان الشيخ **مرشداً كاملاً** ذا حال قوي مع الله، وصلة متينة بالله، عالماً ربانياً، وعارفاً متحققاً، فإن مراحل التربية والتزكية تجاوز بالمسترشد مسافات واسعة وتختزلها بزمن قياسي ليصل بها إلى درجة الكمال والإحسان بأقصر وقت، وأقوم طريق، ومهما نقص بعض هذه العناصر في الشيخ أو المريد، فإن النتائج تكون ظاهرة في السير والسلوك، وقد تطول، أو تخبو حدتها، أو يضعف السير، مصداقاً لقوله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٦٩: العنكبوت).

ولنستضيء بما قاله المرشدون العارفون، والربانيون الكاملون من شيوخ هذه المدرسة (النقشبندية) فيما نذكره ذيلاً عن معالم ومبادئ التزكية والتربية التي سلكوها وساروا عليها.

١- تحقيق مقام العبودية لله هو الغاية وكيف يكون:

ينقل الشيخ محمد عبد الله الخاني في كتابه (البهجة السنية في آداب الطريقة العلية الخالدية النقشبندية) عن الإمام الرباني الشيخ أحمد الفاروقي السرهندي، الملقب بمجدد الألف الثاني؛ ينقل عنه خلاصة معتقد ساداتنا النقشبندية وأنه معتقد أهل السنة والجماعة، ومبنى طريقهم على حفظ أحكام الشريعة المطهرة.

يقول الإمام الفاروقي: (اعلم أن رعاية أدب من الآداب، والاجتناب عن كراهة ولو تنـــزيهية، أفضل من الذكر والفكر، والمراقبة والتوجه بمراتب، نعم: إذا اجتمع هذه الأمور

مع تلك الرعاية فقد فاز فوزاً عظيماً.

ولا يحصل ذلك بدون دوام العبودية، إذ المقصود من خلق الإنسان، إنما هو أداء وظائف العبودية، **وأما العشق والمحبة في الابتداء**، فتعلقه (أي المريد) بهما لأجل قطعه عما سوى جناب الحق تعالى، وليسا من المقاصد، بل لأجل تحصيل مقام العبودية؛ إذ لا يكون المؤمن عبداً لله إلا إذا انقطع عما سواه، **والعشق والمحبة وسيلة الانقطاع**، فلهذا كانت العبودية نهاية مراتب الولاية.

وليس في درجات الولاية مقام فوق مقام العبودية، ودوامها (أي العبودية) لا يتصور بدون أداء العبادة، إذ هي عبارة عن دوام الحضور مع الحق سبحانه وتعالى بلا شعور الغير، بل الذهول عن صفة الحضور بوجود الحق عز وجل، ولا تحصل هذه السعادة العظيمة بغير تصرف الجذبة الإلهية [1] ولا سبب لذلك في تحصيل الجذبة أقوى من صحبة الشيخ الذي كان سلوكه بطريق الجذبة) اهـ ص ٣.

٢ – المدرسة النقشبندية طريقها طريق الصحابة الكرام:

ويعرِّفُ أحد أساتذة هذه المدرسة، ألا وهو الشيخ عبد المجيد الخاني المتوفى ١٣٠٦هـ، طريقة رجالها في التربية والتهذيب، في مقدمة كتابه الذي جمع فيه تراجم وسير رجال هذه المدرسة وأسماه (الحدائق الوردية في حقائق أجلاء النقشبندية) فيقول: (اعلم أن الطريقة العلية النقشبندية.. هي طريقة الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم، على أصلها لم يزيدوا فيها، ولم ينقصوا منها، وهي عبارة عن دوام العبودية (لله) ظاهراً وباطناً، بكمال التزام السنة السنية، والعزيمة العظيمة، مقام اجتناب البدعة والرخصة في جميع الحركات والسكنات، من عبارات ومعاملات، مع دوام الحضور مع الله تعالى عن طريق الذهول والاستهلاك في طريق

---

[1] يجب أن نفرق هنا في هذا المصطلح (الجذبة) بين انجذاب القلب إلى الله تعالى، الذي هو تمام التعلق به سبحانه سلوكاً وعملاً متمثلاً بأداء واجبات العبادة وأحكامها، وبين ما يعرف لدى الناس بأن المجذوب هو فاقد العقل، ذو التصرفات غير المتوازنة، تارك الفرائض، فليتنبه !

الانصباغ، والانعكاس بكمال ارتباطهم حباً، مع هذه المجاهدة الزكية المستورة، لما فيها من انجذاب المحبة الذاتية، مما فضل بها واسطتها الصديق الأكبر ﷺ.

ولها أصلان أصيلان من أعطيهما أعطي كل شيء: (وهما) **كمال اتباع النبي ﷺ، ومحبة الشيخ الكامل**، لكنها لا توجد بالتكلف، بل التكلف فيها زندقة، وإنما هي من إعطاء الله تعالى يمنُّ بها على من يشاء من عباده. **فالصحبة** بشرطها مع هذين الأصلين كافية للانعكاس والانصباغ) اهـ ص ٣ بتصرف قليل.

ويقصد الشيخ بالانصباغ والانعكاس هو الانصباغ بأحكام الشريعة، وأن تنعكس في تصرفاته من أقوال وأفعال وعلاقات مع الناس بالصدق والأمانة والوفاء وغير ذلك عملاً بقوله تعالى: ﴿صِبْغَةَ اللّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدونَ﴾ (١٣٨: البقرة).

٣ – المدرسة النقشبندية قائمة على اتباع السنة واجتناب البدعة:

ومن أجل العلم بالشريعة والعمل بها، بأحكامها وآدابها وما يلزم المريد السالك لطريق الآخرة والوصول إلى رضوان الله تعالى، قام علامة وقته، وشيخ زمانه المربي العالم والمرشد الكامل الشيخ محمد أمين الأربلي الكردي المصري – شيخ جدي الشيخ محمد المسعود رحمه الله تعالى في هذه المدرسة النقشبندية قبل شيخنا أبي النصر – بتأليف كتابه القيم النافع (تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب) وجعله ثلاثة أقسام:

القسم الأول: في العقائد والإيمانيات التي يلزم الاعتقاد بها ومعرفتها لكل مؤمن سالك طريق الآخرة.

والقسم الثاني: في أحكام الفقه من معاملات وعبادات وأخلاق وأحكام تلزم المؤمن في حياته الدنيا.

والقسم الثالث: في التربية والتزكية الإحسانية المتعارف عليها بالتصوف، وذكر في خاتمته آداب الطريق النقشبندية وما يجب أن يتحلى به السالك في هذه المدرسة الإيمانية الربانية وما عليه أن يتخلق به ليصل إلى مقام العبودية الحقة لله تعالى.

ولقد كان هذا الكتاب بحق منهاجاً كاملاً لطلاب الآخرة الساعين للتزكية الربانية المبتغين الوصول إلى مقام الإحسان وبخاصة من مريدي النقشبندية.

وقد قدم للكتاب تلميذ الشيخ علاّمة عصره الشيخ سلامة العزامي المصري، وذكر فيه ترجمة واسعة للشيخ محمد أمين، ونبذاً من كمالاته وأخلاقه وكراماته ومنهج دعوته لعباد الله إلى طريق الحق، وكيف استجاب المؤمنون له وسلكوا طريق الآخرة على منهج المدرسة النقشبندية، ومنه نقتبس بعض مبادئ وقواعد السلوك والتربية في هذه المدرسة الإيمانية النقشبندية قال رحمه الله:

(اعلم أسعدك الله بالتوفيق، وحلاك بالتصديق، أن الطريقة النقشبندية، أقرب الطرق وأسهلها على المريد للوصول إلى درجات التوحيد، وإن كان ناقص القابلية غير تام الاستعداد لهذه الدرجة العلية فإن شيخه يتصرف فيه بمزيد محبته له (يعني أن محبة المريد للشيخ وتعلقه التام به تجعله يتجاوز مثبطات النفس عن العبادة والتخلق، وتجعله يتعلق بشيخه بواسطة المحبة، فيفعل المأمورات ويترك المنهيات وهكذا).

لأن مبناها (أي الطريقة النقشبندية) على **التصرف** (بالمعنى الذي ذكرناه) **وإلقاء الجذبة** (أي انجذاب القلب إلى الطاعات ومحبة الله ورسوله ﷺ وتقديمهما على أمور الدنيا) الجذبة المقدمة على السلوك من المرشد الكامل الداخل تحت وراثة النبي ﷺ في أحواله الخاصة، التي منها إلقاء الأنوار الإلهية على قلوب الطالبين للحق، وأوفر كمّل أتباعه في وراثة تلك الحال الصديق الأكبر أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وهو واسطة عقد هذه السلسلة، **وعلى اتباع السُّنة، واجتناب البدعة**، وهي البدعة السيئة التي لا يرضاها الله ولا رسوله، بأن يأخذ بالعزائم، ويتباعد عن الرخص، ويتخلى عن الرذائل، ويتحلى بمحاسن الأخلاق والفضائل، والمراد بالرخص في هذا المقام، ما ينبغي لطالب الحق البعد عنه؛ كالانهماك في فضول اللذات المباحة، والاسترسال في الضحك والمزاح، والاستغراق في الغفلة، والمداومة على الشبع، وليس المراد بها، ما ذكره الفقهاء من الأحكام التي شرعها الله تسهيلاً للعباد كمسح الخفين، والتيمم في المرض ونحوه، والقصر والفطر في السفر، فإن الله يحب أن

تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه، كما ثبت في الحديث، فتنبه لذلك الفرق لئلا تقع في الخلط.

فعلم أن الجذب (بالمعنى الذي ذكرناه في الحاشية السابقة) في هذه الطريقة مقدم على السلوك، والمجذوب السالك أعلى من السالك المجذوب، لاشتراكهما في العبور على المنازل، وزيادة المجذوب بأنه يشهد الأشياء بالله، وهذا أعلى ممن يشاهدها لله، ولأن السالك المجذوب ينتهي إلى الفناء، وهذا ينتهي إلى البقاء والصحو بعد الفناء) [1].

٤ – الذكر في المدرسة النقشبندية:

وبما أن الذكر هو زاد السالك في سيره إلى الله سبحانه، فإن الذكر لدى سادتنا نوعان: ذكر **فردي** وهو الذكر القلبي، وذكر **جماعي** وهو الختم الشريف. وفي فضل الذكر القلبي؛ قال الشيخ محمد أمين الكردي: (اعلم أن الذكر نوعان؛ قلبي ولساني؛ ولكل منهما شواهد من الكتاب والسنة. فالذكر اللساني باللفظ المركب من الأصوات والحروف، ولا يتيسر للذاكر في جميع الأوقات، فإن البيع والشراء ونحوهما يلهي الذاكر عنه البتة، بخلاف الذكر القلبي، فإنه بملاحظة مسمى ذلك اللفظ المجرد عن الحروف والأصوات وإذاً فلا شيء يلهي الذاكر عنه.

بقلب فاذكر الله خفـــــياً   عن الخلق بلا حرف وقال
وهذا الذكر فضل كل ذكر   بهذا قد جرى قول الرجال

ولذلك اختار سادتنا النقشبندية الذكر القلبي ولأن القلب محل نظر الله الغفار، وموضع الإيمان ومعدن الأسرار.

وقد أجمع الأئمة على أن أفعال الجوارح لا تقبل إلا بعمل القلب، وعمل القلب يقبل بدونها، ولو لم تقبل أعمال القلوب لما قبل الإيمان، لأن الإيمان هو التصديق بالقلب، قال

---

[1] اهـ ص٥٣٣ من تنوير القلوب.

الله تعالى: ﴿كتب في قلوبهم الإيمان﴾، وقال: ﴿أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى﴾، وقال: ﴿واذكر ربك في نفسك﴾، وقال: ﴿ادعوا ربكم تضرعاً وخفية﴾.

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: (يفضل الذكر – أي الخفي – على الذكر – أي الجهري – بسبعين ضعفاً، إذا كان يوم القيامة رجع الله الخلائق إلى حسابه، وجاءت الحفظة بما حفظوا وكتبوا، قال الله تعالى: انظروا هل بقي لعبدي شيء ؟، فيقولون: ما تركنا شيئاً مما علمناه وحفظناه إلا وقد أحصيناه وكتبناه، فيقول الله تعالى: إن لك عندي حسناً وأنا أجزيك به وهو الذكر الخفي) رواه البيهقي.

وبما أن الذكر القلبي واللساني من أعظم ما ينشط المؤمن ويجعله في عداد اليقظين، ويخرجه من سِنَةِ الغفلة والشرود، كانت المدارس الإيمانية التي اعتنت بتهذيب وتربية السالكين إلى الله وضعت في برامجها ومنهاجها؛ إكثار المريدين من الذكر وكثرة لهجهم به، وقد عني سادات المدرسة النقشبندية بالذكر الفردي والجماعي، وأعطوا الأهمية للذكر القلبي.

وبين الشيخ محمد أمين رحمه الله تعالى كيفية الذكر والختم عند السادة النقشبندية مفصلاً مطولاً فقال ص (٥٤١):

٥ – كيفية الذكر الخفي القلبي:

(اعلم أن الذكر القلبي ينقسم إلى قسمين: الأول باسم الذات، والثاني بالنفي والإثبات. فاسم الذات هو (الله)، قال الله تعالى: ﴿إنني أنا الله﴾ (١٤: طه)، وقال تعالى: ﴿.. قُلِ اللّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ (٩١: الأنعام)، وقال رسول الله ﷺ: (لا تقوم الساعة حتى لا يبقى على وجه الأرض من يقول الله الله) رواه مسلم، والنفي والإثبات هو: (لا إله إلا الله)، ثم قال: (وله آداب أحد عشر)... نذكرها فيما يلي:

أ– آداب الذكر الخفي (اسم الذات):

١– الطهارة: وتكون بالوضوء لقوله ﷺ: (الوضوء يكفر الذنوب) رواه أحمد في مسنده.

٢- **صلاة ركعتين:** لقوله ﷺ: (من توضأ وأحسن الوضوء ثم صلى ركعتين لا يحدث بهما نفسه غفر له ما تقدم من ذنبه) [(١)].

٣- **استقبال القبلة:** في مكان خال لقوله ﷺ (خير المجالس ما استقبل به القبلة) [رواه الطبراني]، وقوله ﷺ في الحديث الذي رواه الشيخان عن السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: (ورجلٌ ذكر الله خالياً ففاضت عيناه).

٤- **الجلوس متوركاً،** عكس تورك الصلاة: لما ورد أن الصحابة كانوا يجلسون عند النبي ﷺ على هذه الهيئة وهي أقرب للتواضع وأجمع للحواس.

٥- **الاستغفار:** من جميع المعاصي، وذلك بأن يتخيل مساوئه وذنوبه أمام عينيه ملاحظاً أن الله تعالى يراه ويطلع على أحواله كافة، مستحضراً عظمة الله سبحانه وجلاله وشدة قهره، متخلياً ما استطاع عن الأفكار والعلائق الدنيوية حتى يحصل له الخجل من ربه سبحانه عما اقترف وقصَّر في حقه طالباً منه المغفرة والتوبة قائلاً بلسانه (أستغفر الله) ٢٥مرة، ملاحظاً بقلبه معناه؛ قال ﷺ: (من لازم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجاً ومن كل هم فرجاً ورزقه من حيث لا يحتسب) [رواه أحمد والحاكم]، وقد ورد في بعض الأحاديث النص على العدد (٢٥) مرة.

٦- **قراءة الفاتحة مرة والإخلاص ٣ مرات:** وإهداؤها إلى روح سيدنا محمد ﷺ زيادة في شرفه العظيم وأرواح جميع مشايخ السلاسل النقشبندية، وقد ورد في فضل الفاتحة أحاديث كثيرة صحيحة منها: (فاتحة الكتاب شفاء من كل سم) [رواه الدارمي]، ويقال لها الرقية، لما في حديث أبي سعيد الخدري في الصحيحين: (وما يدريك أنها رقية)، ومنها أنها (أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني والقرآن العظيم) كما في الترمذي، ومنها ما في

---

(١) الحديث كما في الترغيب والترهيب للحافظ المنذري: عن عثمان ﷺ أنه توضأ فأحسن الوضوء ثم قال: (رأيت النبي ﷺ يتوضأ وهو في هذا المجلس فأحسن الوضوء ثم قال: من توضأ مثل وضوئي هذا ثم أتى المسجد فركع ركعتين ثم جلس غفر له ما تقدم من ذنبه)... ولمسلم عن عقبة بن عامر ﷺ عن النبي ﷺ قال: (ما من مسلم يتوضأ فيسبغ الوضوء ثم يقوم في صلاته فيعلم ما يقول إلا انفتل وهو كيوم ولدته أمه). اهـــ من الترغيب.

مسلم والنسائي عن ابن عباس (أن ملكاً أتى النبي ﷺ فقال له: أبشر بنورين قد أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة، لم تقرأ حرفاً إلا أوتيته).

– **أما الإخلاص** فقد وردت أحاديث كثيرة صحيحة في فضلها (وأنها تعدل ثلث القرآن)، وأنه ﷺ قال لأحد الصحابة الذي كان يكثر قراءتها لأنه يحبها: (حبك إياها أدخلك الجنة) رواه الإمام أحمد.

٧– **تغميض العينين**، وإطباق الفم، وإلصاق اللسان بسقف الحلق، وذلك لتحصيل الخشوع وقطع الخواطر أثناء الذكر وهو مجرب.

٨– **رابطة القبر**: وهو عبارة عن تصور الإنسان نفسه أنه مات وغسل وكفن ووضع في قبره وانصرف عنه الأهل والناس وبقي وحيداً فريداً، ينتظر رحمة ربه، امتثالاً لأمر النبي ﷺ: (كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل، وعدَّ نفسك من أصحاب القبور) رواه الترمذي.

٩– **رابطة المرشد**: وهي أن يتخيل قلبه مقابل قلب شيخه المرشد الكامل وأن المدد الإلهي يستفيض من قلب الشيخ إلى قلبه، وهذه الرابطة تعتمد أساساً على المحبة الصادقة بين المريد السالك الصادق، والشيخ المرشد الكامل عملاً بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (١١٩: التوبة)، وقوله ﷺ (المرء مع من أحب) رواه الشيخان، وكما قال العارفون: (كن مع الله، فإن لم تستطع فكن مع من كان مع الله).

ورابطة المحبة لا يخلو منها بشر، فإما أن يرتبط الإنسان بالمحبة مع أقرانه على الدنيا وشهواتها، وإما أن يرتبط مع الصالحين على الطاعة ومحبة الله ورسوله ﷺ.

وكلما زادت المحبة المنضبطة بآداب الشرع مع الإنسان ازداد رقياً وكمالاً، وسهل عليه أداء الطاعات والبعد عن المخالفات، والقرب من الدرجات الموصلة إلى أعالي الجنات، وهذا أمر واضح وشائع بين الناس لا ينكر.

١٠– **بعد استحضار إحدى الرابطتين** المذكورتين أو كلاهما يقطع الذاكر عن نفسه جميع الشواغل، ويتوجه بجميع إدراكه إلى الله سبحانه ويقول بلسانه: (إلهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي) ثلاث مرات، **ثم يذكر الله سبحانه بقلبه**، بأن يجري على قلبه لا على لسانه لفظ

الجلالة (الله) ملاحظاً المعنى أنه سبحانه ذات بلا مثل، وأنه حاضر ناظر (فإن لم تكن تراه فإنه يراك)، وفي الحديث (أفضل الإيمان أن تعلم أن الله شاهدك حيثما كنت) رواه الطبراني.

١١- انتظار وارد الذكر بعد الانتهاء من الذكر (٥) آلاف مرة بخمسين سبحة أو أكثر أو أقل، ثم يدعو الله سبحانه بما يحفظ من دعاء لنفسه ولأشياخه ولإخوانه ولكافة المسلمين.. (وانظر كتاب المحامد ص١٩١).

٦ - كيفية الذكر الجماعي (الختم الشريف):

أ- ختم الخواجكان:

أما الختم الشريف فقال الشيخ محمد أمين في فضله وكيفيته ص٥٥٠: (وكلمة تسمية الختم ختماً أن سادتنا شيوخ الطريقة النقشبندية إذا اجتمع المريدون عندهم، وأحب الشيخ الانصراف ختم مجلسه بهذه الأذكار، وقد اتفق الشيخ عبد الخالق الغجدواني ومن بعده إلى (شاه نقشبند) على أن من قرأ الختم الآتي بيانه قضيت له الحاجات، وحصلت له المرادات، ودفعت عنه البليات، ورفعت له الدرجات، وظهرت له التجليات، ثم بعد قراءة الختم يطلب مقصوده ويسأل حاجته فإنها تقضى بإذن الله تعالى، وجربه كثير، وهو أعظم ركن وأفضل ورد مخصوص بالطريقة النقشبندية بعد اسم الذات، وكلمة النفي والإثبات.

وله آداب ثمانية: ١- الطهارة من الحدث والخبث، ٢- المكان الخالي من الناس، ٣- الخشوع والحضور، ٤- كون الحاضرين مأذونين من مشايخ الطريقة (لتحصل لهم الواردات والبركات)، ٥- إغلاق الباب، ٦- تغميض العينين من أول الختم إلى آخره، ٧- الاجتهاد في دفع الخواطر، ٨- الجلوس متوركاً عكس تورك الصلاة.

وأما أركانه فعشرة: يبدأ بدعاء من قبل مدير الختم المأذون: وهو هذا (اللهم يامفتح الأبواب، ويا مسبب الأسباب، ويا مقلب القلوب والأبصار، ويا دليل المتحيرين، ويا غياث المستغيثين أغثني، توكلت عليك يا ربي، وفوضت أمري إليك، يا فتاح يا وهاب يا باسط وصلى الله على خير خلقه سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين). ثم:

١- الاستغفار ٢٥ مرة أو ١٥ مرة، ٢-رابطة الشيخ أو الموت (ملاحظة: جرت العادة بتوزيع ١٠٠حصاة على الحضور لضبط العدد)، ٣- قراءة الفاتحة سبع مرات، (ويشير موزع الحصى إلى ستة على يمين مدير الختم يقرؤونها مع المدير)، ٤- الصلاة على النبي ﷺ ١٠٠مرة، (وذلك بعدد الحصى الموزع على الحاضرين)، ٥- قراءة سورة ألم نشرح ٧٩ مرة، (وذلك بعدد الحصى الموزع على الحاضرين)، ٦- قراءة سورة الإخلاص الف مرة وواحدة وذلك عدد الحصى ١٠×١٠٠= ١٠٠٠، ٧- قراءة سورة الفاتحة سبع مرات، (ويشير موزع الحصى إلى ستة إلى يسار مدير الختم يقرؤونها مع المدير)، ٨- الصلاة على النبي ﷺ ١٠٠ مرة، كما في أول الختم، ٩- قراءة ما تيسر من القرآن. من أحد الحضور بعد الدعاء الآتي، ١٠- قراءة الدعاء التالي: الحمد لله الذي بنور جماله أضاء قلوب العارفين، وبهيبة جلاله أحرق فؤاد العاشقين، وبلطائف عنايته عمر سر الواصلين، والصلاة والسلام على خير خلقه سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

اللهم بلغ وأوصل ثواب ما قرأناه، ونور ما تلوناه بعد القبول منك بالفضل والإحسان إلى روح سيدنا وطبيب قلوبنا وقرة أعينا محمد المصطفى ﷺ وإلى روح جميع الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وإلى جميع أرواح مشايخ سلاسل الطرق العلية، خصوصاً النقشبندية، والقادرية، والكبروية، والسهروردية، والجشتية، قدس الله أسرارهم العلية، وخصوصاً إلى روح القطب الكبير والعلم الشهير ذي الفيض النوراني واضع هذا الختم مولانا عبد الخالق الغجدواني... وإلى روح.. السيد الشريف محمد المعروف بشاه نقشبند الحسيني الأويسي البخاري قدس الله سره العالي و.. إلى روح الشيخ عبد الله الدهلوي قدس الله سره العالي، وإلى روح.. مولانا الشيخ خالد قدس الله سره العالي) اهـ من تنوير القلوب ص (٥٥٣).

وكان سيدنا ومولانا الشيخ أبو النصر يضيف بعد اسم مولانا خالد اسم مولانا الشيخ أحمد الطوزقلي، ثم والده الشيخ سليم خلف.

وكان سيدنا الشيخ عبد الباسط يضيف بعده إلى روح مولانا الشيخ أبي النصر، أما

شيخنا الحالي الشيخ إسماعيل عبد الخالق فإنه يضيف اسم والده الشيخ عبد الباسط.

ب- ختم شاه نقشبند:

وهذا الذكر الجماعي المسمى (بالختم الشريف) أو ختم الخواجكان المنسوب لسيدنا عبد الخالق الغجدواني، يقرأ عادة إذا كان الحضور سبعة فما فوق، أما إذا كانوا أقل من سبعة فيقرؤون الختم المنسوب للشيخ الأكبر محمد بهاء الدين شاه نقشبند، وآدابه وأعماله نفس الختم السابق، ماعدا قراءة الفاتحة وألم نشرح والإخلاص، فإنهم بعد الصلاة على النبي ﷺ مئة مرة يدعون قائلين: (يا خفيَّ الألطاف أدركني بلطفك الخفي) ٥٠٠ مرة، ثم الصلاة على النبي ﷺ أيضاً مئة مرة، ثم قراءة ما تيسر من القرآن ثم الدعاء.

ج- ختم الإمام الرباني المجددي:

وهذا الختم نفس الختم السابق إلا أنهم يقرؤون: (لاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم) بدلاً من (يا خفي الألطاف)، وذلك (٥٠٠) مرة أيضاً.

۞ توضيح لا بد منه:

ولا بد هنا من أن ننبه ونوضح: أن **الأعداد في الاذكار** سواءً كانت واردة عن النبي ﷺ أو عمن بعده من الوارثين العارفين والعلماء الربانيين لها سر، فإن الرسول الكريم ﷺ طلب منا التسبيح بعد الصلوات المكتوبة، والتحميد والتكبير (٣٣) مرة، وذلك لأسرار في الأعداد، كذلك فإن قراءة الفواتح وألم نشرح، والإخلاص، وغيرها بأعدادها المذكورة لها سر، كأسنان المفاتيح، فلكل باب مفتاح ولكل مفتاح أسنان خاصة به.

وكذلك فإن **أمر الخلوة في الختم**، سواء كان فردياً أو جماعياً وكون الحاضرين من المأذونين، له أثره، من الانقطاع عن الشواغل والاجتماع بقلوب موحدة على هدف واحد ومنهج واحد، ومنه إغلاق الباب على الذاكرين أثناء قراءة الختم، فقد روى الحاكم عن يعلى بن شداد ﷺ قال: بينما أنا عند رسول الله ﷺ إذ قال: هل فيكم رجل غريب ؟

قلنا: لا يارسول الله، فأمر بغلق الباب وقال: (ارفعوا أيديكم) ودعا... الحديث.

وكذلك ما رواه الشيخان عن دخول رسول الله ﷺ الكعبة وأمره بإغلاق الباب حين دخلها عليه وعلى من معه دون من عداهم من المسلمين الموجودين بالمسجد الحرام وبوب له البخاري في صحيحه (باب إغلاق باب البيت). وساق الحديث بسنده إلى عبد الله بن عمر قال: دخل رسول الله ﷺ البيت هو وأسامة بن زيد، وبلال وعثمان بن أبي طلحة فأغلقوا عليهم الباب، فلما فتحوا كنت أول من ولج، فلقيت بلالاً فسألته هل صلى رسول الله ﷺ قال: نعم بين العمودين اليمانيين. قال النووي في شرحه على صحيح مسلم: (إنه أغلقها عليه ﷺ ليكون أسكن لقلبه وأجمع لخشوعه).

وفي **قراءة الفاتحة سبع مرات** أول الختم وآخره أيضاً، تفاؤل بإغلاق أبواب جهنم السبعة كما قال الله تعالى: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ (٤٤: الحجر)، والفاتحة أيضاً سبع آيات قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ (٨٧: الحجر).

كما إن **الصلاة على النبي** ﷺ أمرها لايخفى وأقل الإكثار منها في اليوم والليلة (١٠٠) مرة كما ورد في الأحاديث الصحيحة الكثيرة في فضل الصلاة على النبي ﷺ واتباعاً لأمر الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٥٦: الأحزاب).

وقراءة ألم نشرح: إنما هي أيضاً من باب الأسوة الحسنة بالنبي ﷺ الذي شرح الله له صدره الشريف في أول طفولته وقبل بعثته وقبل معراجه كما ثبت في السيرة، وصحاح السنة، وامتنَّ الله عليه بذلك فقال له: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ (١: الشرح)، شرحاً حسياً ومعنوياً، والمريدون في قراءة الختم يقرؤونها (٧٩) مرة بنية شرح صدورهم لاتباع الرسول الكريم ﷺ وذهاب كل هم وغمٍّ عنهم، وذلك عدد شعب الإيمان الواردة في الحديث الصحيح: (الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق) متفق عليه.

وبما أن المريد الصادق يتبع خطوات النبي ﷺ فناسب أن يتطلب شرح صدره لاتباعه ﷺ.

وفي **قراءة الإخلاص ألف مرة** عدة أحاديث، يقوي بعضها بعضاً، منها: (من قرأ قل هو الله أحد ألف مرة فقد اشترى نفسه من الله تعالى) كما في الجامع الصغير للسيوطي عن حذيفة.

ولا يخفى على الفطن من المؤمنين، أن الأعمال الفاضلة من أوراد واذكار التي يلقنها المربون العارفون لمحبيهم وإخوانهم، إنما هي من باب الإكثار من ذكر الله تعالى، المطلوب من المؤمنين آناء الليل وأطراف النهار، ولتعويد المؤمن على أن يكون لسانه رطباً بذكر الله تعالى، فيختارون من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ما يعم فضله وخيره، ويكثر نفعه وكماله، وبالله التوفيق. اهـ.

وقد ذكر الشيخ حسين الطيباني [1] في كتاب "الدر اللطيف في فضائل الختم الشريف" صيغة أخرى للدعاء قال إنه وارد عن حضرة المجدد (السرهندي)، وذكره الخاني في البهجة السنية، وهو هذا:

(اللهم يا حي يا قيوم، يا بديع السماوات والأرض، يا مالك الملك يا ذا الجلال والإكرام صلِّ وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أفضل صلواتك عدد معلوماتك وبارك وسلم كذلك، وأوصل مثل ثواب ما قرأه أحد من المؤمنين والمؤمنات عموماً، والمنتسبين إلى الطريقة خصوصاً في آفاق العالم ومشارق الأرض ومغاربها، بعد القبول إلى روح كل من صار سبباً في قراءته، وكل من الحضار وآبائهم وأمهاتهم، وكل مؤمن ومؤمنة وكل وليّ وولية، وكل من سادة النقشبندية والقادرية والسهروردية، والكبروية والجشتية، وكل من آباء كُلٍّ وأمهاتهم ومشايخه وخلفائه ومريديه ومنسوبيه ومحسوبيه المؤمنين والمؤمنات إلى يوم الدين، وثواباً مثل أضعاف ذلك كما تحب وترضى إلى روح سيد المرسلين وخاتم النبيين سيدنا ومولانا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم، وإلى روح كلٍّ من آله وأولاده وأزواجه والصديقين والشهداء وآله وصحبه أبد الآبدين في كل لحظة

---

[1] راجع ترجمته مفصلة بعد ترجمة مولانا سليم، في ترجمة خلفائه من هذا الكتاب.

وحين والحمد لله رب العالمين) اهـ منه ص ١٤٦.

وذكر أستاذنا الشيخ محمد أديب حسون [1] في كتابه (الذكر) الملحق بآخر كتاب (آلاء الرحمن) الدعاء مختصراً بهذه الصيغة: (الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، اللهم وأوصل ثواب ما قرأناه إلى روح سيدنا وحبيب قلوبنا وقرة أعيننا رسول الله ﷺ، وإلى روح جميع الأنبياء والمرسلين، وإلى روح الأولياء أجمعين، وخصوصاً إلى أرواح سادتنا النقشبندية)، ثم قال: (وإذا أراد أن يعدد أسماء رجال السلسلة ولو في الجمعة مرة أو في الشهر فهو حسن، ثم يدعو بما فتح الله تعالى عليه). ثم قال: (والختم المذكور منسوب إلى سيدنا عبد الخالق الغجدواني قدس الله سره، فإن كان الإخوان كثيرين فقراءته أولى، وإن كانوا قليلين فليقرأ ختم الشيخ بهاء الدين نقشبند قدس الله سره، وهذه كيفيته:

١- الاستغفار ٢٥ مرة أو ٥ مرات، ٢- رابطة المرشد، ٣- الصلاة على النبي ﷺ ١٠٠ مرة، ٤- قراءة (يا خفي الألطاف أدركني بلطفك الخفي) /٥٠٠/ مرة، ٥- الصلاة على النبي ﷺ ١٠٠مرة، ٦- قراءة ما تيسر من القرآن ثم الدعاء ثم الاهداء) اهـ من آلاء الرحمن.

وقد اختار سيدنا **الشيخ سليم خلف** الصلاة على النبي ﷺ بعد قراءة القرآن وبعد قول مدير الختم: على أكمل العالمين سيدنا محمد صلوات..، بهذه الصيغة: (اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاة أهل السماوات والأرضين عليه، عدد ما عند الله من العدد، في كل لمحة عين من الأزل إلى الأبد) /٣/ مرات. الدر اللطيف ص ١٥٩.

وبعدها: (الحمد لله الذي أنعم علينا بسيدنا محمد ﷺ) /٣/ مرات، ثم يقوم الشيخ والحاضرون فيتصافحون، وإذا كانت ليلة الجمعة ويومها فإن القارئ يقرأ عند ذلك قول الله تعالى: ﴿لقد جاءكمْ رسولٌ من أنفسكم عزيزٌ عليه ما عنتُّم حريصٌ عليكم بالمؤمنينَ رؤوفٌ رحيمٌ * فإن تولَّوا فقلْ حسبيَ اللهُ لا إلهَ إلا هو عليه توكَّلتُ وهوَ ربُّ العرش العظيم﴾، ﴿إنَّ اللهَ وملائكته يصلُّون على النبيِّ يا أيُّها الذين آمنوا صلُّوا عليه وسلِّموا

[1] راجع ترجمته في قسم علماء حلب من مريدي الشيخ محمد أبي النصر في هذا الكتاب.

تسليماً﴾، فيقول الحاضرون وهم قائمون بعد المصافحة: (اللهم صلِّ على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد بعدد كل داءٍ ودواء وبارك وسلم عليه وعليهم كثيراً) ثلاثاً.

قال صاحب الدر اللطيف ص١٥٩: (إن صيغة الصلاة هذه مأثورة عن مولانا خالد قدس الله سره).

٧ - خاتمة نرجو حسنها:

وأحببت أن أختم هذا الفضل عن الطريقة وآدابها بكلمة جامعة لأستاذنا الشيخ محمد أديب حسون حفظه الله أنقلها من كتابه الذكر ص١٢٢ قال: (وإنما تنوعت صيغ الذكر عند أهل الله تعالى، فبعضهم مثلاً جعل ورده التهليل، وبعضهم ذكر الإسم المفرد، وبعضهم لازم الصلاة على النبي ﷺ وذلك حسبما فتح الله تعالى على أشياخهم بسبب ورد من هذه الأوراد، فسيَّروا تلامذتهم على ذلك.

والحقيقة أن المريد الصادق إذا سلّكله المربي الكامل وجعله من أهل الفتح الكبير لا بد وأن يذكر بجميع الصيغ على ترتيب يسيّرهُ الشيخ، لأن كل صيغة لها فتحها الخاص، وإذا اقتصر على بعضها وفُتح عليه فإن فتحه يكون جزئياً لا كلياً محمدياً.

والورد لا يكفي وحده لأن يكون سبباً للفتح الإلهي الكبير، بل لا بد من همة يرى السالك في معارج النور بها، فكم ممن يذكر عشرات السنين وليس له همة الوصول إلى المعرفة، فيتنور باطنه ولكنه لا يفتح في قلبه عيون الفهم عن الله في كتابه القرآن، وعلى صفحات المخلوقات من جميع الأكوان، ويبقى في الصفوف الأخيرة أو المتوسطة من عباد الله الصالحين.

ولا بد من أن يكون مع الورد **تقوى صادقة**، وقيامٌ بالفرائض تماماً، وترك للمحرمات، ومنافسة في الخيرات، ودأب على النوافل من صلاة وغير ذلك.

وكل هذا يكون تحت إشراف الشيخ المربي العَزُوفِ عما في أيدي المريدين من الدنيا، بل هو المتمثل بقوله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿قل ما أسالكم عليه من أجر إلا من شاء أن يتَّخذ

إلى ربه سبيلاً﴾.

ولا بد من أن يكون الشيخ من أهل العلم والسلوك، فمن لم يكن عنده علم بما فرض الله عليه، وبما نهى عنه وبما أرشد إليه، مع التقوى الكاملة ظاهراً وباطناً، ومن لم يكن عنده علم بطريق السير خصوصاً معرفة الخواطر ومواردها ومصايدها، فليس هذا مريداً فضلاً عن كونه شيخاً.

أما شيوخ التبرك وأهل ذكر الثواب والأجر، فهؤلاء لا يَدَّعون ما ليس عندهم، ومن ادعى ما ليس عنده فضحته شواهد الامتحانات، وحرمه الله من خير مراتب السلوك) اهـ ص١٢٣.

٨- شروط الانتساب لهذه المدرسة والقبول فيها:

وهل هناك شروط معينة للقبول في هذه المدرسة من المنتسبين إليها ؟

نعم هناك شروط ولكنها شروط حيازة السعادة وبلوغ الكمال؛ ألا وهي:

التوبة المستمرة في كل يوم، بل وفي كل قولة (أستغفر الله) يلفظها السالك بلسانه، ويستشعر معناها بقلبه، طالباً من الله سبحانه التجاوز عن ذنبه، وإن أعقبت صلاة ركعتين بهذه النية فهو الأفضل كذلك، **الالتزام** بأحكام الشريعة المحمدية علماً وعملاً وسلوكاً وأخلاقاً مع دوام **الصحبة للصالحين** وبالأخص من إخوان هذه المدرسة أو المدارس الأخرى، والتعاون معهم على البر والتقوى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومذاكرة إخوانه والتناصح معهم.. وبالأخص **شيخ المدرسة** ومشاورته في أموره الدنيوية والأخروية، وباب القبول مفتوح لكل الأعمار رجالاً ونساءً.

وسوف ترى أخي الذاكر المحب، والراغب في الاندراج في سلك المحبوبين لله سبحانه وتعالى، أنه لابد للإنسان من أعوان في هذه الحياة يعينونه على أمر الآخرة كما يطلب الاستعانة على أمر الدنيا، وقد قال الرسول المربي ﷺ: (إن الشيطان ذئب الإنسان، وإنما يأكل الذئب الشاة القاصية والناحية، فإياكم والشعاب وعليكم بالعامة **والجماعة** والمسجد)، وقد قدمنا حديث حذيفة، وفي نهايته وصية الرسول المزكي صلوات ربي

وسلامه عليه قوله: (وتلزم جماعة المسلمين وإمامهم)، والأحاديث بلزوم الجماعة كثيرة، (ويد الله مع الجماعة).

❁ **ونصيحتي لك ولنفسي ولكل مؤمن:**

أن تنظر فيما حولك من جماعات المؤمنين الذاكرين المجتمعين على طاعة الله ورسوله ﷺ في مساجدهم أو زواياهم وتلزم من شئت منهم بعد أن تحقق شرطين مهمين قبل لزومك وصحبتك لهم:

الشرط الأول: أن يكون القائم على هذه الجماعة الذاكرة من العلماء العاملين بالشريعة حتى لا تقع في محذور المخالفة الصريحة للشريعة، وفي هذا خسران مبين.

والشرط الثاني: بعد استعراضك لهؤلاء الذاكرين ومدى مطابقتهم للشريعة، وذلك من خلال حضورك مجالس أكثر من (مدرسة ذكر) ومرورك على أكثر من جماعة ذاكرة، أن تنظر في قلبك مع أي جماعة رأيت استعدادك وميلك، فالزمهم، ولا تنظر إلى الدعايات وتزيين الكلام وأزياء الأشخاص فإنه كما قال تعالى: ﴿.. فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ﴾ (١٧: الرعد).

والله المستعان.

مع الربانيين من شيوخ النقشبندية

وبعد أن ولجنا رياضهم ووردنا حياضهم، وسلكنا مناهجهم، وفاحت علينا روائح طيبهم وأريجهم، وتعرفنا إلى طريقتهم النقشبندية العلية، التي تنسب إلى سيدنا أبي بكر الصديق فتسمى (صديقية)، وإلى مولانا بهاء الدين النقشبند فتسمى (نقشبندية) وإلى سيدنا الإمام أحمد المجددي السرهندي فتسمى (مجددية)، وإلى مولانا خالد ضياء الدين الشهرزوري فتسمى (خالدية)، فلنشرع بعد هذه المقدمة والمداخل إلى رياض خلفاء مولانا خالد لتكون هذه القطوف ذيلاً (للحدائق الوردية) ونتحدث في:

مدخل لطيف عن **مولانا خالد** الشهير (بالحضرة) بترجمة موجزة، فتكون صلة الوصل بالحدائق، ثم بعد ذلك؛

عن مولانا الشيخ **أحمد الطوزقلي**، خليفة مولانا خالد في حمص، ثم؛

عن مولانا الشيخ **محمد سليم خلف** الجندي خليفة مولانا الطوزقلي، ثم؛

عن مولانا الشيخ **محمد أبي النصر** بن الشيخ سليم الخلف، خليفة مولانا سليم، في فصول متتابعة نذكر فيها تراجمهم، كما تلقيناها من مصادرها؛ من أشياخنا وأحبابنا وإخواننا عنهم، نفعنا الله بهم، وأفاض علينا من بركاتهم ما يجعلنا به سعداء في الدارين إن شاء الله تعالى.

مقصد شريف:

وأحب أن أذكر هنا ما أجمع عليه العلماء والصالحون، وكل الذين عرفوا الشيخ أبا النصر، بأنه كان طرازاً فريداً من الرجال، وكان بحق (مرشداً كاملاً) يربي بحاله وقاله وأنظاره، وكما قال محبوه من العلماء: (إننا لا نعلم له نظيراً فيما اطلعنا عليه من تراجم المرشدين منذ مئات السنين وقد أقر له بهذا كل منصف غير متعنت).

وسيظهر في الفصول التالية مِن عرض أحوال من لقيه، وتأثر به وتربى على يديه من العلماء والعامة أيّ رجل فاضل ومرشد كاملٍ كان الشيخ أبو النصر رحمه الله، وطيب ثراه وقدس روحه، وسترى أيها القارئ المحب أن كل رجل اتصل به، وأخذ عنه ما هو إلا بعض ترجمة للشيخ، ومجموع هؤلاء الرجال يشكلون الترجمة الكاملة والسيرة الشاملة للشيخ أبي النصر قدس الله سره.

وسيظهر أيضاً أن هؤلاء العلماء من تلاميذه كانوا مدارس تربية إيمانية أفادت الناس وخرَّجت العلماء والدعاة، وربت من اتصل بهم وصحبهم ليكونوا حجة على عصرهم في التقوى والانضباط بسلوك الشرع والتقيد بآدابه، وقد قال السيد الإمام الرفاعي الكبير: (دفتر حال الرجل أصحابه)، فإن هؤلاء الأصحاب من علماء وعامة هم آثار الشيخ وتراثه، التي تعطي الصورة كاملة – إن شاء الله– عن الشيخ وتربيته وتزكيته وأثره في ذلك الوقت الذي كان وجوده فيه تجديداً وإحياءً لما اندرس من معالم الشريعة، في أحلك فترة مرت بها بلادنا إبَّان انحسار الخلافة العثمانية، وتسلط المستعمر الفرنسي على البلاد والعباد.

ولقد كان الشيخ أبو النصر ثمرة من ثمرات الشيخ سليم، ذلك الطود الشامخ في العلم والعمل، والمرشد الكامل في التربية الربانية، والتزكية المحمدية، وهداية الخلق إلى الحق.

كما كان الشيخ الطوزقلي طوداً شامخاً في الكمالات والفضائل، والهمة العالية التي تلقاها عن قطب زمانه وفريد أقرانه مولانا خالد الحضرة رضي الله عنهم أجمعين.

ونحن اليوم أحوج ما نكون إلى استعراض سير هؤلاء الأعلام ومنهجهم في الدعوة والإرشاد، والتربية والتهذيب، إذ كثر المدَّعون الذين تسنموا سدَّة الإرشاد والدعوة بغير حق ولا هدى، ولا كتاب منير، وقلَّ الصادقون المنصفون الذين ينصفون من أنفسهم، ويردون الحق إلى أهله وأصحابه، والله هو المستعان، وعليه الاعتماد والتكلان ولا حول ولا قوة إلا به سبحانه.

تنبيه وتنويه في غاية الأهمية

لا يتبادرنَّ لذهنك أيها الأخ المطلع على هذه الصفحات، أننا في عرضنا لسير أشياخنا النقشبنديين نغمِصُ حق غيرهم، وأننا لا نعرف ولا نتعرف إلا على أشياخنا، فذلك فهم خاطئ قد وقع فيه كثير ممن ليس له سعة من العلم أو بسطة في الفهم، فإننا كما ربانا آباؤنا ومشايخنا- بحمد الله- نحب كل أولياء الله وأحباب الله والدعاة إلى الله، وبالأخص منهم المرشدين الكاملين والعلماء العاملين ونلتمس بركاتهم، ونتطلب دعواتهم، لا نفرق بين عالم ومرشد، ولا بين داع إلى الله وآخر، وإن كنا قدمنا الحديث عن مشايخنا النقشبنديين فذلك لأنهم آباؤنا، كما قال مشايخنا حفظهم الله.

ومع بر المرء لوالديه أليس مطلوباً منه برّ أرحامه وأقربائه ومواصلتهم ؟! بلى إن ذلك من صميم الدين، ولب الشريعة.

وقد علمونا وربونا كما مرّ معك في كيفية قراءة الختم النقشبندي الشريف الدعاء وإهداء الثواب إلى (جميع أرواح مشايخ سلاسل الطرق العلية؛ خصوصاً النقشبندية، والقادرية، والكبروية، والسهروردية، والجشتية، قدس الله أسرارهم العلية).

وفي العزم والنية – إن يسر المولى وأعان وأمد في الوقت والعمر – أن نترجم في سلسلة الربانيين هذه لكافة هؤلاء الربانيين، نفعنا الله بأنظارهم وبركاتهم، وعلى الأخص منهم ساداتنا الرفاعي والجيلاني والشاذلي، وغيرهم قدس الله أسرارهم وطيب ثراهم.

كما أحب أن أبيّن أن الطعن والذمّ في ساداتنا الربانيين من شيوخ التصوف، وقادة هذه الأمة ومرشديها، ما خلا منه وقت من الأوقات، منذ زمن رسول الله ﷺ وحتى يومنا هذا، وفي كل عصر ومِصرٍ لا يزال ينعق الناعقون بمطاعنهم على السادة الصوفية، ومنهجهم الربّاني في التزكية والتربية فيما يؤكد السادة الربانيون براءتهم من هذه المطاعن وإنكارهم لكل مخالفة ولو صغيرة للشريعة الغراء.

وإنّ مردّ هذه المطاعن والانتقادات بنظرنا عائد إما لسوء فهم الناقدين، أو كيدهم

وبغضهم لأولياء الله، أو لعدم فهم عباراتهم وقصورهم عن إدراك معانيها، وإما لحقدهم وحسدهم الذي ورثوه عن أستاذهم إبليس الذي استكبر ورفض أمر الحق سبحانه أن يكون مع الملائكة الساجدين لآدم عليه السلام.

وإذا تقرر أن السادة الربانيين بريئون من كل مخالفة شرعية، وينهون أتباعهم عنها، ويحذرونهم من مخالفة آداب الشريعة فضلاً عن فرائضها، فذكر هذه المطاعن ونشرها بين الناس ونسبها إلى السادة الصوفية أو منهجهم أو طرقهم، إنما هو من قبيل هدم بنيان التربية الربانية التي طالبنا بها الحق سبحانه بدلاً من التعاون على البر والتقوى، والتواصي بالحق والصبر، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وإننا نطلب من إخواننا الإعراض وعدم قراءة ما سوَّده هؤلاء الطاعنون في كتبهم، ورد الأمر إلى أشياخنا العلماء، فيما أشكل والتبس عليهم ليبينوه لهم، والله الهادي إلى سواء السبيل، ونعم الوكيل.

ملاحظات هامة: بعض سلاسل النقشبندية المعاصرة:

اقتصرنا في هذه القطوف على ذكر خلفاء مولانا الشيخ أحمد الطوزقلي، خليفة مولانا خالد ضياء الدين النقشبندي، وقد لبثنا في جمعها وترتيبها واستقصاء أخبار العلماء المنتسبين إليه مدة ربع قرن، أو تزيد.. وبما أن لمولانا خالد خلفاء كُثُر انتشروا في بلاد الشام ومصر والعراق وتركيا والحجاز واليمن وما وراء النهر فإن أمر تتبعهم واستقصائهم أمر لا يقدر عليه فرد واحد.. كذلك فإن خلفاء مولانا خالد في بلاد الشام وحدها وأتباع خلفائه من العلماء بلغ من الكثرة حداً لا يضبط، فإن لهذه الطريقة النقشبندية الخالدية في سورية وحدها فروعاً كثيرة، منها:

- فرع الخزنوية التي قام بها العارف الكبير الشيخ أحمد الخزنوي قدس سره في بلاد الجزيرة وتركيا وخلفه فيها ولده العالم العارف الشيخ عز الدين الخزنوي رحمه الله المتوفى سنة ١٩٩٢م، وكان الشيخ أحمد (والده) تلقى الطريق عن الشيخ محمد ضياء الدين وهو

تلقاها عن الشيخ فتح الله عن الشيخ صبغة الله الأرفاسي عن الشيخ السيد طه عن الشيخ السيد عبد الله عن مولانا خالد.

- ومنها فرع الشيخ أمين كفتارو الشهير بالشيخ (أمين النقشبندي) المتوفى بدمشق والذي تلقى الطريقة عن الشيخ أمين الزملكاني، وقام بها بعده ولده العلامة العارف الشيخ أحمد كفتارو مفتي الجمهورية العربية السورية المتوفى ٢٠٠٤م.

- ومنها فرع الشيخ أحمد سليمان الأروادي الذي خلفه فيها الشيخ ذو الفقار الحسكي المتوفى في دمشق والمدفون بجانب مولانا خالد عام ١٩٥٠م، ومن خلفائه فيها أستاذنا وشيخنا الشيخ يحيى البستنجي اللاذقي المتوفى عام ١٩٧٠م في اللاذقية.

- ومنها فرع الشيخ مصطفى النقشبندي الكردي (البابي) المتوفى بالباب قبل عام ١٩٢٠م الذي تلقاها عن الشيخ عثمان سراج الدين خليفة مولانا خالد، وتلقاها عنه الشيخ محمد زاهد البنقسلي، وعنه الشيخ عبد اللطيف البوشي، ثم تلقاها عنه ولده أستاذنا العالم العارف الشيخ عمر البوشي المتوفى في حلب عام ١٩٧٩، ودفن في مسجده بحلب.

- ومنها فرع الشيخ عمر النقشبندي من دير الزور المتوفى حوالي عام ١٩٧٨ م.

- ومنها في دمشق فروع كثيرة تلقاها علماء أجلاء من خليفته الأول الشيخ إسماعيل الأناراني ثم عن الشيخ عثمان الكردي، وتلقاها عنهم شيوخ أشياخنا كالشيخ إبراهيم الغلاييني، والشيخ أبو الخير الميداني، وتلامذتهم رحمهم الله وقدس أسرارهم أجمعين.

- ومنها فروع الداغستانية تلقاها عن مولانا خالد الشيخ إسماعيل الشراواني، والشيخ إسماعيل الأناراني، ثم عنه خاص محمد الشيرواني، ثم عنه محمد أفندي اليراغي، ثم عنه جمال الدين الغموقي، ثم أبو أحمد عبد الرحمن الشغوري، ثم أبو محمد المدني، ثم شرف الدين الداغستاني، ثم عبد الله الفايز الداغستاني، ثم الشيخ حسين علي الكوركانلي.

- وقد قام بعض العلماء الناهين والأساتذة ذوي الهمم بجمع تراجم بعض هؤلاء الرجال الذين ذكرناهم أعلاه، وقد نقلنا عنهم ونوهنا بمؤلفاتهم ضمن هذا الكتاب جزاهم الله خيراً، ولعل الله يوفق غيرهم لجمع سير هؤلاء الأعلام نفعنا الله بهم آمين.

شهادة من أهلها

ومن المناسب قبل ترجمة مولانا الشيخ أحمد الطوزقلي وقبل ولوج المدخل إلى حضرة مولانا خالد، وبعد تعريفنا بالطريقة النقشبندية، أن نثبت هنا ما ورد في الدراسة الوثائقية عن حمص التي أعدها المؤلفان: محمود السباعي ونعيم الزهراوي، والتي ذكرا فيها تعريفاً بالطريقة النقشبندية في الفصل السادس (التصوف والطرق الصوفية في حمص)، كما ذكرا أيضاً ترجمة لرجالها الحمصيين وهم مولانا الشيخ أحمد الطوزقلي ومولانا الشيخ سليم وولده سيدي محمد أبي النصر رحمهم الله وقدس الله أسرارهم. وقد تابع الأستاذ الزهراوي سلسة كتب عن حمص نقلنا منها بعض التراجم وأشرنا إليها في حينها.

وبعد أن نثبت ما ذكرناه في الدراسة نتابع الحديث حسبما وعدنا عن سادتنا وتراجمهم في موضعها إن شاء الله تعالى، جاء في الصفحة ٢٥٤ من الكتاب المذكور عند تعداد الزوايا الصوفية بحمص ما يلي:

(١٠- **زاوية الطريقة النقشبندية:** في عهد مؤسسها بحمص الشيخ أحمد الطوزقلي، كانت الزاوية في إحدى غرف الجامع العمري، وفي عهد خلفه الشيخ سليم انتقلت إلى داره في محلة ظهر المغارة جنوبي (جامع القصير)، وكان الذكر فيها للرجال مساء الخميس ليلة الجمعة، ثم في عهد ابنه وخلفه الشيخ أبي النصر خلف، جعل حلقة ذكر للنساء وكانت تقام في بيته كل اثنين بعد العصر). [اهـ منه ص٢٥٤]

ثم ذكر في ص٢٩٦ في صفحة فيها صورة كبيرة للشيخ أبي النصر، ما يلي:

(٣- **الطريقة النقشبندية:** وهي تنسب إلى (محمد بهاء الدين نقشبند) ولد في شهر المحرم سنة ٧١٧هـ = آذار١٣١٧م، في (قصر العارفان) وهي قرية من قرى بخارى على فرسخ منها، (والنقش) صورة الطابع إذا طبع على شمع ونحوه، (والبند) أي ربطه وبقاؤه من غير محوه، والكلمة إذاً تشير إلى تأثير الذكر في القلب وانطباعه فيه.

وأبرز ميزاتها:

أ- قَصْرُ الذكر فيها على الذكر الخفي القلبي، فالذكر سرٌّ بين العبد وربه، ففي سائر الطرق يأمر الشيوخ مريديهم بذكر اللسان أي (جهراً) ثم ينقلونهم بعد ذلك إلى ذكر القلب، أي (سراً)، أما في هذه الطريقة فبدايتها ذكر القلب، ونهايتها الحضور الدائم مع الله سبحانه وتعالى ممتثلين لقول شيخهم النقشبندي: (نحن أدرجنا البداية في النهاية).

ب- يشترط في شيوخهم أن يكونوا من **العلماء الأعلام** الذين جمعوا بين العلم والذكر، وكانوا يوجهون مريديهم إلى الدراسات العلمية للكتاب والسنة والفقه، ولذلك سميت (طريقة العلماء)، فالشرع عندهم فوق الأحوال والواردات والمواجيد.

ج- لا يأمر شيوخ هذه الطريقة مريديهم بدخول (الخلوات) والانصراف عن الأعمال والسهر المتواصل، وترك الطعام وإهمال شؤون الآخرين حتى الزوج والولد، كما مر معنا في الطريقة الرفاعية، وشعارهم (الخلوة في الجلوة)، أي العارف لديهم تراه يؤاكلك ويشاربك ويمازحك ويبايعك ويشاريك، وقلبه متعلق بالله لا همَّ له سواه.

د- لا يجيزون تحريف لفظ الجلالة في الذكر.

والذي أدخل هذه الطريقة إلى بلاد الشام: خالد أبو البهاء ضياء الدين، الدمشقي إقامة، النقشبندي المجددي طريقة، ولد سنة ١١٩٠هـ = ١٧٧٦م، بقصبة (قره داغ) على نحو خمسة أميال من السليمانية (في العراق)، وزار كثيراً من البلاد وحج عام ١٢٢٠هـ = ١٨٠٥م، وألف الكتب الكثيرة بالعربية والفارسية، ثم استقر في دمشق حيث وافاه أجله ١٢٤٢هـ = ١٨٢٦/ ودفن في الصالحية. (يقول أبو يحيى: ومقبرته معروفة في حي الأكراد بدمشق، والحي أيضاً معروف بالشيخ خالد).

أما الذي أدخل الطريقة إلى حمص: فهو **الشيخ أحمد الطوزقلي**: ليس لدينا ما يثبت سنة ولادته [1] ولكن نرجح أن تكون في العقد الأخير من القرن الثامن عشر، لأن الشيخ أحمد

---

[1] ولد مولانا الشيخ الطوزقلي في حمص ١١٩٥هـ الموافق ١٧٨٠م.

بعد أن شبّ عن الطوق، ونهل بعض العلم اتجه إلى دمشق، وقابل الشيخ خالد المذكور آنفاً وتتلمذ عليه، ودرس عليه حتى جمع العلوم الظاهرة والباطنة، ونال نصيبَ السبق بين خلفاء الشيخ خالد الذي كان يعتمد عليه في الملمات، حتى إذا أنهى مراحل الطريقة النقشبندية، وأصبح خليفة للشيخ خالد، وأجازه أستاذه بالإرشاد العام، وأذن له بالعودة إلى حمص لتكون مقراً للإرشاد له، فسكن حمص في حي التركمان، وأقام زاويته في مسجد العمري – أي جامع النخلة – نسبة إلى عمر البقراص.

لدينا وثيقة الوقف الذي أوقفه الشيخ أحمد على نسائه الأربع ورد فيها: (أما بعد فقد حضر المجلس الشريف المطَّهر، فخر الصلحاء والمكرمين الشيخ محمد بن المرحوم السيد عابد شمشم، الوكيل الشرعي عن فخر العلماء وعمدة الأتقياء والصلحاء الفخام السيد أحمد الطوزقلي شيخ الطريقة النقشبندية بحمص حالاً...)، وتحمل الوثيقة تاريخ ٢٥ من ذي الحجة الحرام ١٢٦٧هـ = ٢٢ تشرين الأول ١٨٥٤م، فهو إذن كان حياً في تاريخ هذه الوثيقة، ولكن في أواخر عمره، ثم سلم الوقف لتلميذه وخليفته الشيخ سليم بن خلف الوزان، وجعله شريكاً مع وكيله الشيخ محمد عابد شمشم، لقد رحل عن هذه الحياة و لم ينجب ذكوراً، بل أربع بنات هنّ: السيدة خديجة، والسيدة زينب، والسيدة آمنة، والسيدة رقية.

وفي العام ١٢٥٠هـ = ١٨٣٤م أجاز الحاج أحمد الطوزقلي تلميذه الشيخ سليم بن خلف الوزان (بتلقين الذكر والتوجّه والارشاد في الطريقة العلية النقشبندية) فأصبح خليفة له، ثم خلف شيخه على سجادته بعد وفاته، فمن هو الشيخ سليم خلف ؟

الشيخ سليم بن خلف الوزان: هذا هو اسمه بدون أي إضافة كما ورد في حجة الوقف المشار إليها آنفاً، ولد في حمص ١٢٣٢هـ = ١٨١٦م، وأخذ العلم عن كثير من أجلّة العلماء في حمص، ثم ألقى به والده إلى الشيخ (أحمد الطوزقلي) فكان له خير مرشد ومربٍّ، وقد توسم فيه شيخه أهلية الإرشاد فأجازه في مشيخة الطريقة والجلوس على سجادتها بعد وفاته، يساعده في ذلك عدد من المشايخ الذين وصلوا إلى رتبة الخليفة في

الطريقة، مثل **الشيخ سليم الصافي، والشيخ عبد اللطيف التلاوي**، وبقي شيخاً للطريقة حتى وفاته، في نصف المحرم عام ١٣٢٨هـ = ٢٨ كانون الثاني ١٩١٠م،[١] فامتد عمره إلى ٩٦ سنة، أمضى منها خمسين عاماً ونيفاً على سجادة الطريقة النقشبندية، وكان يرتزق من عائد وظيفته كإمام ومدرس في الجامع النوري الكبير، كما كان في الوقت نفسه متولياً وقف لطاحونة السيعة (حسب الوثائق المحفوظة لدينا).

محمد أبو النصر خلف: ١٢٩٢هـ ٥رمضان ١٣٦٨هـ = ١٨٧٥- ١تموز ١٩٤٩م، ولد في حمص وترعرع في بيت والده الشيخ سليم، فنشأ محباً للعلم، وأخذ عن والده علم التوحيد والفقه، والتصوف، كما قرأ فقه الشافعية على يد الشيخ عبد الغني السعدي، والشيخ عبد الستار الأتاسي، والشيخ عبد القادر الشيخة، وهذا الانصراف إلى العلم جعل والده بعد أن بلغ الحلم يجيزه إجازة كاملة بالإرشاد، وعندما استلم رئاسة الطريقة بعد وفاة والده ظهرت مواهبه في تسليك المريدين، ويعود إليه الفضل في نشر الطريقة النقشبندية في حماة، على يد مريده وتلميذه (الشيخ محمد الحامد)، كما شمل نشاطه محافظة حلب وأصبح له فيها مريدون.

ومما يذكر له أنه خصص غرفة في داره الواقعة في حي ظهر المغارة للنساء اللواتي كن يرغبن في إقامة الأذكار والأوراد على الطريقة النقشبندية، وهذه الحلقة من الذكر كانت تقام كل اثنين بعد صلاة العصر في الثلاثينات من هذا القرن.

وقد حصل على إجازة بالطريقة السنوسية الأحمدية الإدريسية من شيخها السيد أحمد شريف السنوسي، تحمل التاريخ ١٣٦٥هـ = ١٩٤٤م، وقد أجاز بها الشيخ أحمد الكعكي من حمص.

ومن رجال الطريقة النقشبندية: في حمص المؤرخ **عبد الهادي الوفائي**، صاحب مخطوط (تاريخ حمص)، الذي لا يزال قيد الإعداد حتى الآن. وقد نظم قصيدة يمدح بها رجال النقشبندية منها:

وحمـــص بأحمــــد عـــلاها الفخـــار وأضحـــت توقَّد دجـــاها نهـــار
طزقلـــي تجـــرد إلـــى خـــير دار له الفضل يشهد وكـــل الأنـــام
وناهيك ســـيدي **سليم الخلـــف** مـــلاذ المريـــد وبحـــر الشـــرف
فيا حمـــص ســـودي عليك انعطـــف كمـــال السعود كفيـــض الغمـــام

كما نظم قداً من نغم (سيكاه) كان ينشد في حلقات الأذكار في سهرات الطرب حتى الستينات من هذا القرن ومطلعه:

دَع طرق الغي فالـــدنيا فَيّ ما الكون إلا القيوم الحـــي

قال أبو يحيى: وقد عدَّلها مشايخنا إلى: (لا يبقى إلا القيوم الحي).

وقد توفي في العام نفسه الذي توفي فيه شيخه السيد سليم خلف ١٣٢٨هـــ، ودفن إلى جواره في المقبرة الواقعة في نهاية شارع الميدن عند التقائه بطريق دمشق. (مقبرة الشيخ سليم).

ولا تفوتنا الإشارة إلى المتصوفة المشهورة (بأم محمد التلاوية) والمتوفاة ١٣٣٥هــــ، في قرية تلبيسة.

أم محمد التلاوية: ١٣٣٥هـــ = ١٩١٦م.

أشهر المتصوفات على نطاق القطر كله في عصرها، انتشرت قدودها وقصائدها ومواليالها من دمشق إلى حلب، وأول اتصال لنا بتراثها الصوفي عندما عثرنا على كتاب بعنوان (مجموعة قصائد ونشائد نبوية صوفية)، لجامعها رشيد بن مصطفى راشد التادفي [1]، انتهى من جمعها سنة ١٣٤٧ هـــ = ١٩٢٨م، ولكنها لم تطبع إلا سنة ١٣٩٣ هـــ = ١٩٧٣م في حلب ، ومن أشهر قدودها: القد الذي نظمته من نغم صبا، ومطلعه:

---

[1] الشيخ رشيد الراشد التادفي المولود في تادف والمتوفى في حلب، ١٤٠٩هـــ وكان قد سلك الطريق النقشبندي على يدي الشيخ محمد أبي النصر، لما كان يتردد إلى محافظة حلب (ومنها الباب وتاذف) وكان جمع أول ما سلك الطريق النشائد والقصائد التي تقال في مجالس الشيخ أبي النصر، وصدر منها هذه المجموعة، ثم اتجه لجمع الكتب والرسائل الوعظية، وستجد له ترجمة في هذا الكتاب (فصل: مريدي الشيخ أبو النصر من العلماء في الباب وتاذف).

يا عذولي كـف اللـــوم ولـم تـدر بحـالي اليـوم
يا ليت الروح مـا رجعـت وتبقـى في حمـاهم دوم

ومنه:

وتشـهد بهجـة لمعـت ومـن ذاك الحمـى طلعـت

وكان ينشد بها في حلقات النقشبندية، ويغنى في سهرات الطرب والسمر.

أقول: إن هذا القد الذي نقله المؤلفان عن (أم محمد التلاوية)، واستدلا به على أنها ممن انتسب إلى الطريقة النقشبندية فيه أخطاء، وصحته أثبتها كما يلي، مما أملاه علينا المرحوم **الشيخ شامل المراد** في مدينة حماه، وذلك عندما كنا في زيارته عام ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م، بصحبة أستاذنا الشيخ **عبد الباسط أبي النصر** رحمه الله تعالى، وقد دونته في مجموعتي كما يلي نقلاً منه: قالت أم محمد التلاوية تلميذة الشيخ سليم في الطريق:

حبـك في البـرايا محـاني ونار عشقك أشعلت جواني
بالله يا أهل العشق والغرام هل زار طيف النوم للأجفان
يا داخلين الحان يا سـاداتي يا شاربين الخمر بالكاسـات
وفنيت عن نفسي ومحقت ذاتي لما تجـلى لي الواحد الديان

❁ ❁ ❁

من بحر (خالد) تشرب الندامى هاموا وصفـوا بالدجا أقداما
بالله يا أهل المكر والإظلامـا لا ترتضوا بالنفـس والشيطانِ

❁ ❁ ❁

من بحر (أحمد) تشرب العشاقُ وجمع أهل الحب والصُّدّاقُ
وكل من شرب المدامَ ذاقـوا يشهد نعيمـاً لم تراه عيانـي

❁ ❁ ❁

كذا (سليم) القلب لا تسلاه حقاً وصدقاً جمعنا يهواه
إن كنت تقصد يا أخي مسراه حارب لنفسك تحظ بالرضوانِ [(1)]

❁ ❁ ❁

وهذه الأبيات المذكورة - كما هو معلوم - أشبه ما تكون بالأهازيج والمواليا، والأناشيد العامة التي لا تخضع غالباً لأوزان العروض ولا لقواعد النحو.

---

(1) تقصد (بخالد) في اللازمة الثانية مولانا خالد ضياء الدين النقشبندي، الشهير (بخالد الحضرة)، المار ذكره آنفاً، وتقصد (بأحمد في اللازمة الثالثة مولانا أحمد الطوزقلي المار ذكره أيضاً سابقاً، وتقصد (سليم) في اللازمة الأخيرة مولانا سليم خلف المار ذكره أيضاً فيما سلف.

أسماء رجال السلسلة النقشبندية المباركة

ومن الخير واليمن والبركة ذكر أسماء رجال السلسلة النقشبندية المباركة من مبدئها ورأسها، ألا وهو سيدنا وحبيبنا محمد بن عبد الله رسول الله ﷺ إلى حضرة مولانا خالد النقشبندي رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

أما سيدنا **خالد** فقد كان له خلفاء كثيرون ملؤوا الآفاق، ونشروا الهدى بين الأمصار والبلاد، وأشهرهم في البلاد الشامية مولانا أحمد الطوزقلي الذي نشر الطريقة النقشبندية في حمص، وخلّف خلفاء كثيرين أجلُّهم وأعظمهم مولانا سليم خلف قدس الله أسرارهم أجمعين.

وقد ذكر صاحب الحدائق الوردية ثلاث سلاسل لرجال هذه السلسلة المباركة، وكذلك ذكرها الشيخ نجم الدين بن الشيخ محمد أمين الكردي في كتابه الذي ترجم فيه رجال السلسلة، فقال:

(واعلم أن للطريقة النقشبندية ثلاث سلاسل:

- **الأولى: سلسلة آل البيت:**

وتسمى سلسلة الذهب لاتصالها بهم رضي الله عنهم أجمعين: وهي من حضرة سيد الكائنات سيدنا **رسول الله** ﷺ، إلى سيدنا **علي** بن أبي طالب ﷺ، إلى سيدنا **الحسن**، إلى سيدنا **زين العابدين**، إلى سيدنا محمد **الباقر**، إلى سيدنا جعفر **الصادق**، إلى سيدنا موسى **الكاظم**، إلى سيدنا علي **الرضا**، إلى سيدنا **معروف الكرخي**، إلى سيدنا السريّ السقطي، إلى سيدنا الجنيد البغدادي، إلى سيدنا أبي علي الروذباري، إلى سيدنا أبي علي الكاتب، إلى سيدنا أبي عثمان المغربي، إلى سيدنا أبي القاسم الجرجاني، إلى سيدنا أبي علي الفارمدي شيخ السلسلة الثالثة، رضي الله عنهم.

- **السلسة الثانية:**

وهي المبدوءة بسيدنا **رسول الله** ﷺ إلى سيدنا **علي** بن أبي طالب، إلى سيدنا **الحسن البصري**، إلى سيدنا **حبيب العجمي**، إلى سيدنا **داود الطائي**، إلى سيدنا **معروف الكرخي**. (المذكور في السلسلة الأولى وعنده تجتمع السلسلتان).

- **السلسلة الثالثة:**

وهي من حضرة روح العالم سيدنا **محمَّد** ﷺ إلى سيدنا **أبي بكر الصديق** ﷺ، (وقد جرت عادة مشايخنا ذكر هذه السلسلة الثالثة في إجازتهم وتوسلاتهم مع عدم إنكار السلسلتين الأخريين، لعلو السند - أي قلة الوسائط - في هذه السلسلة الثالثة، ولأن الاتصال في بعض وسائطها بالروحانية المحضة، والتي هي أقوى عند العارفين).

ومن سيدنا أبي بكر تلقاها عنه سيدنا **سلمان الفارسي** ﷺ، ثم تلقاها عنه بالروحانية سيدنا **القاسم بن محمد** بن أبي بكر الصديق، ثم تلقاها عنه سيدنا **جعفر الصادق**، ثم تلقاها عنه سيدنا أبو يزيد **البسطامي** بالروحانية، ثم تلقاها عنه بالروحانية سيدنا أبو الحسن علي بن جعفر **الخرقاني**، ثم تلقاها عنه سيدنا الشيخ عبد الخالق **الغجدواني**، ثم تلقاها عنه سيدنا الشيخ محمد عارف **الريوكري**، ثم تلقاها عنه سيدنا الشيخ **محمود الانجير فغنوي**، ثم تلقاها عنه سيدنا الشيخ **علي الراميتني** الشهير بالعزيزان، ثم تلقاها عنه الشيخ محمد بابا **السماسي**، ثم تلقاها عنه الشيخ الأمير **كلال**، ثم تلقاها عنه سيدنا الشيخ محمد **بهاء الدين النقشبند** الأويسي البخاري الحسيني، ثم تلقاها عنه سيدنا الشيخ محمد علاء الدين **العطار**، ثم تلقاها عنه سيدنا الشيخ يعقوب **الجرخي**، ثم تلقاها عنه سيدنا الشيخ **عبيد الله أحرار**، ثم تلقاها عنه سيدنا الشيخ **محمد الزاهد**، ثم تلقاها عنه سيدنا **الدرويش محمد** ثم ولده سيدنا **محمد الخواجكي** الأمكنكي، ثم تلقاها عنه سيدنا **محمد الباقي**، ثم تلقاها عنه سيدنا الإمام الرباني مجدد الألف الثاني **أحمد الفاروقي**، ثم تلقاها عنه ولده سيدنا الشيخ **محمد المعصوم**، ثم تلقاها عنه ولده سيدنا محمد سيف الدين **الفاروقي**، ثم تلقاها عنه سيدنا الشيخ السيد نور

الدين **البدواني**، ثم تلقاها عنه سيدنا الشيخ شمس الدين حبيب الله **جان جانان مظهر**، ثم تلقاها عنه سيدنا الشيخ عبد الله **الدهلوي**، ثم تلقاها عنه سيدنا ومولانا أبو البهاء **ضياء الدين خالد** الشهير بالحضرة قدس سرهم أجمعين، وهو الذي نقل الطريق إلى بلاد الشام المباركة، ثم تلقاها عنه سيدنا الشيخ أحمد **الطوزقلي** الحمصي، ثم تلقاها عنه سيدنا الشيخ **سليم خلف**، ثم تلقاها عنه سيدنا الشيخ **محمد أبو النصر** خلف الحمصي، ثم تلقاها عنه جمهور العلماء والوراث الذين نذكرهم في هذه الصفحات قدس الله أسرارهم أجمعين.

مدخل إلى الحضرة الزكيَّة

مولانا خالد النقشبندي

١١٩٣ - ١٢٤٢هـ

هو العالم الذي فاق علماء الآفاق، والمرشد الكامل الذي ملأ صيته الطباق، عالم الأولياء الكاملين، وولي العلماء العالمين، الشيخ خالد بن حسين الشهر زوري العثماني الشافعي النقشبندي.

ولد قدس الله سره سنة ١١٩٣ هـ في قصبة (قره داغ) التابعة للسليمانية في العراق، ونشأ في حجر والده الجليل (حسين الشهرزوري) العثماني، حيث ينتهي نسبه إلى سيدنا عثمان بن عفان، وقرأ القرآن هناك ومبادئ العلوم الشرعية في المدارس المتوفرة في بلدته، ثم رحل الرحلات العديدة، ثم عاد إلى وطنه، فقرأ على العالمين الكبيرين الشيخ عبد الكريم، والشيخ عبد الرحيم البرزنجي، وكذلك على المحقق ملا صالح، وملا إبراهيم البياري، والشيخ عبد الخالق الخرباني، ثم إلى السليمانية فأكمل علومه فيها، ثم تابع الرحلة إلى بغداد فقرأ على علمائها، وفاق عليهم بفهومه وعلومه، ثم عاد إلى وطنه، واشتهر في الأمصار صيت تقواه وعلمه، وذكاؤه وفهمه، ثم رحل إلى (سنناداج) وضواحيها وأكمل بعض علوم الآلات، وعاد إلى السليمانية عام ١٢١٣هـ، فولي تدريس مدرسة أستاذه الشيخ عبد الكريم البرزنجي، فشرع بالتدريس فيها مقبلاً على الله، عالماً عاملاً، متبتلاً زاهداً، لا يتردد إلى الحكام، ولا يحابي أحداً، ولا تأخذه في الله لومة لائم.

وفي عام ١٢٢٠هـ جذبه الشوق إلى حج الله الحرام وزيارة المصطفى خير الأنام ﷺ، فرحل عن طريق الموصل وحلب والشام، واجتمع بعلمائها الأعلام، وصحب العالم العلامة الشيخ محمد الكزبري (المحدث الشهير المتوفى سنة ١٢٢١هـ) وسمع منه وأخذ عنه، كما

صحب تلميذه الأخص الشيخ الكردي فأجازه أيضاً كما أجازه شيخه الكزبري، ومن جملة ما أجازه أيضاً بالطريقة القادرية.

ولما وصل الحضرة النبوية في المدينة المنورة مدح الرسول المصطفى بالقصائد الفارسية، ولقي أحد صالحي اليمن من علمائها هنالك، فاستنصحه ونصحه بأمور، ثم توجه إلى مكة المكرمة، فالتقى فيها بأحد أولياء الله تعالى وقال له: فتوحك لا يكون بهذه الديار (الحجازية) وأشار إلى بلاد الهند.

ولما رجع من الحج عن طريق الشام اجتمع بعلمائها أيضاً، ثم عاد إلى وطنه، والتقى في السليمانية بأحد أجلاء خلفاء مولانا الدهلوي، وهو الشيخ مرزا رحيم الله بك، المعروف بمحمد درويش العظيم آبادي، فأرشده إلى شيخه مولانا عبد الله الدهلوي، ثم سارا معاً إلى الهند عام ١٢٢٤ هـ مروراً بالبلاد الإيرانية، والتقى مع مجتهدهم إسماعيل الكاشي، وتناظر معه فأفحمه وأسكته، ثم تابع السير حتى وصل بعد سنة كاملة مروراً ببلاد الأفغان والسند إلى دهلي، وقد بشر شيخه به قبل وصوله بأربعين مرحلة، وليلة دخوله البلدة نظم قصيدة بمدح شيخه مطلعها:

كملت مسافة كعبة الآمال ... حمداً لمن قد منَّ بالإكمال

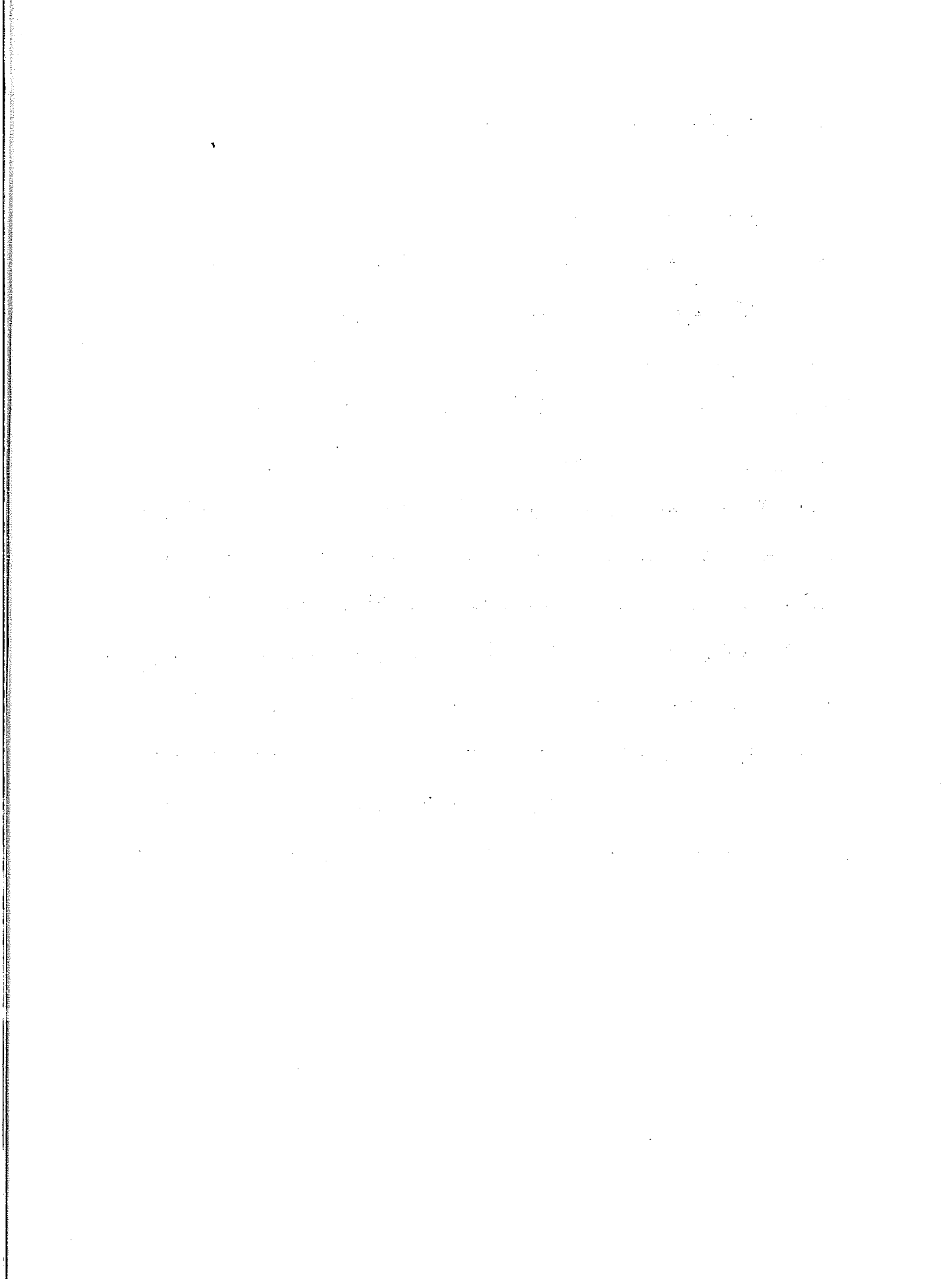
وأراح مركبيَ الطليح من السرى ... ومن اعتوار الحط والترحال

ثم مدحه بقصيدة أخرى بالفارسية، ثم لقنه شيخه الطريقة النقشبندية وذلك بعد تجرده عن نفسه وعن ماله حتى عن حوائج السفر، واشتغل بخدمة الزاوية، ولم تمض عليه خمسة أشهر إلا وصار من أهل الحضور والمشاهدة، وبشره شيخه ببشارات كشفية تحققت بعد ذلك بالعيان، وما مضى عليه عام حتى خلفه الخلافة التامة، وأذن له بالإرشاد **بالطرائق الخمسة**: النقشبندية، والقادرية، والسهروردية، والكبروية، والجشتية، وكتب له إجازة خطية وصفه فيها بأنه: صاحب الهمة العالية في طلب الحق، ثم أمره بالعودة إلى بلاده ليرشد المسترشدين ويربي السالكين، وشيعه بنفسه نحو أربعة أميال، فوصل السليمانية سنة

١٢٢٦هـ، ثم زار بغداد ونزل في زاوية سيدي عبد القادر الكيلاني، وبقي خمسة أشهر ثم رجع إلى وطنه.

ولما اقتضت حكمة الله في خلقه أن يُبتلى الصادقون، فقد وشى به الحسدة والجهلة إلى حكام بغداد، ورفعوا أمره إلى وزيرها سعيد باشا والي بغداد، الذي قال عنه: إن لم يكن حضرة الشيخ خالد مسلماً فمن المسلم ؟! سبحان الله، وبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيهاً، وصار يتردد بين بغداد والسليمانية، يدعو إلى الله بحاله وقاله، وشاع فضله شرقاً وغرباً، والتف حوله الناس ليتباركوا بأنفاسه، وأرسل خلفاءه إلى الأمصار ليحيوا في القلوب ما اندرس من التقوى، ثم إن خليفته بالشام الشيخ أحمد الخطيب الإربيلي حبب إليه سكنى الشام وراسله بذلك، فحضر الشيخ قدس سره إلى دمشق سنة ١٢٣٨هـ، ومعه جملة من العلماء والخلفاء والخدم والصلحاء.. واستقر به المقام هناك، مشتغلاً بنشر العلوم الشرعية، وإشادة أركان الطريقة النقشبندية وإرشاد العباد في كل البلاد، وإحياء كثير من مساجد دمشق، ثم حج إلى بيت الله الحرام ١٢٤١هـ، ثم عاد بالخُلَع والإكرام، ثم لما انتشر الطاعون في بلاد الشام ومات فيه بعض أولاده لحق هو بالرفيق الأعلى بتاريخ ١٢٤٢هـ ليلة الجمعة رابع عشرة ذي القعدة، وبلغ عمره خمسين سنة، ودفن بسفح جبل قاسيون، وخلف خلفاء كثيرين رحمه الله وقدس روحه.

(هذه الترجمة مختصرة من الحدائق الوردية للخاني) فارجع إليه لترى التفصيل.



الفصل الأول

الشيخ أحمد الطوزقلي وخلفاؤه ومريدوه

١- الشيخ سليم الخلف (الوزان) المتوفى ١٣٢٨هـ.

٢- الشيخ خليل السقا (السمندراني) المتوفى ١٢٨٦هـ.

٣- الشيخ سليم الصافي المتوفى ١٢٩٧هـ.

٤- الشيخ مصطفى بن الشيخ سليم الصافي المتوفى ١٣٣٥هـ.

٥- الشيخ عبد السلام بن الشيخ سليم صافي المتوفى ١٣٠٥هـ.

٦- الشيخ عبد اللطيف التلاوي.

٧- الشيخ يوسف المسدي.

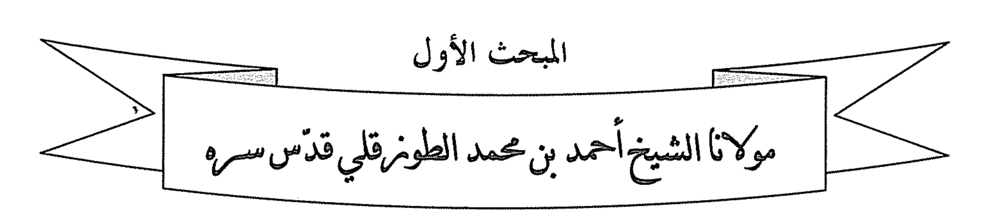
٨- الشيخ أحمد بن الشيخ يوسف المسدي المتوفى ١٣٥٤هـ.

٩- الشيخ محمد بن عابد شمشم المتوفى١٢٩٥هـ.

١٠- الشيخ سعيد الحسامي المتوفى ١٣١٩هـ.

١١- الشيخ محمد عبد الفتاح السباعي المتوفى ١٣٢٠هـ.

١٢- الشيخ أحمد بن خالد شاهين المتوفى ١٢٦٧هـ.



(١١٩٥- ١٢٨٤هـ) (١٧٨٠-١٨٦٧م)

كان هذا العلم الشهير والسيد الكبير أحد خلفاء مولانا خالد ضياء الدين النقشبندي الشهير بالشيخ خالد الحضرة، وكان قائماً على سدَّةِ الإرشاد في الطريقة النقشبندية العلية في مدينة حمص العدية.

(وكان عالماً جليلاً جمع العلوم الظاهرة والباطنة ونالَ قصَبَ السبق بين خلفاء مولانا خالد، وكان قدس سره يعتمد عليه في المهمات).

نشأته وتعليمه:

تلقى العلوم الشرعية على أكابر علماء دمشق، حيث أقام هناك مدة طويلة لهذا الغرض، كما أنه سلك في الطريقة النقشبندية على شيخه العظيم مولانا خالد، حتى إذا كمل سلوكه أجازَه شيخه بالإرشاد العام وأذِنَ له بالعودة إلى حمصَ لتكون مقر الإرشاد له، فسكن حمص، وظهرت كراماته وشاعت، واهتدى الناس بهديه، وكثر خلفاؤه وعمَّ نفعه الخاص والعام.

وكان يتردد على دمشق لزيارة شيخه الكبير كثيراً، حتى انتقل شيخه إلى رحمة الله تعالى، فتفرغ للإرشاد ونشر العلم والطريقة)[1].

ولما سكن الشيخ أحمد الطوزقلي حمص، وتولى الإرشاد فيها وشعّ نوره عليها، وشاع هديه فيها، كان سيدي خلف الجندي الحسيني والد مولانا سليم ملازماً للشيخ ومريداً له، لا يترك مجالسه.

---

[1] من كتاب (العلامة المجاهد الشيخ محمد الحامد) للشيخ عبد الحميد طهماز الذي ترجم فيه لشيخه الشيخ محمد الحامد رحمه الله تعالى ص (٢٠٦).

وقد سمعت سيدي الشيخ عبد الباسط رحمه الله تعالى يقول: (كان جدّ والدي سيدي خلف الجندي الحسيني والد الشيخ سليم هو وابنه سليم تلميذان عند سيْدنا الطوزقلي، وكان يأخذ ولده سليم إلى حضرة الشيخ الطوزقلي منذ ولد، حيث كان سيدي سليم وحيداً لوالديه على سبع بنات، وكان الشيخ الطوزقلي يباركه ويلاحظه بتوجيهاته وأنظاره ويضعه في حجره، ويعتني به، ولما صار عمره /١٨/ عاماً أجازه بالإرشاد وكتب له بذلك كتاباً) اهـ.

ولقد توسم مولانا الطوزقلي في الشيخ سليم أهلية الإرشاد، وأذن له بتلقين الذكر والتوجيه في الطريقة النقشبندية بعدما جرب ذلك مراراً ورأى أثره المبارك الواضح في طلاب الطريق، وحسن اقتداره على تربية طالبي الحق وسالكي طريق الصدق.

ترجمة الشيخ الطوزقلي في حلية البشر:

وقد وردت ترجمة مولانا الشيخ أحمد الطوزقلي في كتاب حلية البشر في تراجم علماء القرن الثالث عشر للشيخ عبد الرزاق البيطار. يقول الشيخ عبد الرزاق البيطار في ترجمته: (شيخ الطريقة، ومعدن السلوك والحقيقة، مرشد السالكين، ومربي المريدين، ذو الكمال والعرفان، والذوق والوجدان، من حاز على القبول التام، وشاع حسن حاله بين الخاص والعام، واشتهر بصدق الانكباب على العبادة والتقوى، والتمسك بالطريق الأقوى في السر والنجوى، أخذ الطريقة النقشبندية عن خاتمة الأفاضل وصفوة ذوي الفضائل، الشيخ خالد الحضرة العثماني، أنالنا الله وإياه الآمال والأماني وصَحِبَه برحلته إلى بيت المقدس، وكان رحمه الله آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر كثير الصلاة والصيام والذكر في خلواته وجلواته، عالماً عاملاً زاهداً عابداً، وقد أذن له في إعطاء الطريق والإرشاد شيخه الشيخ محمد الحافظ الأورفلي أحد خلفاء الشيخ خالد المذكور أعلاه.

ولد المترجَم سنة خمس وتسعين بعد المئة والألف وتوفي سنة الأربع والثمانين بعد

المئتين والألف رحمه الله تعالى ونفعنا به جميعاً في الدنيا والآخرة آمين) [1].

وقد تفضل الأستاذ النبيه مؤرخ حمص المعاصر الأستاذ محمد غازي حسين آغا وكتب إليّ بتراجم جلّة من علماء حمص، ومما كتبه عن مولانا الطوزقلي ما يلي:

ترجمة الشيخ الطوزقلي في (علماء وأعلام حمص):

وأقول: إن الشيخ أحمد قدس سره أخذ الطريقة النقشبندية العلية وأُذن له في الإرشاد على يد الشيخ خالد قدس سره، وذلك عند صحبته له في زيارته إلى القدس الشريف في الموسم المعروف بخروج الصنجق في بيت المقدس. وهما في طريقهما إلى القدس الشريف. أما الشيخ محمد الحافظ الأورفلي فقد أجازه بمروياته والشيخ أحمد أجازه كذلك بمروياته وهذه الخصوصية معروفة بين السادة العلماء.

كان الشيخ أحمد قدس الله سره يُدَرِّسُ الفقه والتفسير والتصوف ويرشد السالكين في جامع النخلة العمري (الوفائي)، وله حلقة تدريس في الجامع النوري الكبير، وكذلك الختم الشريف، وله وقفيه مؤرخة في ٢٥ ذي الحجة ١٢٦٧ هـ ـ ١٨٥٠ م أوقف بها داره بعد فناء ذريته، وأوقف مكتبته الخاصة العامرة بالكتب المخطوطة على طلبة العلم في الجامع المذكور (الوفائي)، والشرط في ذلك ألا يخرج كتاب من المكتبة إلا بعد دفع رهنٍ إلى المتولي عليها، وهذا حرص من الواقف قدس الله سره على العلم ومتابعته وعدم كتمانه وضمان عودة الكتاب إلى مكانه.

توفيَ سنة ١٢٨٥ هـ ـ حسب ما ذكر على شاهدة قبره. وقبره ظاهر يزار. وخلفه في الإرشاد القطب الجليل وغوث الدخيل الشيخ سليم خلف قدس الله سره [2].

---

[1] حلية البشر للبيطار: ١/١٩٧، وقد قرأت تاريخ وفاته على قبره (١٢٨٥) فليحرر.

[2] من كتاب المؤرخ محمد غازي حسين آغا (علماء وأعلام حمص في ظل الخلافة العثمانية) وهو قيد الإعداد، ويهيئه للطبع، وقد تفضل هذا الأستاذ النبيه، عندما زرته في بيته بحمص وزودني بمعلومات قيمة عن علماء حمص الذين لهم صلة بالطريقة النقشبندية بدءاً من مولانا الطوزقلي وانتهاءً بجده ووالده، وحدثني أيضاً أن الله أكرمه بسلوك الطريق النقشبندي بعد دراسته وحضوره مجالس أستاذنا العلامة الشيخ أحمد الكعكة وأجازه بالطريقة كتابة، وسنذكر هذه الإجازة في ترجمته في موضعها من تراجم علماء حمص.

خلفاؤه:

كان من أجلّ خلفاء مولانا الشيخ الطوزقلي؛ **الشيخ سليم خلف**، و**الشيخ سليم صافي**، و**الشيخ عبد اللطيف التلاوي**، رحمهم الله تعالى، كما ذكر ذلك الشيخ عبد الحميد طهماز في كتابه المحامد ص ٢٠٦، وأخبرني علامة حمص الشيخ وصفي مسدي أن من خلفائه أيضاً **الشيخ خليل السقا (الشهير بالسمندراني)**.

ما قاله فيه خليفته الكريم مولانا سليم: قال كما في نصّ إجازته العلمية لتلميذه الشيخ حسين الخطيب الطيباني وأوردها في كتابه (الدر اللطيف في فضائل الختم الشريف) ص ١٩٠؛ قال مولانا سليم: (وكان من أعظم نعم القدير وتيسيره للخير الكثير أن أرشدني لأخذ العلم والطريقة عن علماء تزينوا بأنوار الحقيقة، وتبركاً بهم وتمسكاً بعبير سببهم، أذكر بعضاً منهم فأقول: إنَّ من أجلهم أدباً وأقواهم سبباً من أخذت عنه العلم والطريقة والدين، قطب العارفين مربي المريدين، مرشد الأصاغر والأكابر، التي لا تسع مزاياه وفضائله بطوق الدفاتر، صاحب القدر العلي والفضل الجلي، فخر حمص سيدي الشيخ أحمد بن محمد الطوزقلي عليه الرحمة والرضا من ربه العليّ) اهـ.

إجازته بالإرشاد لمولانا سليم:

وإليك نص إجازته المباركة التي تفضل بها وحررها كما أثبتها الشيخ طهماز في ترجمة الشيخ الحامد في كتابه المحامد، وكما هي بنصها لدى الشيخ إسماعيل أبي النصر حفظه الله تعالى؛ وترى فيها إخلاص الشيخ المربي ونصحه الفاضل لتلميذه الأريب الكامل:

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين، الحمد لله حمداً يرتضيه لجنابه، والصلاة والسلام على أجلّ من اصطفى لوحيه وخطابه، خليفة الله في خلقه، محمد وعلى آله وصحبه، وبعد: فقد أجزت الأخ الشفيق، والصديق الرفيق، العالم العامل، والفاضل الكامل، الحافظ للعهد والوداد، الشيخ سليم بن السيد خلف الجندي، صاحب الأوراد، ثبته الله على منهج الاستقامة، وحفظه

من موجبات الندامة، بتلقين الذكر والتوجّه والإرشاد في الطريقة العلية النقشبندية، بعدما جرّبت مراراً تأثير نظره للطلاب، وحسن اقتداره على إلقاء النور، وكشف الحجاب.

وما أجزته إلا بعد الاستجازة من سادة السلسلة العليّة، والاستخارة الشرعية النبوية، **فليغتنم صحبته كل من يريد التثبت بطريقة الأولياء، وأضمن لكل من يلازم أمره وخدمته أن ينال ما لا يحيط به عقل العقلاء، ويقصر عنه علم العلماء**، وأوصيه بالتمسك بالكتاب والسنة، والأمر بتصحيح العقائد بمقتضى آراء أهل السنة، الذين هم الفرقة الناجية، على ما أطبق عليه أئمة الكشف والوجدان، وأوصيه بتوقير حملة القرآن والفقهاء والفقراء، وسلامة الصدر، وسماحة النفس، وسخاوة اليد، وبشاشة الوجه، وبذل الندى، وكف الأذى، والصفح عن عثرات الإخوان، والنصيحة للأصاغر والأكابر، وترك الخصومات، وترك الطمع، وبالاعتماد في قضاء الحوائج على الله جلّ جلاله، فإنه لا يضيع من عوّل عليه، وألا يرجو النجاة إلا في الصدق، والوصول إلى الله تعالى في اتباع محمد ﷺ، وألا يظنّ أنه أفضل من أحد، بل لا يرى لنفسه وجوداً، وكل من يتطاول عليه بنميمة أو حسد يفوض أمره إلى الله تعالى، ولا يتكلف في دفع شره بالهمة، فإن مشايخ هذه الطريقة العلية تندك من هممهم الجبال، فإن شاؤوا قطعوا مادة فساده بقدرة الله تعالى أسرع ما يكون،

صورة الإجازة
بخط الشيخ أحمد الطظقلي

وصلى الله على سيدنا محمد النبيِّ الأميّ وعلى آله وصحبه وسلم عدد خلقه ورضا نفسه، ومداد كلماته وسلم تسليماً كذلك والحمد لله رب العالمين.

حرره وجرى به قلمه خادم الفقراء

أحمد النقشبندي الطظقلي الخالدي



بعض أحواله وكمالاته:

وأخبرني علامة حمص الشيخ وصفي مسدي حفظه الله تعالى أن والده الشيخ أحمد مسدي قد تلقى الطريقة النقشبندية من حضرة الشيخ أحمد الطوزقلي مباشرة، وكان الشيخ الطوزقلي قدس سره يُدَرِّس في جامع التركمان، في حمص بعد صلاة الجمعة... والشيخ من تركمان حمص القاطنين فيها، ويوجد في حمص تركمان كثيرون، وهناك حي باسمهم، وباسمهم أيضاً (باب التركمان).

قال: وسبب معرفة والدي بالشيخ الطوزقلي رحمه الله كما حدثني والدي قال: كان مولانا الشيخ أحمد الطوزقلي يصلي في جامع التركمان، فحضرت يوماً لصلاة الجمعة مبكراً (الحديث لوالده)، فجلست في الصف الأول بجانب الشيخ قدس سره، وكان عمري خمسة عشر عاماً، إبَّان بلوغي سن التكليف، فجاء خادم الجامع وأزاحني من مكاني، ومدّ سجادة صلاة مكاني ليجلس عليها أحد الأمراء واسمه هولو باشا [1].

قال: ولما أشار خادم الجامع لوالدي على كتفه ليرجع من محله، انتبه لذلك الشيخ الطوزقلي رحمه الله، فقال للخادم: مالك ؟ فقال الخادم: يا سيدي؛ هولو باشا جاء يسلم عليكم. فقال الشيخ: قل له يجلس حيث ينتهي به المجلس، ثم قال الشيخ لوالدي: اجلس

---

[1] قال أستاذنا الشيخ وصفي: إن هولو باشا جد محمد علي العابد رئيس جمهورية سورية أيام الفرنسيين، وهو كردي من الأبطال الأشداء المجاهدين في سبيل الله، وكان من القادة المحاربين في شبه جزيرة البلقان أيام العثمانيين، ولما جاءته الأوامر بإيقاف الحرب، والانسحاب، غضب وقال: لماذا نتوقف ؟ هل يأمر ديننا بالتوقف ؟ والبلاد تفتح وينتشر فيها الإسلام ! فاعتبر هولو باشا ذلك الأمر خيانة من الأمراء القادة، فترك الجيش، ثم جاء بعدها إلى حمص لزيارة الشيخ الطوزقلي. اهـ.

فأنت أحق منه. قال والدي: فجلست، وبعد أن انتهى الخطيب من خطبته، كان للشيخ الطوزقلي درس بعد صلاة الجمعة في ذلك المسجد، وبدأ الشيخ يدرّس وهولوْ باشا يبكي، وكان هولو باشا جميلاً، ضخماً مفخّماً، وكان حديث الشيخ في درسه تقريعاً للولاة وشيوخ العشائر والحكام، وأكثر هولو باشا البكاء والنشيج. قال والدي: فشبهته بحالته تلك وهو الضخم الفخم، بالقطة الإفرنجية إذا ابتلت بالماء، لا يظهر لها رونق ولا مظهر، ولما انتهى الدرس قام الناس إلى الشيخ يسلمون عليه ويقبلون يده، فجاء هولو باشا إلى الشيخ ليقبل يده، فسحب الشيخ يده، وامتنع عن إعطائه إياها لتقبيلها وقال له: اتق الله فيما ولاك عليه، وكان هولو باشا والياً على أحد المدن. اهـ.

قال الشيخ وصفي حفظه الله:

وكان الطوزقلي يذهب من حمص إلى دمشق ماشياً ليزور شيخه مولانا خالد، واستمرت زياراته بعد وفاة شيخه، ومرة ذهب من حمص - وكان مقيماً فيها - إلى دمشق ماشياً، ولما وصل إلى بيت الشيخ خالد طلب منهم رغيف خبز فأعطوه إياه وعاد به، لأن بعض المشايخ - كما يقول الشيخ وصفي - سرّهم في طعامهم. قال: وكان هذا في حياة مولانا خالد.

مولانا الطوزقلي يختبر الشيخ سليم:

وقد كان الشيخ الطوزقلي يختبر الشيخ سليم أثناء تربيته له قبل إجازته بالطريق وبعدها...

ومما حدثنا به أستاذنا الشيخ وصفي قال: كان للشيخ بستان (كرم عنب) وأراد أن يضع له ناطوراً للحراسة، فقال للشيخ سليم: يا سليم نريد حارساً للكرم، فهل تكون الليلة حارساً له ؟ فقال الشيخ سليم: أمرك شيخي. وقال له: دير بالك (انتبه جيداً)، وكان الشيخ الطوزقلي لاعب حكم؛ فخرج الشيخ سليم ليلتها، وجلس في الليل حارساً متخمراً متنكراً، ولم تمض من الليل إلا برهة، وإذ به يحسّ بحركة داخل الكرم، ولما اقترب من مصدر الصوت رأى رجلاً متخمراً بمنديل ! فقال له الشيخ سليم: قف. من أنت ؟

فلم يقف، وكان مع القادم المتخمر المتنكر عصا، ومع الشيخ سليم أيضاً عصا، فتقاربا من بعضهما وصارا يتقابلان ويتقاتلان بالعصي، ومضى وقت طويل ولم يستطعْ أحد منهما التغلب على الآخر، وبعدها كشف القادم عن وجهه وإذا به الشيخ الطوزقلي، فقال للشيخ سليم: (لا بالله؛ فإن تلميذنا مليح، ويؤتمن به)، وكان هذا العمل إختباراً لتلميذه سليم. اهـ.

تلاميذه:

وسنتكلم في الفصول اللاحقة عن تلامذته ومريديه، ونخص خلفاءه الكرام بمزيد من التفصيل حسبما تسعفنا به المصادر التي تتكلم عن هذا الطود الشامخ، والعلم الراسخ، رحمه الله وتولاه، وقدس سره واصطفاه، وحسبما ذكرت المصادر المتوفرة بين أيدينا.

إصهار الشيخ الطوزقلي للشيخ سليم؛ وعنايته به:

حدثنا أستاذنا الشيخ عبد الباسط أبو النصر رحمه الله تعالى وقدس سره، أن ولد الشيخ سليم الكبير واسمه أحمد تزوج من إحدى بنات شيخه أحمد الطوزقلي، وأن الشيخ سليم ووالده سيدي خلف الحسيني كانا تلميذين عند الشيخ الطوزقلي، وقد أخذ السيد خلف ولده سليماً إلى الشيخ الطوزقلي من حين ولادته، لينال بركته، وكان الشيخ الطوزقلي يضع في حجره الشيخ سليم ويدعو له ويباركه، وكان الشيخ سليم يقول لوالده: أنت والد جسمي، وأنا والد روحك.

وكان الشيخ سليم وحيداً لوالده على سبع بنات، ورزق الشيخ سليم من الأولاد؛ أحمد وهو أكبرهم الذي أصهر إليه الشيخ الطوزقلي، والشيخ حافظ، ومحمد، وأمين، ومحمد أبو النصر وهو أصغرهم، وكان لأحمد الولد الأكبر للشيخ سليم ولداً يسمى سليماً، أكبر من الشيخ أبي النصر، وللشيخ حافظ ولد اسمه رضا، رحمهم الله جميعاً وبارك في ذراريهم.

المبحث الثاني

خلفاء الشيخ الطوزقلي

خلفاؤه وتلامذته ومريدوه:

ومما اطلعنا عليه وذكرناه آنفاً نستطيع أن نعدّ من تلاميذه ومريديه وخلفائه، سوى **الشيخ سليم خلف الحسيني الشهير بالوزان**، السادة المشايخ:

١- الشيخ خليل السقا (السمندراني).

٢- الشيخ سليم صافي. وولداه مصطفى وعبد السلام.

٣- الشيخ عبد اللطيف التلاوي.

٤- الشيخ يوسف المسدي وولده الشيخ أحمد مسدي.

٥- الشيخ محمد بن السيد عابد شمشم.

٦- الشيخ محمد بن عباس الوفائي.

٧- الشيخ سعيد الحسامي

٨- الشيخ محمد عبد الفتاح السباعي.

٩- الشيخ أحمد بن خالد شاهين.

وكل هؤلاء من علماء حمص الفضلاء؛ وبالطبع فإن أثر الشيخ ونفعه تجاوز هؤلاء بكثير، وبخاصة أنه كان خليفة المربي الكبير العارف الشهير مولانا خالد الحضرة، في حمص، وكانت دروسه في جامع التركمان في حمص لها الأثر الكبير، والوقع النافع في نفوس المستمعين والحاضرين من علماء وعامة، وحكام وأمراء؛ الذين كانوا يقصدون مجالس الشيخ للتبرك به والانتفاع بكلامه، فقد كان شيخ حمص الأول في وقته وزمانه، إلا أن المصادر لم تسعفنا بأسماء أعلام غير الذين ذكرناهم آنفاً.

١-١- الشيخ خليل السقا "السمندراني"

(...- ١٢٨٦ هـ) (...- ١٨٥٥ م)

أما الشيخ خليل السقا وكان يقال له (السمندراني) وسبب هذه التسمية أنه خرج من عند الشيخ الطوزقلي وجلس تحت السمندرة، وتسمّى في حمص (يوك) وهي فتحة في الجدار يضعون فيها حوائج البيت، ويوضع فوقها الفرش واللحف، ولم يخرج من البيت حتى مات، وكان من أهل المكاشفة، وكان الناس يزورونه في بيته، وكان يخبرهم بأمور مغيبة عنهم، فيقول لهم مثلاً: جاء فلان اذهبوا فاستقبلوه، فيكون مثلما قال. رحمه الله وأجزل ثوابه. اهـ عن الشيخ وصفي مسدي.

ومن كتاب (علماء وأعلام حمص في ظل الخلافة العثمانية) للمؤرخ محمد غازي حسين آغا الحمصي، كتب إليّ عن ترجمته ما يلي: الشيخ خليل بن الشيخ محمد السقا (خليفة الشيخ أحمد الطوزقلي قدس الله سره) ولد في مدينة حمص وهو العالم العامل والصوفي الزاهد العابد، لم يتوجه الشيخ خليل رحمه الله إلى الإرشاد ولكن تفرغ للعبادة وزهد في مباهج الدنيا وانشغل في توجهه إلى الحق سبحانه وتعالى، توفي سنة ١٢٨٦ هـ في حمص. وقبره ظاهر يزار. اهـ منه.

١-٢- الشيخ سليم صافي

(١٢٣١-١٢٩٧ هـ) (١٨١٥-١٨٧٩ م)

الشيخ سليم بن الشيخ نجيب صافي (**خليفة القطب الشيخ أحمد الطوزقلي قدس الله سره**):

ولد في مدينة حمص سنة ١٢٣١ هـ- ١٨١٥ م. العالم العامل والفقيه الصوفي الكامل والزاهد الورع، تلقى علومه الشرعية على والده أولاً ثم تلقى علوم اللغة العربية والفقه الحنفي على الشيخ عبد الستار الأتاسي المفتي، وعلى علماء حمص الأفاضل، ثم عهد إليه

الشيخ عبد الستار المفتي إلقاء الدرس العام الذي كان بعهدته في مسجد خالد بن الوليد ﷺ، فعرف مقدرته وضلوعه في العلوم الشرعية وتمكنه من قواعد اللغة العربية، ثم لازم مرشد الطريقة النقشبندية في زمانه الشيخ أحمد الطوزقلي في مجالسه العامة والخاصة، وتعمق في طلبه للعلوم الشرعية والتصوف على يديه حتى لقنه الطريقة النقشبندية العلية، فكان من خلفائه المقربين، وكان رحمه الله يسعى إلى مراعاة شؤون الفقراء والمحتاجين بكرم وسخاء، وكان شاعراً مجيداً وله العديد من القصائد في مدح الرسول الكريم ﷺ والاستغاثات منها قوله:

ببابك يا طه أنخـــت مطيـــتي فكن لي نصيراً يا أجـــلَّ البريـــةِ

ومنها:

فكن يا رسول الله عوناً ومنقـــذاً لعبدٍ (سليمٍ) القلب (صافي) المحبة

محب بحمص الشام يبكي تشوقاً إلى طيبة الفيحاء مأوى الأحبـــة

عليك صلاة الله ثم سلامـــه مدى الدَّهر ما ناح الحمام بأيكـــةِ

توفي في ٢١ ذي الحجة سنة ١٢٩٧ هـــ - ١٨٧٩ م. ودفن في مقبرة باب السباع وقبره ظاهر يزار [١].

وحدثني أستاذنا الشيخ وصفي مسدي عن هذا العالم الشهير، والصوفي الكبير فقال:

وأما الشيخ سليم صافي: فقد كان أبا الفقراء، إذ كان يحسن إليهم، ويعطف عليهم، ويتفقدهم، كما كانوا يلزمونه ويلتفون حوله، ويطلبون منه طعامهم وحاجاتهم، ولد هذا العالم الشهير والولي الكبير بحمص، ونشأ فيها وأخذ العلم عن شيوخها.

ومن أحواله: كانت زوجته تعطيه العجين ليأخذه إلى الفرن، فيعود بالخبز وما يصل منه إلى بيته شيء، فيوزعه على الفقراء وهو عائد إلى البيت حتى لا يبقى منه رغيف، فيعود بوعاء العجين فارغاً، وهكذا كان دأبه في حياته، ولم يكن له بيت ملك، وكان لآل الأتاسي بحمص ظن صالح به، فجمعوا له مبلغاً من المال ليشتروا له به بيتاً، ووضعوا هذا

---

[١] من كتاب (علماء حمص في ظل الخلافة العثمانية) قيد الإعداد للمؤرخ الحمصي محمد غازي حسين آغا.

المال عند ابن عمه الشيخ أحمد صافي، وأخبروه أنه قيمة دار له، ولما علم الشيخ سليم بذلك، صار كلما جاءه فقير يطلب منه طعاماً أو حاجة، يأخذ من هذا المالٰ المودَع لدى الشيخ أحمد صافي، ليرة أو ليرتين بقدر ما يسد حاجة الفقير السائل، فكان الفقراء يأتون إليه قائلين: شيخي صار لنا يومين لم نأكل، فيأخذ الشيخ سليم من الشيخ أحمد ليرة أو ليرتين، فيقـــــول له الشيخ أحمد لماذا الليرة والليرتان ؟ فيجيب الشيخ سليم: من أجل عربون (رعبون) الدار، وتكررت مطاليب الفقراء، وتكرر طلب الشيخ سليم من ابن عمه الشيخ أحمد وكاد نصف المبلغ المودَع لديه أن ينتهي، فقال له: يا شيخ سليم، هذا العمل لا يصح ! لقد أعطانا الجماعة (الأتاسية) هذا المبلغ من أجل شراء دار لك، وأنت تنفقه هكذا ! فقال الشيخ سليم مجيباً: هل جمعوا هذا المبلغ لي أم لك ؟ فقال له: بل لك. فقال الشيخ سليم: إذن ما هي علاقتك بتصرفي ؟! ولما لم ينته الشيخ سليم عن أخذ المال من ابن عمه وتوزيعه للفقراء، أخبر الشيخ أحمد الذين أعطوه المال بتصرف الشيخ سليم، وقال لهم: إنه لم يشتر داراً، بل أنفق المبلغ على الفقراء، وقد تجاوز الإنفاق نصف المبلغ، فقالوا للشيخ سليم: ما هذا الذي تعمل ياشيخ سليم ؟! فقال لهم: أليس قصدكم سترتي وسترة أولادي بشراء بيت ؟! فقالوا: بلى. فقال: والله إني الآن أشتري بيوت ! أنتم لكم نيتكم وأنا لي نيتي. فكفوا عنه عند ذلك.

وكان الشيخ سليم من أهل العلم والفضل، ولكن غلب عليه واشتهر عنه إحسانه للفقراء، والنظر في مصالحهم، وقد توفي منذ زمن ليس بالقليل توفي عام ١٢٩٨ هـــ، ١٨٨١م.

ومن مناقبه وأخلاقه: أنه عمل مرة ختم القرآن، وكان والده الشيخ أحمد صافي حاضراً، ودعا المشايخ للقراءة، وكانت العادة أن يبدأ ختم القرآن من بعد العصر وينتهي عند المغرب، وبعد الانتهاء من الختم يقدم طعام العشاء للحاضرين - كما هي العادة في حمص - وأوصى زوجته أن تطبخ (المحشي)، وحضر القراء للقراءة، فطرق الباب أحد الفقراء قائلاً: شيخي ما عندنا عشاء، فدخل الشيخ إلى زوجته قائلاً: يا أم أحمد، هاتي أربع أرغفة وأربع محشيات فأعطته. وبعد هنيهة جاء فقير آخر، فدخل الشيخ إلى زوجته

قائلاً: هاتِ رغيفين ومحشيتين. فأعطته، ولما كادت الطنجرة (وهي قِدْر الطعام) أن تنفذ قالت له زوجته: لم يبق إلا القليل، فماذا نقدم لضيوفك القراء ؟! فقال لها: خيرُ الله كثير. ولما لم يبق ولا محشية سوى المرق، قالت له: يا رجّال، لم يبق ولا محشية. فأجابها: ألا يوجد مرق ؟ قالت: بلى، فقال لها: نقدم لهم المرق، وصارت المرأة تتقلى من الغضب والأسف، ويظهر عليها الانزعاج، إذ كيف تقدم المرق للضيوف دون محشي ؟ فأذن المغرب وهي بهذا الحال من الغضب والأسف، والعَشَاءُ يقدم عادة بعد المغرب، ولكن الله سبحانه فرّج على المرأة الموقف، ووسع أيضاً على الشيخ الكريم، وأكرم أضيافه، فقد طرق الباب طارق ومعه رجلان يحملان صَدْرَين (أي طبقين) من الطعام؛ الأول مملوء بالأرز واللحم مما لذّ وطاب، والآخر مملوء بالفواكه والحلويات، وقال الرجل الطارق: هذا للشيخ سليم، فالتفت الشيخ إلى امرأته وقال لها: يا مبروكة ! ولو بقيت المحشيات ما جاء هذا الطعام ! أصلحي نيتك مع ربك يا امرأة.

يقول أستاذنا الشيخ وصفي: (هذا من كمال اليقين بالله، وهذا ما نفقده الآن) [(١)].

وجاء في كتاب (الطريقة النقشبندية وأعلامها لمحمد أحمد درنيقة) ما يلي:

٥٠- سليم بن نجيب صافي [(٢)]: ترجع أسرته إلى الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ولد بحمص ١٢٣٢ هـ ــ ١٨١٥ م، أخذ العلوم العربية والفقه عن الشيخ عبد الساتر الأتاسي في حمص آنذاك، كما سلك الطريقة النقشبندية على يد الشيخ أحمد الطوزقلي.

اشتهر سليم بزهده بمباهج الدنيا، وتفانيه في خدمة الفقراء والإهتمام بشؤونهم، والتسامح مع جميع أبناء مدينته، وكان يلقي دروس الوعظ والإرشاد في مسجد خالد بن الوليد في حمص توفي عام ١٢٩٨ هـ ــ ١٨٨١ م.

---

(١) وقد حدثنا بأخبار مولانا الطوزقلي وتلاميذه في بيته العامر في حمص يوم الخميس ٨ جمادى الأولى ١٤٢٠ هـ بحضور أخينا الشيخ ممدوح جنيد حفظهم الله.

(٢) ورد اسم أبيه هنا نجيب، وكذلك لدى أخينا محمد غازي والذي حدثنا به أستاذنا الشيخ وصفي أن اسم أبيه أحمد ولعله سهو فليحرر.

وأشار في الهامش إلى مصدر الترجمة عن (تاريخ حمص لمنير أسعد، الذي نشرته مطرانية حمص الأرثوذكسية عام ١٩٨٤ م، ص ٣٩٨، وأيضاً طهماز؛ محمد الحامد صْ ٢٠٦).

ونقل هذه الترجمة عن (محمد أحمد درنيقة) مؤلف كتاب (الطريقة النقشبندية وأعلامها)، محمد شريف الصواف في كتابه (دراسة عن التصوف والطريقة النقشبندية) المعد للطبع ص ٨٥ مع اختصار وتصرف.



وذكر الأستاذ المؤرخ محمد غازي حسين آغا في كتابه (علماء وأعلام حمص) من خلفاء مولانا الطوزقلي ولدي الشيخ سليم (مصطفى وعبد السلام) فكتب ما يلي:

١-٣- الشيخ مصطفى الصافي

(١٢٨١-١٣٣٥ هـ) (١٨٦٤-١٩١٦ م)

الشيخ مصطفى بن الشيخ سليم صافي. (خليفة والده، والشيخ سليم خلف قدس الله سره).

ولد في مدينة حمص سنة ١٢٨١ هـ، تلقى علومه الشرعية على والده العلامة والولي الزاهد (الشيخ سليم) وعلى عمه الشيخ عمر صافي، وبعد وفاة والده لازم الشيخ سليم خلف قدس الله سره، فقرأ عليه التفسير (الجلالين). وصحيح الإمام البخاري، وأجازه في الطريقة النقشبندية العلية وكتب له الإجازة بالسند المتصل. توفي نحو سنة ١٣٣٥ هـ.

١-٤- الشيخ عبد السلام صافي

(... - ١٣٠٥ هـ) (... - ١٨٨٧ م)

الشيخ عبد السلام بن الشيخ سليم صافي. (خليفة والده والشيخ أحمد طوزقلي قدس الله سره).

ولد في مدينة حمص تلقى علومه الشرعية على والده، وكان ينوب عنه في إلقاء بعض

دروسه في مساجد مدينة حمص، كما لازم مجالس الشيخ أحمد الطظقلي في جامع النخلة العمري (الوفائي)، ولقنه الذكر، وبعد وفاة الشيخ أحمد قدس الله سره أجازه والده بالطريقة النقشبندية العلية. وكان رحمه الله تعالى عالماً عاملاً وزاهداً وورعاً توفي سنة ١٣٠٥ هـ - ١٨٨٧ م.

١-٥- عبد اللطيف التلاوي

وأما الشيخ عبد اللطيف التلاوي: فلم أعثر لـــه على ترجمة سوى أنه مرّ ذكره في الدراسة الوثائقية عن حمص التي قدمناها بعنوان (شهادة من أهلها)، ولعل من عنده علم بأخباره يوافينا بها حتى نثبتها في ترجمته رحمه الله تعالى.

كما ذكر الشيخ محمد علي المراد الحموي في ثبته أن الشيخ عبد اللطيف من شيوخ جده الشيخ محمد سليم المراد، ولقد لقنه الطريق وأجازه كتابة، وقد أفادنا أستاذنا الشيخ وصفي مسدي أيضاً، بأنه من خلفاء الشيخ الطوزقلي.

١-٦- الشيخ يوسف المسدّي

الشيخ يوسف بن المرحوم الشيخ أحمد المسدي (خليفة الشيخ الطظقلي قدس سره).
أحد خلفاء الشيخ الطظقلي وأحد الشهود على وصيته المؤرخة في ٢٥ ذي الحجة سنة ١٢٦٧ هـ. (كما أفادني بهذا الاستاذ محمد غازي حسين آغا كتابة).

١-٧- الشيخ أحمد بن الشيخ يوسف المسدي

(١٢٦٦-١٣٥٤) (١٨٤٩-١٩٣٥ م)

ولده الشيخ أحمد بن الشيخ يوسف بن الشيخ أحمد المسدي النقشبندي. ولد في حمص (١٢٦٦هـ ١٨٤٩م). الإمام والمدرس في جامع القاسمي، أخذ الطريقة النقشبندية عن

والده ثم عن الشيخ أحمد الطظقلي قدس الله سره توفي سنة ١٣٥٤ هـ) [١]، وهو والد أستاذنا الشيخ وصفي مسدّي حفظه الله تعالى، وقد حدثني الشيخ وصفي عن والده فقال:

ولد هذا العالم الفاضل في حمص، في محرم عام ١٢٦٦ هـ الموافق ١٨٤٩ م، وعُمّر كثيراً وتوفي عام ١٣٥٤ هـ الموافق ١٩٣٥م، وأول ما تلقى الطريق النقشبندي كان عمره /١٥/ عاماً عن الشيخ أحمد الطوزقلي، ثم تلقى العلم عن مشايخ حمص وبالأخص منهم الشيخ محمد المحمود الأتاسي والشيخ عبد الستار الأتاسي وكان محدثاً، وكان أكثر مواظبته عند الشيخ محمد المحمود الذي زوجه ابنته، وكان الشيخ سليم خلف زميله بالطريق، وكان الشيخ سليم أكبر سناً من الشيخ المسدّي.

صلة الشيخ المسدّي بالشيخ سليم الخلف: وكانت للشيخ أحمد دالةً على الشيخ سليم، حيث إنه زميله في الطريق لدى الشيخ الطوزقلي، ويوم أن خرج علماء حمص للاستسقاء مع عامة أهل حمص قال الشيخ أحمد للشيخ سليم: قم فاستسق للناس، فالناس كلهم ينتظرونك. فخرجوا ناحية الميدان شرقي حمص، وكانت برية ليس فيها بناء، فأرسل الله سبحانه السماء مدراراً، وأسلم في هذا اليوم جماعة من نصارى حمص، شهدوا الاستسقاء، وإجابةَ الله سبحانه وتعالى للدعاء، وكان هذا عام ١٣١٥ هـ الموافق ١٨٩٧م، (كما سنذكره مفصلاً في ترجمة الشيخ سليم في بحث أحواله المباركة)، ولما خرج الناس إلى الميدان لم يكن في السماء قزعة (قطعة) غيم، فما رجعوا إلا وسقوا، وقد التجأ الشيخ سليم إلى الله وقال: يارب لا تُخيِّبْ هذه الشيبة، لقد استجبت لفرعون، فما انتهت القضية حتى سقوا وغرقوا بالمطر.

وكان والدي (والكلام للشيخ وصفي مسدي) من أهل العلم العاملين بتعبير الرؤيا، فكان لا مثيل له في تعبيرها، وكان كثير من النصارى يأتونه لتعبير رؤاهم، حيث كانوا يجاوروننا في الحي.

---

[١] ترجمة الشيخ يوسف وولده أحمد المذكورة أعلاه من كتاب (علماء وأعلام حمص في ظل الخلافة العثمانية) للأستاذ المؤرخ محمد غازي حسين آغا.

تعبيره للرؤيا: ومن جملة تعبيراته؛ رؤيا رآها رجل نصراني يقال له (معلم السلطان) وقد كان ماهراً في فن العمارة، ومتمرساً فيها، وكانت الحكومة تعتمده في أمور البناء، وقد تمت عمارة وتجديد مسجد سيدنا خالد بن الوليد تحت إشرافه وهندسته، وذات يوم جاء إلى والدي مبكراً ملهوفاً وقال له: دخيلك يا شيخي ! فقال له والدي: مالك ؟ فقال: رأيت في منامي بأن أسناني كلها سقطت وحملتها في يدي، وقال أهلي أنني سأموت، دخيلك هل هذا صحيح ؟ فقال له والدي مطمئناً، مازحاً: بالنصّ، (أي ما ستكسبه من تأويل الرؤيا بيني وبينك مناصفة، والنص بالعامية تعني النصف)، فقال المعلم: شو بالنص ؟ فقال الوالد: سيأتيك رزق من غير احتساب يملأ كفيك. فاطمأن النصراني وانصرف، وإذ به يأتي إلى الوالد بعد يومين ليقول له: يا شيخي لقد تفسر المنام ! فقال الوالد: كيف ؟ قال: كنت من يومين في باب السباع (وهي محلة في حمص)، وكان هناك عمال يهدمون بيتاً، وكان فيه جدارٌ يوشك أن ينقضّ ساقطاً، فصحت في العمال حالاً: اخرجوا سريعاً، فخرجوا وسقط الجدار، وخرجوا سالمين، فأكرموني وملأوا كفي بالمصاري (المال).

أقول: ولم يقاسم **والدُ شيخنا الرجلَ النصرانيَّ** في ماله، بل كانت مداعبة وتطميناً له بطول عمره.

يقول أستاذنا الشيخ وصفي: فأردت أن أقوم مرة بدوره - مفسراً للمنامات - إذ جاءني رجل يقول: رأيت في منامي أنني غيرت دكاني، وأعمل قصاباً، وأذبح أولاداً وأعلقهم من أرجلهم، فما تفسير هذه الرؤيا ؟! فقلتُ (أي الشيخ وصفي): لماذا أسأل والدي، وقد كان مريضاً في آخر عمره ؟ فتناولت كتابه الذي خطه بيده في تفسير الرؤيا، وبحثت عن تعبير هذه الرؤيا فلم أجدها في كتابه، ولم أستطع ان أفسرها، فلجأت إلى والدي في تفسيرها وقصصتها عليه، وقلت: إن فلاناً رأى هذه الرؤيا، فقال: بشرّه، بشرّه، إن عليه دعوى في المحكمة، وقريباً سيُبرّأ منها، فبشرْهُ. ثم ذهبت للمسجد لأصلي فيه إماماً بدل والدي، وإذا بالرائي ينتظرني، فقال لي: ما تفسير رؤياي ؟، فقلت له ما قال لي أبي: إن لك قضية عند الحكومة وسيبرؤك الله منها قريباً، فقال لي آسفاً: من أين أُبرَّأ ؟ لقد

وضعت للقضية أكثر من محام، وكلهم يقولون لي: تقديرنا ٩٠ بالمئة أنك ستخسر الدعوى ويحكم عليك، لأن سير الدعوى ضدك، ومع ذلك سنرى، فإن الجلسة القادمة بعد أسبوع. ولما مضى الأسبوع رآني هاشّاً باشّاً وقال لي: لقد تبرأت والحمد لله.

يقول أستاذنا الشيخ وصفي: إن تعبير الرؤيا علم قائم بذاته، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إبراهيم وَإِسْحَقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (٦: يوسف).

وقد توفي والدي وأنا صغير السن (في طلب العلم) وكان عمري /١٨/ عاماً، وكنت أدرس في المدرسة الشرعية بحمص، وكان هذا عام ١٩٣٥، في محرم ١٣٥٤ هـ، ومن عجائب التقادير أنه ولد في محرم ١٢٦٦ هـ، وتزوج في محرم، وذهب جندياً في الحرب العامة الأولى في محرم، وتوفي في أول محرم، رحمه الله وأجزل مثوبته.

١-٨- الشيخ محمد بن عابد شمشم

(...- ١٢٩٥هـ) (...- ١٨٦٤م)

وأما الشيخ محمد عابد شمشم، فقد ورد ذكره أنه كان وكيلاً لمولانا الشيخ أحمد الطوزقلي، وذلك في وثيقة الوقف الذي أوقفه الشيخ الطوزقلي على نسائه الأربع، والتي مر ذكرها في المبحث السابق بعنوان: (شهادة من أهلها).

وقد جاء في هذه الوثيقة أن فخر الصلحاء المكرمين الشيخ محمد بن المرحوم السيد عابد شمشم كان وكيلاً شرعياً عن فخر العلماء وعمدة الأتقياء والصلحاء الفخام السيد الشيخ أحمد الطوظقلي شيخ الطريقة النقشبندية في حمص حالاً، وذلك بتاريخ ٢٥ ذي الحجة ١٢٦٧ هـ (١٨٥٤)، ثم سلَّم الشيخ الطوظقلي الوقف لتلميذه وخليفته الشيخ سليم بن خلف الوزان وجعله شريكاً مع وكيله الشيخ محمد عابد شمشم.

وذكرت الوثيقة أيضاً أن الشيخ الطوزقلي لم ينجب ذكوراً بل خلف أربع بنات هن

السيدة خديجة، والسيدة زينب، والسيدة آمنة، والسيدة رقيَّة.

وكتب إليّ المؤرخ الأستاذ محمد غازي حسين آغا عن ترجمته من (كتابه علماء وأعلام حمص) مايلي:

- الشيخ محمد بن عابد شمشم. (خليفة الشيخ أحمد الطظقلي قدس الله سره)

ولد في مدينة حمص وهو من العلماء العاملين الذين تخرجوا من مدرسة الشيخ أحمد الطظقلي قدس الله سره، والشيخ محمد المذكور من أسرة عريقة في مدينة حمص، وكان متولياً شرعياً على أوقاف أسرته داخل مدينة حمص القديمة وخارجها نظراً لصدقه وورعه.

وقد عيَّنه شيخه ومرشده الشيخ أحمد الطظقلي قدس الله سره وكيلاً شرعياً على تنفيذ وصيته المؤرخة في ٢٥ ذي الحجة سنة ١٢٦٧ هـ. توفي نحو سنة ١٢٩٥هـ. اهـ منه.

١-٩- الشيخ محمد بن عباس الوفائي

(...- ١٣١٣ هـ) (...- ١٨٩٥ م)

الشيخ محمد بن عباس الوفائي. (خليفة الشيخ أحمد الطوزقلي قدس الله سره).

ولد في مدينة حمص، وتلقى علومه ومعارفه في مدرسة جده في جامع النخلة "العمري" على والده وعلماء أسرته، ثم على المرشد الكامل الشيخ أحمد قدس الله سره في المدرسة المذكورة وحلقاته الخاصة. وكان المتولي الشرعي على وقف المدرسة والجامع توفي في ١٨ ربيع الثاني سنة ١٣١٣ هـ.

١-١٠- الشيخ سعيد الحسامي

(...- ١٣١٩ هـ) (...- ١٩٠١ م)

الشيخ سعيد بن صالح حسام الدين (الحسامي). (خليفة الشيخ أحمد الطوزقلي قدس الله سره).

العالم والصوفي الجليل من الذين عرفتهم مدينة حمص، لازم الشيخ أحمد في مجالسه وحلقات تدريسه، توفي سنة ١٣١٩ هـ.

١-١١- الشيخ محمد عبد الفتاح السباعي

(١٢٥٧ - ١٣٢٠هـ) (١٩٠٢ م)

الشيخ محمد عبد الفتاح بن الشيخ عبد الفتاح السباعي. (خليفة الشيخ أحمد الطوزقلي قدس الله سره).

ولد في مدينة حمص سنة ١٢٥٧ هـ، توجه إلى طلب العلوم الشرعية على والده العالم الشهير، ثم على علماء أسرته وما أكثرهم في زمانه. ثم على الشيخ أحمد طوزقلي قدس الله سره. توفي نحو سنة ١٣٢٠ هـ.

١-١٢- الشيخ أحمد بن خالد شاهين

توفي بعد ١٢٦٧هـ

الشيخ أحمد بن خالد شاهين، (خليفة الشيخ أحمد الطوزقلي قدس الله سره).

من العلماء العاملين الذين تخرجوا من مدرسة الشيخ أحمد الطوزقلي قدس الله سره. وكان متولياً شرعيا على أوقاف أسرته التابعة لوقف جامع الزاوية باطن مدينة حمص، وهو أحد الشهود على وصية شيخه أحمد الطوزقلي قدس الله سره المؤرخة في ٢٥ ذي الحجة سنة ١٢٦٧ هـ [1].

❁ ❁ ❁

---

[1] كتب إلي بتراجم هؤلاء الأعلام الأربعة من (٩ - ١٢) الأستاذ المؤرخ محمد غازي حسين آغا نقلاً عن كتابه المعد للطبع (علماء وأعلام حمص في ظل الخلافة العثمانية)، بعد زيارةٍ له في حمص في رجب ١٤٢٤ هـ أيلول ٢٠٠٣م جزاه الله خيراً.

المبحث الثالث

كرامات مولانا الشيخ أحمد الطوزقلي ومكارمه

كان ولا زال غالب الأولياء يخفون كراماتهم إلا إذا تطلّب الحال إظهارها وإفشاءها، تقوية لحال مريد، أو ردًّا لجحود معاند، أو تأييداً لمؤمن ضعيف استنجد بهم وطلب نصرتهم، أو تعزيزاً ونصرة لهذا الدين إن اقتضى الأمر النصرةَ والعزّةَ، وهم في ذلك كله ينسبون الأمر لله سبحانه، ويردون الكرامة للمكرِم جلّت قدره، وما أثر عن واحد منهم أنه نسبها لنفسه، أو عزاها لقوته وإرادته، بل حاشاهم جميعاً أن يكونوا كذلك.

ولما كانت الأمور تقتضي هذا الإظهار - أعني إظهار الكرامة - لما ذكرنا من تقوية حال المريد أو الإستجابة لنصرة الضعيف... إلخ، فقد كانت كرامات رجال هذه السلسلة المباركة مما لا يحصيها العد، ولكن ذكر بعضها فيه إيناس للمؤمن، وتقوية لهمة المريد، وإعلاء لشعائر الدين: ﴿ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب﴾.

وقد كانت حياة هؤلاء الربّانيين الأفذاذ كلها كرامات؛ إذ أنهم وقفوا حياتهم وعلمهم وهمتهم لنصرة هذا الدين وإعلاء كلمته، ولا همَّ لهم إلا إرشاد الخلق إلى الحق، ونصحهم وتقوية إيمانهم في زمن ضعفت فيه رابطة الناس بربهم، فكان وجودهم بينهم ووقوفهم أمام تيارات الإنحلال والتجرد من الإسلام، وصبرهم وثباتهم على الحق من أعظم الكرامات.

ولا بأس بأن نذكر بعضاً من كرامات هذا الولي الكبير، والعارف الشهير، العالم الرباني مولانا أحمد الطوزقلي، فبالإضافة إلى ما ذكرناه عن شيخنا وصفي المسدي نقلاً عن والده وكيف كاشف الشيخُ خادمَ المسجد بابقاء الفتى (أحمد المسدي) في مكانه ولو كان القادم

أميراً خطيراً، نذكر هنا ما حدَّث به الرجل الصالح الحاج أحمد ويس الذي كان مديراً للختم النقشبندي في الجامع النوري الكبير في حمص رحمه الله تعالى، وقد حدَّث بهذه الكرامات لأخينا السيد صالح حسن الطه من (قرية الشيخ عيسى) وهو من أحباب شيخنا عبد الباسط، وقد أمره شيخنا بتدوينها، فدونها بعدما سمعها منه عام ١٩٧٨م، وكتبها لي حفظه الله تعالى.

قال الحاج أحمد ويس:

١- كان الشيخ الطوزقلي في الحج فرأى في منامه (الحقَّ سبحانه وتعالى)، وكان الشيخ سليم في حمص فرأى الرسول الأعظم ﷺ في منامه، ولما عاد من الحجاز جاء الشيخ سليم للسلام على شيخه فقال الشيخ لتلميذه سليم: نُهنِّئُك برؤية الرسول الأعظم ﷺ (في منامك)، فأجابه التلميذ النجيب: ونحن نهنئِّك برؤية الحق جلَّ جلاله (في منامك).

أقول: انظر إلى قوة الرابطة بين الشيخ والتلميذ، وبركة هذه الحال العظيمة السارية بين قلبيهما، رزقنا الله سبحانه صدق الوجهة وبركة المحبة.

٢- وفي حجه هذا أو غيره، وهم في الطريق، وكان الطريق إلى الحج براً يقطع الناس فيها الصحراء، وقد يمرون بالمهالك، ونفد منهم ما تزودوا به من ماء فقال إخوان الشيخ الطوزقلي له: لقد نفد ما عندنا من ماء للشرب، والطريق طويل والماء بعيد.. فقال لهم: أعطوني وعاءً (تنكة) فأعطوه، فمد يده، وغرف وملأها لهم، فقالوا له: من أين هذا الماء يا سيدي ؟! فقال لهم: من العاصي، من حمص، من الميماس !

٣- وكان الشيخ رحمه الله وقدس روحه راكباً بالقطار مع إخوانه يقصد زيارة بعض أحبابه وأعلم قائد القطار بالمكان الذي يريد النزول به، فرد قائد القطار؛ بأنه لا يوجد بذلك المكان موقف للقطار، فتوقف القطار في الحال؛ ولما تعذر عليهم إصلاحه وما أمكن السير، قال بعض الركاب لجماعة قيادة القطار: إن هذا التوقف بسبب أنكم أغضبتم الشيخ الطوزقلي وجماعته، فارضوهم لعل الأمر يتيسر... فجاء قائد القطار إلى الشيخ معتذراً متأسفاً. فقال الشيخ له: امش ! فمشى القطار في الحال. ولما وصلوا إلى المكان الذي يريدون النزول فيه، ضرب الشيخ الأرض برجله وقال: قفْ هنا ! فوقف القطار

في الحال، ونزل الشيخ وجماعته.. رضي الله عنهم أجمعين.

وفاة الشيخ وقبره في حمص:

ولما قضت إرادة الله سبحانه بانتقال هذا العالم الرباني، والوارث المحمدي للرفيق الأعلى، توفي رحمه الله تعالى وقدس روحه بحمص عام ١٢٨٥ هـ، ١٨٦٧ م، ودفن في حمص في مقبرة الكثيب، وأخبرني من كان معي أن في هذه المقبرة سبعة عشر صحابياً رضي الله عنهم.

وقد زرت المقبرة وقبر الشيخ رحمه الله تعالى عام ١٤٢٠ هـ، ٢٠٠٠ م، ووقفت على قبره المبارك ووجدت مكتوباً عليه هذه الأبيات:

أمَّ الطوزقلي أحمدا ... غوث الدخيل ومُسْعِفَهْ

وتوسَّلَنْ به لمن ... أَوْلاه لُبَّ المعرفهْ

وقُدس دائرة القضا ... كم بالرضا قد أَتْحفَهْ

قضى وقد زانه الرضا ... بفقده، أرّخ غُرَّته

= ١٢٨٥ هـ

رحمه الله تعالى ونور ضريحه. آمين.

ملحوظة:

من العجيب أن الدكتور محمد أحمد درنيقة الذي ألف كتاب (الطريقة النقشبندية وأعلامها) ونشره منذ عام ١٤٠٧ هـ، وذكر فيه أعلام هذه الطريقة حسب الأحرف الأبجدية، لم يذكر ترجمة لمولانا الطوزقلي، وقد ذَكَرَ مَن دُونه، وإنما ذكر في هامش ترجمة مولانا سليم خلف عند ذكر شيخه الطوزقلي ما يلي: [أحد خلفاء الشيخ خالد النقشبندي؛ تخرج بصحبته عدد من مشايخ حمص بالإضافة إلى محمد سليم، منهم: سليم صافي، عبد اللطيف التلاوي، (راجع طهماز، محمد الحامد ص ٢٠٥)].

وهذا يعني أنه اطلع على ترجمة الشيخ محمد الحامد التي أعدها تلميذه الشيخ عبد الحميد

طهماز الحموي، وقد ذكر الشيخ عبد الحميد ترجمة الشيخ الطوزقلي ونصّ الإجازة التي أجاز بها لخليفته الشيخ محمد سليم خلف.

وسار على نهجه محمد شريف الصواف في كتابه (دراسة عن التصوف والطريقة النقشبندية) الذي أخذ معظم تراجم كتابه (المعد للطبع) من كتاب الدكتور درنيقة، ولكنه رتبهم على حسب سنة الوفاة، وهذا الترتيب أجود وأفضل، لكنه لم يترجم للطوزقلي، بل ذكره في ترجمة الشيخ سليم صافي والشيخ سليم خلف على أنه شيخهما ومن خلفاء مولانا خالد نقلاً عن (د. درنيقة).

الفصل الثاني

الشيخ سليم الخلف وخلفاؤه ومريدوه

١- الشيخ عبد الهادي الوفائي (الحمصي) المتوفى ١٣٢٨هـ

٢- الشيخ أحمد الفاخوري (الحمصي) المتوفى ١٣٣٤ هـ

٣- الشيخ محمد طاهر حسين آغا (الحمصي) المتوفى ١٣٣٨هـ

٤- الشيخ عبد الغفار عيون السود (الحمصي) المتوفى ١٣٤٩هـ

٥- الشيخ بدر الدين الحسني (الدمشقي) المتوفى ١٣٥٤هـ

٦- الشيخ محمد أمين سويد (الدمشقي) المتوفى ١٣٥٥ هـ

٧- الشيخ عبد القادر القصاب (الدير عطاني) المتوفى ١٣٦٠هـ

٨- الشيخ مصطفى الأحمد السباعي (الحمصي) المتوفى ١٣٧٠هـ

٩- الشيخ حسين الخطيب (الطيباني) المتوفى ١٣٧١هـ

١٠- الشيخ شاكر الحمصي (المصري) المتوفى ١٣٧١هـ

١١- الشيخ محمود السباعي (الحمصي) المتوفى ١٣٧٣هـ

١٢- الشيخ راغب الدويري (الحمصي) المتوفى ١٣٧٦هـ

١٣- الشيخ محمد سعيد آغا المكناسي (الحمصي) المتوفى ١٣٧٨هـ

١٤- الشيخ محمد خضر بن صالح مشعل (تلدو) الحمصي المتوفى١٣٨٠هـ

١٥- الشيخ بشير الدحدوح (الحلبي) المتوفى ١٣٨٠هـ

١٦- الشيخ قاسم التلمنسي (المعري) المتوفى ١٣٨٠هـ

١٧- الشيخ سعيد محمد الجابي السباعي (الحمصي) المتوفى ١٣٨١هـ

١٨- الشيخ أحمد بركات (التلاوي) المتوفى ١٤٠٠هـ

١٩- الشيخ عبد الجليل المراد (الحمصي) المتوفى ١٤٠٠هـ

٢٠- الشيخ حافظ بن الشيخ الخطيب (الطيباني) المتوفى ١٤٠٩هـ

٢١- الشيخ أسعد الجندي (الحمصي)

٢٢- الشيخ نجيب عيون السود (الحمصي)

٢٣- الشيخ عارف الأتاسي (الحمصي)

٢٤- الشيخ محمود حمادة (الحمصي)

المبحث الأول

مولانا الشيخ محمد سليم بن السيد خلف الجندي الحسيني

النقشبندي الحمصي، رحمه الله وقدّس سرّه

(١٢٣٢- ١٣٢٨هـ) (١٨١٦-١٩١٠م)

نشأته وولادته:

ولد رحمه الله ونوّر ضريحه في مدينة حمص المحروسة سنة ١٢٣٢ هـ، ١٨١٦م، ونشأ في حجر والده الذي كان يحبه ويرعاه أعظم حبّ، إذ أنه الولد الذكر الوحيد لوالديه، وكان منذ صغره في حجر مولانا المرشد الكامل الشيخ أحمد الطوزقلي رحمه الله، حيث كان والده السيد خلف الجندي مريداً وملازماً للشيخ، يصحبه منذ نعومة أظفاره إلى مجالس شيخه الطوزقلي، والشيخ يضعه في حجره، ويباركه ويدعو له ويعتني به.

فنشأ رحمه الله متحلياً بالأخلاق والآداب الإسلامية، والفضائل المحمدية، تشع عليه أنوار جدّه المصطفى ﷺ من حيث النسب، وألحاظ شيخه الطوزقلي من حيث الأدب.

شيوخه:

ولما صار أهلاً لتلقي مبادئ القراءة والكتابة وقراءة القرآن التي تُعلِّمُها كتاتيب حمص، وبلغ أشدّهُ، وصار يتلقى أمثاله العلم، وينهلون من موارده، أخذ العلم على كثير من الشيوخ من فضلاء وقته وأهل بلده، (ولا سيما على الشيخ الجليل الكبير علامة حمص؛ الشيخ جمال الدين الجمالي، وهو جد الشيخ جمال الدين الذي كان خطيب الجامع الكبير في حمص، وألقى به والده إلى الشيخ أحمد الطوزقلي رحمه الله تعالى، فكان له خير مرشد ومرب) [1].

---

(١) المحامد ص ٢٠٥.

وقد ذكر مولانا سليم قدس سره جملة من شيوخه في العلم والطريق في إحدى إجازاته بالعلم والطريق إلى تلميذه، وأحد خلفائه الشيخ حسين الخطيب الطيباني، وأثبْتَ نصَ الإجازة في كتابه المفيد: (الدر اللطيف في فضائل الختم الشريف)، وسنوردها بتمامها إن شاء الله في فصل (**مريدوه وتلامذته من العلماء**) عند الكلام على تلميذه الشيخ حسين المذكور.

وقد ذكر مولانا سليم أن أول شيوخه وأجلهم أدباً من أخذَ عنه العلم والطريقة:

١- (فخر حمص سيدي الشيخ أحمد بن محمد الطوزقلي عليه الرحمة والرضا. ومنهم:

٢- القطب العارف والمرشد بعد أخيه الشيخ محمود أفندي الصاحب، (أخو مولانا خالد الحضرة)... ومنهم:

٣- العلامة النحرير والحَبْر المدقق الشهير الشيخ أحمد بن سليمان الأروادي [1]. ومنهم:

٤- العالم الورع، والولي بلا نزاع الشيخ عبد الفتاح الكردي، رحمه الله تعالى.

وكل فرد من هؤلاء الأجلاء، قد تلقى الطريقة والعلوم، وتحلى بعقود المنطوق والمفهوم ممن جدّد ما اندرس من رسوم الطريقة، وأظهر ما بطن من معارف الحقيقة، سيدي حضرة العالم العامل والموصل الواصل، ذو القرب من حضرة الحق المتداني، سندي الشيخ خالد المجددي العثماني، الملقب بضياء الدين، عليه الرحمة والرضا من رب العالمين.

وممن أخذت عنه أيضاً العلوم الشريفة وأجازني بمروياته المنيفة حضرة العالم الفاضل، واللوذعي الكامل، الجامع بين الطريقة والحقيقة، والمتحلي بشريعة سيد الخليقة، والمستغرق الليل والنهار في مراقبة الملك الجبار، دمشقي الدار:

٥- سيدي الشيخ عبد القادر الخطيب العطار.

وغير هؤلاء ممن ثبتت روايته، واتضحت محجته ودرايته، رضي الله عنهم أجمعين، وجعل مقامهم في أعلى عليين، آمين) [2].

---

[1] وقد ذكر أن الشيخ الأروادي من أوائل شيوخه هو والشيخ عبد القادر الخطيب، وذلك في إجازته بالعلم والطريق لتلميذه الشيخ محمد سعيد أفندي الأنيس بن حسين آغا المكناسي، كما سنثبتها عند الكلام على ترجمته فيما بعد، فراجعها.

[2] الدر اللطيف ص ١٩٠.

٦- ومن شيوخه العالم الفقيه بن العالم الفقيه الشيخ محمد علاء الدين بن عابدين، ابن العالم الشيخ محمد أمين عابدين الدمشقي الحنفي، صاحب الحاشية الشهيرة (بابن عابدين) المتوفى سنة ١٢٥٧ هـ، حيث تلقى عنه الحديث وأجازه به [١].

وقد توسم الشيخ الطوزقلي فيه أهلية الإرشاد بعد العلم والسلوك، فأجازه وكتب له بذلك إجازة كما مرّ في الفصل السابق، وكان عمره حين الإجازة ثمانية عشر عاماً، كما أخبرنا بذلك سيدي الشيخ عبد الباسط رحمه الله تعالى.

أخلاقه وشمائله:

وكان قدس سره، عالي الهمّة، قوي النفس، ذا إرادة وتوجه عظيم، يشتغل طيلة وقته بالذكر، وقد لقنه شيخه الطوزقلي الذكر الخفي بلفظ الجلالة (الله) ولمّا يتجاوز الخامسة عشرة من عمره، كما حدثنا بذلك الشيخ عبد الباسط رحمه الله تعالى.

ثم لقنه الذكر بالنفي والإثبات (لا إله إلا الله) بعد ذلك، ومما سنعرض بعد قليل من قطوف سيرته المباركة التي أوردها تلامذته وخلفاؤه، تتضح لنا أحواله الشريفة، وأقواله المنيفة، التي تدل على علو همته، وعظيم منزلته، وكمال أحواله، وقوة شخصيته، وجلالة قدره.

وكان معتَقَداً لدى الكافة من أهل حمص؛ مسلميها ونصاراها، ومحل ثقتهم وحبهم، ورغم اشتغاله بالعلم والإرشاد، فقد كان له دكان في سوق حمص، بجانب الجامع الكبير - كعادة السلف من العلماء - يعمل فيها عقاداً للحرير، حيث كانت حمص مشتهرة فيه، وكان (ميزانه) هو المعوَّلُ عليه لدى أهل حمص لكل من يعمل في الحرير، ومن هنا جاءته شهرة (الوزان)، وجاءه مرة رجل مع زوجته من نصارى حمص ليشتري حريراً أو يزنه، وكان الشيخ آنذاك يذكر بالنفي والإثبات، فلما قال (الله) من جملة (لا إله إلا الله) وذلك بقلبه، توجه بلفظ الجلالة إلى قلب الواقف أمامه، وهي المرأة، فنطقت حالاً بالشهادة: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وأعلنت إسلامها، فلما أنكر زوجها

---

[١] كما في كتاب الأربعين البلدانية للفاداني، ص ٣٦، ط: البشائر، الطبعة الثانية، ١٤٠٧ هـ، بيروت.

صنيعها، قالت له: أبعد عني يا عدو الله..، وكررت الشهادة رغم إنكار زوجها. اهـ [1].

ولم يكن عمله التجاري ليشغله عن العلم والتدريس، والإرشاد وتوجيه القلوب إلى علام الغيوب سبحانه، فقد كانت دروسه في الجامع الكبير في حمص لكافة الناس الذين يرتادون مجالس العلم، أما خاصة تلامذته فكان يقرأ لهم مختلف العلوم من تفسير وفقه وأصول وتصوف، كما كان يقرأ لخاصة طلابه ومريديه في التصوف (الفتوحات المكية) لابن عربي، ويحضرها أكابر تلامذته؛ كالشيخ أبي النصر - ولده - والشيخ حسين الخطيب الطيباني، والشيخ شاكر الحمصي، والشيخ محمد سعيد حسين آغا، وأمثالهم.

وسنستعرض فيما يلي من المباحث سيرته الطيبة، حسبما وصلنا من أخباره التي تظهر فضله، وآثاره في تلامذته ومريديه الكرام من علماء وعامة، ونرى فيها علو منـــزلة الشيخ وطيّب آثاره، وبركات تزكيته وتربيته، فنعلم أي عالم رباني كان مولانا سليم قدس سره الكريم.

---

[1] حدثنا بهذا شيخنا عبد الباسط، ودونته في مسودة ترجمة الشيخ عام ١٣٩٩ هـ، كما حدثني بذلك أيضاً الأستاذ الشيخ وصفي مسدي عام ١٤٢٠.

من درر كلام مولانا سليم وسديد أقواله:

وقد اعتنى تلميذاه النجيبان، الشيخ شاكر الحمصي، والشيخ حسين الطيباني بإبراز بعض درر كلامه وسديد أقواله.

الأول: الشيخ شاكر الحمصي في كتابه التفسير المسمى (المنح الفاخرة في معالم الآخرة).

والثاني: الشيخ حسين الطيباني في كتابه (الدر اللطيف)، ومنهما ننقل بعض أقوال سيدنا سليم الخلف، وبعض أحواله:

فأولاً: نأخذ بعضاً مما دونه تلميذه العلامة الشيخ شاكر الحمصي، وذكره في تفسيره الموسوم بـــ (المنح الفاخرة في معالم الآخرة):

- قال عند تفسير قوله تعالى: ﴿صِبْغَةَ اللّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدونَ﴾ (١٣٨: البقرة).

قال الشيخ شاكر: وتلك الأرواح المخصوصة بهذه الصبغة هي التي أخرج الله لطائفها الذرية من ظهر آدم بيضاً كالدرر كما في الحديث، وكثيراً ما كان سيدي الشيخ سليم الخلف قدس الله سره الكريم يشير إلى هذا النور المبدئي بقوله: (لو كشف عن نور المؤمن العاصي لأطبق ما بين السماء والأرض). اهـــ ج١ ص١٨٠.

- وقال عند قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُواْ إِذَا مَا اتَّقَواْ وَّآمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَواْ وَّآمَنُواْ ثُمَّ اتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٩٣: المائدة).

قال: وقد حدثني سيدي الشيخ محمد سليم الخلف الحمصي أنَّ لله أحباباً لا يأكلون مالم يقل لهم بحياتي عليك كل، ولا يشربون مالم يقل لهم بحياتي عليك اشرب، ولا ينامون مالم يقل لهم بحياتي عليك نم، وكثيراً ما كان يدعو الله لنا بقوله: اللهم يا رب كل شيء بقدرتك على كل شيء اغفر لنا كل شيء ولا تسألنا عن شيء، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. اهـــ ج١ص٣٣٦.

– وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ﴾ (٧٤: الأنعام).

قال: ورحم الله أستاذي الشيخ محمد سليم خلف الحمصي كم كان ينصحني بقول: (ما فاز من فاز إلا بالأدب، وماسقط من سقط إلا بترك الأدب). اهـ ج١ص٣٧٨.

– وقال في تفسير سورة الأعراف: قال لي أستاذي مربي السالكين بقية السلف الصالح الشيخ محمد سليم الخلف الحمصي رحمه الله: كل واقعة لم تكن بحضرة روحانية السيد الأعظم لا يعتدُّ بها.

– وقال لي: إنَّ بعض الكفرة قد يتوصلون بالرياضة البدنية إلى اكتشاف بعض الجهات، قال: ولكن لا تكتمل دوائرهم. اهـ ج١ ص٤٢٨.

– وقال في تفسير سورة يونس: قال سيدي سليم الخلف: لو تجلى الله في الآخرة على قلب العارف في اللحظة الواحدة بمئة ألف تجلّ لا يدع له تجلياً يشبه الآخر، ليظل محتاراً بعظمة الله تعالى. اهـ ج١ص٥١٣.

– وقال في تفسير سورة الرعد تحت قوله تعالى: ﴿اللّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا... ﴾ (٢: الرعد).

قال المفسر: فتكون رجال هذه الرؤية العظيمة على قسمين: الأول ويختص به أرباب اللطائف الذين أطلق الله سراح لطائفهم الروحانية من قفص التقييد فأصبح أحدهم عرشياً فرشياً. كذا حدثني أستاذي الشيخ محمد سليم خلف الحمصي رحمه الله تعالى. وهؤلاء لدى سير لطائفهم لمعالم القدس يرون بعين بصائرهم أثناء عروجهم أن الله خلق السموات بغير عمدٍ. اهـ ج١ ص٦٠١.

– وقال في تفسير قوله تعالى في سورة الكهف: ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ (١٠٤: الكهف). قال: قال لي سيدي محمد سليم الخلف قدس سره: آية في كتاب الله أتخوف منها جداً. فسألته ما هي ؟ قال: قوله تعالى: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا..﴾ (٨: فاطر) اهـ ج١ ص٧٨٥.

- وعند قوله تعالى في سورة طه: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ (١١٠: طه).

قال: قال سيدي محمد سليم الخلف زاده الله شرفاً على شرف: لو تجلى على أحدهم في كل لحظة بمئة ألف تجلٍّ لا يدع لهم تجلياً يشبه الآخر، ليظلوا محتارين في جلال عظمته تعالى. ج٢ص٨٤٢.

- وعند قوله تعالى في سورة النور: ﴿... يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ...﴾ (٣٥: النور).

قال: وبما أن قوة نور القلب وسعته تتبع مرتبة إخلاصه بنيته وآداب طويته، لذلك كان فوق كل ذي علم عليم، وكان منهم من تكون دائرة مشكاته من حوله بضعة أذرع ويسمى عند العارفين: قطب نفسه، ومنهم من يحيط مشكاته ببلده ويسمونه قطباً على بلد، ومنهم من يحيط نور مشكاته بقطره، ويسمى قطباً على قطر، ومنهم من يحيط نور مشكاته بسائر الكرة الأرضية، ويسمونه قطب الدائرة، ويشير لهذا قول سيدنا عمر وهو في المدينة على المنبر: يا سارية الجبل الجبل. كذا أفادني سيدي محمد سليم قدس سره الكريم. اهـ ج٢ص٩٣٧.

- وقال عند قوله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ (٤٢: الأحزاب).

وقال لي سيدي الشيخ محمد سليم خلف الحمصي رحمه الله: ينبغي لمن أراد الوصول، يعني إلى معالم السالكين أن يذكر الله تعالى في اليوم والليلة مئة ألف مرة. اهـ ج٢ ص١٠٠٤.

- وعند قوله تعالى في سورة الرحمن: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ (١٧: الرحمن).

قال المفسر الشيخ شاكر الحمصي: دلت الآية الكريمة على أن للكرة الأرضية من حيث سطحها المكي مشرقين ومغربين وذلك لأن المشرق المكي مغرب أهل السطح المقابل سطحها المكي، والمغرب المكي مشرق لهم. وهذا مما يدل على أن لكل خط من نقاط الأرض بالنسبة لموقعه منها مشرقاً ومغرباً يختص به، وذلك يستلزم كثرة المشارق والمغارب

المنوه عنها بقوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ﴾ (٤٠: المعارج).

وإلى هذا كان يشير سيدي الشيخ محمد سليم الخلف قدس سره بقوله: الصلوات الخمس في كل آن قائمة بين يدي الله تعالى. اهـ ج٢ ص١٣٨٩.

– وكذا نقل عنه المفسر في تفسير قوله تعالى في سورة الصافات: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ﴾ (٥ سورة الصافات).

قال: وإلى هذا كان سيدي الشيخ محمد سليم الخلف رحمه الله تعالى يشير بقوله: الصلوات الخمس منصوبة في كل آن بين يدي الله تعالى. اهـ ج٢ ص١٠٦٨.

ثانياً: ما يحدثنا به ذلك الألمعي الرباني الشيخ حسين الطيباني، في كتابه (الدر اللطيف):

– قال في الصفحة ١٩: (وكان سيدي وملاذي الولي الكامل والعالم العامل فخر السلف والخلف، قطب هذه البلاد وإمام الأبدال الأمجاد يقول لي: **معك ميزان الشريعة، لا تخرج عنه أبداً**).

– وذكر في الصفحة ٢٤ حكاية لطيفة قصّها له مولانا سليم يبيّن له فيها كيف يلاحظ الأشياخ الكمّل مريديهم فقال: (حكى لنا سيدنا ونور بصائرنا أبو حافظ مولانا سليم قدس سره، أن مريداً من بعض مريدي سيدنا ومولانا قطب الواصلين وإمام العارفين خالد ضياء الدين، قال له ذات يوم: يا سيدي، للشيخ على المريد حقوق، أمَا للمريد على الشيخ حقوق ؟ قال: نعم.

ثم إن ذلك المريد واعد امرأة، وتلك المرأة قد دخلت الدار ذات يوم للاجتماع به، وبعثت له، فلما دخل الدار، وطلع على سلم الحجر للدخول على بعض البيوت، إذ سمع المريد سعال الشيخ في البيت فتوقف، فقالت له: مالك ؟ فقال: هل في البيت أحد ؟ فقالت: لا والله ما فيه أحد. فقال: لا أدخل حتى تدخلي وتنظري، فدخلت ونظرت فلم تر أحداً، فقالت له: ليس فيه أحد، فدخل هو وهي إلى البيت، فلما جلس فلم يشعر إلا

بكفٍ ضربه، ففهم، فقام على عجلة متحيراً مما ناله، فمع تحيّره لم يقدر على الذهاب إلا إلى زاوية الشيخ ﷺ، فلما تشرف بأعتابه قال: أين كنت ؟ قال: يا سيدي عند الكف. فقال ﷺ: **عرفت ما للمريد على الشيخ** ؟! اهـ منه.

– وذكر في الصفحة ٧٩ في فوائد كلمة التقوى (لا إله إلا الله) ما أجازه به مولانا سليم قدس سره قال: يكتب للحمى: (**لا إله إلا الله نارت فاستنارت، لا إله إلا الله دارت فاستدارت، لا إله إلا الله حول العرش دارت، لا إله إلا الله في علم الله غارت**)، وتوضع في إناء فيه ماء يشرب المحموم منه إلى أن يعافيه الله منه تعالى، وينبغي أن يتصدق بوتر من خبز، وأن يقرأ من يكتبها والمريض الفاتحة الشريفة، ويهب ثوابها لأصحاب النوبة الكرام، كذا أجازني شيخي سليم قدس سره. اهـ

– وفي الصفحة ٩٠، عندما شرح وضعية وكيفية استعداد الذاكر بـ لا إله إلا الله ونقل فيه كلاماً عن العلماء ثم ختم بقوله: يقول عقب النفي والإثبات (محمد رسول الله) ولا بد؛ عقب كل تهليلة، قال: والأحسن أن يأتي بها (أي لفظة محمد رسول الله) بعد: لا إله إلا الله، كما أمرني سيدنا ومولانا حبيب قلوبنا ونور عيوننا فخر السلف والخلف، مولانا الشيخ سليم خلف آخر النفس. اهـ.

– وقال عند الكلام على الرابطة الشريفة (رابطة المرشد): وقد قال لي سيدنا ومولانا الغارف من بحر العلوم اللدنية، والغارق في بحر الأسرار العرفانية، فخر السلف والخلف مولانا حامي المريدين، الشيخ سليم الخلف قدس الله سره، وأفاض علينا بحر إمداده وبره أمين: (**الفناء في الشيخ مقدمة الفناء في الله**) [1]. اهـ ص ١٢٤.

---

[1] قال في الرسالة القشيرية في بحث (الفناء والبقاء): أشار القوم بالفناء إلى سقوط الأوصاف المذمومة وذهابها عن العبد، وأشاروا بالبقاء إلى قيام الأوصاف المحمودة به، وذكر بعد ذلك أن الفناء عن الشهوات والرغبات وسوء الخلق، وعن الخَلْق، ثم قال: ففناء العبد عن أفعاله الذميمة وأحواله الخسيسة يكون بعدم هذه الأفعال (خلوصه عنها)، وعن نفسه وعن الخلق؛ بزوال إحساسه بنفسه وبهم، بحيث يكمل شغله بربه. وراجع فيها بحث الفناء والبقاء فإنه نفيس.

- وذكر في الصفحة ١٥٩ عند الكلام على صيغ الصلاة على النبي ﷺ؛ قال: واختيار سيدنا مولانا قطب هذا الزمان ومؤيد طريقة سيد الأكوان، ملجأ المريدين، وإمام العارفين ذي الفيض العميم، الشيخ محمد سليم قدس سره هذه الصيغة (أي في الختم الشريف) وهي: **اللهم صلّ وسلم على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاة أهل السماوات والأرضين عليه عدد ما عند الله من العدد في كل لمحة عين من الأزل إلى الأبد**[1]. اهـ.

- وقال في الصفحة ١٧٥ عند الكلام على التوجه المعلوم لدى السادة النقشبنديين، قال: (واعلم أيها الأخ أصلحني وإياك مولانا تعالى، ومنّ علينا بما منّ به على عباده الصالحين، أن التوجه عند أهل هذه الطائفة العلية قدس الله تعالى أسرارهم الزكية، وأمدنا بمددهم ربّ البرية، بجاه من حاز السيادة القابيّة ﷺ آمين، أمرٌ لا يُدرَكُ إلاّ ذوقاً، لا تصل إليه عبارة ولا تغني فيه إشارة، ولّما أذن لي عمدتي وملاذي وسندي وعياذي العالم العامل والمرشد الكامل، مجمع البحرين الباطن والظاهر، فخر السلف والخلف، مولانا الإمام **الشيخ سليم الخلف** قدس الله سره، وأفاض علينا برّه آمين، لم أعلم كيف معنى هذه الكلمة، ومنعني جلال قدره عن سؤاله، فأخبرت بذلك الولد المكرم **سيدي الشيخ أبا النصر** فأعلمه بذلك، فما رضي بإفشاء ذلك، فبعد ذلك علمت الكيفية، بعناية ربانية، بتوجهاته الخالدية البهائية، وفي ذلك تعلمُ باهر كرامته ﷺ وعلو مقامه، ورسوخ قدمه، فهكذا تكون الرجال، وبالحقيقة فقد قالوا: الأولياء عرائس لا يعرفهم إلا من كان منهم، نسأل الله تعالى أن يمنّ علينا وعلى إخواننا، وعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده، فأجمع لك من كراماته وأحواله الشريفة، ومشيه على جادة الاستقامة، وكلماته القدسية ما يكتب بماء العيون، وقد ذكرنا بعضاً من ذلك في رسالتنا (العجالة السنية) فارجع إليها ترى العجب، ولله در القائل:

ليس على الله بمستنكر   أن يجمع العالم في واحد

---

[1] قال عبد الله المسعود: أجازني بهذه الصيغة شيخنا العلامة محمد أبو اليسر عابدين مفتي الجمهورية السورية سابقاً، وقال أجازني بها الشيخ سليم الخلف عندما زرته بحمص وكان عمري ١٧ عاماً.

وقد قالوا: لو تنفس عارف في بلدة لثبت إيمان جميع من في تلك البلدة، فكيف بمن هو محل نظرهم الأقدس على الدوام. اهـ.

- وقال في الصفحة ١٨٢ في كلامه على الإذن بالختم الشريف: وقد حكيت مرة لسيدي وعمدتي وملاذي الإمام العالم العلامة الشيخ سليم، ريحانة أهل العزّ والتكريم، قدس الله سره، أن سيدنا ومولانا خالداً ضياء الدين، أبا البهاء، الحضرة ﷺ، أذن لي في شيء. فقال لي (الشيخ سليم): **كل نعمة لم يكن النبي ﷺ واسطتها فهي لا شيء.** فبعد مدة أذن النبي ﷺ بها ومعه الأنبياء والمرسلون وأكابر الأولياء مثل حضرة الإمام الأنجب مولانا بهاء الدين نقشبند ﷺ، والإمام أبو بكر الصديق ﷺ وغيرهما. اهـ.

المبحث الثاني

مريدوه وتلامذته من العلماء الكرام

تمهيد:

كما أسلفنا؛ فإن الشيخ محمد سليم قدس سره كان من أجلّة أهل العلم في بلده، وكانت عنايته في التربية والتزكية الربانية، وكمالاته وأحواله، وهمته العالية، قرينةً لشهرته العلمية وفقهه الدقيق في مختلف العلوم والفنون، في وقت كان فيه العلم لا يخرج عن البحث في شرح متون العلماء، وفهم حواشيهم وتقريراتهم.

وكانت زاوية الشيخ محط أنظار كبار أهل العلم في بلاد الشام، وكانت دروسه لخاصّة مريديه، وأهمها التصوف مدداً وفتحاً يسري من خاله وقاله، إلى حالهم وسلوكهم.

وكان غالباً ما يقرأ في الكتاب أحد مريدي الشيخ، فإذا وقعوا في إشكال علمي حلّه الشيخ لهم؛ وأكثر من كان يقرأ بحضرة الشيخ تلميذه الشيخ شاكر المصري الحمصي.

وقد أطلعني الأخ محمد غازي حسين آغا على بعض الكتب التي كان يقرؤها جده الشيخ محمد سعيد أفندي حسين آغا؛ وعلى الصفحة الأولى فيها إجازة الشيخ سليم له بقراءة وتدريس هذه الكتب ومنها كتب الإمام الشعراني وهي: اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر، ولطائف المنن والأخلاق، والميزان، وغيرها.

وقد سمع بمناقب الشيخ علماء عصره، حمصيون وشاميون وحلبيون وحمويون وغيرهم، لذا كانت زيارته ولقاؤه هدفاً وأمنية لكثير منهم.

وسنتحدث في هذا المبحث عن هؤلاء العلماء الأعلام الذين تخرجوا من مدرسة الشيخ سليم بعد لقائه وصحبته والسلوك على يديه، ومن خلال تراجمهم نرى بوضوح أثر الشيخ

فيهم، ونرى بجلاء صوراً واضحة من حاله وقاله، وسلوكه وكماله، وكان أهمهم أثراً، وأبعدهم ذكراً، وأوفرهم مدداً خليفته الأول ولده المرشد الكامل الشيخ محمد أبو النصر.

إلا أننا سنؤخر ذكره وترجمته إلى الفصل الثالث لنتحدث عنه وعن آثاره وكمالاته وإرشاداته وتوجيهاته، بإسهاب وتوسع يشفي قلوب المحبين، ويزيد في إيمان المتقين، ويكون لنا ذخراً وفوزاً يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

ونرى في الحديث عن شيخنا أبي النصر - إن شاء الله تعالى - مزيداً من الحديث عن كمالات وأحوال مولانا سليم قدس سرهما العزيز.

* وقد ترجم للشيخ سليم (د. درنيقة الطرابلسي)، في كتابه (الطريقة النقشبندية وأعلامها)، ترجمة مختصرة جاء فيها؛ بعد ذكر تاريخ مولده: (أنه تلقى العلوم على مشايخ حمص، لا سيما جمال الدين الجمالي، خطيب الجامع الكبير فيها، ثم عهد به والده إلى الشيخ أحمد الطظقلي، الذي قام بتربيته وتسليكه الطريقة النقشبندية، وقد أجازه بقوله: (فقد أجزت الشيخ سليم بن السيد خلف الجندي، بتلقين الذكر والتوجه والإرشاد في الطريقة العلية النقشبندية، وأوصيه بالتمسك بالكتاب والسنة، والأمر بتصحيح العقائد بمقتضى أراء أهل السنة، فليغتنم صحبته كل من يريد التثبت بطريقة الأولياء. (وعزا هذا النقل إلى كتاب الشيخ طهماز عن الشيخ محمد الحامد ص ٢٠٦).

* ثم نقل عمن رمز له بـــ م. ع. ص، ص ٢٠٨ ما يلي: وفي عهده (أي الشيخ سليم) انتشرت النقشبندية في حمص وجوارها انتشاراً واسعاً، وتاب على يديه الكثير من المنحرفين، وأسلم عدد لا بأس به من نصارى حمص لا سيما عام ١٣١٥ هـــ، ١٨٩٧ م، (أقول: وهذا عام الاستسقاء الذي سيرد معنا فيما بعد)، توفي محمد سليم عام ١٣٢٨ هـــ، ١٩١٠ م، ودفن بحمص في المقبرة الجنوبية على طريق دمشق. اهـــ.

* وعنه نقل الصواف في كتابه عن الطريقة النقشبندية ترجمة الشيخ سليم رحمه الله كما يلي: (ولد بحمص، وتلقى علومه على عدد من شيوخها، ولازم الشيخ أحمد الطظقلي الذي أجازه بالتوجه والإرشاد بالطريقة النقشبندية، وجعله خليفته من بعده، وفي عهده

انتشرت الطريقة النقشبندية بحمص وما يجاورها انتشاراً واسعاً وتاب الكثيرون، وأسلم عدد من نصارى حمص، تولى الإمامة والتدريس في الجامع النوري الكبير بحمص). اهـ
المصدر: كتاب د. درنيقة، وحمص دراسة وثائقية

* وقد تفضل العالم الفاضل الشيخ محمد علي مشعل وأعطاني نسخة من ثبته الذي ترجم فيه علماء حمص، فأذكر ما دوّنه عن مولانا الشيخ سليم خلف، وذلك في معرض حديثه عن شيخنا أبي النصر، ما يلي:

الشيخ أبو النصر خلف: شيخ شيوخ البلد، كلهم دخلوا في الطريقة النقشبندية؛ علماء آل الأتاسي وجميع من ذكرتهم ومن لم أذكرهم؛ والده الشيخ سليم الخلف، ووالد الشيخ أحمد صافي؛ الشيخ سليم صافي، هما من أعظم العلماء الربانيين..

(وبعد أن تحدث الشيخ محمد علي مشعل عن الشيخ سليم صافي ما ذكرناه في موضعه من تراجم علماء حمص قال):

وأما الشيخ محمد سليم خلف: فهو عالم رباني، وأخذ عنه جميع العلماء الموجودين في حمص الطريقة النقشبندية، وتربى على يده الكثير والكثير من الدعاة إلى الله والشيوخ.

وقد استخلف أربعة خلفاء [1]:

١- **ابنه الشيخ أبو النصر خلف.**

٢- **ووالدي محمد مشعل** من تلدو، ومن الغرائب أن الشيخ بدر الدين الحسني محدث الديار الشامية زار حمص وزار الشيخ سليم، وطلب أن يدخل في الطريقة النقشبندية فأمر الشيخ سليم والدي بإدخاله في الطريقة، وكذلك الشيخ عبد القادر القصاب من (دير عطية) لما زار حمص وزار الشيخ سليم طلب أن يدخل في الطريقة، فأذِن الشيخ سليم لوالدي أن يدخله في الطريقة النقشبندية. (وسنذكر ترجمتهما فيما بعد).

٣- **والشيخ حسين الخطيب**، من طيبة الإمام شمالي حماه.

---

[1] عبر الشيخ محمد علي مشعل هنا عن المريدين الكمَّل بكلمة الخلفاء.

٤- **والشيخ أحمد التلاوي** من حمص (تلبيسة).

ولعل الشيخ سليم استخلف نساءً فأنا غير متأكد من ذلك، ولكني أعرف أن جدتي أم والدي (شعاع عبارة)، خليفة نقشبندية.

وقد قال الشيخ سليم لابنه أبي النصر: فتوحك في الشمال، وسيأتي معنا بعد قليل كيف كان هذا الفتوح، لقد عرف الشيخ سليم بأساليب في الدعوة إلى الله، أنقل بعضها للاستفادة منها:

- قيل له: إن فلاناً لا يصلي، وإذا نصحناه يرد علينا بشدة. فقال: دلّوني عليه. فذهب مع بعض العلماء بصحبته إلى دكانه، وأشاروا إليه، فتقدم الشيخ ومن معه إليه، فأسرع الرجل إلى الشيخ يستقبله، فقال له الشيخ سليم رحمه الله: جئنا نطلب دعاءك. وأخذ بيده مسلّماً فصاح الرجل: الشيخ سليم يطلب دعائي ؟! تبت إلى الله. وذهب إلى المسجد ثم إلى زاوية الشيخ سليم، وهذا الرجل هو أبو سعيد الشعّار، الذي صار من كبار العلماء والأولياء، وتنقل عنه العديد من الكرامات، ونسأل الله أن يرحمه ويعلي مقامه، وأن يكون أبو سعيد خيراً مما نقول.

- وقيل له: إن فلاناً غلب كل اللاعبين بالمصارعة، وأصبح بطل المصارعة في حمص، وذكروا له أنه لا يصلي، وأنه غافل جاهل.. إلخ..

فأرسل الشيخ سليم إليه بأنه سيأتي إليه ليصارعه، وانتشر الخبر في حمص وذهب الناس بسرعة إلى المكان ليشاهدوا الصراع، وذهب الشيخ سليم مع بعض العلماء المشهورين في حمص إلى المسرح (المكان المخصص للمصارعة) ولما وصل الشيخ سليم إلى المكان، أسرع بطل المصارعة إليه يرجوه ألا ينـزل إلى المصارعة، فأبى الشيخ إباءً شديداً وقال له: المشيخة شيء والمصارعة شيء آخر. فخلع العمامة والجبة، ونزل إلى المسرح يتبختر حسب عادة المصارعين، فقال بطل المصارعة في نفسه: أحمل الشيخ وأضعه على الكرسي بكل احترام وتوقير، ولكن الشيخ وقف في المسرح حسب الأصول، وتقدم بطل المصارعة، وأمسك بالشيخ من ثيابه، وأدخل يده في زنّاره (محزمه) ليحمله، ولكن الشيخ

(وقف وأرخى نفسه واقفاً) فلم يستطع المصارع أن يُقِلَّه أو يحركه، فأمسك الشيخ بحزام المصارع، ورفعه عن الأرض، وصار يدور به على الناس، فصرخ الناس بأعلى صوتهم: (الله أكبر، الله أكبر). ثم وضع الشيخ بطل المصارعة على الكرسي، بكل تأنٍ، فما كان من المصارع إلا أن رفع رأسه إلى السماء وشهد الشهادتين، وبكى وتاب وأقبل على الإسلام، وكان لهذا الحدث أكبر الأثر في نفوس المشاهدين، فكثر التائبون والمقبلون على حلقات العلم والذكر.

- وكان أحياناً يلاعب بعض العصاة بلعبة (السيف والترس) فيغلبهم فيتوبون إلى الله.

والحادثة المشهورة: الاستسقاء، فإنه خرج بالناس للاستسقاء فدعا وأمسك بلحيته وقال: يا رب لا تخجل هذه اللحية، فانصب المطر غزيراً وكثرت الخيرات والمحاصيل والله ولي التوفيق. اهـ منه.

وقد ذكرناها في ترجمة الشيخ أحمد بن الشيخ يوسف المسدي ص٩٩، كما سنذكرها في بحث (أحواله المباركة) لاحقاً.

١- العالم الفاضل والجهبذ الكامل الشيخ محمد أمين سويد الدمشقي

(١٢٧٣-١٣٥٥ هـ) (١٨٥٦-١٩٣٦ م)

ومن أوائل مريدي مولانا سليم:

العالم العلامة، الفقيه الأصولي، الصوفي اللغوي - كما وصفه مؤلفا كتاب (تاريخ علماء دمشق) - محمد أمين بن محمد الدمشقي الشهير بسويد، ولد في دمشق سنة ١٢٧٣ هـ، ١٨٥٦م، لأسرة تعمل في التجارة والفلاحة، وكان أبوه تاجراً، توفي أثناء رحلة إلى الحجاز، وابنه محمد أمين دون العاشرة، فكفله عمه..

شيوخه: تردد على علماء عصره في الشام، ومنهم الشيخ عبد الغني الغنيمي الميداني، (شارح كتاب اللباب)، والشيخ المحدِّث بدر الدين الحسني، والشيخ يوسف سمارة، والشيخ سليم العطار، والشيخ الصوفي عيسى الكردي (النقشبندي).

رحلاته: ثم رحل إلى الأزهر فتلقى عن علمائه خمس سنوات، رجع بعدها إلى دمشق ليدرِّس متبرعاً، فكلفته الحكومة تعليم الفقه الحنفي في جامع درويش باشا، ومنحته بعض الرتب العلمية العالية، وصارت غرفته في دار الحديث محط أنظار طلبة العلم.

قام برحلات عدة إلى تركيا والهند وإيران وبخارى واليمن والمغرب وسواها، وخلال الحرب العالمية الأولى اختارته الحكومة العثمانية من العلماء الذين عينتهم في الكلية الإصلاحية بالقدس لتخرج القضاة والمدرسين، وبقي فيها حتى أغلقها الإنكليز قبيل انتهاء الحرب.

ثم عاد إلى دمشق، فاختارته الحكومة العربية فيها لمهمة العناية باللغة العربية في دوائر الحكومة ولنشر الثقافة العربية عامة..، وكان من المشاركين في تأسيس (المجمع العلمي العربي) بتاريخ ١٩١٩م، وعهد إليه بتدريس أصول الفقه في (معهد الحقوق العربي) عام ١٩٢٣م، وبعد أن سافر لعدة مدن مدرساً في صيدا ومكة وبومباي (الهند) عاد إلى دمشق

واستقر بها، مثابراً على التدريس والوعظ في مسجد زيد بن ثابت، وفي جامع التعديل بحي القنوات حتى قبيل وفاته بثلاثة أيام.

أجازه علماء كثيرون منهم: أبو المحاسن محمد القاوقجي، والملا محمد فيضي البغدادي مفتي بغداد.

أحواله وأخلاقه: كان من أكابر علماء دمشق، متقناً لكل علم، تحسبه من المتخصصين فيه. وبرع بشكل خاص في أصول الفقه والتوحيد وعلوم التصوف وتاريخ رجاله وأحوالهم ومناقبهم، وكان يقرأ الفتوحات المكية مع بعض العلماء الأجلاء كالشيخ حسن الأسطواني، والشيخ عبد الباقي الحسني الجزائري مفتي المالكية، والشيخ محمد الحكيم، وكان يحل عباراته حلاً بليغاً، بكلام رائع مشيراً للكتاب والسنة بما يطابقها.

وله اعتقاد كبير بالأولياء، يزور الكثيرين منهم، ويقطع المسافات للوصول إليهم، يهتم بأخبارهم حتى أنه صار موسوعة فيها، وفي أماكن زيارتهم.

زاهد متواضع، يرغب عن الشهرة، ولا يحب الرئاسة، يسعى لنشر العلم والفضيلة حيثما حل.

مناقبه: حدّث الشيخ عارف عثمان (شيخ مجالس الصلاة على النبي ﷺ ومؤسسها في بلاد الشام)، قال: كان قطب الشام الشيخ ديب الحلبوني، ثم انتقلت القطبانية إلى الشيخ محي الدين العاني، ثم انتقلت إلى الشيخ سليم مسوتي، ثم انتقلت بين ثلاثة أشخاص؛ الشيخ أمين سويد، والشيخ أبي الخير الميداني، والشيخ حافظ الحمصي.

امتحان صعب: وحدّث عنه الشيخ محمد مكي الكتاني، أنه خلال رحلاته لقيه عالم قال له (أي للشيخ أمين سويد) : إنكم – يعني العرب – ضيّعتم العلم والدنيا، وأصبحتم منهما صفر الكفين، فقال له المترجَم: اسألني عم شئت أُجِبْكَ. فقال العالم: غداً نجتمع في مكان كذا، فلما حضر الشيخ أمين وجد المجلس غاصاً بالعلماء الأعلام، فهابهم لولا أن ثبته الله تعالى، وبعدما استقر بهم المجلس قال المترجَم لصاحبه: تسأل أنت أم أسأل أنا ؟ فقال: بل اسأل أنت، فألقى عليهم عشرين ومئة مسألة، اختارها من أربعين علماً، من

كل علم ثلاثة أسئلة، فعجزوا عن الجواب، واستغرقت الأسئلة ساعتين، فكم هو مقدار الجواب يا ترى [1]؟

أتقن دروسه كل الاتقان، يحسن التقرير في الدرس، ويريد إفهام الطلاب عبارة النص مع تحليلها وإيضاحها.

آثاره العلمية:

- تسهيل الحصول على قواعد الأصول، (تشمل على مئة صفحة في قواعد وضوابط علم الأصول).

- علوم القرآن وأصوله: (اختصر فيه الإتقان للسيوطي).

- وله مؤلفات ضاعت، منها: رسالة في تاريخ القدس، وتلخيصات صنعها عندما درّس في معهد الحقوق.

تلاميذه: من تلاميذه الشيخ أبو الخير الميداني، الشيخ عبد الوهاب دبس وزيت، الشيخ محمد الهاشمي، الشيخ محمد مكي الكتاني، وغيرهم. [2].

توفي في دمشق ٢٠ شوال ١٣٥٥ هـ، ١٩٣٦م، ودفن في الباب الصغير.

صلته بالشيخ سليم رحمهما الله: وحدثنا أستاذنا الشيخ عبد الباسط أبو النصر خلف رحمه الله تعالى في منـــزله (٣ جمادى الأولى ١٣٩٩هـ)، أن العالم الفاضل الشيخ محمد أمين سويد سمع بالشيخ سليم خلف فسافر من دمشق إلى حمص قاصداً زيارته، وكان يظنّ في نفسه أن الشيخ سليم من مشايخ الطريق، فهل هو من أهل العلم أيضاً ؟ أم أنه

---

[1] ذكر لي الصديق المحب للصالحين ولسيدي الوالد الحاج أبو سعيد قويدر من دمشق نبذاً وافية من ترجمة مولانا الشيخ محمد أمين سويد، وقال إن المسائل كانت ١٣٥ مسألة، وكان هذا الحديث في بيت أخيه المحب لأهل الله، والمرافق لسيدنا المكي الكتاني السيد أبو الطيب قويدر أثناء زيارتي له في دمشق في صفر ١٤٢٣ هـ، أمد الله بعمرهما مع العافية. (توفي السيد أبو الطيب قويدر في دمشق بتاريخ شهر شباط ٢٠٠٦ م ١٤٢٧هـ رحمه الله تعالى رحمة واسعة.

[2] انتهى من كتاب تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر، لمحمد مطيع الحافظ، ونزار أباظة، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ، ١٩٨٦م، الصفحة ٥٠٣ - ٥٠٦، وذكر له فيه صورة إجازته العلمية للشيخ محمد العربي العزوزي أمين فتوى بيروت.

شيخ طريق فحسب ؟

قال شيخنا: وكان الشيخ أمين عالماً علاّمة، بحراً في العلوم والمعارف الإلهية، لا يضاهيه فيها إلا علاّمة الشام الشيخ بدر الدين الحسني رحمهم الله تعالى، وكان الشيخ أمين قد رحل إلى الهند وناظر علماءها، وكان له معهم شأن عظيم، وفاق جميع علماء الهند في مناظراته معهم، وقد سألوه أسئلة في مختلف العلوم فأجاب عنها جميعاً، وسألهم عشرة أسئلة فلم يجيبوا عن واحد منها.

قال سيدي أبو نزار: ولما زار الشيخ أمين الشيخَ سليم في زاويته في حمص، وكان في المجلس الإخوان والمحبون، خطر في بال الشيخ أمين أن يوجّه للشيخ سليم سؤالاً علمياً لا يجيب عليه إلا عالم، ولكن الشيخ سليم لم يُجِبْ، بل توجه بقلبه إلى خادم الزاوية الذي يخدم الإخوان ويصب القهوة لهم وللضيوف، السيد أبو سعيد الشعار، فانبرى أبو سعيد للجواب، وأجاب السائل بجواب سديد، مما استدعى الشيخ أمين أن يكرر الأسئلة، وأبا سعيد أن يكرر الأجوبة بعلم غزير وفطنة مدهشة.

ومضت ساعة على هذه المحاورة؛ الشيخُ سليم يتوجه على الشيخ أمين فيسأل، ويتوجه بالأجوبة على أبي سعيد فيجيب، ثم لم يتمالك بعدها الشيخ أمين نفسه فألقى بنفسه على قدمي (أبي سعيد) قائلاً له: من أنت بين العلماء ؟

قال أبو سعيد: من أنا ؟! أنا قهواتي عند الشيخ..!! ففطن الشيخ أمين عندها للسر (سرّ توجه الشيخ سليم عليه)، فانكب على يدي الشيخ سليم معتذراً، والشيخ سليم يقول له: لا بأس عليك، لا بأس عليك، ثم طلب من الشيخ سليم أن يؤاخي بينه وبين أبي سعيد، ولما آخى بينهما أستأذن أبو سعيد من الشيخ سليم أن يكون الشيخ أمين ضيفه تلك الليلة، فأذن له، وناما تلك الليلة في بيت أبي سعيد في فراشين متجاورين، ولم يمض هزيع من الليل حتى فوجئ أبو سعيد بالشيخ أمين يضمُّه إليه ويقبله، ولما استيقظ أبو سعيد مندهشاً قال له: ما هذا يا شيخ أمين ؟! فقال: والله رأيت رسول الله ﷺ الآن في المنام يقول لي: (السعيد الذي يحب أبا سعيد) ثلاث مرات، وإني أحبك في الله... اهـ.

وبعد أن روى شيخنا أبو نزار رحمه الله هذه الحكاية قال: الله يجعلك كأبي سعيد. (آمين)، اهـ من حديث شيخنا.

وللملازمة أبي سعيد لسيدي سليم قصة سوف نوردها في الفصل التالي إن شاء الله تعالى.

ولقد حفظ الشيخ أمين سويد الود لآل سيدي سليم، فكان مريداً صادقاً لشيخه ومحباً وفياً لسيدي أبي النصر، ومدافعاً عن منهجهم في الدعوة والإرشاد، ودلالة الخلق على الحق، فكان يزور سيدي أبا النصر في حمص بعد وفاة مولانا سليم، وله الأيادي البيضاء في دفع الشبهات التي كان يثيرها الغافلون عن صحة منهج سادتنا الصوفية وسوف نورد بعضاً من أخباره مع سيدي أبي النصر في الفصل التالي عند الحديث عن الشيخ أبي النصر قدس سره.

٢- العالم الرباني والفاضل العارف الشيخ حسين الخطيب الطيباني الحموي

(...-١٣٧١ هـ) (...-١٩٥٢ م)

ومن أبرز مريدي مولانا سليم:

ومن أبرز من تأثر بمولانا سليم وانتفع به من العلماء الأعلام سيدي الشيخ حسين ابن محمد الخطيب الطيباني الحموي، وها أنا أنقل ما كتب زميله وعصريّه وأخوه في الطريق الذي كان له نعم رفيق في حضرة سيدي سليم، ألا وهو الشيخ شاكر الحمصي، الذي قدم له كتاب: (الدر اللطيف في فضائل الختم الشريف)، وقد ألّف الشيخ حسين هذا الكتاب متناً وشرحاً، بين فيه آداب ختم السادة النقشبندية وأحكامه، وبثّ في ثناياه ما أكرمه الله به من توجيهات وعناية مولانا سليم به رحمهما الله تعالى.

قال الشيخ شاكر الحمصي في مقدمة كتاب الدر اللطيف ص ٣:

(وكنت سألت المؤلف حفظه الله غير مرة أن يمثُل لطبع هذا الكتاب الجليل الهادي إلى سواء السبيل، رجاء تنبيه الغافل وإرشاد الجاهل وتقويم أوَدِ العامل، فكان يدفع ما سنح لديَّ من الأمل بمثل قوله: عسى ولعل، ثم لما سمح بطبعه وأذن بتعميم نفعه كان كالواجب عليَّ أن أذكر طرفاً من ترجمة حاله، ونبذة لطيفة من دقائق علومه وأقواله، ليعلم المطلع الموفق أن هذا الكتاب صدر عن حبْرٍ لا نظير له، وبحر لا ساحل له، فيتلقى ما فيه من الأدوية النافعة لأمراض القلوب بصدر رحب، ويُلْزِم نفسه العمل بمقتضى أحكامه وإن كان على النفس الدنيئة أصعب ركب، ويعلم ما في الختم الشريف من الفضائل الجليلة، والمنافع الجزيلة فيلازم رياضَه الأَرِيضة، وغياضه الغضيضة، فقلت وبالله التوفيق والهداية إلى أقوم الطريق:

هو حسين بن الشيخ محمد الخطيب بن حسين الحموي الشافعي النقشبندي الخالدي، جامع أسباب العلوم المنطوق منها والمفهوم، ولد في مدينة حماه الشام، وقرأ فيها على كبار

علمائها الأعلام؛ كالشيخ سليم المراد [1] وغيره، آلات العلوم العقلية والنقلية، من نحو ومعان وبيان ومنطق، وبرع في الفقه والحديث والتفسير والأصول، وفهم كلام أهل هذه العلوم على وفق الأصول، وحفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب، وكثيراً من الكتب الشرعية، حتى أصبح في كل فنّ إماماً يرجع إليه، ومعتمداً يعوّل عليه.

وفي سنة ١٣١٠هـ اجتمع أثناء رحلته لزيارة البيت الحرام لتأدية فريضة الحج الشريف بكثير من العلماء الأعلام، منهم العلامة المجاور في الحرم المكي السيد الشيخ أبو بكر بن السيد محمد شطا الدمياطي، صاحب كتاب إعانة الطالبين على فتح المعين، فحصل له منه تمام العناية والقبول، وكتب له بخطه الشريف إجازة بالمعقول والمنقول.

ثم في السنة نفسها اجتمع بحضرة سيدي وسندي إمام أهل الطريقة ومجمع بحري الشريعة والحقيقة بقية السلف وعمدة الخلف، الشيخ محمد سليم الخلف، فأخذ عليه الطريقة النقشية، وتخلق بأخلاق أهلها المرضية، فأقبل عليه شيخه بتوجهات نظره الكريم، وقام بتربيته ظاهراً وباطناً تربية الولي الحميم، فلما رأى من شيخه حسن إقباله القلبي، وذاق على يديه من رحيق شرابها الوهبي، صار - حفظه الله - مع وفرة علمه، وحدة ذكائه وفهمه، يحترم شيخه المعظم أعظم احترام، ويقوم بالمحافظة معه على تمام الأدب سراً وجهراً حق القيام، وقد جدّ وأخلص بسلوك الطريق فخلّصه الله في برهة وجيزة من عقبات التعويق، وأنعم الله عليه بلطيف الجذبات الإلهية، وحفظ عليه أثناء ذلك ظاهراً وباطناً آداب الشريعة المرضية، وقلّده بفتحه المبين وسام النور الثمين المرصع بالجوهر المكنون، وأشهره السر المصون، في حضرة نون والقلم وما يسطرون، ثم فجّر بقلبه ينابيع العلوم الوهبية، وأطلعه على كثير من مقامات السالكين الكسبية.

وكان حفظه الله يلخص ما فتح الله به عليه في كتاب، فيعرضه على شيخه المستطاب، فيلحظه الشيخ بما يقتضيه المقام حالاً، ويرشده إلى ما يجديه رفعة وكمالاً، حتى بلغ مجموع

---

[1] انظر ترجمة الشيخ سليم المراد في فصل (علماء حماة) الآتي.

ما رفعه لسدَّته العلية أثناء تلك الجذبات السنية ستة وأربعين كتاباً، أبرز فيها من رفيع المقامات، وبديع المنازلات ما يقضي على ذوي الألباب بالعجب العجاب، هذا عدا ما خاطب الشيخ به شفاهاً، وقابله به وجاهاً، بل عدا ما عرفه الشيخ منه باطناً، بلا بِنْتِ شفة ولا كتاب ولا واسطة في الظاهر، ولا خطاب.

وكان حضرة سيدي سليم الكريم، روّح الله روحه بلطائف النعيم المقيم، كلما ورد عليه من حضرة سيدي المذكور كتاب، أو برز لديه منه خطاب ينبِّه الحاضرين على رفيع قدره وعلو مقامه، ويشير لمن حضر من الإخوان بوجوب ملازمته من بعده واحترامه؛ رحمة بهذه الأمة وقياماً بحق ما آتى الله ذلك الفاضل من الحكمة، ولعلمه أن من أهم واجبات الإرشاد تحقق المرشد بآداب أهل الطريق الأمجاد، ثم لما عرف بلوغه مبلغ الرجال الكاملين، وحصوله على مقامات تعنو لها كمّل العارفين، أجازه بالمعقول والمنقول، وإرشاد السالكين، فصار حفظه الله يربّي المريدين بطريق الجذبة، ويرشدهم إلى الطريق بحسن الصحبة، حتى ارتجّت هاتيك الأنحاء بجذبات المريدين، وتلألأت في سماء تلك الجهات دراري كواكب الدين، وهنالك تصدى بعض من خامرهم حب منصبهم وجاههم لإطفاء نور الله بأفواههم، فصرف الله عنه شرهم، وأصلح الله بمَنِّهِ أمورهم، ويومئذٍ دفعاً للفتنة وحسماً لأسباب المحنة، أمره الشيخ بسد أبواب الجذب، والأخذ بيد السالكين إلى ألطف ركب وأكرم صحب، فاعتمد ذلك وثابر على ما هنالك). اهـ ص ٦ من الدر اللطيف.

ثم قال: وله حفظه الله تعالى مؤلفات جليلة وتعليقات جميلة على الفتوحات المكية، وغيرها من كتب القوم السنية، منها هذا الكتاب المسمى بـ (الدر اللطيف في فضائل الختم الشريف)، ومتنه أيضاً في الختم الشريف، ومنها رسالة مسماة بـ (العجالة السنية في الرد على المعترضين على السادة النقشبندية)، و (تنبيه الإخوان على العمل ليلة النصف من شعبان)، و (شموس الأزهار في مولد النبي المختار)، و (مختصر المولد الحريفيشي)، وكتاب (الفتوحات النبوية)، وهو كتاب غريب في بابه، عروس بين أترابه، ذكر فيه طرفاً مما فتح الله به عليه من التأويلات القرآنية والأحاديث المصطفوية). اهـ من الدر اللطيف.

ومما نقلناه أعلاه عن مقدمة الشيخ شاكر لزميله الشيخ حسين ترى مبلغ عناية ورعاية مولانا سليم لذوي العلم والفهم، وكيف تُنْبِتُ أنظاره الكريمة ثمار المعرفة والفَتحَ في قلوبهم وعقولهم، وكيف تفعل همته العالية في تربيته لمريديه وتلامذته، وبالأخص منهم العلماء.

ومن مرائي الشيخ حسين الطيباني رحمه الله:

وفي نهار التاسع والعشرين من رمضان ١٣١٧هـ، بدأت بالذكر الشريف، فرأيت كأن سيدي وسندي الغوث الأعظم شاه نقشبند ﷺ في موضع على مثل تخت، وكأني بين يديه، فقبلت نعليه، فوضع يده المباركة على صدري وأَمَرَّها مراراً، وهو يسمي الله تعالى، ورأيت صدري تلألأ نوراً، ورأيت مكتوباً بخط القدرة ﴿**نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين**﴾، ثم إنه أمرني باتباع شيخي سليم وصحبته، وقال قدس سره: قل لشيخك ضع أنظارك عليّ، فوقع في نفسي أن هذا حديث نفسي، فخاطبني حالاً وقال لي: لا تقل حديث نفسي، ألا تراه من جهة اليمين، فأفقت، ولكن أنا في جميع هذه الواقعة أسمع أصوات الأولاد في القراءة.

ثم إنه ليلة السبت السادس عشر من ذي القعدة ١٣١٧ هـ، قرأت متوسلاً أسماء أهل بدر الكرام ثم السلسلة المطهرة قدس الله أسرارهم، ونفعنا بهم أجمعين آمين، ثم رأيت كأن نوراً أظلّ جسدي، ثم نوراً إلى قلبي، لكن شاهدت الجميع توسلوا إلى حضرة الرسول ﷺ خصوصاً من روحي فداه (سيدي سليم)، وسيدي ضياء الدين، قدس سرهما آمين، ثم شاهدت نوراً عظيماً في عين البصيرة، وفي وسط النور نوراً أيضاً أشدّ من الأول، ثم كشف لي فرأيت سيد المرسلين ﷺ والخلفاء الأربعة رضي الله تعالى عنهم، ونفعنا بهم آمين.

إجازة الشيخ سليم له: وهي نص الإجازة في العلم والطريق التي تكرم بها مولانا سليم إلى تلميذه الشيخ حسين، وذكر فيها أشياخه في العلم ومروياتهم، وأذن له فيها برواية العلوم التي أخذها عن أشياخه، كما كرّر له فيها الإذن بالإرشاد وإقامة الختم الشريف، وسنثبتها ذيلاً بنصها كما وعدنا في أول بحثنا عن شيوخ مولانا سليم:

بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لواصل المنقطعين إليه برحمته، ورافعٍ على السوى خدَمة أحاديث نبيه ﷺ وشريعته، فسبحانه من كريم خصّهم بعناية إمداده، وأفاض عليهم بركات برّه وإسعاده، وأرسل عليهم رحمته مسلسلة وخصّهم بخطابه، وأسند إليهم خشيته في عزيز كتابه، وصلاة وسلاماً على نبينا محمد سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فإن من شرف هذه الأمة الإسناد وسلوك الطريقة والإرشاد، وذلك من عهد المصطفى الجليل ﷺ، جيلاً بعد جيل، ولذلك كان الحفظ من التغيير بهذه الملة الغراء مختصاً، كما أخبر بذلك الصادق المصدوق بقوله في شريف الحديث المروي في القديم والحديث: (لا تزال طائفة من أمتي قائمين على الحق، لا يضرهم من خالفهم حتى يأتيهم أمر الله).

هذا وقد أكرم الله العبد الفقير وأوصل خيره العميم إليه، وأغدق هتّان برّه وإحسانه عليه، حيث وفقه للاشتغال بأشرف الطاعات، واستعمله في أعظم العبادات، وذلك بطلب العلوم السنية، والقيام بخدمة الطريقة النقشبندية الخالدية، جعلنا الله ممن عمل بمرضاته، وسعى في صلاح نفسه ليسلم في حياته ومماته، وجعل سعينا مشكوراً وعملنا خالصاً مبروراً، إنه على كل شيء قدير، يغفر الذنب ويعفو عن التقصير.

وكان من أعظم نعم القدير، وتيسيره للخير الكثير أن أرشدني لأخذ العلم والطريقة عن علماء تزينوا بأنوار الحقيقة، وتبركاً بهم وتمسكاً بعبير سببهم **أذكر بعضاً منهم فأقول:**

إن من أجلّهم أدباً وأقواهم سبباً من أخذت عنه العلم والطريقة والدِّين، قطب العارفين، مربي المريدين، مرشد الأصاغر والأكابر، الذي لا تسع مزاياه وفضائله بطون الدفاتر، صاحب القدر العلي، والفضل الجلي، فخر حمص **سيدي الشيخ أحمد الطوزقلي**، عليه الرحمة والرضاء من ربه العلي.

ومنهم القطب العارف صاحب الفضائل واللطائف، قدوة العلماء الأعلام والمرشد بعد أخيه أهلَ إقليم الشام، صاحب الشرف اللازب، والقلب الواجب، **الشيخ محمود أفندي**

الصاحب مُدّ في ظله [1].

ومنهم العلامة النحرير، والحبر المحقق الشهير، مربي المريدين، وموصل السالكين، القاطع في سلوكه كل سهل ووادي، **سيدي الشيخ أحمد بن سليمان الأروادي**، تولاه الله [2].

ومنهم الولي بلا نزاع، والعالم الورع ذو الفضل والارتفاع، من اشتغل بمراقبة المعيد المبدي، **سيدي الشيخ عبد الفتاح الكردي**، رحمه الله، وكل فرد من هؤلاء الأجلاء، قد تلقى الطريقة والعلوم، وتحلى بعقود المنطوق والمفهوم، ممن جدّد ما اندرس من رسوم الطريقة، وأظهر ما بطن من معارف الحقيقة؛ سيدي حضرة العالم العامل والموصل الواصل، ذو القرب من حضرة الحق والتداني، **سندي الشيخ خالد المجددي العثماني**، الملقب

---

[1] **محمود العثماني الشهير بالصاحب**، قرأ على أخيه الشيخ خالد النقشبندي القرآن ودروس الفقه وعلم الكلام، وقام أخوه بتسليكه الطريقة النقشبندية، وأذن له بالإرشاد العام والخلافة من بعده، وعندما ترك شقيقه السليمانية استلم محمود الزاوية هناك، وبعد وفاة الشيخ خالد حضر محمود إلى دمشق وتسلم زاويتها في جامع العداس. جاور محمود بمكة سبع سنوات، ثم عاد إلى دمشق حيث أنعم عليه السلطان عبد المجيد بتسلم التكية السليمانية بالمرجة، توفي محمود بدمشق عام ١٢٨٣ هـ، ١٨٦٦ م، ودفن بالقرب من أخيه خالد. **من مريديه:** أحمد السمين البغدادي، مدرس الأعظمية ببغداد، ملا بكر الكردي الكلالي، نزيل دمشق وصاحب صفوة التفاسير، محمد القرمشلي، شيخ الشافعية بديار بكر، عبد الفتاح الصاحب شيخ السليمانية. **مصادر ترجمته:** الحديقة الندية ص ٧٠ – ٧٣ محمد سليمان ط: القاهرة ١٣١٣ هـ، وبغية الواجد ص ٨٤ اهـ، من كتاب أعلام الطريقة النقشبندية، د. درنيقة ص ١٦٤.

[2] **أحمد بن سليمان الأروادي الطرابلسي النقشبندي:** أصله من جزيرة أرواد، رحل إلى دمشق، وسلك الطريقة النقشبندية على الشيخ خالد ذي الجناحين، ثم استوطن طرابلس الشام، لينشر الطريقة فيها، اشتهر بالتاريخ والأدب وعلم الحديث، توفي بطرابلس حوالي عام ١٢٧٥ هـ- ١٨٥٨م، ودفن بمدرسة الدبها النقشبندية التي لا تزال حتى الآن في الأسواق القديمة بطرابلس، وقرب مسجد سيدي عبد الواحد المكناسي، له أكثر من مائة مصنف منها: تاريخ كبير، التبر المسبوك في نهاية السلوك، ألفية في علم الحديث، مرآة العرفان، مفرجة الكروب في الصلاة على النبي المحب المحبوب، منظومته في أسماء الله الحسنى. **من أشهر خلفائه:** أحمد بن مصطفى الكمشخانوي، نزيل اسلامبول، وصاحب التآليف العديدة، (مصادر الترجمة: أحمد قدامة: عالم وأعلام، ج ١، ص ٢٨، دمشق ١٩٦٥، وإيضاح المكنون، للبغدادي إسماعيل، ج ٢، ص ٢٥٩ اهـ من كتاب الطريقة النقشبندية وأعلامها، د. أحمد درنيقة ص ٦٣، وعنه أخذ الصواف دون أن يذكر تأليفه، واختلطت ترجمته بترجمة غيره لدى الصوّاف.

بضياء الدين عليه الرحمة والرضا من رب العالمين.

وممن أخذت عنه أيضاً العلوم الشريفة وأجازني بمروياته المنيفة، حضرة العالم الفاضل واللوذعي الكامل، الجامع بين الطريقة والحقيقة، والمتحلي بشريعة سيد الخليقة، والمستغرق الليل والنهار في مراقبة الملك الجبار، دمشقي الدار، **سيدي الشيخ عبد القادر الخطيب العطار**. وغير هؤلاء ممن ثبتت روايته، واتضحت محجته ودرايته، رضي الله عنهم أجمعين، وجعل مقامهم في أعلى عليين، آمين.

هذا وقد سألني من تكرر لدينا بزوغ بدر فضله، وبهر عقولنا بجميل نقله، وجليل عقله، الولد الصالح والمخلص الناجح، **الشيخ حسين بن الشيخ محمد بن السيد حسين الحموي الطيباني**، بلغنا الله وإياه غايات الأماني، أن أجيزه بمروياتي، من المعقول والمنقول، رزقنا الله وإياه حسن القبول، والفقير قبلاً كنت أجزته بالطريقة النقشبندية ذات الفيوضات السَّنِيَّة، بعد أن سبرت غوره، وعرفت حاله وأمره، والشمس لا يجحد نورها، والروضة تنعم عليها زهورها، فإجابة لما طلب، وتثبيتاً لما إليه اتصل وانتسب قلت:

أجزت الولد المذكور ضاعف الله لي وله الأجور، بخدمة الطريقة النقشبندية، التي ملأ نورها الأكوان، وأذنت له بالإرشاد وبإقامة ختم خواجكان، كما أجازني أشياخي من أهل هذا الشأن، وأجزته أيضاً بما تجوز لي روايته وتحل لي درايته، بشرطه المعتبر لدى أهل الأثر، بما أجازني به هؤلاء الأعلام، وغيرهم من ذوي الإخلاص والإقدام، ومن جملته؛ كتاب التفسير للجلالين، وقد تلقيته عن شيخنا العلامة الشيخ عبد القادر الخطيب العطار، وهو تلقاه عن شيخه الشيخ إبراهيم الباجوري، والشيخ عبد الغني الدمياطي، وكلاهما أخذاه عن الشيخ الفضالي، وهو تلقاه عن تاج العارفين، الشيخ شمس الدين محمد بن سالم الحفني، وهو تلقاه عن الإمام محمد بن محمد البديري الشهير بابن الميتة، وهو تلقاه عن العمدة الشيخ الحلبي صاحب السيرة الحلبية، إلى هنا اشترك السند إلى الجلال السيوطي والجلال المحلى نفعنا الله بهما. ثم إن الشيخ الحلبي المذكور تلقاه عن البرهان العلقمي، وهو قد تلقاه عن خاتمة المحققين الجلالي سيدي عبد الرحمن السيوطي، هذا تمام السند إليه.

وأما تمامه إلى الجلال المحلي فهو: أن الشيخ الحلبي المتقدم ذكره تلقاه عن العمدة الشيخ الزيادي، وهو تلقاه عن الفاضل الشيخ الرملي، وهو تلقاه عن الإمام زكريا الأنصاري، وهو تلقاه عن سيدي محمد بن أحمد المحلي، رضي الله عنهم، ونفعنا بهم آمين.

ومن جملة المرويات صحيح البخاري فتلقيته بالسند المتصل إلى شيخنا عبد القادر الخطيب المذكور، وهو تلقاه عن العمدة **القويسني**، قال: أخذته عن الإمام الفاضل الشيخ عبد الله الشرقاوي، وعن الشيخ الإمام الرحلة محمد بن سالم الحفني، عن الشيخ عيد التمرديني، عن الشيخ عبد الله سالم البصري، عن الشيخ محمد بن علاء الدين البابلي، عن الشيخ سالم السبنهوري، عن الإمام النجم الغيطي، عن شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، عن الإمام ابن حجر العسقلاني، عن إبراهيم بن محمد التنوخي، عن أحمد بن أبي طالب الحجار، عن الحسين بن المبارك الزبيدي الحنبلي، عن أبي الوقت عبد الأول بن عيسى بن شعيب السجزي الهروي، عن أبي الحسين عبد الرحمن بن محمد بن مظفر بن داود الداودي، عن أبي محمد عبد الله بن أحمد السرخسي، عن أبي عبد الله محمد بن يوسف بن مطر بن صالح بن بشير الفربري، عن الإمام البخاري مؤلفه، نفعنا الله بهم أجمعين، وأنا أسأل المولى الكريم أن يفتح عليّ وعليه، وأن يجعلنا جميعاً من المخلصين لديه.

وأوصي الولد المذكور بما أوصاني به كل شيخ مبرور، بتقوى الله في السر والعلن، وإسداء المعروف لمن أساء إليه وأحسن، وبالتثبت في نقل الأحكام، وأن لا ينساني والمسلمين من دعواته، وأسأل الله حسن الختام

تحريراً في الليلة الخامسة من شهر جمادى الثانية الذي هو من شهور السنة الثامنة عشر بعد الثلاثمئة والألف من هجرة من جاء على أكمل وصف ﷺ.

الإمضاء

الفقير بالذات إليه سبحانه من جميع الجهات

خويدم الفقراء محمد سليم خلف

* وقد ترجم لهذا العالم العارف، الدكتور محمد أحمد درنيقة في كتابه: (الطريقة النقشبندية وأعلامها) قال:

- **حسين الخطيب الحموي**: ولد بحماه وقرأ فيها العلوم الشرعية على كبار علمائها، فبرع بالحديث والتفسير والفقه والأصول، وفي عام ١٣١٠هـ، ١٨٩٢م، اتصل بالشيخ سليم خلف شيخ النقشبندية في حمص، ولازمه حتى نال الإجازة في الطريقة عام ١٣١٨ هـ، ١٩٠٠م، فانطلق ينشرها ويدافع عنها ولا سيما في تآليفه العديدة:

- العجالة السنية في الرد على المعترضين على السادة النقشبندية.
- الفيض والإلهام بمدح طريقة السادة الأعلام.
- تنبيه الإخوان على العمل ليلة النصف من شعبان.
- تعليقات على الفتوحات المكية لمحي الدين بن عربي.
- الفتوحات النبوية.

وكانت للخطيب رغبة في وضع مؤلف ضخم يضم تراجم كبار الصوفية لا سيما مشايخ النقشبندية. اهـ.

وقد عزا المؤلف د. درنيقة مصادر الترجمة إلى كتاب الشيخ حسين (الدر اللطيف)، ص ٤-٧، وقد قدمنا أن الشيخ شاكر هو الذي قدم الكتاب (الدر اللطيف) بترجمة لزميله وأخيه في الطريق الشيخ حسين، ولم يترجم له الصواف خلافاً لعادته في نقل ما ورد في كتاب الدكتور درنيقة.

آخر حياة الشيخ:

يقول جامع هذه الترجمة: وقد زرنا بصحبة شيخنا عبد الباسط أبو النصر، قرية طيبة الإمام وهي من قرى حماه الكبرى، حيث يرقد الشيخ حسين قدس سره العزيز، وذلك بدعوة من ولده الشيخ حافظ رحمه الله، وذلك عام ١٣٩٩ هـ، وحدثنا عن حياة والده وسيرته العطرة الشيء الكثير مما يسر السامع، ويفرح المؤمن، وأرى شيخنا بعض مؤلفات

والده، المطبوعة والمخطوطة، وأهدانا كتابه (الدر اللطيف).

وقد قمت بزيارة الطيبة عام ١٤٢٠ هـ مرة أخرى، وزرت ولده الأُستاذ محمد فخري الخطيب بن الشيخ حسين، حيث كان زميلي في طلب العلم في المدرسة الخسروية بحلب، وزرت ابن أخيه الشيخ تقي بن الشيخ حافظ حفظه الله، حيث هو الآن خليفة والده الشيخ حافظ على الإخوان.

وحدثني الأستاذ محمد فخري؛ أن والده الشيخ حسين توفي ليلة الخميس ١٧ تموز ١٩٥٢، (الموافق لـ ٢٤ شوال ١٣٧١ هـ) وكان يجلس لدى والده ساعة وفاته، وأَذَّنَ المغرب، فاستأذنه أولاده الحاضرون في الصلاة في المسجد، فقال لهم: ليصل بعضكم في المسجد وبعضكم هنا، ثم صلى الشيخ المغرب مومياً، وبعد دقائق فارق الحياة.

قال السيد محمد فخري: فشهدت في ذلك الوقت ثلاث طيور خضراء بحجم الزرازير تطير في الغرفة منها وإليها حتى طلع الفجر، ولم أكن رأيتها من قبل.

وقال الأخ الكريم الشيخ تقي الدين بن الشيخ حافظ: أيضاً رأينا طيوراً كثيرة بحجم النسور يوم وفاته، ولم نكن قد رأيناها من قبل، ظلت تحوم فوقه بعد أن أخرجنا نعشه إلى أرض الدار وحتى الفجر، وقد ثار غبار عظيم ذلك اليوم وعواصف عمت المناطق، حتى الجزيرة. وكان مما رأيناه ولفت نظرنا أيضاً - والكلام للشيخ تقي الدين - اضطراب وأمر غير عادي ظهر على حيواناتنا الأليفة، وسماع أصوات لها تشبه البكاء.

وحدثني السيد محمد فخري عمن رأى وسمع عصر يوم الوفاة في قرية تلبيسة أنهم رأوا في إحدى الزوايا الصوفية الدفوف (المزاهر) والخليليات تقرع من بعد العصر، دون أن يتناولها أحد، فأنزلوها من مكانها في الجدار، وقرعوا بها قليلاً ثم أعادوها إلى مكانها في الجدار، فاستمرت في القرع حتى بعد المغرب، فقال الذين رأوا وسمعوا هذه الحادثة الغريبة: لا بد أن حدثاً هناك مهماً، ولم يمضِ اليوم حتى جاءتهم الأخبار بوفاة الشيخ حسين رحمه الله ونوّر ثراه.

قال: وكان يوم وفاته مشهوداً، حضره علماء حماه وحمص وجمهور من الخلائق من

المحبين والأخوان، وأهل البلدة، وقد تولى غسله أكبر أولاده الشيخ نجيب، وحضر الغسل أولاد شيخنا أبي النصر: الشيخ كلال، والشيخ عبد الباسط، والشيخ عبد الرحيم، وصلى عليه الشيخ عبد الباسط، وبقي حتى اليوم الثاني فصلى الجمعة في المسجد الكبير، وخطب فيه مترحماً معدداً مآثر ذلك العالم الرباني، وبقي هو وإخوته الأفاضل حتى المساء. اهـ حديث السيد محمد فخري.

إزالة شبهة: وقد ادعى بعض الناس أن هناك خلافاً بين الشيخ حسين والشيخ أبي النصر، وهذا مما أشاعه المغرضون، فمجيء الشيخ عبد الباسط وإخوته الكرام رحمهم الله جميعاً وحضورهم الجنازة، وخطبة الشيخ عن مآثره ومناقبه وزيارته لولده فيما بعد ينفي هذا الادعاء.

والأهم من ذلك أن الشيخ أبا النصر قدس سره كان يزور الشيخ حسين في حياته إلى قرية الطيبة، وكذلك الشيخ حسين يزور أخاه وابن شيخه أبا النصر.

وقد حدثني الشيخ محمد الحجار (نزيل المدينة المنورة) أنه ذهب مع الشيخ أبي النصر إلى الطيبة لزيارة الشيخ حسين حفظاً على الود، واستمراراً لود أبيه.

وحدثني الأخ الشيخ تقي الدين، أنه رأى قبل وفاة جده بشهر أو أكثر، وكان عمره /١٢/ عاماً، رأى فيما يرى النائم ناساً يملؤون الأفق، في جهة القرية الشرقية، حيث بيت جده الشيخ حسين، فقال الناس الواقفون: هناك سينـــزل رسول الله ﷺ من السماء، وبعد لحظات نزل ﷺ من السماء على كرسي له سلستان من ذهب، فجاء والدي الشيخ حافظ فقبل يده، فسأله عن أبيه الشيخ حسين فقال: هو في البيت، فقال له: ابعثه لي، فأخبر والدي والده الشيخ حسين، فجاء وسلّم وقبل يدَي رسول الله ﷺ، ثم ركب في الكرسي، وصعد الكرسي في السماء، ثم عاد الكرسي فارغاً، فركب فيه رسول الله ﷺ، ثم ارتفع وغاب عن عيني، فقص والدي رؤياي على جدي، فقال له: قبّل ما بين عينيه. اهـ.

آثار الشيخ ومؤلفاته:

أقول: وقد أكرمني الله سبحانه وتعالى بالاطلاع على بعض مؤلفات الشيخ التي لا تزال مخطوطة في المرة الأولى لعام ١٣٩٩ هـ، مع شيخنا أبي نزار رحمه الله وقدس روحه، وفي المرة الثانية لعام ١٤٢٠ هـ، لدى زيارتي لأخي الشيخ تقي حفظه الله، وأمد في عمره، حيث يقوم مقام والده في زاويتهم، بملاحظة الإخوان، وتربيتهم على منهج جده ووالده في الطريقة العلية النقشبندية، فاطلعت على مجموع فيه بعض تآليف الشيخ حسين قدس سرّه، وقد استنسخها من الأصل خليفته وولده الشيخ حافظ رحمه الله ونور ضريحه، ومن هذا المجموع (كتاب الرفيق في الطريق)، وهو على مصطلح القوم في كلمات الطريق، والكتاب في /٢٩/ صفحة، ويليه كتاب آخر سمّاه (إلهام المهيمن في حديث المؤمن مرآة المؤمن)، وقد قرظه له علامة الشام ومفتيها الشيخ محمد عطاء الله الكسم رحمه الله وقدس روحه، وهو في /٧٥/ صفحة.

قال الشيخ حسين في فاتحته: (وعلامة قبول هذا الكتاب عند الله ورسوله والسادات الأكابر، أنه لما كنا مدعوين عند أهل الشام، عند الشيخ نجيب أفندي كيوان، العالم العامل واللوذعي الكامل، وكان داعياً الشيخ المحترم العامل فقيه الشام الشيخ عطاء الله الكسم، فقرظ هذا الكتاب بخطه ورقمه، وبعد أن تناول الغذاء أخذ الإخوان في مدح رسول الله ﷺ والسادات رضي الله عنهم، ونحن في حالة غيبة عن الأكوان، إذ قال لي يا سيدي: الهاتف هتف بي وقال لي: لا يحصل لك فتوح ما لم تطالع كتاب الشيخ، يعني (إلهام المهيمن) وكان عنده يطالعه، فقلت: الحمد لله، فعلمت أن القبول حفه من الله والرسول ﷺ والحمد لله، أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً، وكان ذلك سنة ١٣٤٧ من هجرته عليه الصلاة والسلام. اهـ.

وهذا تقريظ مفتي الشام رحمه الله تعالى: (الحمد لله الذي أودع قلوب أوليائه طرائف الحكم، ورفع عنها كثائف أستار الظلم، فكانت علومهم من فيض المواهب، لا من تعنت البحث، وتعب المكاسب، والصلاة والسلام على سيدنا محمد بحر المعارف الربانية، ومنبع

العلوم اللدنية. أما بعد: فقد تشرفت بالإطلاع على هذا الكتاب الشريف، والعقد المنيف المسمى بـــ (إلهام المهيمن) لمؤلفه العالم الفاضل والتقي الكامل، الشيخ حسين أفندي الخطيب الطيباني، فأسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يؤهلنا لفهم كلام أهل تلك الطريقة، ويمنحنا ما منحهم من الأذواق، ومعارف الحقيقة، وأن يرزقنا التسليم لمعنى عباراتهم البديعة، وإشاراتهم الرفيعة، وإذا لم تر الهلال فسلم لأناس رأوه بالأبصار.

وقد قال قائلهم:

تركنا البحار الزاخرات وراءنا فمن أين يدري الناس أين توجهنا

نفعنا الله بعلومهم، وأدام علينا بركاتهم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين، وآله وصحبه أجمعين.

غرة ربيع الأول ١٣٤٧ هـــ

حرره مفتي الشام محمد عطا الكسم

أقول:

واطلعت في هذا المجموع على كتاب آخر سماه (المدارج في المعارج والمعارج في المدارج) وهو يحوي / ٧٨ / مقاماً من مقامات الطريق، وقد ذكرنا فيما سبق قسماً من مؤلفاته وأهمها (الدر اللطيف في فضائل الختم الشبريف).

ومن المناسب في هذا المقام أن نذكر نبذة عن خليفته ولده الشيخ حافظ رحمه الله ونوّر ضريحه كما كتبه لي ولده الشيخ تقي حفظه الله.

الوارث الكامل، والخليفة الفاضل

الشيخ حافظ بن الشيخ حسين الخطيب الطيباني وولده الشيخ تقي الدين

(١٣٢٥-١٤٠٩ هـ) (١٩٠٧-١٩٨٩ م)

ولد رحمه الله تعالى في طيبة الإمام عام ١٣٢٥ هـ، الموافق ١٩٠٧م، وتلقى تربيته على والده الشيخ حسين، وتلقى عليه أيضاً علوم الشريعة والحقيقة، وبقي في خدمة والده طول حياته، وأجازه بها، وكان وارث والده في الإرشاد، بإجازة خطية كتبها له قبل وفاته، وقد أفنى حياته في طلب العلم وإرشاد المريدين، حتى توفاه الله في شعبان ١٤٠٩هـ، الموافق ١٩٨٩م، في المدينة المنورة، ودفن في البقيع بجوار السيدة حليمة السعدية رضي الله عنها، وأكبر إخوته نجيب ثم زاهد ثم سليم ثم أبو النصر ثم إبراهيم ثم محمد فخري ثم محمد مرضي، وهذا أصغر الأخوة، وتربى يتيماً لأنه ولد ولم يعش والده إلا فترة قصيرة بعد ولادته، رحم الله الجميع وأسكنهم فسيح جناته، إنه سميع مجيب. اهـ بخطه

وقد ورث الشيخ حافظ - كما حدثني ولده التقي - مكتبة عامرة بأمهات الكتب، وقام بعد والده الشيخ حسين بخطابة الجامع الكبير في الطيبة، وظلّ يخطب ويدرس فيه حتى وفاته ١٤٠٩ هـ، وكانت له جولات على الإخوان على خطى والده في مناطق حماه وأريحا ودمشق.

ثم قام بعده ولده وخليفته **الشيخ تقي الدين** بالخطابة والتدريس حيث يدرس الفقه والتفسير والتصوف في المسجد، وفي الزاوية أيضاً للإخوان من مريدي والده، كما يقوم بالدرس الصباحي في الزاوية بعد والده، فقهاً وتصوفاً وغير ذلك، إذ أنه مستمر على سيرة والده في هذه الدروس، ويقوم أيضاً بقراءة الختم النقشبندي ليلة الجمعة في الزاوية، وبعد العشاء يومياً، وفي صباح كل يوم في المسجد، حفظه الله تعالى وأدام نفعه.

٣- العالم الأديب والصوفي الأريب والمفسر الغواص في حقائق القرآن

الشيخ شاكر الحمصي المصري النقشبندي

(١٢٩٢-١٣٧١ هـ) (١٨٧٥-١٩٥١ م)

وهو العالم العلامة المفسر الفقيه الأديب الأريب الصوفي السالك، والمريد الصادق الذي لازم مولانا الشيخ سليم سنين عديدة وتربى على يديه وتزكى لديه، وقد ذُكِرَت ترجمته في أول كتابه النفيس، تفسير الجزء الثلاثين من القرآن الكريم المسمى: (كشف الأستار عما بعد الموت من أسرار)، المطبوع منذ عام (١٩٧٢ م، ١٣٩٢ هـ) تقريباً، وفي مقدمة تفسيره: (المنح الفاخرة في معالم الآخرة) الذي فسَّر فيه آيات الآخرة، وطبع عام ١٤١٢ هـ في دمشق.

جاء في مقدمة تفسير الجزء الثلاثين ما يلي:

هو المرحوم العلامة الكامل والأستاذ الفاضل الحاج محمد شاكر بن محمد بن علي شاكر الفيومي المصري؛ ولد في حمص في شهر ذي القعدة ١٢٩٢ هـ، ١٨٧٥ م ونشأ بها ولما بلغ سن التمييز تعلم على يدي والده مبادئ الكتابة والقراءة، ولما بلغ السابعة من عمره توفي والده في الديار الحجازية بعد أداء فريضة الحج الشريف، ثم تعلم اللغة التركية على يد الشيخ مصطفى الترك فأتقنها في المدرسة الرسمية العثمانية الرشدية، ثم سلك طريق العلم الشريف فدخل في زمرة طلابه في جامع البازارباشي بحمص زمن الاستثناء الحميدي ١٣٠٧ هـ-١٨٨٩ م، فأخذ عن كثير من علماء عصره، من جملتهم السادة المرحوم الشيخ عبد الغني السعدي والشيخ عبد الساتر أفندي الأتاسي والشيخ أحمد صافي والشيخ محمد المحمود الأتاسي وغيرهم، وقد قرأ على أولئك السادة كثيراً من الكتب يطول عدها من نحو وصرف ومنطق ومعان وبيان وبلاغة وأصول وفقه على المذهبين الشافعي والحنفي

وحديث وتفسير، وقرأ أيضاً عليهم التوحيد والفرائض وكثيراً من علم الفلك وعلم النفس وعلم التشريح والطب، وطالع في كتب الجيولوجيا والدورة الدموية لـــ (فانديك) والأقربازين لـــ(بوست) وغير ذلك من العلوم التي تلقاها كسباً ووهباً، وقد اشتهر بكثرة الحفظ والذكاء.

وكان من المحبوبين والمقربين لدى شيخ الطريقة النقشبندية العارف الكبير الشيخ محمد سليم قدس الله سره، حيث لازمه سنين عديدة وليالي ساهرة مديدة، فكان كاتبه الوحيد لكل ما يحتاج إليه السالكون، وقرأ على يد شيخه المشار إليه علم التصوف وغيره، كما كتب بعهده بعض رسائل تتعلق بالطريقة النقشبندية، ثم في عام ١٩١٠م - ١٣٢٨ هـــ توفي الشيخ **محمد سليم خلف المذكور رحمه الله تعالى،** ثم ذكرت الترجمة بعض كتبه ورسائله التي ألفها وأهمها هذين التفسيرين اللذين أشرنا إليهما آنفاً، وكتاب (لكل نبأ مستقر) فَصَّلَ فيه أحوال الآخرة ومواقفها مرحلة مرحلة، وهو كتاب فخم حجمه نحو ألف طبق.

وكان رحمه الله تعالى متقلداً بأرقى وظائف العلم فأسند إليه في عام ١٣٢١ هـــ - ١٩٠٣ م وظيفة الإمامة والخطابة والتدريس في جامع مصطفى باشا الحسيني بحمص، وأسند إليه أيضاً محرر ديوان الرسائل لمقام محافظة حمص، وتعين بصفة عضو في دائرة أوقاف حمص، وأستاذاً للطلاب في المدرسة العلمية الوقفية بحمص أيضاً، ثم ذهب في آخر حياته إلى دمشق الشام حسب إشارة شيخه سليم له: أنت في آخر عمرك تسكن الشام.

وقد تحقق ما أشار إليه شيخه بفضله تعالى وكرمه، حيث إنه مكث فيها بضع سنوات، ألف في خلالها هذا السفر المبارك وكتاباً آخر سماه (المنح الفاخرة في معالم الآخرة) هيَّأ الله له من يقوم بطبعه ونشره إنه ولي التوفيق وبالإجابة حقيق. (طبع ولله الحمد عام ١٤١٢هـــ كما أشرنا أعلاه).

<u>وفاته</u>: توفي رحمه الله تعالى في حمص صبيحة يوم الجمعة ١٢ شوال ١٣٧١ هـــ ١٩٥١ م وبعد صلاة الفجر تنفس نفسه الأخير بقوله (الله) فكان آخر كلامه، وكان لجنازته مشهد عظيم، شيعه جمٌّ غفير من كبير وصغير على اختلاف طبقاتهم، ودفن في مقره الأخير في تربة باب تدمر بالكثيب الأحمر رحمه الله تعالى.

مع تفسيره المنح الفاخرة: وقد ورد في مقدمة تفسير (المنح الفاخرة) ترجمة للشيخ شاكر أيضاً ذَكَرَ فيها المقدِّم والمشرف على طبع الكتاب أنه أخذها من كتاب تاريخ علماء دمشق، ذكر فيها بعضاً مما ذكرناه أعلاه ومما جاء فيها: (لازم شيخ الطريقة النقشبندية الشيخ محمد سليم خلف سنين عديدة، فأحبه وقربه وكان كاتبه الوحيد لكل ما يحتاج إليه السالكون، وقرأ عليه علم التصوف وغيره، كما كتب بعهده بعض الرسائل المتعلقة بالطريقة النقشبندية، وسنجد له في تفسيره هذا كثيراً من الإشارات إلى شيخه هذا) [ص١١ المنح].

ورغم أنه ذكر في أول الترجمة مشايخه الذين تلقى عنهم العلم، ذكَر مرة ثانية تحت عنوان مشايخه ما يلي: (ذكر في تفسيره هذا المنح الفاخرة) أربعة من مشايخه أثناء تفسيره الآية ١٢٠من سورة النحل، وهم: (الشيخ خالد النقشبندي الشهير بالحضرة، الشيخ أحمد الطوزقلي، والشيخ محمد سليم خلف، والحاج حسين الخطيب الطيباني). [ص ١٢].

ثم ذكر المشرف في ص ١٩ أيضاً تحت عنوان مصادر المؤلف:

(**ثانياً: مشايخه:** وهو المصدر الثاني الذي اعتمد عليه الحمصي في مؤلفه هذا، عرفنا منهم أربعة ذكرهم أثناء تفسيره لسورة النحل وهم: الشيخ خالد النقشبندي الشهير بالحضرة، والشيخ أحمد الطوزقلي، والشيخ محمد سليم خلف، والحاج حسين الخطيب الطيباني، وأكثر هؤلاء المشايخ ذكراً في كتابه هذا هو الشيخ محمد سليم خلف، فهو ينقل عنه أقواله وأحواله وآراءه). [اهـ من المقدمة].

إزالة وهم:

أقول: وواضح من سرد أسماء هؤلاء السادة في سياق مشايخه أن قصد المشرف على الطبع أنه تلقى عنهم العلم أو درس عليهم، وهذا وهْمٌ بيّن، سببه عدم معرفته بتراجم هؤلاء السادة، فإن مولانا الشيخ خالد النقشبندي الشهير بالحضرة قدس سره العزيز هو شيخ مشايخ مولانا سليم، ولم يدركه الشيخ سليم فضلاً عن تلميذه شاكر، إذ أنه توفي في دمشق عام ١٢٤٢هـ الموافق ١٨٢٦م بينما ولد الشيخ شاكر ١٢٩٢هـ، كما إن الشيخ الطوزقلي شيخ مولانا سليم قد توفي بحمص عام ١٢٨٥ هـ، ولم يدركه الشيخ شاكر.

أما مولانا سليم فهو أستاذ الشيخ شاكر وشيخه الذي تلقى العلم والتربية على يديه، كما ذكرنا في أول الترجمة، وأما الحاج حسين الطيباني فهو زميل الشيخ شاكر عند مولانا الشيخ سليم في طلب العلم والطريق كما ذكرنا في ترجمته، وليس شيخه.

وسبب آخر لوهم مقدم الكتاب والمشرف على طبعه، هو أن الشيخ شاكر ذكر في تفسيره المنح الفاخرة الجزء الأول الصفحة (٧١٣)، تفسير الآية ١٢٠ من سورة النحل، تحت عنوان: (صفات أصحاب اللطائف) قال: (وذكر الإمام الربّاني الشيخ أحمد المجددي الفاروقي السرهندي، في مكتوباته أنه بلغ مرتبة اللطائف العاشرة، وكذا أسيادي الشيخ خالد النقشبندي الشهير بالحضرة، والشيخ أحمد الطوزقلي، والشيخ محمد سليم خلف، والحاج حسين الخطيب الطيباني، وغيرهم). اهـ.

فإن الشيخ شاكر رحمه الله تعالى ذكر هؤلاء السادة الذين بلغوا مرتبة الذكر باللطائف على سبيل المثال في شرح صفات أصحاب اللطائف، ولما ذكرهم الشيخ شاكر بلفظة أسيادي، كانت سبب دخول الوهم على المقدم المشرف، فاعتبرهم مشايخه، وهُمْ كما بيَّنا مراتبهم وسنيّ وفاتهم، ولأجل ما ذكرنا اقتضى البيان، وإزالة الوهم.

وعودٌ إلى الحديث عن هذا العالم الفاضل الذي نهل من علوم شيخه سليم ما أفاضه الله عليه من بركاته، فجعلها درراً في كتبه ظاهرة لمن يلتقطها، منيرة لمن يستضيء بها، وقد ذكرنا في ترجمة مولانا سليم بعض كلامه الذي ذكره الشيخ المصري.

أشعاره: وله شعر رائق ومدائح، وأناشيد نظمها، وقد أنشدها المنشدون ولا زالوا، وقد طبع شعره في ديوان سماه (الرياض القدسية في مدح خير البرية) طبعها ورتبها تلميذه عبد الرحيم الشاطر في مطبعة الشرق بدمشق عام ١٩٣٣م.

ومن شعره في مدح خير البرية ﷺ قال:

تبـــــارك الله فرقـــــان بقـــــرآن ... يجـــــل بأســـــرار محاســـــن بإحســـــان

وقـــد تـــلألأ طـــه مـــن محاســـنها ... فنـــوره مشـــرق والقلـــب ربـــاني

وفي مثـــاني المعـــاني ظـــل منبـــهجاً ... الجمـــع يشـــرق والتبيـــان رحمـــاني

روض من الفرق سر الحق فيه سرى ... فيا بروحي روض الرند والبان

يجلو لأحمد زهر اللطف مزدهياً ... والجمع أزهاره تفصٰيل تبيان

يجلى وللسُّوَرِ الحُسْنى بُحور سناً ... جموعها فيه تجلو حسن فرقان

بل كل حرف له في لج كلمته ... جمع زها فرقه في جمع قرآن

من كل آية حسن جمع بهجتها ... بحر قد امتاز في فرقانه الثاني

بحر بحور جموع المجد ناظمة ... در الفروق به في سلك عقيان

أحسن بها درراً تزهو مرصعة ... جمعاً وفرقاً بتبيان وعرفان

بحار لطف بجمع الجمع باهرة ... لله حسن مجالي ذلك الشان

ما بين كلٍّ ترائى برزخٌ فزها ... بحر الكلام بياقوت ومرجان

تكلل السيد الأسمى بقدس سنا ... روح من الأمر ذي روح وريحان

يا حسنه حينما تجلو طوالعها ... كواكب الفتح في إحسان محسان

تجلو فتحلو ثمار المن دائبة ... يزهو المزيد فيبهو بالجنى الجاني

فتح تضاعف تفصيل العلوم به ... مسلسلا في شئون ذات أفنان

فرائد الفتح تجلو عن فرائدها ... في لمحة فهو يعلو والندى داني

كأنه اللوح والبر العليم به ... يبدي كما شاء من علم وإيقان

يرقى فيلقى بعقد الفضل سلسلة ... تهديه در الندى سراً بإعلان

يستطلع العلم من تلك الشئون على ... بصيرة من بصير ذات سلطان

فلا التحلي بحسن الفضل يشغل عن ... ذات التجلي ولا عن بث شكران

ولا يني الفضل عن مد المزيد ولا ... ينفك خدن الولا عن من منان

لله مجلى شئون الفيض زاهرة ... بكل فتح سني المنح حسان

وقد تسلسل سلسال المزيد على ... شمس العلا بمديد الفضل هتان

مطرزاً بسنى أزكى الصلاة له ... حسن السلام ازدهى من ذات حنان

يكلل الرسل ساري سره فيفي ... للشاكرين بروح بعد غفران

يدوم ما في سما الفرقــان مــن كــرم ... تبــارك الله فــرداً مالــه ثــاني

وقال رحمه الله:

خذ بــروح الصــب للعليــا معــك ... وارحم المتبــول واكشــف لمعــك

يا أبــا الزهــراء يــا أسمــى سمــا ... جل مَــنْ ســرَّ المعــالي أودعــك

أنت روح الــروح مصبــاح الهــدى ... مات في ليل الهوى مــن ضــيَّعك

ما على الفضل اللــدني لــو جــرى ... جمع شملي فيك مــع مــن جمعــك

وانجلى لي عنــك يــا شمــس العــلا ... حُسْنَ ظِلٍّ ظَــلَّ يجلــو مطلعــك

وازدهــى الفرقــان في قرآنــه ... والمثــاني أسمعــت مــا أسمعــك

وانــثني يــا ذات مــرآة البــها ... منك يجلى الفضــل ممــن صــنعك

حيث يروي الفتح عن فيض النــدى ... عن سنا عليــاك عمــن أبــدعك

يــا حيــاتي ونعيمــي في سمــا ... مطلــع الإحســان ثبــتني معــك

واجــر بالإحســان يــا ينبوعــه ... بالــذي أعلــى المعــالي رفعــك

صاغ فيــك النــور مــن تســليمه ... في صــلاة الحــب دراً رصــعك

لم يــزل يهمــي بــلألاء الســنا ... يتــرع الأحبــاب ممــا أترعــك

وله تخميس بيتي سيدي الشيخ أحمد الرفاعي ﷺ:

شموس فضلك فوق الأوج منــزلها ... تزهو وكــل أولي العليــا تؤملــها

إلى رحاب جميــع الرســل تنــزلها ... (في حالة البعد روحي كنت أرسلها

تقبل الأرض عني وهي نائبتي)

روحي مع الرسل في أعتابك ازدهرت ... فتم ثَمَّ عليهــا الفضــل فــانهمرت

جدتم على الروح بعد الكسر فانجبرت ... (وهذه دولة الاشباح قد حضــرت

فامدد يمينك كي تحظى بها شفتي)

وله عفى الله عنه، وهي من الأناشيد التي تنشد في المجالس النقشبندية:

يا كل الآمـــال فقـــري رأس المـــال ... هل يحظـــى المســـآل في جمـــالكم

عبد في الأبواب ملقـــى في الأعتـــاب ... يستجدي الأحباب من إفضـــالكم

قد مد الخدين أرضـــاً بـــاكي العـــين ... فـــاجلو عنـــه الغـــين في إقبـــالكم

واستجلوا الأستار عن جـــان مهـــذار ... يرجو قرب الـــدار مـــع وصـــالكم

فارضوه في الباب عبـــداً للأحبـــاب ... مـــأمون الأوصـــاب في ظلالكـــم

واستبقوا الملهوف يا أهـــل المعـــروف ... في حكم المعطـــوف علـــى آلكـــم

واحبوه الإحســـان بـــالنور المحســـان ... كي يبقـــى الإنســـان في جلالكـــم

بالهـــادي الحبيـــب رقـــوا للكئيـــب ... هـــل راج يخيـــب في تســـآلكم

صـــل يـــا غفـــار للنـــور المـــدرار ... قســـام الأنـــوار مـــن نـــوالكم

واشمـــل بالتســـليم أربـــاب التعلـــيم ... مـــع صـــب علـــيم في كمـــالكم

وله من بحر (إذا رضوني أهل الوصال)، وهي مما ينشد أيضاً:

هـــل تقبلـــوني هـــل تقبلـــوني ... عبـــد أثـــيم زادت فتـــوني

بالـــذل واقـــف بالبـــاب عـــاكف ... والله خـــائف أن تطـــردوني

أخشـــى ذنـــوبي زادت عيـــوبي ... مـــن ذى الخطـــوبِ فأنقـــذوني

قـــد طـــال دائـــي أنـــتم دوائـــي ... ينـــأى التنـــائي أن تلحظـــوني

أنـــتم مـــرادي يـــا للأيـــادي ... فـــانفوا رقـــادي وأيقظـــوني

بحـــق طـــه مـــن عـــز جاهـــا ... قولـــوا لي هـــا هـــا وقربـــوني

قـــد طـــال بعـــدي يـــا آل ودي ... جـــودوا بوعـــد وأمطلـــوني

أرجـــوا لقـــاكم روحـــي فـــداكم ... قصـــدي رضـــاكم فـــأتحفوني

عـــان لـــديكم أشـــكوا إلـــيكم ... مـــاذا علـــيكم أن تمنحـــوني

صـــلي وســـلم رب وعظـــم | علـــى المعلـــم أهـــل الفنـــون
وامـــنن وواصـــل كـــل الأفاضـــل | مـــا قـــال قائـــل هـــل تقبلـــوني

وله كذلك:

في حـــب طـــه جـــاء الـــنص | والله بالرحمـــــة يخـــــتص
نـــور البـــها القدســـي الأزهـــر | قـــد زيـــن الهـــادي الأنـــور
أفديـــــه إن فضـــــلاً أظهـــــر | نـــوراً عـــن العليـــا حصـــحص
في بحـــر فـــيض المحســـان | غـــص يـــا فـــؤادِ الولهـــان
تجـــــي دراري الإحســـــان | فالـــدر يجـــنى بعـــد الغـــوص
در النـــدى بـــاهي المعـــنى | يلتـــاح في أســـنى مغـــنى
إن رمتـــه فاســـلك معنـــا | تلقـــاه يجلـــى فـــوق القـــص
اســـلك طريـــق النقشـــية | أهـــل المزايـــا القدســـية
وارم الـــدواعي النفســـية | فالـــدهن يبـــدو بعـــد الـــرص
واختـــر دلـــيلاً قـــد حصـــل | توقيـــع هادينـــا الأمثـــل
والزمـــه واحـــذر أن تعمـــل | شـــيئاً مســـيئاً عنـــد الفحـــص
صـــلاة رب البرايـــا | علـــى مفـــيض العطايـــا
والآل ســـامي الســـجايا | مـــا ســـار مشـــتاق يقـــتص

وله عفا الله عنه، وهي مما ينشد في المجالس أيضاً:

متى القلب الشجي المضنى لمغناكم يعـود | وشمس الحضرة الحسنى توافي بالشـهود
كَوَوْا في جمرة الحب فـؤاد المسـتهام | وخطبي فيهم خطبي وقد شب الغرام
ودمعي والضنا ينبي عن الوجد الضرام | وفيهم طاب لي سلبي ولو طال الصدود
ألا يا حادي الركب فأوجز لي الطريـق | وسر بالله في قلـبي إلى أعلـى رفيـق

وإن وافى سنا الحب فخـــيِّم بـــالعقيق وشفع بي ذوي القرب عسى حبي يجود
وخذ بالمغرم الصب لأعتاب الكـــرام عسى أن يرحموا صبي دموعًا بانسجام
ويرضوني على عيبي بـــذيَّاك المقـــام ويجلو وصلهم كربي ويحلو لي الورود
ألا يا جيرة الشعب صلوا هذا الفقـــير ورقوا وارحموا شيبي فها دمعي غزير
وغضوا الطرف عن ذنبي فبالعفو الكـــبير كثير فاز بالقرب وإطـــلاق القيـــود
صلاة الحب للحب على مجلى السلام يحييه بهـــا ربي نعيمـــاً في الـــدوام
ويسري فيضها الوهبي إلى الآل الكرام ويجزي شاكر الشرب كمالاً في ورود

وله عفا الله عنه، وهي مما ينشد أيضاً:

ساداتنا **النقشـــية** كواكـــب دريـــة أروم منهم نظرة في حضرة قدســـية
أروم من أسيادي مظـــاهر الإمـــداد يقدمون الصـــادي لخـــيرة البريـــة
يقـــدمون الآثم لمظهـــر المـــراحم لعـــل ذا المكـــارم يجـــود بالأمنيـــة
عسى حبيب الرب يجود لي بـــالقرب وبالشهود العذب يشفي ضنا الطوية
قد لذت بالحسين راجي زوال الغـــين فاجلوا بكحل العين غـــيني وداووا العيـــا
بشيخنا **السليم** ذي المنـــهج القـــويم حنوا على العديم واطووا عيوبي طيا
جودوا على المحبوب برؤيـــة المحبـــوب وأحيوا بنشر الكوب ميتاً ترجى ريه
جودوا أهيل الحي بحـــق ربي الحـــي واجلوا فؤاد العي فضلاً ونحوا غيـــه
حلوا فؤاد العاني في حليـــة الإيمـــاني وكملوا إيقاني في حضـــرة مرضـــية
صلاة ربي البر علـــى الـــرحيم الـــبر والآل أهل البر ذي النفحة العطريـــة

وله ما يحسن أن يقوله المنشد إيذاناً بفض المجلس:

ومجلس أنس قد طوى بعض عمرنـــا فنرجو إله العـــرش يغفـــر طالحـــه
أقول لصحبي والفـــتى رهـــن فعلـــه ألا فـــاختموه للـــنبي بفاتحـــة

وله في هذا المعنى أيضاً:

أحبتنـــا أنَّـــى يمـــل جليســـكم   ومجلسكم ألطافـــه الزهـــر فائحـــة

فحلوا بذكر المصطفى مسك ختمـــه   وخصوا إمام الرسل حبـــاً بفاتحـــة

٤- العالم الفرضي الشريف السيد الشيخ

محمد سعيد ابن المهندس الرئيس الشريف السيد محمد أنيس حسين آغا

المكناسي الحسيني الشافعي الصوفي النقشبندي

(١٢٩٦-١٣٧٨ هـ) (١٨٧٨-١٩٥٨ م)

نسبه: وهو من ذرية الشريف السيد أحمد سويدان المكناسي الحسيني نزيل حلب الشهباء سنة ٨٨٥ هـ-١٤٨٠ م. أحد أعيان حمص الأفاضل الأجواد، الذين يشار إليهم بالبنان، والعالم العامل والفرضي الضليع المقصود في حل المعضلات، والصوفي الكامل، حسن الخَلق والأخلاق والمظهر والسمت والمهابة، كان وقوراً حميد الخصال والمزايا، كريماً متودداً إلى الناس كافةً من الخاص والعام، ومحل الثقة والقبول في مجتمع مدينة حمص، وكان ممن تزدان به المجالس وتتجمل به المحافل.

ولد في مدينة حمص سنة ١٢٩٦ هـ ١٨٧٨ م. ونشأ بها وتربىَّ في مهد الفضائل والكمال بين والدين كريمين، وفي بيئة متدينة ومتمسكة بالقيم العليا ومكارم الأخلاق خلفاً عن سلف.

علمه ومعارفه: كان رحمه الله موهوباً ذكياً قوي الحافظة، حفظ القرآن الكريم وأتقنه، وتعلم القراءة والكتابة في مكاتب حمص الأهلية، ولرغبة والده فقد وجهَّه إلى طلب العلوم الشرعية صغيراً ليتسنى له طلب العلوم الدنيوية في دار الخلافة العثمانية، وليخلف والده في وظائفه ومهامه، ثم أدخله المدرسة الرشدية، وأتقن اللغة التركية، وباعتباره أكبر أولاده صار يختصه بالعناية والتوجيه، فتلقى على والده علم الحساب والرياضيات والهندسة والدوبية (المحاسبة والسجلات).

شيوخه وأساتذته: ثم عهد به والده إلى العلامة الكبير الشيخ محمد المحمود الأتاسي،

فقرأ عليه الفقه الحنفي والتفسير والتوحيد وعلم الميراث، وظل متابعاً له حتى وفاته في ٢٨ جمادى الأولى سنة ١٣٢١ هـ ــ ١٩٠٣ م. وعندما بلغ الثامنة عشرة من عمره توفي والده وترك له أسرة كبيرة وليس له من يقاسمه هذه المسؤولية سوى والدته التي استطاعت بحكمتها أن ترعى شؤون الأسرة بأحسن شكل، وبعد وفاة والدته ترك المدرسة والتفت إلى شؤون معاشه، ولم ينقطع عن طلب العلم وحلقات العلماء، ثم أسعده الله تعالى بالانتساب إلى الطريقة النقشبندية على يد **المرشد الكامل الشيخ سليم خلف** قدس الله سره، فلازمه حتى وفاته في ١٥ محرم الحرام سنة ١٣٢٨ هـ ــ ١٩١٠.

وقد أثنى عليه أستاذه ومرشده وأعجب بشمائله ونبله وهو ما يزال في بداية شبابه وصار من تلامذته الخاصين. وكان له مع شيخه ومرشده وقائع كثيرة في صحبته وأسفاره، وقد تلقى عنه الفقه الشافعي، فقرأ عليه حاشية الغزي على أبي شجاع، وحاشية الباجوري، وابن قاسم (الإقناع) وكذلك التفسير والحديث، وتابع مجالسه برفقة كبار تلامذته، فقرأ عليه أكثر مؤلفات الإمام الشعراني ﷺ، وكان له فيها عناية واهتمام ودقة فهم، وهذه الكتب ماتزال محفوظة لدى أسرته، وعليها بعض التعليقات، وإجازة الشيخ سليم قدس الله سره إلى صاحب الترجمة بقراءتها وتدريسها بسنده المعتبر عن الإمام الشعراني رحمه الله.

وكان يرويها ويحدِّث بها ويشير بحديثه إلى مدارك دقيقة كما تلقاها عن شيخه ومرشده سليم قدس الله سره، مستشهداً بكلام القوم والسلف الصالح، وله عن شيخه ومرشده المذكور إجازة خطية في التفسير والحديث النبوي الشريف (صحيح الإمام البخاري)، وأجازه كذلك بـــ (ثبت الشيخ أحمد سليمان الأروادي النقشبندي) وبالطريقة النقشبندية بالسند المتصل عن الشيخ أحمد الطظقلي قدس الله سره، وهي مؤرخة في يوم الخميس ٣ محرم الحرام ١٣٢٦ هـ ــ - ١٩٠٨ م [1].

وقرأ الحديث النبوي الشريف على سماحة المفتي الشيخ خالد الأتاسي في درسه العام

---

[1] وسنثبت هذه الإجازات في آخر هذه الترجمة.

بمرقد الصحابي خالد بن الوليد ﷺ، ثم أجازه برواية الحديث الشريف بأعلى سند عن الإمام البخاري، وبما يجوز له روايته عن مشايخه الأعلام مع شرحه للعلامة العيني والعلامة القسطلاني، كما أجازه بالتدريس لدى الخاص والعام في جامع الجمّاس (جامع مصطفى باشا حالياً)، وهي مؤرخة يوم السبت ١٤ ذي الحجة ١٣٢٥ هـ - ١٩٠٨ م.

وقرأ علم الفرائض على العالم الفرضي الشيخ محمود منلا حسين الصوفي. وكذلك على الشيخ محمد بن سليمان الجندي، المتوفى سنة ١٣٢٥ هـ - ١٩٠٧ م. وقرأ القرآن الكريم وختم من طريق السبع ثم من طريق العشر على الشيخ إبراهيم الصيادي المعري المتوفى سنة ١٣٣٤ هـ - ١٩١٦ م. وله إجازة خطية بالتفسير والإفتاء والتدريس عن شيخ المفسرين الفقيه العلامة الكبير الشيخ عبد الغفار عيون السود الشيباني وهي مؤرخة في ١٦ رجب سنة ١٣٤٣ هـ - ١٩٢٤ م. وأجازه العلامة الشيخ محمد أمين سويد الدمشقي بالفقه والأصول والتفسير وقراءة كتب السادة الصوفية بالسند عن شيوخه في دمشق وبغداد ومصر. وإلى جانب هذا فقد كان إخبارياً ثقة كثير التحري والتثبت وله ولعٌ بعلم التاريخ الإسلامي، والسيرة النبوية، والمغازي والأخبار، وأنساب آل بيت النبوة الأطهار عليهم رضوان الله تعالى وسلامه.

وقد أمَّ ودرَّس في جامع مصطفى باشا سنين عديدة حسبة لله تعالى، وفي سنة ١٣٢٥ هـ - ١٩٠٨ م تنحى عنها لأخيه بالله الشيخ محمد شاكر المصري [1] ، وكانت هذه الوظيفة سبباً في إعفاء الشيخ شاكر من الخدمة العسكرية، وصار صاحب الترجمة ينوب عنه في غيابه.

وكان كثيراً ما يحدث عن الإمام الشعراني ﷺ، ويثني عليه ويذكر فضله من الناحية الفكرية والاجتماعية، وفائدة مؤلفاته، ويحذر كثيراً هو والفقيه العلامة الكبير الشيخ محمد الياسين عبد السلام (بسمار) [2] من كتاب "الطبقات الكبرى" المنسوب ظلماً للإمام الشعراني، ويُظهِر إلى جانب هذا ضعف شأن أهل البدع من جهلة الصوفية، ويحذر من

---

[1] مرت ترجمته في تراجم تلامذة مولانا سليم برقم (٣).

[2] انظر ترجمته في فصل تلامذة مولانا أبي النصر (الآتي).

بدعهم واتباعهم. وكان في موعظته رقيق القلب، حزين الدعاء، حسن الظن بالله تعالى، تذرف منه العيون بكمال ووقار في تلاوته للقرآن الكريم، وموعظته ودعائه، وعند سماعه المدائح النبوية، والقصائد الصوفية في الحب والأنس بالله تعالى.

وكانت آدابه شرعية قائمة على الكتاب والسنَّة ومنهاج العارفين، وكان يوفي آل بيت النبوة الكرام عليهم سلام الله حقهم بالمحبة والمودة، مع تمسكه بآثارهم وآثار السلف الصالح، ويكرر بحديثه فضائلهم وشمائلهم ومناقبهم الشريفة التي ورثوها عن جدِّهم المصطفى ﷺ.

وكان يحزنه ويؤلمه ما يجري على هذه الأمة في زمانه من مكائد، وكانت غيرته عظيمة على الإسلام والمسلمين وخليفتهم، وهو بهذا يظهر حبه للسلطان عبد الحميد الثاني، وولاءه للدولة العثمانية والخلافة الإسلامية، وإن كانت أيام الخلافة قد أفلت، إلا أن حنينه كمسلم كان يدفعه إلى حب الخليفة والخلافة ومعناها السامي في بلاد الإسلام والمسلمين، وقوتها ووقعها في قلوب أعداء الإسلام، وكان يقول: لولا رعبهم من الخليفة والخلافة الإسلامية ودعوة السلطان عبد الحميد إلى مشروع الجامعة الإسلامية لما تحالفوا ضده وسعوا جاهدين لخلعه والتنغيص على المسلمين في ديارهم أيام السلطان عبد الحميد وقبله وفيما بعد.

وكان يقول أيام الاستعمار الفرنسي: انظروا كيف كنَّا أيام الحكم العثماني والغرب كان يخشى من المسلمين وخليفتهم، وكيف أصبحنا اليوم وجامع كلمة المسلمين قد غاب عنَّا، وبلادنا قد مزقت في الشرق والغرب، وصارت تحت وطأة المستعمرين أعداء الإسلام والمسلمين، حيث بلغوا غايتهم وأصبحنا نرى اليوم من يواليهم من أبناء البلاد.

ثم يستشهد بقول سماحة الشيخ أبي الهدى الصيادي:

زمان رأينا من عجيب فعاله	شؤوناً تهز الأرض هزَّ الزلازل
تباعدت الآمال عن كل سيد	نجيب وأضحى العز حظ الأراذل
وشنَّ الأداني خيَّب الله سعيهم	على الدين والإسلام غارة قاتل
معائب لو يدري الزمان بحكمها	تخافى خَجِيلاً عن هُذيمٍ ووائل
لئن أغفل الأيام أعمال من بغوا	فما الله عمَّا يعملون بغافل

ويكرر قوله: لا نجاة لهذه الأمة إلا بعودة الخلافة الإسلامية وجمع شمل هذه الأمة كسابق عهدها وتمسكها بالكتاب والسنة.

وكانت عودة الخلافة الإسلامية كسابق عهدها لهذه الأمة بالنسبة له حلم وأمل مُنتظر ما بين حين وآخر، ويكرر قوله إن شاء الله سيتحقق لهذه الأمة جمع شملها وعودة خليفتها، ولا بد من صحوة لهذه الأمة المحمدية عاجلاً أم آجلاً طالما أن كتاب الله وسنة رسوله الكريم ﷺ بين أيدي المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، وإن شاء الله سيتحقق ذلك.

تعاطى رحمه الله تعالى قبل الحرب العالمية الأولى مهنة التجارة مع خاله الفنان الكبير عبد الخالق عبَّارة، فحالفه التوفيق والنجاح فأنشأ عدة كراسٍ للحياكة، ومطابع القماش للتطريز (الأغباني) وكثُرَ عملاؤه وراجت تجارته، وبعد الحرب العالمية الأولى كانت خسارته كبيرة، وأمرٌ مثل هذا كثير الحدوث بعد الحروب بشكلٍ عام، لذا فقد ترك التجارة وصار يتعاطى معاملات الميراث والتقسيم الشرعي، وقد برع وتميَّز في هذا العلم نظراً لضلوعه بعلم الرياضيات الذي تلقاه على والده، مع عنايته وإلمامه الواسع بهذا العلم وما يتطلبه من معرفة تامة في أنساب الأسر وأوضاع البلد من الناحية الاجتماعية، حتى برع وأتقن ونال أكمل المطلوب بكل استعداد واجتهاد إلى أن انتهت إليه رئاسة هذا العلم، وألقى علماء حمص مقاليده إليه، وقد أشار إليه بذلك كبار علماء أهل زمانه، وانتفع بعلمه خلق كثير من أبناء حمص وقضائها والبلاد المجاورة، وكان يُقصد لأجل ذلك من لبنان لحلِ معضلاتٍ من هذا الأمر، حيث كانت مسائل الميراث والتقسيم الشرعي في زمانه من المسائل الصعبة المنال لتقادم الزمان وتعاقب الأجيال عليها، ممَّا كان يتطلَّب الخبرة الواسعة والاهتمام والبحث والتحقيق واستدعاء الشهود، إضافةً إلى ضلوعه بعلمي النسب والرياضيات وتدوينه المُوثَّق عن مدينة حمص، فكان يعود في معاملاته إلى سجلاته الخاصة، وكثيراً ما كانت دوائر الدولة تعود إلى سجلاته ومدوناته، وقد أظهر الله على يديه مسائل كثيرة لانت بين يديه، وحلت معضلاتها بعلمه واهتمامه عليه.

نبذٌ من أخلاقه: وكان رحمه الله كثير السعي في قضاء حوائج الناس من أعيانهم وآحادهم، والنظر في أمورهم، وحل مشاكلهم بإتقان وإفادة، ونظراً لكونه مَحل احترام الناس ومحبتهم وثقتهم فكان يلجأ في غالب أمورهم إلى السلم، والحل القاطع على ضوء الكتاب والسنة وأقوال الأئمة دون أن يخرج أحد عن إرادته، وكان مكتبه الخاص يعجُّ بالقاصدين والواردين لقضاء حوائجهم والنظر في معاملاتهم الشرعية.

وبعد الحرب العالمية الأولى كان له رحمه الله مع جلّة من علماء حمص الأعلام رابطة علمية (مجلس خاص)، يتداولون فيه شتى المسائل الشرعية، والمستجدات التي كانت تجري في مجتمعهم، ويقرؤون الموسوعات الفقهية، وكان يرأس هذه الرابطة العلمية المتنقلة في بيوت أعضائها الفقيه الكبير المفسِّر والمحدث الشيخ عبد الغفار عيون السود الشيباني.

ومن بعض أعضائها: الشيخ محمد علي عيون السود والد العلاَّمة الحافظ الشيخ عبد العزيز، والشيخ عبد الغني عيون السود، والشيخ عبد القادر الخجه، والشيخ محمود السباعي، والشيخ محمد فائق أتماز السباعي، وأخوه الشيخ عادل، والشيخ عبد الكريم السباعي (المدرِّس)، والشيخ طاهر الرئيس، والشيخ سعيد الحافظ، وغيرهم من علماء حمص، واستمرت هذه الرابطة العلمية حتى أواخر الخمسينات من القرن الماضي وانتهت بوفاتهم رحمهم الله.

وكان صاحب الترجمة يزور العلماء الأعلام، والصلحاء الأتقياء حيث سمع بهم، وكان يكرم الغرباء من العلماء والأعلام، ويسارع لملاقاتهم مراعاةً لحق القُدوم والمشاركة في الترحيب بهم وضيافتهم وإكرامهم. وقد فتح بابه لاستقبال عدة هجرات إلى مدينة حمص، قبل الحرب العالمية الأولى وبعدها، منها هجرة الأرمن، حيث أقام العديد منهم في عقارات كان يمتلكها، وبعد هذه الإقامة والمراعاة اعتنقوا الإسلام وزوَّج العديد من أبنائهم وبناتهم.

وفي نهاية الحرب العالمية الأولى كانت هجرة أهل المدينة المنوَّرة، ففتح لهم أوسع الأبواب، وأنزلهم المنـــزل الحسن، واعتنى بهم وبالغ في إكرامهم إكراماً يليق بهم حيث وفدوا من مدينة رسول الله ﷺ، وكان من جملة نزلائه شيخ الحرم الشريف وأسرته، وبعد

عودتهم إلى ديارهم بقيت هذه الصلة والمحبة، وانتهت بوفاتهم رحمهم الله تعالى.

وكان رحمه الله كثير البر والصدقات، وخصوصاً أيام الحرب العالمية الأولى، فقد أنفق ما يختزنه في عنابر الحبوب من غلاَّت زراعية من أراضٍ زراعية كان يمتلكها، وذلك حسبة لوجه الله، وكان يتفقد أحوال الفقراء، ويسعى في مداراة أمورهم المعاشية في تلك الظروف الصعبة التي مرَّت على البلاد.

وبقي سخي اليدين كريماً كثير الإنفاق على أهل بيته ونزلائه وضيوفه الذين لا ينقطعون أبداً، والفقراء الذين يقصدونه لأجل ذلك، مع أنه واجه مصاعب مادية بعد خسارته الجسيمة في تجارته، ويماثل بذلك أخلاق وشيم آل بيت النبوة الكرام عليهم رضوان الله تعالى وسلامه.

مؤلفاته: اشتهر رحمه الله بين الناس باهتمامه وتدقيقه وتدوينه، ويقولون عنه: أنه ذاكرة المدينة في ماضيها وحاضرها، فجمع الكثير من الوثائق والمدونات والوقفيات والحجج الشرعية، وكان من خلالها يحقق ويكتب ما يستحسنه ويستحق التدوين من تاريخ ووقائع وأحداث تاريخية هامة جرت في مدينة حمص على وجه الخصوص ومرت على البلاد، وكانت مدوناته مرجعاً معتمداً في دوائر الدولة، ومن قبل المهتمين بشكل خاص ومن قِبل عامة الناس بشكل عام، في حياته وبعد مماته، نذكر منها:

١- **مدوناته الخاصة:** وتقع في نحو عشرين كراساً من القطع الوسط، دوَّن فيها ما يستحسنه ويستحق التدوين من تاريخ ووقائع وأحداث تاريخية جرت في مدينة حمص أو لها علاقة بهذه المدينة عاصرها أو سمع بها من المعمّرين مع تراجم ووفيات علمائها وأعلامها، وأنساب الأسر الحمصية وأصولهم، حيث دوَّنها باهتمام زائد وضبط حسن، وهي من المراجع القيّمة لهذه المدينة.

٢- **مذكرات خاصة:** دون فيها أحداث مهمة قبل الحرب العالمية الأولى وبعدها، وما جرى على هذه البلاد وأهلها من أهوال ومصاعب مع تعليل وتحليل دقيق لتلك الأحداث والتي يُعزى أسبابها بالدرجة الأولى إلى حل الخلافة الإسلامية وتدخل الدول العظمى في

الشؤون الداخلية للبلاد، وظهور بعض الاصوات المأجورة التي لها صلة وثيقة بالدول العظمى عن قصد أو غير قصد.

٣- **سجل من القطع الكبير:** (٤٥× ٣٥) نحو ٤٥٠ صفحة. أرَّخ فيها وفيات علماء وأعلام مدينة حمص وأكثر رجالها وعامتهم، وبعض علماء وأعلام سمع بهم وعاصرهم من بلاد الشام.

٤- **سجل من القطع الكبير:** نحو ٤٥٠ صفحة. دون فيه نصوص الوقفيات الخاصة المحفوظة لدى أصحابها، والوقفيات العامة المحفوظة بيد أحد المتولين على كل وقفٍ من الأوقاف الإسلامية.

٥- **أربع سجلات من القطع الكبير:** نحو (٧٠٠) صفحة. دون فيها القيد المدني لمدينة حمص على غرار السجلات العثمانية القديمة، (سجلات قيد النفوس).

٦- **ثلاثة سجلات من القطع الوسط:** خصَّها للقيد العقاري لمدينة حمص القديمة، وهي على غرار سجلات القيد العقاري التي نظِّمت سنة ١٩٣٣ م.

٧- **قصة مولد النبي الكريم ﷺ:** نظمها وهو طالب علم سنة ١٣١٩ هـ - ١٩٠١ م، وقد نحى فيها منحى السادة العلماء، ويظهر على صياغتها أسلوب المؤرخ أكثر مما هو معروف ومألوف في هذا الفن من أسلوب السجع والصنعة وأقسام البديع. وله غير ذلك من كرَّاسات ومدوَّنات ومسوَّدات في علم الفرائض. وينطبق عليه قول الشاعر:

إذا ما روى الإنسان أخبار من مضى ... فتحسبه قد عاش من أول العمر

وتحسبه قد عاش آخر دهره ... إذا هو قد أبقى الجميل من الذكر

فقد عاش كل الدهر من عاش عالماً ... حليماً كريماً فاغتنم أطول العمر

وهكذا فقد نشأ منشأ العلماء، وسلك طريقهم، وأخذ عنهم، ونهل من هنا وهناك، وأمضى عمره ما بين علم وتقوى، ومواظبة على تلاوة القرآن الكريم، وأوراد الطريق، ومراعاة شؤون الناس إلى أن دعته المنية، فلبى نداء الحق سبحانه وتعالى بعد أذان فجر يوم

الثلاثاء ١٨ جمادى الأولى سنة ١٣٧٨ م، الموافق ٢ كانون أول سنة ١٩٥٨ م، ودفن في مقبرة باب التركمان بجانب والده، وأقيمت التعزية في جامع مصطفى باشا غربي داره [1].

وقد رقم على ضريحه:

هــــذا ضـــريح غـــدا بـــــه	قطـــب المفـــاخر والرتـــب
هــــذا جـــوادٌ ســـــابقٌ	فاقـــت صـــناعته السُّـحب
وهـــو الســـعيد محمـــد	بـــاهي العـــلا زاكـــي النســب
ابـــن الأنـــيس الماجـــد الــــ	عَلَـــمُ الـــذي زان الحقـــب
فرضـــي زمـــانه شـــافعي	نقشـــيُّ المعـــارف والحســـب
كــــان في الدنيـــا كمـــالاً	علمـــاً وتقـــوى وأدب
أسِـــفَتْ لغيبتـــه العُـــلا	وبكـــى لفـــرقته الأدب
للخلـــد يســـري ذكـــره	في الأرض مســـكاً وطِيَـــبْ

ونختم الترجمة بالقصيدة التي مدح بها النسب الشريف (آل البيت) الأستاذ الدكتور محمد عيسى اليوسف من حمص:

نسبٌ له في المكرمات أصـــول	لم يَعلُهُ فضـــلٌ ولا تفضيـــل
وعمود نـــور بالحســين وآلـــه	يرقى إلى أفق العلا فيطـــول
وسَميُ خير المرســلين (محمـــدٍ	وأنيسُ) حمص في القلوب نزيل
بالماجد الفرضي حمص أســعدت	من دوح فخر الكائنات ســليل
إحسانه إحســان آل المصــطفى	وعطاؤه بعطائهم موصـــول
....	....
ما زال فيض النور ســـراً جاريـــاً	وإليه من فضل الإلـــه يـــؤول
إني لأرفـــع هامـــتي بمـــديحهم	ليت المـــديح بيـــابهم مقبـــول

[1] هذه الترجمة مأخوذة من حلقات النسب الشريف (ترجمة الشيخ محمد سعيد حسين آغا)، المحفوظ لدى الأستاذ محمد غازي حفيد الشيخ محمد سعيد.

ملحقات:

١- وقد أعطاني حفيده الأستاذ محمد غازي حسين آغا حفظه الله عند زيارتي لحمص في رجب سنة ١٤٢٤ هـ ـ أيلول ٢٠٠٣ م، هذه الترجمة المذكورة أعلاه مصورة من كتابه بعنوان: (أوائل المهندسين الذين عرفتهم حمص في ظل الخلافة العثمانية).

٢- كما زودني بصورة عن إجازة الشيخ سليم لجده بالعلم والطريق أثبتها فيما يلي، مع توسلية برجال الطريق بدءاً من مولانا سليم بخط جده الجميل أثبتها بعد الإجازات، وإجازة من الشيخ أمين سويد والشيخ خالد الأتاسي والشيخ عبد الفتاح عيون السود.

٣- وأطلعني الأستاذ محمد غازي حفظه الله على ثلاثة كتب لجده من كتب الإمام الشعراني رحمه الله قرأها على مولانا سليم وأجازه بها وكتب على الصفحة الأولى من كل كتاب العبارة التالية بخطه الشريف: (بعد قراءته وفهمه أجزت ولدي القلبي الشهم الماجد الشيخ محمد سعيد أفندي حسين آغا بقراءته وتدريسه بسندنا المعتبر عن الإمام الشعراني قدس الله سره الخميس ٢١ ذي الحجة ١٣٢٦ هـ - ختم محمد سليم خلف).

وهذه العبارة على ثلاثة كتب وهي: اليواقيت والجواهر، ولطائف المنن والأخلاق، والميزان للإمام الشعراني.

٤- وقد ذكر مؤلف كتاب (حمص؛ دراسة وثائقية) الجزء الثالث، نسب هذه العائلة الكريمة (حسين آغا) وأصولهم الشريفة المتصلة بسيدنا الحسين ﷺ وترجم للشيخ محمد سعيد في ص (٧٣) بعد ترجمة جده محمد أنيس حسين آغا بما يلي:

ومن أولاده الشيخ محمد سعيد حسين آغا المولود في حمص سنة ١٢٩٦ هـ - ١٨٧٩ م نشأ وتربى على الفضائل بين والدين كريمين، وكان ذكياً موهوباً قوي الحافظة.

حفظ القرآن الكريم وتعلم القراءة والكتابة في مكاتب حمص ثم أدخله والده المدرسة الرشدية، فأتقن اللغة التركية وكونه أكبر أولاده؛ فقد اختصه بالعناية والتوجيه، فتلقى على والده علم الحساب والهندسة والرياضيات وأصول علم الدوبيا (الدفاتر والسجلات).

ثم عهد به والده إلى الشيخ محمد المحمود فقرأ عليه الفقه الحنفي والتفسير والتوحيد

وعلم الميراث ونبغ فيه. وظل متابعاً له حتى وفاته سنة ١٣٢٠ هـ - ١٩٠١ م. وبعد وفاة والده ترك المدرسة والتفت إلى شؤون معاشه، ثم انتسب إلى طريقة **الشيخ سليم خلف مرشد الطريقة النقشبندية** في زمانه. ثم ذكر أشياخه وأعماله كما فصلناه آنفاً.

٥- وجاء في كتاب (حمص دراسة وثائقية) للأستاذ نعيم الزهراوي ج٤ ص٣٧٠ ما يلي: **التاجر محمد سعيد حسين آغا**، ولد محمد سعيد بن محمد أنيس حسين آغا في حمص سنة ١٨٧٨ م قرأ الفقه وعلم الميراث والعلوم الشرعية على الشيخ محمد المحمود الأتاسي، والحديث على الشيخ خالد الأتاسي، والفقه والتفسير والتصوف على الشيخ **سليم خلف**. والرياضيات والدوبيا (علم المحاسبة) على والده، وتابع تحصيله في المدرسة الرشدية، وذكر أيضاً بعض أعماله كما ذكرنا سابقاً.

الإجازات:

١- إجازة مولانا الشيخ محمد سليم خلف للشيخ محمد سعيد حسين آغا المكناسي:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل الإسناد من الدين ورفع أهله مكاناً علياً في المتقين وأهل اليقين، والآخذَ عنهم متمسكاً بحبل الله المتين.

والصلاة والسلام على سيد الانبياء وسندَ الأتقياء ومدد الأولياء وصفوة الأصفياء الرسول الأعظم والنبي الأكرم سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمَّد الذي تشرفت ببعثته الأرض والسماء ولاذت به الخلائق يوم الحشر عند اللواء فعليه من الصلاة والسلام والتحيات والإكرام ما يليق بمقامه العظيم وعلى آله الذين أخذوا عنه الكتاب والسنة وحازوا بمشاهدة أنواره أعظم منةٍ ورضي الله عن أئمة هذه الأمة الأعلام الذين مهدوا قواعد الشرع وشيدوا بنيان الإسلام. **أما بعد:** قال ﷺ في الحديث الشريف: (لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق قاهرين لعدوهم حتى يأتيهم أمر الله).

وكان ممن رام اللحوق في سلك هذه الطائفة الموفقة **الشاب الألمعي والأديب اللوذعي**

العالم الفاضل الشيخ **محمد سعيد أفندي الأنيس** ابن المرحوم المبرور التقي النقي الماجد السيد **محمد أنيس أفندي حسين آغا** القاميش أحسن الله أحواله وسدد أقواله وأعماله حيث طلب مني الإجازة، وبذلك يكون قد اتصل بسلسلة الإسناد وانتظم في سلك الأئمة الأمجاد واستمد من بحر المدد والإمداد والثمرة بالفروع لا بالأصول وما يوجد بالفاضل قد لا يوجد بالمفضول وفضل الله ليس محصوراً في قوم ولا مختصاً في يوم دون يوم، فأقول: إني أجزت المذكور ضاعف الله لنا وله الأجور بما تجوز لي روايته وتحل لي درايته بشرطه المعتبر عند أهل الاثر في كتاب **التفسير للجلالين** كما تلقيته عن شيخنا العلامة الشيخ عبد القادر الخطيب العطار وهو تلقاه عن شيخه الشيخ إبراهيم الباجوري والشيخ عبد الغني الدمياطي وكلاهما عن الشيخ محمد بن شافعي الفضالي. وفي **صحيح الإمام البخاري** كما تلقيته بالسند المتصل عن شيخنا عبد القادر الخطيب العطار عن الشيخ حسن بن درويش القوسيني الحسني عن الشيخ عبد الله بن حجازي الشرقاوي وأجزته بما اتصل إليَّ سنده في **ثبت سيدي وسندي ومرادي الشيخ أحمد بن سليمان النقشبندي الأروادي، وبالإرشاد في طريقتنا العلية النقشبندية** ذات الفيوضات الربانية كما تلقيتها عن سيدي القطب الولي ذي التصريف الجلي الغوث الوارث الشيخ **أحمد الطظقلي** قدس الله سره أحد خلفاء مولانا ذي الجناحين سيدي ضياء الدين خالد النقشبندي العثماني لا زال راقياً في معارج التداني، راجياً من المجاز أن يشمِّر عن ساعد الجد والاجتهاد في خدمة رب العباد حتى يبلغ المراد، وأسأل المولى الكريم أن يشملني وإياه بسابغ لطفه العميم وأوصيه بما أوصاني به مشايخي الكرام من دوام التمسك بالشريعة الغراء بالسر والإعلان وإسداء المعروف لمن قابلني بالإساءة أو الإحسان والمحافظة على الصلوات فإن ذلك من عزائم الدين وألا ينساني والمسلمين من صالح دعواته في خلواته وجلواته. والحمد لله رب العالمين.

حررت يوم الخميس الثالث من محرم سنة ست وعشرين وثلاثمئة وألف هجرية نبوية. (١٣٢٦ هـ).

خادم العلم الشريف والسجادة النقشبندية

محمد سليم خلف عفي عنه

٢ - إجازة مفتي حمص الشيخ خالد العطاسي (الأتاسي) للشيخ محمد سعيد حسين آغا:

بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لله تعالى على إفضاله وصلاتاً وسلاماً على سيدنا محمد وآله أما بعد:

فإن ولدي القلبي الشاب النبيل النجيب والفاضل النبيه الأريب الشيخ محمد سعيد أفندي ابن الماجد السيد محمد أنيس أفندي حسين آغا الشهير بالقاميش قد نشأ في طاعة الله ومكباً على اجتناء ثمرات المعارف والعلوم وفتح الله عليه في علمي المعقول والمنقول، وكنت قد اختبرته في مجالس متفرقة ولاحظته في حل مسائل مغلقة فوجدته قد سار في طلب العلم حتى قطع المفازة، وجاز في تيار العلم والمعارف حتى صار خليقاً بنيل الإجازة، لذلك قد أجزته بالتدريس لدى الخاص والعام في جامع الباشا الشهير بالجماس، كما قد أجزته بما تجوز لي روايته عن أساتذتي العظام بحق روايتي لذلك عنهم وأخذي الإجازات بها منهم، وبما أن المجاز المومى إليه وأسبل الله ستره علينا وعليه قد كان متابعاً في قراءتي صحيح الإمام البخاري مع شرحه للعلامة العيني والعلامة القسطلاني وذلك في درسي العام في الجامع الذي فيه مرقد الصحابي البطل الشديد خالد بن الوليد ﷺ فإيجاباً لطلبه وتحقيقاً لبغيته وأربه لعلمي بأنه أهل لأن يجاز وجدير بأن يتجرد للتدريس وإفادة العام والخاص قائلاً بعد التوكل: إنني قد أجزته بأن يروي عني صحيح الإمام أبي عبد الله محمد ابن إسماعيل البخاري قدس الله روحه ونور ضريحه، حيث يحق روايتي له عن كثيرين من أجلهم عندي سيدي وسندي ووالدي العلامة المرحوم الشيخ محمد أفندي العطاسي مفتي مدينة حمص سابقاً، وسندي وشيخي وعمي المرحوم العلامة الشيخ محمد أمين أفندي العطاسي وكلاهما روايته عن والدهما علاّمة الأقطار المرحوم الشيخ عبد الستار أفندي وعن علامة زمانه وفريد عصره وأوانه العلامة العمدة المحدث الشيخ محمد أمين عابدين إمام الحنفية في عصره وصاحب حاشية رد المحتار على الدر المختار وغيرها من المؤلفات وكلاهما عن العلامة الكبير المحدث الأثري الشيخ محمد الكزبري وأرويه أيضاً عن المرحوم العلامة السري الشيخ أحمد مسلم أفندي الكزبري عن أبيه المحدث العلامة الشيخ عبد الرحمن

الكزبري عن أبيه المحدث الكبير الشيخ محمد الكزبري السالف الذكر شيخ الحنفية في دمشق المحمية وأرويه أيضاً عن العلامة المرحوم الشيخ محمد الجوخدار الدمشقي وعن المرحوم العلامة الشيخ سليم أفندي العطار وعن العلامة الشيخ بكري أفندي العطار، وجميع هؤلاء الثلاثة يروونه عن جد الثاني ووالد الثالث العلامة الشيخ حامد العطار عن أبيه علامة الأقطار الشهاب الثبت الثقة الحجة الشيخ أحمد العطار وأسانيد الشيخ الأول يعني الشيخ محمد الكزبري مذكورة في ثبت ولده الشيخ عبد الرحمن الكزبري وأسانيد الشيخ الثاني وهو الشيخ الشهاب أحمد العطار مذكورة في ثبت ولده الشيخ حامد العطار فمن أراد الوقوف عليهما فليرجع إليهما، لكن لا بأس بذكر سند لنا إلى الإمام البخاري عن الشيخ بكري أفندي العطار من طريق والده المرحوم لأنه عالٍ جداً لأن بيني وبين البخاري اثني عشر والبخاري له ثلاثيات فيكون بين هذا الحقير العاجز وبين المصطفى ﷺ ستة عشر راوياً وهو أعلى سند يوجد الآن على وجه الأرض فيما أعلم، فأقول: أروي صحيح البخاري بالإجازة العامة عن العلامة الشيخ بكري العطار عن العلامة الشيخ داود البغدادي عن العلامة الشيخ محمد عابد السندي المدني محدث المدينة المنورة عن الشيخ علم الدين صالح بن محمد الفلاني المدني العمري عن المسند المعمر الشيخ أبي عبد الله محمد بن سنة العمري الفلاني عن الشيخ أحمد بن محمد العجل اليمني عن الشيخ قطب الدين محمد بن أحمد النهرواني عن الحافظ أبي الفتوح أحمد بن عبد الله الطاووسي عن المحدث الشيخ بابا يوسف الهروي عن المحدث الشيخ محمد بن شاذبخت الفرغاني عن المحدث المعمر الشيخ أبي لقمان يحيى بن عمار الختلاني عن المحدث الإمام أبي عبد الله محمد بن يوسف بن بطر الفربري عن إمام الصنعة الحافظ الشهير والناقد الخبير أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري قدس الله روحه ونور مرقده وضريحه. هذا وإني المجاز المذكور بها أوصي نفسي الخاطئة وهو بتقوى الله تعالى في السر والعلن وترك الفواحش ما ظهر منها وما بطن وأن لا ينساني ووالدي ومشايخي وأولادي من صالح دعواته لا سيما بالعفو والعافية وحسن الختام.

حرر في يوم السبت الرابع عشر من شهر ذي الحجة سنة خمس وعشرين وثلاثمئة

وألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل صلاة وتسليم وأزكى تحية.

قاله بفمه خويدم العلماء والفقراء

محمد خالد العطاسي عفي عنه

٣- إجازة الشيخ محمد أمين سويد للشيخ محمد سعيد حسين آغا النقشبندي:

بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لله وكفى وصلى الله على نبيه المصطفى وآله أهل الوفى وأصحابه ذوي الخصوصيات والإصطفا وسلم تسليماً كثيراً، وبعد:

فقد طلب من الفقير الحقير الإجازةَ بالعلوم العقلية والنقلية العالمُ الفاضل الأستاذ الشيخ محمد سعيد حسين آغا النقشبندي فأجبته لذلك وإن لم أكن أهلاً لما هنالك كما أنّي أخذت ذلك قراءة وإجازة عن مشايخ أعلام الإسلام من تشد الرحال للأخذ عنهم وتحصل البركة بذكرهم من الشاميين أجلهم علامة الزمان السيد السند الشيخ محمد علاء الدين عابدين عن والده العالم العامل بركة الأنام فرع الشجرة النبوية الشيخ محمد أمين عابدين رحمه الله، ومن العراقيين العالم العامل الكبير والاستاذ الشهير علامة زمانه وفهامة أوانه الجامع بين طريقتي المعقول والمنقول الشيخ المنلا محمد فيضي أفندي الزهاوي مفتي دار السلام بغداد وصاحب الأسرار قدس الله سره عن شيخه صاحب التحقيق الحاج عبدالله أفندي الكردي عن أشياخه المشهورين، ومن المصريين أجلهم الأستاذ العارف بالله الجامع بين علمي الظاهر والباطن الشيخ أحمد الرفاعي رحمه الله عن أستاذه صاحب التصانيف المفيدة والتآليف العديدة شيخ الأزهر الأستاذ الشيخ إبراهيم الباجوري رحمه الله وكل سند من أولئك الأعلام مشهور ومعلوم لدى الخاص والعام فأجزته بنشر العلوم العقلية وموائدها وتفصيل العلوم النقلية وفوائدها وأوصيه وإياي بتقوى الله ونشر العلم والعمل به وأن لايترك التحصيل والدأب في العلوم الشرعية وخصوصاً الفقه في الدين والأصول والحديث وتفسير كلام رب العالمين والتأدب بآداب أهل الله العارفين مع قراءة

كلامهم رضي الله عنهم أجمعين وأن يجيز من رآه أهلاً لذلك وأن لا ينساني من صالح دعواته في خلواته وجلواته وأوصيه بالإخلاص بالعلم والعمل وبالصلوات الخمسة مع الجماعات وأن لا يترك الأوراد الواردة في السنة وأن يلازم ذكر الله تعالى في غالب أحواله وأفعاله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كتبه الفقير إليه تعالى: محمد أمين الشهير بسويد

٤- إجازة الشيخ عبد الغفار عيون السود للشيخ محمد سعيد حسين آغا:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي من صدق بالتوجه إليه أجازه بجوائز الإمتنان ومن اعتمد عليه غمره بعوائد الفضل والإحسان والصلاة والسلام على من بإشراق شمس دينه استنارت قلوب المتقين وبكحل هديه انجلت أعين بصائر المهتدين وعلى آله وصحبه وتابعيهم ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فيقول الراجي رحمة ربه الودود عبد الغفار بن عبد الغني عيون السود أنه بعد أن قرأ علينا وسمع منا الأخ في الله والحبيب لوجه الله الفرضي البارع في حمص المحمية الشيخ محمد سعيد أفندي الأنيس بن الماجد السيد محمد أنيس أفندي حسين آغا في درسنا العام وفي جمعيتنا واجتماعنا الخاص المعروف في مدينة حمص المحمية شيئاً من التفسير والحديث والفقه ولظني فيه اللياقة لمراجعة أحكام الدين ونشرها بين المسلمين قد أذنت له بالإفتاء والتدريس وقد أجزته بكل ما تجوز لي وعني روايته ويصح بالإسناد وإليّ درايته مما أجازني به مشايخي الكرام وصلَ الله هذا الاذن بمواهبه اللدنية وأدرَّ له أخلاف العلم ومهد له أكناف العمل ونفع به عباده المؤمنين وكفاه في هذه الإجازة شرفاً وفضلاً وجلالة ونبلاً أن يكون اسمه منتظماً مع اسم المصطفى ﷺ في طرس واحد رغم أنف الحاسد والمعاند، فإن سلسلة الإسناد من شرف هذه الأمة المحمدية واتصالها بنبيها خصوصية لها بين البرية وها أنا أذكر له سنداً لي إلى الإمام البخاري فأقول أني أروي صحيح الإمام البخاري ﷺ

عنه عن أستاذي الجهبذ النحرير الشيخ محمد خالد أفندي أتاسي عن العلامة الشيخ بكري أفندي العطار الدمشقي عن العلامة الشيخ داود البغدادي عن العلامة الشيخ عابد السندي المدني عن الشيخ محمد صالح الفلاني عن الشيخ محمد بن سنه عن الشيخ أحمد بن العجل اليمني عن الشيخ قطب الدين محمد النهرواني عن الحافظ أبي الفتوح الطاووسي عن المحدث المعمر بابا يوسف الهروي عن المحدث محمد شاذبخت عن المحدث أبي لقمان الختلاني عن المحدث الإمام الفربري عن إمام الصنعة الحافظ الشهير والناقد الخبير أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري قدس الله روحه وتغمدهم الله جميعاً برضوانه ومهدَّ لهم في أعلى جنانه وأوصي المجاز المذكور بتقوى الله في السر والعلن وألا يجيب سائلاً إلا بعد التثبت بالمراجعة وتدقيق النظر بعد أن يرسل من قلبه لربه رائد الإفتقار في أن يهديه إلى الجواب الحق كما أوصيه أن يستعين بالمذاكرة فإنها صيقل العقل وما جمعت الآراء المتفرقة على أمر مستور إلا وكشفته، وأوصيه أن يعظ الناس بالعمل أكثر مما يعظهم بالقول. فإن لسان العمل أنطق من لسان القول وجميل الفعل أهدى من حسن الوعظ. قال الإمام الحسن عليه الرضى والرضوان: إن أشد الناس حسرة يوم القيامة رجلان رجل نظر إلى ماله في ميزان غيره سعد به وشقي هو به، ورجل نظر إلى علمه في ميزان غيره سعد به وشقي هو به. وقد أخرج الطبراني عن أبي أمامة ﷺ عن النبي ﷺ أن (ستكون فتن يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً إلا من أحياه الله بالعلم). وعن ابن مسعود ﷺ قال: قليل العلم في آخر الزمان خير من كثير العمل. هذه وصيتي إليه فإن حفظها انتفعت به إن شاء الله تعالى وانتفع بها، وأرجوه ألا ينساني من صالح الدعوات، جعلني الله وإياه في موقف القيامة من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

أوقع اسمي في هذه الإجازة لآخذها الشيخ محمد سعيد الأنيس حسين آغا أيده الله وأمده؛ ٦ رجب سنة ١٣٤٣هـ

عبد الغفار عيون السود

وكتب بذيلها الأستاذ محمد غازي حسين آغا ما يلي:

الشيخ عبد الغفار رحمه الله أجاز جدي بهذه الإجازة وجدي رحمه الله أجازه في قراءة كتب الإمام الشعراني كما أجازه بها المرشد الكامل الشيخ سليم خلف قدس الله سره.

٥- توسيلة الشيخ محمد سعيد حسين آغا المكناسي برجال السلسلة النقشبندية:

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، أما بعد:

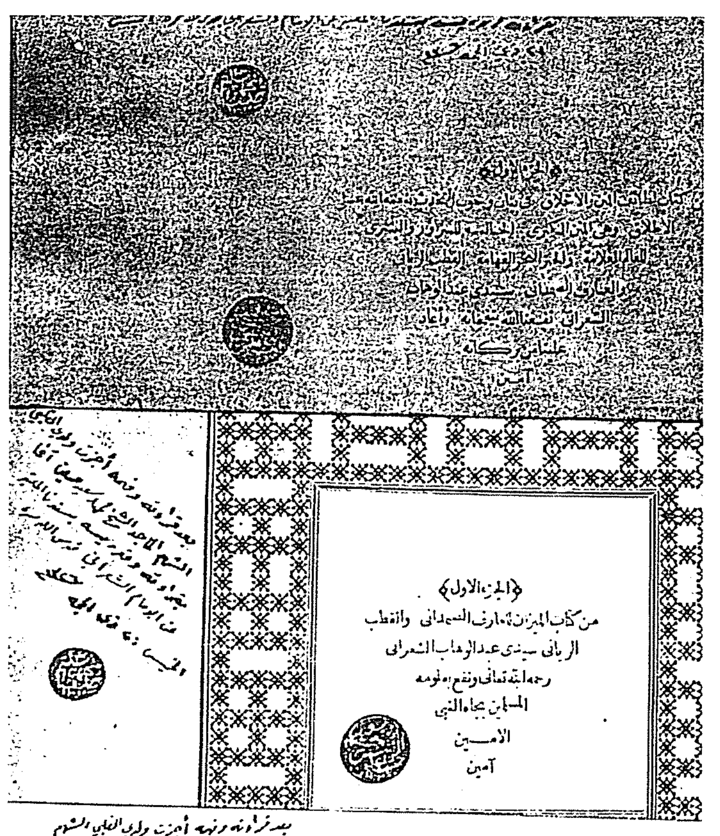
فنسألك اللهم ونتوب إليك ونتمسك ونتوسل ونتوجه ونتضرع ونتحفظ ونتحصن ونستشفي ونتشفع ونتعلم ونتفهم ونتذكر ونتفكر ونتريض ونترفع ونتوصل ونتقرب بأسرارك المودعات وأنوار تجليات الموضوعات والمعارف المقربات في هذه الطرق العلية وببركات المشايخ المسلسلين بسيدنا وسندنا وميزاب فيوضاتنا ومجرى الحكمة وأسرارنا السيد **الشيخ سليم خلف** قدس الله سره وبسيدنا الشيخ أحمد الطزقلي قدس الله سره وبسيدنا العارف بالله تعالى قطب الإرشاد حضرة مولانا خالد العثماني الكردي قدس الله سره وبسيدنا الشيخ عبد الله الدهلوي قدس الله سره وبسيدنا الشيخ حبيب الله جان جانان مظهر قدس الله سره وبسيدنا الشيخ نور محمد البَدَواني قدس الله سره وبسيدنا سيف الدين قدس الله سره وبسيدنا الشيخ معصوم قدس الله سره وبسيدنا الإمام الرباني مجدد الألف الثاني الشيخ أحمد الفاروقي السرهندي قدس الله سره وبسيدنا الشيخ محمد الخواجكي الأمكنكي السمرقندي قدس الله سره وبسيدنا الشيخ درويش محمد قدس الله سره وبسيدنا الشيخ محمد الزاهد قدس الله سره وبسيدنا الشيخ عبيد الله احرار الأنصاري السمرقندي قدس الله سره وبسيدنا الشيخ يعقوب الجرخي قدس الله سره وببيدنا الشيخ علاء الدين العطار قدس الله سره وبسيدنا الشيخ محمد بهاء الدين شاه نقشبند الأويسي البخاري قدس الله سره وبسيدنا الشيخ المير كلال قدس الله سره وبسيدنا الشيخ محمد بابا السمَّاسي قدس الله سره وبسيدنا الشيخ علي الراميتني قدس الله سره وبسيدنا الشيخ

محمود الأنجير فغنوي قدس الله سره وبسيدنا الشيخ عارف الرِّيوَكَري قدس الله سره وبسيدنا الشيخ عبد الخالق الغجدواني قدس الله سره وبسيدنا الشيخ يوسف الهَمَداني قدس الله سره وبسيدنا الشيخ أبي علي الفضل بن محمد الطوسي الفارمَدي قدس الله سره وبسيدنا الشيخ أبي الحسن علي أبي جعفر الخرقاني قدس الله سره وبسيدنا الشيخ طيفور بايزيد البسطامي قدس الله سره وبسيدنا جمال آل البيت الكرام السيد جعفر الصادق قدس الله سره وبسيدنا قاسم حفيد الصديق الأكبر رضي الله عنهما وبسيدنا أبي بكر الصديق ﷺ وبسيدنا منبع العلم والأسرار ومخزن الفيض والأنوار وملجأ الأمة والأبرار ومهبط جبريل في الليل والنهار وحبيب الله الستار الذي أنزل عليه أفضل الكتب والأسفار سيدنا ومولانا وشفيعنا **محمَّد المختار** صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الأخيار وبسيدنا جبريل عليه السلام وبسيدنا ميكائيل عليه السلام وبسيدنا اسرافيل عليه السلام. (إلهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي) أعطني محبتك ومعرفتك، فنسألك اللهم بعزتك وجلالك وجمالك وقدرتك وكبريائك وعظمتك وبحق سرِّ سِرِّ سرِّ أسرار أسمائك العظام وأنبيائك الكرام وأوليائك الفخام وملائكتك المقربين عليهم السلام وبحق لا إله إلا الله محمد رسول الله وبحق هذا الاسم الاعظم الله الله بالألف القائم الذي ليس قبله سابق ولا بعده لاحق وباللامين اللذين لمت بهما الأسرار وأخذت بهما العهد الواثق وبالهاء المحيطة المحركة للسواكن والجوامد والنواطق أن توفقنا للنظر إلى وجهك الكريم وتقضي حوائجنا وتفتح لنا أبواب العلوم والكشوف وتفيض علينا من بركات العرش والكرسي واللوح المحفوظ وتتجلى في قلوبنا بأنواع التجليات والأسرار كما أفضت وتجليت على قلوب أنبيائك وأصفيائك أجمعين بلطفك وكرمك ياأرحم الراحمين ﴿لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين﴾ اللهم إني أقمت نفسي تحت هذا الميزاب المحمدي حقيراً ذليلاً مذنباً مستشفعاً فيسر لنا أنواع تجلياتك الإلهية وأسرار ملائكتك القدسية وهمم أوليائك الربانية وفيوضات حبيبك المحمدية ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً﴾،

﴿ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار﴾، ﴿ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب﴾، ﴿رب اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب﴾، ﴿ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم﴾، ﴿سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين﴾ [1].

٦- ثلاث صور عن إجازات مولانا الشيخ سليم خلف بقراءة كتب الإمام الشعراني:

إلى الشيخ محمد سعيد حسين آغا، كتبها الشيخ سليم بخطه على الصفحة الأولى من كل كتاب ووقعها بخاتمه:



الجزء الاول

من كتاب الميزان لعارف الصمداني والقطب الرباني سيدي عبد الوهاب الشعراني رحمه الله تعالى ونفع بعلومه المسلمين بجاه النبي الأمين آمين

بعد قراءته وفهمه أجزت ولدي القلبي الشهم

الماجد الشيخ محمد سعيد أفندي حسين آغا

بقراءته وتدريسه بسندنا المتصل

عن الإمام الشعراني ... ٢١

ذي الحجة ...

كتاب اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر للإمام العارف الرباني سيدي عبد الوهاب الشعراني نفعنا الله والمسلمين ببركاته وأفاض علينا من نفحاته

---

[1] وكتب حفيده الأستاذ محمد غازي بذيلها: هذه توسلية إلى الله تعالى برجال الطريقة النقشبندية بخط الشريف السيد الشيخ محمد سعيد حسين آغا المكناسي الحسيني، والأصل محفوظ في خزانة حفيده.

٥- الوارث الكامل والقدوة الفاضل

الشيخ محمد مشعل من آل الشيخ صالح التادفي الحلبي

(١٢٧٧-١٣٨٠ هـ) (١٨٦٠-١٩٦١ م)

هو الشيخ الفاضل، والعصامي العامل، أحد ورّاث مولانا الشيخ سليم وخلفائه الأفاضل، الشيخ محمد خضر بن صالح مشعل من آل الشيخ صالح في تاذف (منطقة الباب في محافظة حلب)، هاجر جده منذ (١٥٠) عاماً من تاذف إلى قرية (تلدو) القريبة من حمص واستوطن فيها.

النشأة الأولى والتلمذة على يد الشيخ سليم في حمص: ولد في قرية (تلدو) عام ١٢٧٧/١٨٦٠، ونشأ فيها أمياً لا يعرف القراءة ولا الكتابة حيث لم يكن يوجد من يحسن ذلك، وأحب الصالحين والأتقياء، وأحب العلم والعلماء - كغالب أهل الفطرة في القرى - فتوجه تلقاء حمص، وكانت آنذاك تسطع أنوارها بخلفاء الشيخ أحمد الطوزقلي النقشبندي، وغيرهم من علماء حمص الأفاضل، وصالحيها الأتقياء، فقادته يد العناية الإلهية إلى زاوية مولانا سليم خلف، وكان عمره آنذاك سبعة عشر عاماً، فلزم الزاوية وخدمتها، والشيخ ومحبته، فاعتنى به الشيخ، وأولاه مزيداً من الرعاية والعناية، والتوجه والتربية، فتعلم عنده القراءة والكتابة والقرآن الكريم ومبادئ العلوم الشرعية، ثم تدرج لديه في التربية والتزكية، والعلم والمعرفة، مع إخلاصٍ في الخدمة، وتفانٍ في المحبة، فحصل من عناية الشيخ على مزيد من العلم والتزكية، وصار ربانياً بهمة الشيخ وتوجيهه.

وكان من محبته وإخلاصه ينقل الماء ويحمله على كتفه من الجامع الكبير في حمص إلى زاوية الشيخ في حيّ القصيّر.

العودة إلى القرية معلماً: وبعد أن أنهى التعلم والتربية لدى شيخه سليم في زاويته المباركة، عاد إلى قريته (تلدو) والمسجد فيها مهجور لا تقام فيه الصلاة ولا الجمع فضلاً عن الجماعات، وقد ملأه جيران المسجد بالتبن وأعلاف الحيوانات، فبدأ به فنظفه وطهره وأخلاه من تلك الشواغل، وملأه بالعلم والذكر، وتلاوة القرآن، فالتفت إلى أهل قريته الأميين الجاهلين، فافتتح كتّاباً يعلم فيه القرآن، ومبادئ القراءة والكتابة، وينشر في الأميين مبادئ العلم، ويتلو عليهم آيات الله مزكياً مربياً، ومعلماً مرشداً، وهيأ الله له بعض أهالي الفضل من قريته من يعينه في التدريس والتعليم، وامتدت وكثرت حلقات العلم والتزكية، التي تدرس فيها مبادئ العلوم الشرعية، لتخرّج الأئمة والخطباء والمدرسين والوعاظ الذين أرسلهم إلى القرى المحيطة بالمنطقة، هداة ومرشدين، ومعلمين مربين.

إجازة الشيخ سليم: ولما رأى أستاذه الشيخ سليم خلف فيه أهلية الإرشاد والتعليم والتزكية، كتب له إجازة خطية بالعلم والإرشاد، وأجازه بتلقين الذكر والطريق النقشبندي للإخوان والمريدين، كما كتب إجازة خطية لولده الشيخ محمد أبي النصر أيضاً، (كما أخبرني بذلك ولده العلامة المحب الشيخ محمد علي مشعل، نزيل المدينة المنورة حفظه الله).

بعض مناقبه وخصاله: كان الشيخ محمد مشعل – قدس سرّه – كريماً جواداً لا يبخل بمال ولا يمسكه عن محتاج أو ضيف، ولا يضنّ به عمن حوله، رغم أنه لم يكن من أهل الغنى أو الأموال المعلومة.

وحدثني ولده العالم المجاهد الشيخ محمد علي (أبو أسامة) أنه لما وصل الشيخ العلامة الشريف الحسيب النسيب بدر الدين الحسني إلى حمص في جولته على مدن سورية وأقام فيها حوالي عشرة أيام، فزار زاوية الشيخ سليم خلف، وكان أثناءها والده الشيخ محمد مشعل يزور شيخه مولانا سليم الخلف، فرأى الشيخ محمد مشعل في منامه أنه يتصارع مع شيخه بدر الدين، ثم تغلب عليه ورماه أرضاً، فحكى الرؤيا لشيخه سليم وكان الشيخ

بدر الدين طلب من الشيخ سليم أن يجيزه في الطريق النقشبندي.

وهنا توجه الشيخ سليم لخليفته محمد مشعل وقال له: يا محمد مشعلْ قم أدخل الشيخ بدر الدين بالطريقة ولقنه الذكر والطريق، (وهذا تأويل الرؤيا). (وقد ذكر الشيخ محمد علي أبو أسامة في ثبته هذه الحادثة والتي بعدها).

وكذلك لما جاء الشيخ عبد القادر قصاب الدير عطاني إلى حمص وزار الشيخ سليم وطلب منه الإجازة بالطريق، وكان الشيخ محمد مشعل موجوداً عند شيخه سليم قال له: قم يا محمد مشعل فلقنه الطريق.

قال أبو أسامة – حفظه الله –: وقد أصبح المسجد في القرية مدرسة جامعة تمتلئ بالذاكرين والمتعلمين والمتهجدين والمصلين، تقام فيها حلقات العلم، ومجالس الذكر، ويقام فيه الختم النقشبندي كل صباح وبعد العشاء يومياً.

توفي هذا العالم العامل في (تلدو) ودفن فيها عام ١٩٦١/١٣٨١، رحمه الله وطيب ثراه.

وها أنذا ألحق ترجمة هذين العالمين الفاضلين والطودين الكاملين الشيخ بدر الدين الحسني والشيخ عبد القادر قصاب الدير عطاني بأحباء مولانا سليم من معاصريه من أهل العلم والفضل بناءً على رواية الشيخ محمد علي مشعل عن والده عن مولانا الشيخ سليم قدس الله سره.

٦- العلامة المحدّث والعارف الكبير والوليُّ الشهير

مولانا الشيخ بدر الدين الحسني، محدّث الديار الشاميَّة

(١٢٦١-١٣٥٤ هـ) (١٨٥١-١٩٣٥ م)

هو العلامة النحرير والمحدث الشهير، والإمام الكبير الذي عرف فضله الصغير والكبير من أهل عصره، وما بعدهم وإلى يومنا هذا المحدث الأكبر شيخ الإسلام والمسلمين، وأمير المؤمنين في الحديث وفي سائر العلوم العقلية والنقلية، من يقال له بحق: وحيد عصره، وفريد دهره (عالم الأمة وزاهد العصر العلامة المحدث الأكبر بدر الدين الحسني، محمد بن يوسف بن بدر الدين المغربي بن عبد الرحمن بن عبد الوهاب بن عبد الله بن عبد الملك بن عبد الغني المراكشي السبتي المالكي، الدمشقي مولداً ووفاةً.

ولد بدمشق سنة ١٢٦١/١٨٥١ من أبوين فاضلين تقيين ورعين، فوالدته السيدة عائشة الكزبري من أعرق أسر دمشق بالعلم والفضل والحسب والنسب.

ووالده العلامة الكبير والإمام الشهير السيد يوسف بن العلامة بدر الدين المراكشي السبتي الحسني الدمشقي وفاة، من محلة (ورياد العروس في مراكش)، وينتهي نسبه إلى سيدنا الحسن السبط بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما) [1].

قَدِمَ والده دمشق بعدما صار العلَم الأوحد في سائر العلوم العقلية والنقلية، وقد تلقى تعليمه في الجامع الأزهر. توفي والده بدمشق ١٢٧٩ هـ ١٨٦٢م، ودفن في مقبرة الباب الصغير.

نشأ الأستاذ المحدِّث في حجر والده، وحفظ القرآن بمعونته وإرشاده، وقرأ عليه مبادىء

---

[1] معظم هذه الترجمة من كتاب (عالم الأمة وزاهد العصر للسيد محمد رياض المالح). المطبوع في دمشق /١٣٩٧-١٩٧٧/ وقد تفضل حفيده الأستاذ محمد فخر الدين الحسني فأهداني نسخة من هذا الكتاب بإمضائه أثناء زيارتي له في دمشق مع أستاذنا الشيخ محمد بلنكو في ذي القعدة عام /١٤٠٣/ رحمه الله ونور ضريحه.

العلوم حفظاً وفهماً، ولما توفي والده كان عمره (١٢) سنة. فجلس في غرفة والده في دار الحديث بدمشق التي لها اتصال بداره، وأخذ يدرس الكتب التي تركها له والده بهمة عظيمة، ويحفظ المتون بأنواع الفنون بحافظة غريبة.

ثم أخذته والدته إلى العلامة الشيخ أبي الخير الخطيب في دمشق وأوصته به خيراً، فعامله الشيخ المذكور معاملة ولده لما رأى عليه من سيما النجابة والذكاء المفرد، فحفظ المتون (مختصرات كتب العلوم في سائر الفنون المختلفة).

قال أستاذه للشيخ مصطفى الشطي مفتي دوما لما زاره ورآه عنده، وسأله عنه: هو الشيخ محمد بدر الدين بن الشيخ يوسف المغربي، لقد أدهش عقلي، كان سنه اثني عشرة سنة وقد حفظ اثني عشر ألف بيت في فنون مختلفة.

ثم شغله أستاذه بقراءة شروحها بفهم وإتقان، حتى نبغ نبوغاً باهراً استلفت إليه أنظار مشايخه، فأجازوه وأذنوا له بالتدريس، ثم أقبل على المطالعة بنفسه، بهمة وعزيمة صحيحة لا يفتر عن ذلك آناء الليل وأطراف النهار.

مؤلفاته: ألّف نحواً من أربعين مؤلفاً ولم يكمل العشرين من عمره، في مختلف العلوم العقلية والنقلية، وقد ذكر معظم ما اطلع عليه من مؤلفاته تلميذه الشيخ طاهر الأتاسي مفتي حمص (شارح مجلة الأحكام العدلية)، بقصبيدة طويلة ذكرها مترجمه الأستاذ المالح في كتابه (عالم الأمة وزاهد العصر).

خلوته وعزلته: ثم حببت إليه العزلة بعد ذلك والأخذ بأوفر حظ من العلم والعبادة، فانقطع إلى الله تعالى في مدرسة دار الحديث الأشرفية. ولما تمت خلوته الأولى تصدّر للإقراء والتدريس، فألّف الكتب الكثيرة وأقرأ الكتب الكبيرة ولم يتجاوز سنه الثلاثين.

ذكاؤه وحفظه: كان يحفظ صحيح البخاري ومسلم بأسانيدهما، وموطأ مالك ومسند أحمد وسنن الترمذي وأبي داود والنسائي وابن ماجه، ويروي لك منها ما تشاء كأنه ينظر في كتاب.

كما إنه كان يحفظ أسماء رجال الحديث وما قيل فيهم، وسنيَّ وفاتهم ويجيبك عما شئته

منهم، وبلغت محفوظاته عشرين ألف بيت من متون العلم المختلفة. حدَّث حفيده الأستاذ محمد فخر الدين (أمين الفتوى) أنه كان يحفظ الكتاب من أول وهلة.

تدريسه وتعليمه: ثم صار يُقرئ الطلبة في المسجد الأموي النحو والصرف والبلاغة والمنطق والفقه وغيرها، وكان يقرأ تفسير البيضاوي عن ظهر قلبه، وكان جهوري الصوت يجتمع عليه الخلق الكثير صفوفاً صفوفاً، فتعطلت دروس غيره من الشيوخ لشدة فصاحته وإخلاصه، ولم يكن يومئذٍ قد نبتت لحيته، ولما أحس بما أَلَمَّ بنفوسهم، ترك الدرس واعتزل في غرفته بالمدرسة، ولم يخرج منها سبع سنين حيث أقبل بكليته على علم الحديث حتى صار فيه الحجة البالغة.

رحلته إلى حمص: ثم رحل إلى حمص وأقبل عليه أهلها إقبالاً عظيماً، وأخذوا عنه، وكان ذلك عام ١٢٩٠ هـ ثم رجع إلى دمشق وإلى حجرته في دار الحديث.

وعاد إلى التدريس: في جامع السادات يقرأ صحيح البخاري عن ظهر قلب، وقد بهرت الناس فصاحته وتكلم على الحديث الواحد من علوم شتى لم تعرف بديار الشام، مثل الحكمة والطب والرياضيات وغيرها، فلما كثر الخلق عليه وضاق بهم الجامع انتقل إلى جامع سنان باشا، ثم جاءه التوجيه من الأستانة بقراءة الدرس في الجامع الأموي، فقرأ باحتفال عظيم حضره أعيان العلماء والرؤساء والوالي وجماعته، وكان إذ ذاك (مدحت باشا). وذلك سنة ١٢٩٨ هـ، فما رأى الناس مثل هذا الدرس، وأتى على مقدمة عظيمة في علم الحديث الشريف، ولم يترك علماً من العلوم المعقولة والمنقولة إلا وذكر شيئاً منها، ثم ختم الدرس بالدعاء لصلاح الأمة وبالتوفيق لولاة الأمور لخدمة بلادهم، ثم داوم بعد ذلك على هذا الدرس كل يوم جمعة بعد صلاتها إلى أذان العصر.

فيقرأ حديثاً من صحيح البخاري بسنده المتصل، ويبين ما بني عليه من الأحكام الشرعية على اختلاف مذاهب المجتهدين مع مأخذهم ويرجح الأقوى منها، ويأتي بما يناسب المقام من سائر العلوم، وقد تبلغ الأحاديث التي يذكرها مئة حديث فيما يتعلق بحديث الباب.

وكان سيدي الوالد (الشيخ محمد علي المسعود) يحدثنا عن مجلسه في الجامع الأموي بدمشق، ذلك أنه حضر بعض هذه المجالس وقت ذهابه لدمشق لطلب العلم، وكتب في (ثَبته) الذي ذكر فيه أشياخه وأقرانه ومن لقيه من أهل العلم والصلاح قال عنه: (كان يجلس للحديث تحت قبة النسر الشهيرة في ذلك المسجد، فكنت إذا رأيته يحدّث وحوله الأجلاء من أهل الفضل يحفُّون به وبحلقة درسه وحديثه، تتمثل لك ويتجلى لناظرك الهيئة التي ذكرها المحدثون عن مجلس جده ومورثه سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ مع أصحابه الكرام، كأنما على رؤوسهم الطير، أي الأصحاب الكرام رضوان الله عليهم مما يزيدك تيقناً بتمام وكمال الوراثة وتحقق النسب الفاخر... وأنا أعدُّ هذا المشهد أعظم مشهد شهدته في حياتي، وهو أقرب مُتخيل أتخيل وأتمثل به المشهد النبوي العظيم والموكب النبوي الفخيم، عليه وعلى آله وأصحابه وعلى باقي النبيين والمرسلين أفضل الصلاة وأكمل التسليم). اهـ منه.

والحق يقال أن الشيخ رحمه الله كان مجدد عصره، ويمثل الوراثة النبوية آنذاك.

رزق الشيخ ولدان هما: إبراهيم عصام الدين، ومحمد تاج الدين. توفي الأول في حياة أبيه عام ١٣٣٥ هـ ـ ١٩١٧ م، وخَلَّفَ الأستاذ محمد فخر الدين، الذي كان أميناً للفتوى (لمفتي الجمهورية) حتى وفاته رحمه الله حوالي ١٤٠٨ هـ.

وأما تاج الدين فقد تولى رئاسة الجمهورية أثناء الانتداب الفرنسي. وكلاهما من أهل العلم والفضل.

جهاده: ولما نكبت البلاد بدخول فرنسا واحتلالها، عام ١٩٢٠ أرسل ولده الشيخ تاج والمفتي الشيخ عطا الله الكسم للقتال في ميسلون، ثم هيأ النفوس ضد احتلال الكافرين، وقام بجولته الشهيرة في البلاد السورية يحث الناس على الجهاد، إضافة إلى أن شيوخ المجاهدين كانوا يلتقونه يومياً في دمشق ليعملوا بتوجيهاته.

ومناسبة الترجمة: لكتابنا هو ما ذكرنا في ترجمة الشيخ محمد مشعل خليفة مولانا محمد سليم أنه رأى في منامه (وكان في زاوية شيخه سليم) أنه صارع الشيخ بدر الدين، ثم

تغلب عليه ورماه أرضاً، فحكى الرؤيا لشيخه سليم، وكان مولانا الشيخ بدر الدين طلب من الشيخ سليم أن يجيزه في الطريق النقشبندي (وهذا من عادة الفضلاء والعلماء العاملين أن يستجيزوا شيوخ عصرهم في العلم والطريق) فتوجه الشيخ سليم لخليفته الشيخ محمد مشعل وقال له: يا محمد مشعل، قم وأدخل الشيخ بدر الدين بالطريق ولقنه الذكر والطريق، وهذا تأويل الرؤيا.

وفاته: توفي هذا الطود الشامخ والعلم الراسخ ضحوة يوم الجمعة ٢٧ ربيع الآخرة ١٣٥٤ هـ ـ ١٩٣٥/٦/٢٨ ودفن في دمشق.

ملاحظة: ذكر الأستاذ الدكتور عبد المجيد البيانوني في كتابه (أحمد عز الدين البيانوني الداعية المربي) [1] الذي ترجم فيه لحياة الشيخ أحمد: أن الشيخ أبا النصر حضر على الشيخ بدر الدين الحسني في تفسير الإمام النيسابوري، ويقول في الحاشية: إن الشيخ بدر الدين الحسني هو من أقران الشيخ محمد أبي النصر، فحضوره عليه إن ثبت إنما هو على منهج سلف هذه الأمة في أخذ الأقران عن بعضهم واعترافهم بفضل كل ذي فضل.

وقد حدثني بعض المعاصرين للشيخين، أن الشيخ بدر الدين الحسني أخذ الطريق أيضاً على الشيخ محمد أبي النصر. اهـ ص/٢٣.

[1] طبع دار القلم بدمشق عام ١٤٢٥هـ.

٧- العالم العلامة والفاضل الكامل والعارف الواصل

الشيخ عبد القادر القصَّاب "الديرعطاني"

(١٢٦٤-١٣٦٠ هـ) (١٨٥٤-١٩٤١ م)

هو علامة زمانه وفاضل عصره وأوانه، العارف الواصل والعالم العامل، الشيخ عبد القادر القصاب بن الشيخ محمد بن الحاج حسين القصاب المولود في (دير عطية) من منطقة القلمون، البلدة الشهيرة قبل دمشق عام (١٢٦٤ هـ ١٨٥٤ م).

كان والده عالماً فقيهاً ورعاً زاهداً يحفظ القرآن عن ظهر قلبه، حتى أفضى به إلى الكشف الصادق، وقد كان شديد الحب لرسول الله ﷺ، لا يملك عينيه من البكاء إذا ذكره أو ذُكر عنده.

وأما والدته فهي السيدة فاطمة بنت الشيخ محمد بن مصطفى القاني. كانت من الصالحات القانتات وحظها من قيام الليل كبير، طويلة الباع بالعطاء، طيبة النفس بالسخاء، تقرئ الأولاد الفقراء بلا عوض، وربما واستهم من مالها، وكانت فقيهة سالكة للطريقة القادرية، أخذت الفقه عن الشيخ سعيد الخطيب (الديرعطاني) والطريقة عن صاحب الكشوفات الصادقة والكرامات المتواترة الشيخ (وهبة أبي العظام) صاحب القسطل. لاحظتْه والدته بالتربية والتعليم فحَفِظَ القرآن نظراً عليها، واختارها الله إلى جواره وقد قارب الثامنة من عمره.

وفي أول شبابه انصرف إلى اللهو واللعب وفاقَ أقرانَه فيه إلا أنه لم تَطل به المدة حتى أحبَّ العزلة والبعد عن الناس، واختلى في بستان والده مدةً ليطَّلع على قصيدة (البردة) للبوصيري التي يقرؤها ويأنس بها، ثم تتوجه حياته بعد ذلك إلى منحى آخر.

في دمشق للعلم: يتوجه بعدها إلى دمشق عاملاً مع العمال في (الكلس والطين) مستأذناً والده الذي ودَّعه بقوله: ﴿إن الذي فرض عليك القرآن لرادّك إلى معاد﴾، وينتهي الصيف ويعود العمال إلى بلدهم ولكنه لم يعد معهم بل لزم مجالسَ شيخ دمشق آنذاك الشيخ (عبد القادر بن صالح الخطيب)، ولازمه سنتين أخذ منه فيها من العلم والخلق والفضائل بحظ وافر، منقطعاً إلى العلم لدى شيخه في (مدرسة الخياطين) يعمل يومين في الأسبوع، ينفق من أجرهما على نفسه باقي أيامه، حتى انتقل شيخه إلى رحمة الله تعالى.

إلى الأزهر المعمور: ويصف الشيخ رحمه الله في (الرحلة الأزهرية) رحلته إلى مصر لطلب العلم في الأزهر، وكيف أن أحد رفاقه الذي تكفل له بأجرة الركوب والنفقة خان به، وقدر الله أن يمضي أثناء الطريق وبعد الوصول إلى الأزهر مدة سنتين بالفاقة وشدة الفقر والحاجة مع التعفف الكامل، والالتفات إلى العلم والتقوى والمطالعة حتى يسّر الله له جراية (نفقة) من الأزهر.

وكان ما تلقاه في دمشق على شيخه الخطيب، وانصرافه (مع الجهد والفاقة) في الأزهر، من أعظم الأمور التي أسرعت بنبوغه وتحصيله الفائق الذي فاق به أقرانه، وجعله وخوَّله لأن يجلس إلى أحد أعمدة الجامع الأزهر مدرساً يتحلَّق الطلبة حوله ويقبلون عليه متعلمين، وينظر إليه أساتذته معجبين مسرورين.

(وتستمر حلقاته في الأزهر قريباً من عشرين سنة ما انقطع عنها، وما تركها في سبيل حاجة مهما كانت، وقد شملت دروسه في الأزهر شتى الفنون، وحفلت بكل أنواع العلوم التي تدرس، ولم تكن علوم العربية بأقلها شأناً، بل لقد برع فيها، حتى إن بعض الطلاب كانوا يفِدون لتعلم العربية فقط في حلقته، مالهم همة في شيء سواها).

وشملت حياته في مصر أموراً ثلاثة: العلم، وسيره على خطى القوم، والطواف على رحاب أهل البيت والتنعم بأنوار أضرحتهم المباركة، ويقيم في أزهرها سبعاً وعشرين سنة إقامة متصلة من عام ١٢٨٨ إلى عام ١٣١٤ هـ دارساً ومدرساً فيه. وشاء الله له أن يرجع إلى وطنه عام ١٣١٤ هـ ليبدأ حياة جديدة في العلم والتعليم والإفادة والإرشاد لأهل بلده وغيرهم.

شيوخه وإجازاته: كان أول شيوخه بعد والده، ووالدته رحمهما الله الشيخ عبد القادر الخطيب في دمشق، أما في الأزهر فكانوا كما ذكرهم: الشيخ إبراهيم الظّرو الخليلي، والشيخ شمس الدين محمد الأنبابي (شيخ الأزهر وقتها)، والشيخ محمد الأشموني، وقطب وقته الشيخ محمد عليش، والشيخ عبد الرحمن الشربيني، والشيخ إبراهيم السقا، والشيخ سالم البولاقي، والشيخ أحمد الأجهوري، والشيخ سليم البشري، والشيخ حسن الطويل، وغيرهم.

وقد أجازه معظم هؤلاء، كما أجازه شيوخ الأزهر إجازة جماعية (الشهادة).

وبعد عودته إلى دير عطية استجاز عدداً من مشايخ الشام منهم: الشيخ محمد بن محمد ابن عبد الله الخاني الخالدي بالطريقة النقشبندية عام ١٣١٤ هـ، والشيخ بكري العطار الشافعي القادري، والعلامة محدث الشام الشيخ محمد بدر الدين الحسني، والسيد المحدث الشيخ محمد بن جعفر الكتاني عام ١٣٣٧ هـ.

ومن مشايخ الطرق أيضاً أجازه بالطريقة السنوسية الأحمدية الإدريسية الشيخ أحمد الشريف السنوسي الخطابي الحسني الإدريسي، وبالطريقة العلوية من السيد الشيخ أحمد بن حسن العطاس، وهي إجازة علمية وإجازة طريق بآن واحد، وذلك عام ١٣١٠ هـ. وبالطريقة الشاذلية من الشيخ محمد بن عبد السلام بن عبود المصري المكناسي عام ١٣١٠هـ أيضاً. وكذلك بالطريقة الرفاعية من السيد أبي الهدى الصيادي.

العودة إلى الوطن: وكان على رأس مستقبليه من علماء دمشق وعامتها السيد المحدِّث الشيخ بدر الدين الحسني الذي طلب منه الإقامة في دمشق ونفع الناس فيها قائلاً له: (القرى لا تسع علمك). ولكنه كان مصمماً على نفع أهل بلده ومدينته، فصار منذ اليوم الأول لقدومه يبث علمه في المساجد العامة في (دير عطية)، ثم أسس المدرسة الحميدية وأقام فيها الغرف للطلاب وقدَّم لهم النفقة والكتب والتعليم على غرار نظام الأزهر، وظل هكذا خمسةً وأربعين عاماً، وأعانه أهل الخير في البلد على الإنفاق على الطلاب إلى أن قدر الله لها الخراب بسيل دهم البلد فخربها وخرب المدرسة.

وعاد الشيخ إلى إعمارها بعد أن جاوز سنه التسعين، وأعاد التعليم فيها إلى أن وافاه

الأجل عام ١٣٦٠هـ فكأنما حزنت على فراقه، وانقطع الطلبة، وأغلقت المدرسة أبوابها.

تزوج الشيخ رحمه الله من سيدة من آل بيت الرفاعي هي السيدة شريفة بنت علي الرفاعي، رزق منها أولاداً بقي منهم اثنان الشيخ محمد وفا، وعبد العلي.

وقد كان الشيخ رحمه الله كمالاً وخلقاً وهمةً عظيمة، وظل هكذا عالماً ومعلماً حتى وافاه الأجل ثامن ذي الحجة عام (١٣٦٠ هـ ١٩٤١ م) ودفن يوم عرفة في بلده، وقد شيعته القلوب والأرواح مع الأجسام إلى مقعد صدق عند مليك مقتدر إن شاء الله تعالى.

وكان سبب هذه الترجمة وإدراجها في كتابنا هذا (أعلام النقشبندية) أن أستاذنا الشيخ محمد علي مشعل ذكر في (ثبته): (أن الشيخ عبد القادر القصاب الديرعطاني جاء إلى حمص، وزار الشيخ سليم خلف وطلب منه الإجازة بالطريق، وكان الشيخ محمد مشعل (والده) موجوداً عند الشيخ سليم، فقال له: قم يا محمد مشعل لقنه الطريق).

أقول: وقد كان من عادة الشيخ سليم وابنه الشيخ محمد أبي النصر يأمر أحد العلماء بحضرته لتلقين الطريق وإعطاء الورد لمن يرغب في ذلك.

وفيما ذكرنا أعلاه أن الشيخ القصاب استجاز عدداً من أهل العلم والطريق، ومنهم الشيخ الخاني النقشبندي، ورواية الشيخ محمد مشعل تفيد أنه زار حمص واستجاز مولانا سليماً كما استجازه المحدث الأكبر الشيخ بدر الدين الحسني. اهـ

(استقيت هذه الترجمة للشيخ القصاب من كتاب ولده الشيخ محمد وفا الذي ألفه عن والده، فقد أجاد فيه وأفاد وذكر فيه بعض مؤلفاته وأشعاره ونثره وما قيل فيه من مراثي وكلمات العلماء بعد وفاته، كذلك ومما سمعته من الشيخ محمد وفا أثناء زيارتي له في منـــزله بدمشق عام ١٣٩٠ هـ ١٩٧٠ م رحمه الله ورحم والده آمين).

ملاحظة: يقول الدكتور عبد المجيد البيانوني في كتابه (أحمد عز الدين - الداعية المربي) في ترجمة شيوخ الأستاذ أحمد البيانوني، (الداعية الرباني الشيخ محمد أبي النصر خلف الحمصي، ومن تلاميذه (أي تلاميذ أبي النصر): الشيخ عبد القادر القصاب الديرعطاني. اهـ ص/٢٣.

٨- من علماء حمص

الشيخ أسعد الجندي

ومما حكاه لنا أستاذنا الشيخ عبد الباسط رحمه الله أن الشيخ أسعد الجندي؛ وكان من إخوان الشيخ ومريديه، قال: حكى لي الشيخ أسعد أنه أول ما أخذ الطريق النقشبندي عن الشيخ سليم وجلس معه على الختم الشريف، ومن آداب الختم؛ إغماض العينين، (لعدم الإنشغال، ولجمع القلب)، فقال الشيخ أسعد: فقلت في نفسي، لماذا أغمض عيني ؟ ففتحتهما، فرأيت سيدي سليم بصورة القمر ليلة البدر (يضيء وجهه ويتلألأ)، فأغمضت عيني، ثم بعد برهة خطر لي أن أفتحهما، ففتحتهما مرة ثانية، فرأيت الشيخ بصورة الشمس، فخفت أن يتخطف بصري من شدة النور، فأغمضتهما.

ولم تسعف المصادر بشيء عن حياته وولادته ووفاته، سوى ما حكاه لنا شيخنا أبو نزار رحمه الله وقدس سره.

٩- الشيخ الزاهد والعالم العابد

الشيخ راغب الدويري الحمصي

(١٣٠٠-١٣٧٦ هـ) (١٨٨٢-١٩٥٦ م)

ونقلت من خط سيدي الوالد من ثبتٍ له ذكر فيه مشايخه ومن التقى بهم من أهل العلم، وكذلك في المسودات ما يلي: (شيخنا الشيخ راغب الدويري تلميذ سيدي سليم، الذي تربّى على يديه، حتى حاز ما حاز من درجات الكمال، التقيت به في حمص في مسجد (القصيِّر) الذي كان مقيماً فيه بجوار زاوية شيخه الشيخ سليم، التي هي عامرة بعده بأولاده، وأجلّهم سيدي أبو النصر ثم أولاده ومحبوه إلى الآن.

وكان الشيخ (راغب) أمّياً ومتجرداً من الدنيا من زوجة أو ولد أو مال، وإنما بيته المسجد، وبلغ عمراً كاملاً، وبقي بعد شيخنا أبي النصر بمدة، وكان رحمه الله - مع كونه أمّياً - يجول مع أهل العلم في فهم عبارات العلماء، بما أعطاه المولى من النور، وقد حضرت (والكلام للوالد) عدة مجالس في هذا المسجد الذي كان مقيماً فيه، وكان لسيدنا أبي النصر رحمه الله فيه درس يومي، في علم التفسير - والله أعلم - وكان وقته الضحى، ويحضره من أهل العلم صهر سيدنا الشيخ أبي النصر الشيخ الحاج محمود السباعي، وهو من تلامذة سيدنا سليم رحمه الله تعالى أيضاً، كما يحضره أحد أولاد أخي شيخنا أبي النصر واسمه الشيخ بهاء، وهو خطيب ذلك المسجد وإمامه - والله أعلم - ويحضره الشيخ عبد الجليل المراد، ومن تلامذة سيدنا سليم وهو من أهل العلم النبهاء، (ومن أهل) اللطافة، وكان كثيراً ما يرافق سيدنا أبا النصر في جولاته، فننعم بمجالسته وطيب نغماته.

وهذا الدرس (درس سيدنا أبي النصر) درس خاص يحضره من ذكرتُ والشيخ راغب

معهم، وكان يجول في الفهم معهم، ويأخذ ويعطي، كأحد أهل العلم المتبصرين، وكان رحمه الله على قوة واستعداد روحاني عظيم، يتلقى عن مشايخه بعد انتقالهم إلى الدار الآخرة، كما كان يتلقى في الدنيا، وكان العلماء (الذين يحضرون درس سيدي أبي النصر) يجلسون عنده في المسجد ويقرؤون تلك الدروس، وهو لا يخرج من المسجد إلا يوم العيد، وبعد أن يصلي في مسجده، ثم يذهب إلى زاوية بيت شيخه، فيعايدهم، وقد بقي على هذه الحال إلى أن انتقل إلى جوار ربه بعد سيدنا أبي النصر رحمنا الله بهم، وبسادتنا أهل الله أجمعين). اهـ من خطه.

وقد سمعت من شيخي عبد الباسط أيضاً المعنى نفسه، فقد حدثنا أن الشيخَ راغباً كان أميّاً، لا يقرأ ولا يكتب، وإذا حضر مجالس العلماء يوجههم ويرشدهم بعلمه وفقهه، ورأيه الثاقب، وسوف يأتي معنا مزيد بيان عن أحواله في ترجمة سيدي أبي النصر رحمه الله تعالى وتلاميذه.

١٠- المؤرخ الفاضل والنبيه الكامل

الشيخ عبد الهادي الوفائي الحمصي

(...-١٣٢٨ هـ) (...-١٩١٠ م)

وقد مر معنا أول الكتاب في بحث (شهادة من أهلها) أن المؤرخ عبد الهادي الوفائي المولود في حمص هو من تلاميذ مولانا سليم، وله كتاب مخطوط في (تاريخ حمص) وهو لا يزال قيد الإعداد كما ذكره المؤلفان (ولعل الله ييسر طبعه).

وقد جاء في كتاب (دراسة وثائقية عن حمص) أنه من رجال الطريقة النقشبندية، وقد نظم قصيدة يمدح بها رجال السلسلة النقشبندية منها:

وحمص بأحمد علاها الفخار وأضحت توقّد دجاها نهار

طزقلي تجرد إلى خير دار له الفضل يشهد وكل الأنام

وناهيك سيدي **سليم الخلف** ملاذ المريد وبحر الشرف

فيا حمص سودي عليك انعطف كمال السعود كفيض الغمام

كما نظم قداً من نغم (سيكاه) كان ينشد في حلقات الأذكار في سهرات الطرب حتى الستينات من هذا القرن ومطلعه:

دَع طرق الغي فالدنيا فَيّ ما الكون إلا القيوم الحي

أقول: وقد عدَّلها مشايخنا إلى: (لا يبقى إلا القيوم الحي).

وردتني ترجمته أيضاً من الأستاذ محمد غازي حسين آغا من كتابه: (علماء وأعلام حمص في ظل الخلافة العثمانية) الذي هو قيد الإعداد بما يلي:

- الشيخ عبد الهادي بن الشيخ عمر الوفائي (شاعر ومنشد الشيخ سليم قدس الله سره)، ولد في مدينة حمص في بيئة متدينة وأسرة معروفة بالعلم خلفاً عن سلف، تلقى

علومه الدينية على علماء أسرته في مسجد ومدرسة جده الشيخ عمر البقراصي العامر بالعلماء وطلبة العلم منذ أن تأسس، نذكر منهم والده الشيخ عمر الوفائي، والشيخ صالح، والشيخ محمد... وتلقى عن علماء حمص الأفاضل وخصوصاً المرشد الكامل الشيخ **محمد سليم خلف الوزان** قدس الله سره.

وله الكثير من القصائد والموشحات الصوفية والمدائح النبوية ومنها في مدح شيخه ومرشده الشيخ سليم قدس الله سره وسلسلة الطريقة النقشبندية العلية. وكان له علم ومعرفة تامة بعلم الفلك الذي تلقاه عن والده وعلماء أسرته نظراً لضلوعهم بهذا العلم، فكان الميقاتي في الجامع النوري الكبير، وله كذلك عدة مؤلفات منها تاريخ مدينة حمص وحوادثها اليومية، وديوان شعر، وخمس روايات تمثيلية شعرية، وعدة قصائد يذكر فيها أحداث تاريخية جرت في مدينة حمص، وخلفه من بعده في علم الفلك ولده عبد الحميد المتوفى في ١٢رمضان سنة ١٣٧٤ هـ. ثم ولده الشيخ عبد اللطيف فكان ميقاتي الجامع النوري الكبير توفي سنة ١٤٠٤ هـ.

ومن نظم الشيخ عبد الهادي الوفائي:

بمدحي أسلسل شيوخي الكرام	وفيهم أعلل جروحَ الغرام
وإني مؤمل بمولى الأنام	عليَّ يسهل رموز الكلام
....	....
وناهيك سيدي **سليم الخلف**	ملاذ المريد وبحر الشرف
فيا حمص سودي عليك انعطف	كمال السعود كفيض الغمام

اهـ منه

وأخبرني الأستاذ محمد غازي أن كتاب المؤرخ الوفائي عن تاريخ حمص هو قيد الإعداد والإخراج. يسر الله طبعه وإخراجه.

توفي هذا الرجل الفاضل في العام الذي توفي فيه شيخه سليم ودفن بجانبه (عند قدميه) وذلك عام ١٣٢٨ هـ –١٩١٠م رحمه الله وأسكنه فسيح جنته.

١١- الخليفة الفاضل والنبيه الكامل

الشيخ أحمد بركات التلاوي

(١٢٨٠-١٤٠٠ هـ) (١٨٦٤-١٩٨٠ م)

أصله من تلبيسة المجاورة لحمص، وقد عمّر مئة وعشرين عاماً، وتوفي عام ١٤٠٠ هـ الموافق ١٩٨٠ م، وقد كان يُعد من خلفاء مولانا سليم، ونقل لي الأخ الشيخ محمد حسن التدمري المدرس في المعهد الشرعي بحمص أن سيدنا سليم خلّفه بأمر سيدنا الشيخ عبد القادر الجيلاني له في الرؤيا.

وعاش الشيخ أحمد بركات في حمص ودفن فيها بمقبرة باب هود، ولم يرزق أولاداً ذكوراً، كذلك ذكر لي الأخ موفق أحمد الكعكة أن الشيخ أحمد بركات من خلفاء مولانا سليم.



تلاميذ ومريدون آخرون لمولانا سليم خلف:

١٢- وكذلك منهم **الحاج أحمد ويس الحمصي**، وكان يدير الختم في الجامع الكبير، وفي حياة الشيخ أبي النصر أيضاً إذا غاب الشيخ عن حمص.

١٣- ومنهم **الشيخ بشير الدحدوح** من حلب، وكان من مريدي مولانا سليم وكان يراسله إلى حمص، وكان الشيخ عيسى يكتب له أحياناً ويرسل السلام إلى الشيخ، ثم كان يلازم الشيخ محمداً أبا النصر إذا قدم حلب، (وقد فصلنا ترجمته في فصل تلاميذ أبي النصر من علماء حلب).

١٤- **الشيخ شريف المصري الحمصي**: ذكر الشيخ محمد علي مشعل في ثبته عنه ما

يلي: (الشيخ شريف المصري من خلفاء الشيخ سليم في الطريقة النقشبندية، وكان له كتّاب جانب المدرسة الشرعية (دار العلوم الشرعية) التابعة للأوقاف، وله كتاب (تفسير القرآن) وله كتاب عن (الطريقة النقشبندية) لم يصلني، وتوفي وقام ابنه مقامه في الكتّاب، حتى توفي.) اهـ منه.

١٥- ومنهم **الشيخ عبد الجليل المراد** من (حمص) وستأتي ترجمته.

١٦- ومنهم **الشيخ قاسم التلمنسي** من (تلمنس المعرة) وستأتي ترجمته.

١٧- ومنهم **الشيخ محمود السباعي** من (حمص) وستأتي ترجمته.

(وقد ذكرنا تراجم هؤلاء الأفاضل الثلاثة مع ترجمة الشيخ راغب الدويري بعد ترجمة الشيخ سليم وقبل ترجمة الشيخ أبي النصر، باعتبارهم ممن أدركوا الشيخين سليماً وأبا النصر وأخذوا عنهما).

١٨- ومنهم العلامة **الشيخ نجيب عيون السود.**

١٩- ومنهم العلامة **الشيخ عبد الغفار عيون السود،** (كما أفادني الشيخ محمد مشعل وستأتي ترجمتهما).

٢٠- ومنهم **الشيخ عارف الأتاسي** جد الشيخ الطيب الأتاسي آخر مفتي لحمص (كما أفادني الشيخ وصفي مسدي). وانظر قصته مع الشيخ سليم لما دعاه ودعا المشايخ من آل الأتاسي في الفصل اللاحق (شذرات من أحواله المباركة).

٢١- ومنهم **الشيخ أحمد الفاخوري.**

٢٢- ومنهم **الشيخ محمد طاهر حسين آغا.**

٢٣- **والشيخ محمود حمادة.**

٢٤- ومنهم **الشيخ سعيد بن الشيخ محمد الجابي السباعي.**

٢٥- ومنهم **الشيخ مصطفى الأحمد بن الشيخ أحمد السباعي** (وأفادني في تراجم هؤلاء الخمسة الأستاذ المؤرخ محمد غازي حسين آغا) وستأتي ترجمتهم.

ملاحظة: لا بد أن هناك أجلّة من العلماء وأكابر الصلحاء لقدم العهد بهم، ولعدم تدوينهم في كتاب؛ فاتت علينا جملة صالحة من أخبارهم، وأرجو من كل منْ اطلع على ترجمة واحد منهم أو يعرف عنهم شيئاً أن يكتب إلينا لنضع ترجمته في المحل المناسب له من هذا الكتاب، في طبعة لاحقة إن شاء الله تعالى.



ومن تلاميذ ومريدي مولانا سليم خلف:

وقد أفادني بتراجمهم ونسخها لي من كتابه المعد للطبع: (علماء وأعلام حمص في ظل الخلافة العثمانية) الأستاذ المؤرخ محمد غازي حسين آغا وهم كما يلي:

١- **الشيخ أحمد الفاخوري**: (خليفة [1] الشيخ سليم خلف قدس الله سره). المتوفى سنة ١٣٣٤ هـ ١٩١٤ م ولد في مدينة حمص سنة ١٢٨٠ هـ ١٨٦٣ م. ثم تلقى علومه الشرعية على يد الشيخ **سليم خلف** قدس الله سره دون سواه، ثم لقنه الطريقة النقشبندية وأقامه خليفةً في حلقته، توفي سنة ١٣٣٤ هـ ودفن بجانب شيخه إلى الشرق.

٢- **الشيخ طاهر بن محمد أنيس حسين آغا**: (من تلاميذ الشيخ سليم خلف قدس الله سره). المتوفى ١٣٣٨هـ ١٩١٩م، ولد في مدينة حمص سنة ١٣٠١هـ ١٨٨٣م. تلقى تعليمه في المدرسة الرشدية، والعلوم الشرعية والفقه الحنفي على الشيخ إبراهيم الأتاسي والشيخ محمد المحمود الأتاسي وسواهم، ولازم المرشد الكامل الشيخ **محمد سليم خلف** قدس الله سره، ثم صار مدرِّساً وإماماً في الجيش العثماني في دمشق الشام ثم في فلسطين (إمام طابور)، وخلال الحرب العالمية الأولى صار إماماً ومدرساً في أحد مساجد الرملة بفلسطين وفي نهايتها عاد إلى وطنه وتوفي فيه سنة ١٣٣٨ هـ ١٩١٩ م.

---

[1] التعبير بـ (خليفة) مولانا سليم الوارد في حديث الشيخ محمد علي مشعل، والأستاذ محمد غازي إنما يراد به – والله أعلم – المريد المقدَّم في حياة الشيخ على الإخوان، وليس الخليفة بمعناه الشامل (المرشد الكامل) المجاز بتربية الإخوان والمريدين.

٣- **الشيخ محمود حمادة:** أجازه الشيخ سليم قدس الله سره كما في ثبت الشيخ أحمد سليمان الأروادي النقشبندي.

٤- **العلامة الشيخ سعيد بن الشيخ محمد الجابي السباعي:** المتوفى سنة ١٣٨١هـ ١٩٦٢م (من تلاميذ الشيخ سليم خلف قدس الله سره). ولد في مدينة حمص وتلقى علومه الشرعية على والده العلامة الكبير وعلى علماء أسرته وعلماء مدينة حمص الأفاضل، ولازم الشيخ **سليم خلف** قدس الله سره وأخذ عنه الطريقة النقشبندية العلية، وتابع ملازمة الأذكار والختم الشريف في قاعة الشيخ قدس الله سره بعد وفاته عند الشيخ حافظ ثم الشيخ أبي النصر قدس الله سره.

كان رحمه الله عالماً جليلاً وله حضور تام ويتمتع بصوت جميل خاشع يؤثر في سامعيه. وكان شاعراً مجيداً ومنها قوله:

عجز الطبيب فداوني بمحمـــد يا من يرى حالى ويعلم علتي

يا أعظم العظماء جئتك ضارعاً فبأكرم الشفعاء فرّج كربتي

....

عودتنا المعـــروف ربَّـــاه فعُد بعوائد الحسنى وآمن روعتي

كان رحمه الله إماماً ومدرساً في الجامع النوري الكبير وفي غيره من مساجد حمص. والمعروف أن أسرة آل الجابي لهم التولية والنظارة على أوقاف الجامع النوري الكبير، فكان حرمه مرتعاً له في حداثته لتلقي علومه ومعارفه على علماء حمص الأجلاء. توفي سنة ١٣٨١هـ ١٩٦٢م.

٥- **الشيخ مصطفى (الأحمد) ابن الشيخ أحمد السباعي:** (تلميذ الشيخ سليم خلف قدس الله سره) المتوفى سنة ١٣٤٩هـ ١٩٣٠م، ولد في مدينة حمص سنة ١٢٧٧هـ ١٨٦٠م وتلقى علومه ومعارفه الدينية على علماء أسرته من آل السباعي ثم على الشيخ عبد الله السعداوي الشاذلي المغربي نزيل حمص وأخذ عنه الورد العام والورد الخاص. وبعد

وفاته لازم المرشد الكامل الشيخ سليم قدس الله سره وأخذ عنه الطريقة النقشبندية العلية. توفي سنة ١٣٤٩هـ ـ ١٩٣٠م.

وأولاد الشيخ مصطفى:

١- **الشيخ إبراهيم بن الشيخ مصطفى الأحمد السباعي:** (خليفة الشيخ أبي النصر خلف قدس الله سره). المتوفى ١٣٧٠هـ ـ ١٩٥١م، ولد في مدينة حمص نحو ١٩٠٠م، تلقى علومه الشرعية على والده ثم علماء أسرته ثم على الشيخ أبي النصر قدس الله سره وأجازه في الطريقة النقشبندية العلية.

وكان ينوب عن الشيخ أبي النصر في الدرس العام بعد صلاة العصر في الجامع النوري الكبير عند غيابه لتفقد أحوال مريديه. توفي سنة ١٣٧٠هـ ـ ١٩٥١م.

٢- **الحاج محمد بن الشيخ مصطفى الأحمد السباعي:** (تلميذ الشيخ أبي النصر قدس الله سره).

٣- **الشيخ إسماعيل بن الشيخ مصطفى الأحمد السباعي:** (تلميذ الشيخ أبي النصر قدس الله سره والشيخ راغب الدويري).

كان رحمه الله صادقاً مخلصاً زاهداً ورعاً كثير العبادة، يغض نظره عند مروره في الأسواق، وحريصاً كل الحرص على عدم ضياع أي وقت دون عبادة أو تلاوة لكتاب الله الكريم أو دلائل الخيرات. وكان رحمه الله لا ينقطع عن حضوره الختم الشريف بعد صلاة الصبح وصلاة العصر في الجامع النوري الكبير، وبعد صلاة العشاء في جامع القصير، وليلة الجمعة في زاوية الشيخ قدس الله سره. توفي سنة ١٩٨٠م.

ومن مريدي مولانا سليم:

١- **الشيخ عبد الجليل بن عبد الرحمن مراد:** (تلميذ الشيخ سليم قدس الله سره). توجه إلى العلم والتفت إلى شؤون معاشه وصحب الشيخ سليم قدس الله سره وتلقى علومه

عنه. كان معتمَداً من قبل الناس ولهم فيه مزيد الاعتقاد ويسعى إلى حل مشاكل الناس لرغبتهم في حكمه وتحكيمه توفي سنة ١٩٨٠م ودفن بجانب مشايخه الكرام. (انظر ترجمته مفصلة في بحث (تراجم العلماء الذي عاصروا الشيخين سليم وأبي النصر فيما يأتي).

٢- **الحاج أحمد بن إبراهيم ويس:** (خليفة الشيخ أبي النصر قدس الله سره). كان مواظباً على الختم الشريف في الجامع النوري الكبير وجامع القصير بأوقاتهما وغالباً ما كان يدير الختم الشريف. توفي في شوال ١٤٠٨هـ الموافق ١٧ أيار ١٩٨٨م.

٣- **الشيخ محمد شاكر بن محمد المصري:** (من تلاميذ الشيخ سليم خلف قدس الله سره). ولد في مدينة حمص سنة ١٢٩٣هـ ١٨٧٥م العالم الكبير والصوفي الكامل صاحب المؤلفات الكثيرة في الفقه والتفسير والسيرة والتصوف وله منظومات وقصائد عديدة توفي يوم الجمعة ١٢ شوال سنة ١٣٧١هـ ١٩٥١م (وقد سبقت ترجمته مفصلة فارجع إليها) اهـ. مما كتبه الأستاذ المؤرخ محمد غازي حسين آغا نقلاً عن كتابه (علماء وأعلام حمص).. والذي هو قيد الإعداد، وهؤلاء الثلاثة أيضاً من تلاميذ ومريدي مولانا سليم قدس الله سره، قد ذكرنا للأول والثالث تراجم واسعة.



منشدو الشيخ سليم

ومما كتبه لي المؤرخ الأستاذ محمد غازي أيضاً؛ عن منشدي الشيخ سليم والشيخ أبي النصر؛ وهم السادة: الشيخ يوسف الحصني المشهور بـــ (أبي حسن النداف)، والشيخ خالد بن عبد الرحمن القصيّر والحاج خالد بن محمد ماضي. والمنشد رسلان الطحان.

كما ذكر لي الأخ خلدون الخطيب من تادف المنشد محمد الشاغوري أيضاً، وإليك تراجمهم:

١- **الشيخ يوسف بن حسن الحصني:** (أبو حسن النداف) منشد الشيخ سليم والشيخ أبي النصر قدس الله سرهما. ولد في مدينة حمص، تابع في بدايته مجالس الشيخ سليم قدس الله سره وتلقى عنه علومه الشرعية. وقد وهبه الله تعالى الصوت الجميل فصقل مواهبه على يد أهل الفن من مداحي الرسول الأعظم ﷺ.

وقد روى لي سيدي الوالد (الحاج عبد الكريم بن الشيخ محمد سعيد حسين آغا) وكما سمع من المرحوم أبي حسن النداف، أنه أتى إلى الشيخ سليم قدس الله سره مودعاً له قبل ذهابه إلى الجندية وذلك في خلافة السلطان عبد الحميد الثاني، ويبدو على وجهه الحزن والكآبة، فأوصاه الشيخ قدس الله سره وصية المرشد الكامل لتلميذه، وطيب نفسه ومازحه وقال له: يا بني سلّم لي على السلطان. فتبسم أبو حسن وتغيرت حاله، وقضت الحكمة الإلهية أن يكون من حرس السلطان الخاص لما يتمتع به من لياقة وحسن المظهر، ولم يظهر على باله قول الشيخ سليم قدس الله سره (سلّم لي على السلطان)، وبعد مدة أثناء مرور السلطان فإذا بالسلطان يقف أمامه فارتعد أبو حسن وخفق صدره، ثم قال له: وأنت بلغ سلامي للشيخ.

وعند إنهاء خدمته كان السلطان قد خُلِعَ والشيخ قدس الله سره قد انتقل إلى رحمته تعالى. وقال لي سيدي الوالد: أنه سمعها من أبي حسن مرات عديدة، وكان أبو حسن

يرويها في زاوية الشيخ قدس الله سره.

٢- **الشيخ خالد عبد الرحمن القُصيّر:** (منشد الشيخ سليم خلف قدس الله سره). ولد في مدينة حمص سنة هـ ١٨٦٠م، ولما شب تلقى علوم اللغة العربية والفقه الشافعي على العلامة الشيخ طاهر شمس الدين، ثم على الشيخ سليم خلف قدس الله سره.

وكان رحمه الله تعالى من الفنانين الذين حلّقوا في سماء الفن بصوته الساحر وفنونه الرائعة وألحانه الخاصة، تعاطى مهنة الحياكة والتجارة و لم يمتهن الفن، وكان المنشد الخاص للشيخ سليم خلف قدس الله سره. توفي سنة ١٩١٥م.

٣- **الحاج خالد بن محمد ماضي** (منشد القوم). ولد في مدينة حمص سنة ١٣١٩هـ ١٩٠١م. كان رحمه الله تعالى يحب العلماء ومجالستهم، فاستفاد منهم وأخذ عنهم الكثير. وقد وهبه الله تعالى الصوت العذب والفن والاحساس المرهف، وعند إنشاده من كلام السادة الصوفية فلا تظن إلا أنه هو القائل من شدة انفعاله وتمثّله بكلام القوم.

أخذ الطريقة النقشبندية أولاً عن الشيخ أبي النصر خلف قدس الله سره. والطريقة القادرية على الشيخ أحمد الكيالي، والطريقة السعدية عن الشيخ سعد الدين السعدي، ولازم الشيخ عبد القادر القصاب الديرعطاني وسواهم من أجلاء العلماء والمشايخ في بلاد الشام، وعند حضوره في زاوية الشيخ سليم قدس الله سره كان يرأس المنشدين.

توفي يوم الأحد ٢٩شوال ١٣٩٦هـ، ٢٤ تشرين أول ١٩٧٦م.

٤- **المنشد رسلان بن عبد الواحد الطحان:** (منشد في مجالس الشيخ أبي النصر) مؤذن جامع الدالاتي. ومنشد في مجالس الشيخ أبي النصر قدس الله سره. توفي سنة ١٩٣٨م

٥- **المنشد محمد الشاغوري:** وكما تحدثنا عن طريقة الشيخ سليم في اصطياد الرجال، كي يتدرجوا في سلك التائبين العابدين، ويرتقوا في معارج القرب إلى رب العالمين، فقد كان قدس سره، يرى بعين الولاية والفراسة هؤلاء الرجال، ويأخذ بأيديهم، وخاصة إذا كان الاستعداد الفطري موجوداً والإيماني متوفراً.

كتب إليّ الأخ الشيخ خلدون الخطيب من تادف ما يلي: (حدثنا الشيخ عبد الرحمن

الشاغوري رحمه الله [1] في إحدى زياراتنا له في دمشق، أنهم كانوا يسكنون حمص، ويعني هذا أيام طفولته، ثم انتقلوا إلى دمشق، قال: كان لي عم يدعى محمد الشاغوري، وفي يوم من الأيام كان عمي محمد يمشي في أحد شوارع حمص القديمة، إذ مرّ بجانبه أحد الناس وهو يحمل على كتفه سلّة، فأصاب عمي بسلته، فغضب عمي وشتمه، وفي نفس اللحظة مرّ الشيخ سليم خلف بجانبه وسمع ما دار من كلام بين عمي وبين الرجل، فتقدم الشيخ سليم بكل لطف وقال لعمي: أنت رجل شهم ولا ينبغي لمثلك أن يخرج هذا الكلام من فمه، ونصحه ببعض النصائح، ثم دعاه إلى مأدبة عشاء في منـــزله، وفعلاً أجاب عمي دعوة الشيخ سليم، وأخبر الشيخ عمي بأنه يقيم مجلساً للصلاة على النبي ﷺ، ودعاه لحضوره.

وبعد عودة عمي من منـــزل الشيخ سليم إلى البيت، سأله جدي: أين كنت ؟ فقال عمي: في منـــزل الشيخ سليم خلف، وعلى طعام العشاء، فضحك جدي وقال ساخراً: أنت تذهب إلى الشيخ سليم ؟! وفي يوم المجلس ذهب عمي إلى المجلس ودخل، فلما رآه الشيخ سليم ناداه من صدر المجلس وأجلسه بجانبه وقال له: إي، يا شيخ محمد، ألا تسمعنا شيئاً، فأنشد عمي بعض الأبيات. ومنذ ذلك الوقت التزم عمي مع الشيخ سليم، فأخذ عليه العهد، وأعطاه الورد، وصار من كبار المنشدين في مجلس الشيخ سليم. ومما يذكر أنه كانت في جيرتهم فتاة كانت ترى في المنام أمها التي توفيت أنها في عذاب، والعياذ بالله، ثم رأت أمها بعد ذلك في نعيم وأرض خضراء، فسألت عن السبب فقالت: توفي في هذا اليوم - يوم نعيمها الذي رؤيت فيه - رجل يقال له محمد الشاغوري وهو من مدّاحي رسول الله ﷺ فغفر الله لجميع أهل المقبرة، وهذا ما نالني من الثواب، وكان هذا اليوم هو نفس اليوم الذي توفي فيه الشيخ محمد الشاغوري رحمه الله تعالى. اهـ منه

---

[1] الشيخ عبد الرحمن الشاغوري حمصي الأصل، سكن دمشق وأخذ الطريق الشاذلي عن العارف الشهير والعالم الكبير سيدي محمد الهاشمي رحمه الله تعالى، كان يزور إخوانه في الباب وتاذف، وزار الوالد مراراً، توفي في دمشق عام ١٤٢٥هـ رحمه الله ونور ضريحه.

المبحث الثالث

تلاميذهُ ومُريدوه ومحبُّوه منَ العامَّة

مدخل:

تقدم معنا في المبحث الأول بعضُ الملامح من شخصية مولانا سليم العلمية والإرشادية، وأيَّ رجل فّذٍ كان طيّب الله ثراه، وقدس سره العزيز، إذ أنه لم يكن من أهل العلم والولاية، والتوجه والإرشاد والهيبة فحسب، بل كان طوداً شامخاً، وجبلاً راسخاً في العلم والجسم وبطلاً عظيماً من الأبطال، وفارساً مقداماً يفوق الفرسان، قد حباه ربي بكل تلك المزايا والصفات، والأخلاق العالية مع الحلم والصبر، والتحمل للأذى، والصفح عن العثرات وملاحظة الإخوان والمحبين، حتى صار بحق فريد عصره، ووحيد دهره، وفيما سنذكره في هذا البحث تتوضح لنا صورة ذلك الطود العظيم، والرجل الكريم، مولانا سليم، وكيف كان أثره في العامة من الناس.

ولا غرابة؛ فإن من خضعت له قلوب أكابر العلماء الأعلام بالحب والاحترام، ليس بمستبعد أن تخضع له قلوب العامة مع المحبة والهيبة والإكرام، فاستجابت القلوب له وانقادت له النفوس، وأكرمها ربي باستجابتها، كما أكرم الداعي لها بألطافه وعنايته سبحانه.

أولاً- أبو سعيد الشعار:

المولود في حمص ١٢٦٥هـ المتوفى بها ١٣٣٢هـ - ١٩١٢م.

مر معنا في البحث السابق تلك القصة اللطيفة الجارية بين العالم العلامة الشيخ أمين سويد الدمشقي، والسيد أبي سعيد الشعار الحمصي خادم الشيخ، ولملازمة أبي سعيد

لزاوية الشيخ سليم قصة طريفة يحلو ذكرها، فإن ملازمة أبي سعيد للشيخ سليم لم تكن إلا بعد برهان كبير، كما حدثنا بهذا سيدي الشيخ عبد الباسط أبو نزار رحمه الله تعالى، قال [1]:

* كان أبو سعيد الشعار وجيهاً من وجهاء حمص، وكان ملازماً لعالم جليل من علماء حمص من آل الأتاسي، وكان الشيخ سليم قدس سره يقول له إذا رآه: لماذا لا تأتينا يا أبا سعيد ؟ فيقول أبو سعيد: لا آتي أبداً حتى ألعّبك بعصاية الشوم (يعني لعبة الحكم)، وكان أبو سعيد من أحد لاعبي حمص بهذه اللعبة، وأخيراً وافق الشيخ سليم أن يلعب معه، وتبارزا، وكانت عصا الشيخ من خشب الصفصاف، وانتهز أبو سعيد فرصة من الشيخ فضرب ضربة بعصاه، فاستقبلها الشيخ بعصاه فكسرت (عصا الشيخ)، فما كان من الشيخ إلا أن وضع عصاه المكسورة بين ساقي أبي سعيد وحمله بها إلى الأعلى، عندها قال أبو سعيد: سلّمت يا شيخي، سلّمت يا شيخي. فأعلن خضوعه وولاءه للشيخ، ومن يومها أخذ الطريق على الشيخ وصار من خواص إخوانه، وصار يخدم الشيخ في الزاوية، وكان من أمره مع الشيخ أمين سويد ما أسلفناه، ولما مات أبو سعيد دفن بجانب قبره تحت قدمي الشيخ سليم رحمهم الله تعالى أجمعين.

* ومما يذكر من أحوال أبي سعيد بعد ملازمته للشيخ سليم، مما حدثنا به أستاذنا الشيخ وصفي مسدي حفظه الله تعالى قال: كان الشيخ سليم يقدم لأضيافه صباح العيد ما تيسر من الموجود لديه، وكان عنده جماعة من دمشق جاؤوا لمعايدته، فقدم الموجود، وكان إذ ذاك خبزاً وخياراً وجبناً، وكان الخيار كمية وافرة (بمقدار شليف) – أي ما يزيد على المئة كيلو – فدعاهم الشيخ للطعام، فتقدموا وأكلوا قليلاً، فقال لهم الشيخ: كلوا، فالأكل على قدر المحبة. فقالوا: اكتفينا، فلما سمع أبو سعيد الشعار، وكان حاضراً قال: سيدي الأكل على قدر المحبة ؟ قال الشيخ: نعم، كُلْ. فتقدم أبو سعيد وأكل كل

---

[1] مما حدثنا وأملاه علينا شيخنا عبد الباسط في منـزله، يوم الأحد ٣ جمادى الأولى ١٣٩٩ هـ.

الموجود، من الخبز والخيار والجبن، وبلعه، فقال الشيخ للضيوف: شفتو (أرأيتم) كيف يحبنا أبو سعيد ؟!

* قال الشيخ وصفي: ومرة كان في عرس في بيت حاتم (بحمص)، وكان من عادة أهل حمص في الأعراس عمل سُفْرة كبيرة يقدمون فيها الحلويات، بعد قراءة المولد الشريف، ويقدمون الحلو لكل الموجودين مهما بلغوا، وقد يكونون مئتي أو ثلاثمئة رجل، فانتهى المولد ودعوا الحاضرين إلى الطعام، فتقدموا وكان من المدعوين أبو سعيد الشعار، فأكل الموجودون ما تيسر من الحلوى الكثيرة، والتفت بعض المدعويين إلى أبي سعيد الشعار قائلاً: (كول يا أبو سعيد) وين سرّك ؟ وين سرّ شيخك ؟ فصار مع أبي سعيد حال عظيم، إذ أنهم كانوا كالمستهزئين به وبشيخه، فصار يأخذ جاط (إناء) الحلو ويأكل ما فيه، ويناولونه ويأكل، ثم صار يأكل القيشاني (آنية الحلوى) وصار فمه كالحوت، وتبدّل حاله، ولم يستطع أحد أن يتقدم إليه، ولم يجرؤوا على ذلك، وأسقط في أيديهم فماذا يعملون ؟! بل خافوا إن تقدم إليه واحد منهم أن يبتلعه، فما العمل ؟ ففطن لهذا الحال بعض المحبين، فقالوا: إن هذا لا يوقفه إلا شيخه الشيخ سليم، فذهبوا فوراً إلى منـــزل الشيخ سليم، وكان الوقت ليلاً، فأيقظوه من نومه، وحكوا له ما جرى معهم، فقال الشيخ لهم: ألم أقل لكم لا تمزحوا مع أبي سعيد، فإن المزاح يضركم، لا تستهزئوا..، ثم حضر الشيخ سليم إلى البيت، وصحّاه مما هو فيه من هذا الحال العظيم، فعاد إلى حاله الطبيعي.

* ويذكر الشيخ أحمد الكعكة الحمصي عن سبب تعلق أبي سعيد الشعار بالشيخ سليم وملازمته له قصة أخرى، وذلك كما حدثني ابنه الموفق عنه قال: كان أبو سعيد الشعار من أهل الانحراف عن طريق الاستقامة، وسبب توبته، أنه أصابه وجع برأسه، فبحث عن دواء عند العطارين - كعادتهم آنذاك - فرأى ابن أخت الشيخ سليم (من بيت العجم) فقال له: ماذا تعمل هنا ؟ تعال روح للشيخ سليم يقرأ لك. فقال أبو سعيد: اتركنا من المشايخ، ولكن ابن الأخت لم يتركه، وأخذه إلى الشيخ، ولما دخلا إليه قال له أبو سعيد:

رأسي يوجعني، فقال الشيخ سليم: بسم الله الرحمن الرحيم. ووضع يده على رأسه فشفي حالاً، فقال له: ما اسمك ؟ فأجاب: أبو سعيد الشعار، فقال له الشيخ: أسمع عنك أنك تلعب بعصاية الشوم (الحكم). فقال: نعم. فلعبا سوية، ثم تغلب الشيخ عليه، فسلم له في الحال، وتاب بين يديه ولازمه، ثم شرع في قضاء الصلوات من أربعين عاماً، وكذلك قضاء الصيام، فلم يفطر إلا في الأيام المحرمة، وحفظ القرآن والحديث، وكان في مجلسه إذا تكلم لا يتكلم إلا بالقرآن والسنة، وصار من مريدي الشيخ سليم وخدَّامه، رحمه الله تعالى.

* وكتب إليَّ الأخ المؤرخ محمد غازي حسين آغا من حمص ترجمته كما يلي:

الشيخ محمد رسول بن الشيخ سعيد الشعار: (خليفة [1] الشيخ سليم خلف قدس الله سره). ولد في حمص سنة ١٢٦٥هـ. التفت في بداية شبابه إلى شؤون معاشه، وكان موصوفاً بالرجولة والشهامة وحبه للمبارزة بالسيف وأدوات الحرب التقليدية، وشاءت الأقدار أن يجتمع بالمرشد الكامل الشيخ سليم قدس الله سره، ومنذ أن نظر إليه الشيخ قدس الله سره وخصه بالحديث تغيرت أحواله وانجذب إلى الشيخ قدس الله سره. حتى أصبح لا يريد مفارقته، وتوجه له الشيخ قدس الله سره وتابع مجالسه الخاصة والعامة فحفظ المتون وأتقن الشروح عليها، وفتح الله عليه حتى صار لسان حال الشيخ من قبل علماء زمانه في مدينة حلب ودمشق.. وكم جماعة من العلماء أتوا معترضين فردهم الشيخ محمد رسول (أبو سعيد) إلى الصواب بتوجه الشيخ سليم قدس الله سره إلى تلميذه.

وتوفي في ٣ جمادى الأولى ١٣٣٢/ ٢٠ كانون الثاني ١٩١٢ ودفن بجانب شيخه إلى الشرق. اهـ من كتاب (علماء وأعلام حمص في ظل الخلافة العثمانية) قيد الإعداد.

ثانياً- مع أحد قبضايات حمص، من بيت جمال الدين:

حكى لنا شيخنا الشيخ عبد الباسط (أبو نزار) [2] قال: بعد تخرجي من المدرسة

---

[1] ذكرنا سابقاً: أن كلمة خليفة استعملت هنا بمعنى (المريد المقرب للشيخ)، والله تعالى أعلم.

[2] مما حدثنا به شيخنا في ١٠ ربيع الثاني ١٣٩٩ هـ، في منـزله العامر في حلب.

الخسروية الشرعية في حلب، أرسلني والدي الشيخ محمد أبو النصر لأقرأ درسه في الجامع الكبير بعد الظهر، وبعد انتهاء الدرس مررت على دكان الشيخ راغب شمس الدين فقال لي: أريد منك أن تكتب لي همزات الوصل، وأين تكون هذه الهمزات في الكلمات، وسأحكي لك حكاية عن جدك الشيخ سليم، فكتبتها له، فقال لي: خرج جدّك الشيخ سليم من درس الجامع الكبير بعد صلاة الظهر، وجلس عندي في الدكان، فمر به أحد قبضايات حمص، من بيت جمال الدين، وهو مشهور بها، فصار يداعب الشيخ ويقول له: أريد أن أصارعك. وكان الشيخ سليم من أشهر المصارعين، ولكنه قد بلغ من السن الكبر، فقال له الشيخ: أنا رجل كبير. فأصرّ الرجل على طلب المصارعة، والشيخ يصرفه بلطف، فلم ينصرف، بل زاد تحرشه بالشيخ مداعباً له، وهنا ما كان من الشيخ إلا أن وضع يده في حزامه ورفعه بيده بقوة إلى أعلى، وألقاه إلى الجانب الآخر من الشارع، أمام دكان بيت عبد الدايم، وهم من أحباب الشيخ، فهوى إلى الأرض واقعاً على عجيزته، فقال الشيخ: لا حول ولا قوة إلا بالله. ثم مضى وتركه عبرة لأمثاله.

ثالثاً- مع أحد فرسان العرب المشهورين:

ولم يكن الشيخ يجيد المصارعة فحسب، بل كان فارساً مغواراً وبطلاً كراراً، وسمعت من شيخنا عبد الباسط رحمه الله أكثر من مرة، أن أحد شيوخ العرب المشهورين بالفروسية، واسمه (خريسان)، أراد هذا الفارس أن يتحدى الشيخ في سباق الخيل مع المبارزة، فاستجاب الشيخ للتحدي، فضرب الشيخ فرسه، وأعطى الإشارة لخصمه بأنه مدركه، وتسابقا، حتى إذا اقترب الشيخ منه مدّ يده إليه وخطفه من فوق فرسه ورفعه أمامه، وسار به شوطاً ثم عاد وألقاه مرة أخرى على فرسه، فأذعن الفارس للشيخ وسلّم له في الحال.

رابعاً- مع حفيده عجم الحاج يونس:

ومع هذه الفروسية والفتوة فقد كان الشيخ قدس سره في أعلى درجات الفتوة غاية في

الشفقة والرحمة على الإخوان، قريبهم وبعيدهم، وقد اشتهر عنه قدس سره أنه قال: طلبت من ربي أن يكرمني بإخواني ومريديّ فأجتاز بهم الصراط وأحملهم عليه، كسبحتي هذه، ووضعها في رقبته، فأجابني.

وكانت أنظاره الكريمة الرحيمة على الإخوان تلاحظهم في حضرهم وسفرهم، ومما حكي عنه؛ أن جاءته إحدى بناته، أم عجم الحاج يونس، وقالت له: إن عجم يريد الحج. فقال لها: لا مانع، وليأتني لأزودَه برسالة. وعندما ودَّع جده الشيخ أعطاه رسالة وقال له: خذ هذه الرسالة وأعطها للدليل (المزوّر) في المدينة المنورة يقرؤها لك، ثم انتظر بعد القراءة، فسيأتيك رجل يأخذها منك. قال عجم: وبعد وصولي المدينة المنورة بأيام نفدت نقودي، فتذكرت الرسالة، فأعطيتها للمزوّر فقرأها، وأعادها لي، ثم جاء رجل فقال: أعطني أمانة أخي الشيخ سليم. فأعطيته الرسالة، فما لبث أن جاء بصرّة فيها ليرات ذهب، فأكملت حجي، وعدت إلى حمص ولم تنقص نفقتي، ولما سلّمت على الشيخ وحكيت له ما صار معي، صار يذكرني بما نسيت أن أحكيه له [1].

خامساً- مع أحد أبطال المصارعة:

ومما حكاه لنا الشيخ وصفي مسدي حفظه الله تعالى قال: جاء إلى حمص مصارع، من أبطال المصارعة، وصار يتحدى أهل حمص، ويتحدى الأبطال، وكان يجلس في مقهى عند الساعة القديمة، تسمى قهوة (الفيصلي) مساءً وصباحاً، وسمع الشيخ سليم بتحديه، فذهب إلى المقهى من أجل تأديبه، وجلس على كرسي ووضع رجله على الأرض، وقال للمصارع: لا أصارعك حتى ترفع رجلي من مكانها، فحاول المصارع كثيراً أن يرفعها فلم يستطع، ثم أعاد المحاولة مرات ومرات فما أفلح، فقال له الشيخ: أنت تتحدى أهل حمص ؟! اذهب من هنا، فما لك مبيت الليلة في حمص، فخرج من ساعته ولم يعد [2].

---

[1] وهذا مما قصه علينا الأخ الحاج محمد كامل حنيفي في حضرة شيخنا عبد الباسط في منـزله ١٣٩٩ هـ.

[2] من حديثه لي في منـزله بحمص ٨ جمادى الأولى ١٤٢٠ هـ.

المبحث الرابع

أحواله المباركة وكراماته وشذرات من أخباره

كانت أحواله المباركة، وسيرته النقية، وسلوكه: ذكراً لله، وإرشاداً وتعليماً، وتوجهاً وتوجيهاً لإخوانه ومحبيه وتلاميذه ومريديه، ولكافة الخلق، بل كان كل من اجتمع بشخصه الكريم معتقداً - ولو بعد وفاته - يناله الخير الجزيل والبركة الظاهرة، وفيما ذكرناه في البحثين السابقين من أحواله مع تلامذته وخلفائه يتجلى الكرم الإلهي له، والكرامات الظاهرة لهم من سلوكه وأحواله، فلقد كانت تربيته وتوجيهاته استقامة محفوفة بالكرامة، وكرامات مستمرة على خط الاستقامة.

وكانت كراماته ولا تزال يتناقلها المسنون من أهل حمص، ويذكرونها لأبنائهم، كما كان نور الذكر يضفي على محياه سمتاً من الجلال والهيبة والوقار، فترى النور يشع من وجهه كالقمر، بل كالشمس، وما ذكره الشيخ أسعد الجندي آنفاً شاهد صدق على ما نقول.

وإليك أخي المحب بعضاً مما حفظ من كرامات الشيخ سليم مما نقله إلينا الثقات من محبي الشيخ ومريدي الشيخ أبي النصر، قدس الله سرهما جميعاً:

١- أهل حمص يستسقون بالشيخ سليم:

ولعل أشهر كرامات الشيخ ما حصل عند انحباس المطر عن حمص عام ١٣١٥ هـ، ١٨٩٧ م: (فقد ضجّ الناس بالشكوى، واشتد الكرب بالمسلمين، وطال الانحباس، وتجهز الناس للاستسقاء، وخرجوا إلى ظاهر المدينة من الجهة الجنوبية الغربية، والسماء مصحية ليس فيها قطعة غيم، وخرج الشيخ سليم معهم، فطلبوا منه الدعاء، فدعا رحمه الله وأطال

وألح، ثم أمسك بلحيته الشريفة، وقال: (يا رب لا تخجل هذه الشيبة). ولم يتم الشيخ كلامه، حتى ظهرت من الغرب ديمة هطلاء، وما لبثت أن امتدت وغطّت الأفق، وبدأت تسكب الماء، كأنه أفواه القرب، والناس لا يزالون مع الشيخ سليم في أماكنهم لم يبرحوا حتى ارتوت الأرض، وأسلم في هذا اليوم كثير من نصارى حمص) [1] اهـ.

وكذا ذكر لي هذه الواقعة أستاذنا الشيخ وصفي مسدي، وأن والده كان مع الشيخ سليم، وقال له: إن الناس ينتظرونك. وحضّه على الخروج للاستسقاء، وكان الشيخ سليم يعتقد في نفسه التقصير، ثم خرج وجرى ما ذكرناه.

وأخبرتني السيدة الصالحة أم سلمان، (الحاجة أميرة) بنت شيخنا أبي النصر أمد الله في عمرها مع العافية [2]؛ أن جدها الشيخ سليم لما خرج إلى الاستسقاء ظل ساجداً متضرعاً في العراء يدعو الله ويستغيثه حتى هطل المطر وسقي الناس.

وأضاف شيخنا إسماعيل أبو النصر ما يلي: (ومن تمام القصة كما سمعتها من والدي الشيخ عبد الباسط رحمه الله تعالى أن الشيخ سليم قدس الله سره، ضجَّ بالبكاء بعد نزول المطر واستمر عليه وهو عائد إلى بيته، وكان يكرر: (ما أجرأك على ربك يا سليم).

٢- الماء بدلاً من الكاز لإضاءة السراج:

وما حدثنا به أستاذنا الشيخ عبد الباسط رحمه الله تعالى في منـــزله العامر في محلة الأنصاري [3]، وكان من جملة الحضور الأخ المحب الفاضل، العالم المتواضع، الشيخ مصطفى العزيزي رحمه الله تعالى، وكان قد نسي نظارته، فأعطاه شيخنا (أبو نزار) نظارة كانت موجودة ولكنها ببلورة واحدة، فوضعها على عينيه ليقرأ، فقال له الشيخ: مشي

---

[1] من كتاب المحامد في سيرة الشيخ محمد الحامد، عبد الحميد طهماز ص ٢٠٨.

[2] توفيت رحمها الله تعالى يوم السبت ٢٢ربيع الآخر ١٤٢٧هـ الموافق ٢٠٠٦/٥/٢٠ وصلي عليها في الجامع الكبير بحلب ودفنت في مقبرة الصالحين جانب أخيها الشيخ عبد المهيمن، وحضرتُ الجنازة، وأكرمني الله بتلقينها في قبرها رحمها الله تعالى.

[3] في العاشر من ربيع الثاني ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م، وكان يقرأ لنا درساً في البخاري الشريف، وفي الرسالة القشيرية.

الحال ؟! فقال الشيخ مصطفى: نعم. فقال شيخنا أبو نزار: كان الشيخ سليم في بيته، ونفد كاز السراج (ولم تكن الكهرباء وصلت البيوت بعد) وكانوا يستضيؤون بسُرُج الكاز، فطلب زيت الكاز من أهله ليضعه في السراج، فقالوا له: لا يوجد. فقال: هاتوا ماءً. فأحضروا طاسة ماء فصبها الشيخ سليم في السراج وأوقده، فاشتعل وأضاء لهم، ثم قال لهم: ماشي الحال ؟! قالوا: نعم.

٣- الشيخ سليم في حمص ينادي أبا النصر في دمشق، ويسمع:

ومما حكاه لنا مراراً شيخنا (أبو نزار) أن الشيخ سليم قد استأذنه ولده أبو النصر في الذهاب إلى دمشق مع بعض الإخوان، ولما تأخر عليه، وقف أمام شباك الزاوية في حمص، فناداهم بالعودة إلى حمص، وهم في دمشق، فسمع الشيخ أبو النصر صوت والده، وعاد سريعاً إلى حمص، وسنذكر مثلها مع شيخنا أبي نزار مع والده في الفصل القادم إن شاء الله.

٤- جملة من كرامات الشيخ سليم:

ومما حدَّث به الحاج أحمد ويس مدير الختم في الجامع الكبير في حمص رحمه الله تعالى، ودوّنه أخونا المحب صالح حسن طه (أبو منير) بأمر شيخنا عبد الباسط وذلك عام ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م، عندما زار حمص معه ما يلي:

١- الحجر يمشي:

التقى الشيخ سليم في أحد المساجد ببعض مريدي الطرق من السادة الرفاعية والقادرية، وكأنهم أرادوا أن يظهروا للشيخ تفوقهم عليه، أو شيئاً من هذا القبيل، فضربوا أنفسهم بالسيوف والحراب (الشيش)، فتضايق أحد مريدي الشيخ من صنيعهم ووقوف شيخه أمامهم دون أن يفعل شيئاً، فقال للشيخ: نحن ما لنا خَرْج ؟ أي لا نستطيع مثل ما فعلوا. فأراد الشيخ جبر خاطر مريديه، وإفهامه أن العبرة ليست لخوارق العادات، بل للاستقامة على شرع سيد السادات، وقال مشيراً إلى حجر أمامه: لنا أسياد لو أشاروا إلى الحجر لمشى - ومشى الحجر مع إشارة الشيخ - ولو قالوا له: ارجع، لرجع الحجر. فعاد

الحجر إلى مكانه، ثم قال الشيخ: يكفينا هذا.

أقول: وهذا يذكرنا بما جرى مع الشيخ أبي النصر في عندان (حلب) عندما طلب منه بعض أهل الطريق امتحاناً (اختباراً) وأحضروا أسلحتهم بما فيها السيوف والحراب، فقال: نحن جئنا نعلم الناس أمور دينهم، ولا نماحن أحداً، وهذا أبو طاهر أمي لا يعرف القراءة، أعطوه ماءً ليشرب، (وكان ماؤهم جمعاً من مياه الأمطار) فشرب أبو طاهر أول كأس ثم ثانٍ ثم ثالث، وكادت (الخابية) الكبرى أن تنفد، ولو وضعوا أبو طاهر فيها لاحتوته، فصار أبو طاهر يشرب حتى استنفدها، ثم أخذ الشيخ الكأس الأخير فشرب منه وناوله إياه فروي أبو طاهر، وهنا أعلنوا إذعانهم وكفوا، ثم قال الشيخ أبو النصر: نحن إنما جئنا معلمين لا ممتحنين.

٢- نعم: نجتمع في الآخرة:

والكرامات إنما تكون في الغالب لتقوية إيمان المؤمنين، وتثبيت المريدين على الحق، أو رَدِّ جحود الجاحدين، أو لنصرة الدين، كما أسلفنا في كرامات الشيخ الطوزقلي قدس سره، ومن أكثرها الكشوفات التي منّ الله بها على قلوب عباده الصالحين وأوليائه المقربين، ومن ذلك أن رجلاً محباً من إخوان الشيخ قال في نفسه بعد أن حضر الختم في جامع التركمان مع الشيخ سليم، وانصرف الإخوان؛ قال في نفسه: هل نجتمع في الآخرة سوياً، فأجابه الشيخ للحال: نعم نجتمع حسب ظنك.

* خلِّص والدتك من أخيك:

وقد يكون الكشف أيضاً لما يقتضيه الحال من إصلاح أمر، أو استدراك خطر، ومن ذلك ما حدّث به الشيخ شاكر المصري الحمصي، أنه كان يوماً جالساً عند الشيخ سليم فقال له الشيخ: قم واذهب إلى الدار وخلص والدتك من أخيك الذي يضربها. فذهب وخلصها من بين يديه.

* لولا يده لاحترقنا:

ومن ذلك ما رواه الحاج أحمد بركات من حمص، إذ كان جالساً مع الشيخ سليم في

سهرة، فشاهد الشيخ يمد يده في الهواء ثم يخطَف شيئاً، وبعد انتهاء المجلس، ذهب الحاج أحمد إلى بيته، ورأى أثر وقوع السراج على الفراش، فسأل زوجته عن ذلك فقالت: كُنا جالسين فوقع المصباح على الفراش، وشاهدنا يداً امتدت إليه وتناولته، ولولا هذه اليد لاحترقنا.

٣- هل رأيتم الشيخ سليم:

وإكرام المُكْرِم سبحانه لأوليائه وأحبابه يتجاوز حدود العادات ويخرقها، لأنه سبحانه الذي يقول للشيء كن فيكون، فلا يعجزه شيء، ولا يقف أمام إرادته حاجز وعائق، وعلى هذا؛ إن شاء أن ينقل أرواح أوليائه إلى حيث أحبوا، أو ينقل أجسامهم، فكل ذلك يجري مع كلمة (كن فيكون). وقد حدّث الحاج أحمد بركات أيضاً أنه كان في الحج في (منى) يصلي إماماً في خيمته، وخلفه بعض الإخوان مقتدين به، فرأى الشيخ سليم يمر أمامه، ولما أتم صلاته؛ سألهم: هل رأيتم مثلما رأيت ؟، قالوا: نعم، رأينا الشيخ سليم يمر من هنا، ولم يكن الشيخ سليم حج ذاك العام.

(وحدثني عن هذه أيضاً أخونا الأستاذ محمد حسين التدمري، الأستاذ في معهد حمص الشرعي، بعام ٢٠٠٣م).

* شيخي نريد أن نحج:

والحديث عن الحج يشوق المحبين، وبخاصة عندما لا يكون الأمر ميسراً، أو عندما لا تتيسر النفقة، أو عندما تصدُّ الإنسان العوائق، وتمنى يوماً بعض الإخوان على الشيخ سليم وهم جلوس معه في زاويته، تمنوا عليه الحج، وطلبوا منه الدعاء بأن ييسر الله سبحانه عليهم أَمْرَ الحج، وكانت أيامه قد حانت، وتجهز الحجاج إلى السفر، فقال الشيخ لهم: أغمضوا أعينكم، فأغمضوا أعينهم، وفتحوها، وإذا هم بين الحجيج في ربوع مكة المكرمة.

ويذكرني هذا بما روي عن إبراهيم بن الأدهم رحمه الله تعالى، كما رواه صاحب كتاب التوابين، أنه في أول مرة لما نودي: ألهذا خلقت يا إبراهيم ؟ ثم تجرد ومضى وترك ملك أبيه، فصاحبه أحد الصالحين، فمشى خطوات معه وإذا به تطوى له الأرض، من بلاد فارس إلى مكة، والله يختص برحمته من يشاء.

٤- ارفع رجلك لا تغرق:

وحكى الحاج عارف الأتاسي رحمه الله تعالى، أنه لما ذهب إلى الحجّ بطريق البحر، وكانت البواخر تقف بعيداً عن الشاطئ، حيث لم تكن الموانئ قد جهزت لرسوّ البواخر الضخمة، وكان الحجاج ينقلون منها إلى البرِّ بواسطة سفن صغيرة، فنــزل الحاج عارف من الشختورة - السفينة الصغيرة - ليصعد إلى الباخرة، ولما رفع قدمه ليضعها على سلم الباخرة سمع نداء الشيخ سليم قائلاً له: ارفع رجلك، وإلا ستغرق، فرفع رجله، وتنبَّه إلى بُعْدِها عن السلَّم، ونجاه الله من الانزلاق، ثم الغرق، فأرَّخ ساعةَ ويومَ سماعه الصوت، ولما عاد إلى حمص بعد الحج، سأله الذين سمعوا صوت الشيخ وهو في حمص محذراً للحاج عارف: هل سمع مثل ما سمعوا ؟ فأجاب: نعم، سمعت ولولا صوته يحذرني لغرقت.

٥- قصص أخرى:

وإذا كانت أنظار أولياء الله ترى لمسافات بعيدة وذلك بإبصار الله لهم، فكذلك فإن أيديهم تمتد إلى تلك المسافات، وتفعل - بإذن الله - ما تفعله الرافعات، وتنقذ - بقدر الله ومعونته - ما تعجز عنه أيدي الأبطال، وللشيخ سليم في هذا المجال حكايات، نقصّها عليك كما حدث بها الحاج أحمد ويس رحمه الله تعالى؛ ورواها عنه الأخ أبو منير.

* منها: يا شيخ سليم دبِّرها:

أنه كان لدى الشيخ رحمه الله تعالى مريدٌ يدعى الشيخ حمام، وكان الشيخ سليم يعتني به بمزيد من أنظاره، وكان بعض المريدين يعتبرون أن الشيخ يدلِّله، ولهذه العناية فقد التف حوله بعض الأخوان، وكأنه قد أُعجب بنفسه، وقدَّر الله سبحانه أن يحج بصحبته بعض من التف حوله واعتقد فيه الصلاح، وكان السفر بالباخرة، وفي طريق العودة هاج البحر، واضطرب الموج، وأدرك الناس الخطر، ولم تبرح السفينة مكانها لشدة الهول، وضجّ الحجاج بالدعاء والبكاء، وطلب ربانها من الشيخ حمام الدعاء، والالتجاء إلى الله تعالى ليفرج عنهم ما هم فيه، فصعد الشيخ حمام إلى سطح الباخرة، واستغاث بالشيخ سليم قائلاً: يا سيدي يا سليم، هذه الطبخة دبرّها أنت. فرأوا الشيخ سليم وقميصه تمتد منه

اليد، فأمسك الباخرة ودفعها للأمام، وسارت بإذن الله على ما يرام.

وهذا يذكرني بقصة محاولة إغراق السفينة التي كان يركبها الشيخ أبو النصر ليجتاز بها الفرات، ونادى آنذاك أباه سليماً، فأنجاهم الله سبحانه، وسترد معنا القصة مفصلة في ترجمة أبي النصر.

* هذا طربوشه:

ومنها أن امرأة جاءت إلى الشيخ سليم تكلمه بشأن ولدها الذي طالت غيبته وهو جندي في جيش الدولة العثمانية، وخافت عليه من جرّاء حرب كانت آنذاك بين الدولة وأعدائها، وطلبت من الشيخ أن يخبرها هل هو على قيد الحياة ؟! فقال الشيخ: سندعو الله أن يرده لك سالماً غانماً. فقالت: لا أذهب من عندك إلا أن تعلمني هل هو حيّ أم ميت. وأجهشت بالنحيب والبكاء، فكفكف الشيخ دمعها، ورطب خاطرها وقال لها: إنه حيّ، وهو الآن يحمل بارودته (بندقيته) ويحارب بها. ثم مدّ الشيخ يده، وأخذ طربوش ابنها (وكان الجنود آنذاك يعتمون بالطرابيش) وأراها طربوشه، ثم قال لها. عدّي /٢٧/ يوماً يكون بعدها ولدك عندك. وانصرفت تعد الأيام عداً، وتستبطئ انقضاءها، وبنهاية الأجل - ٢٧ يوماً - حضر ولدها، فأخبرته بما قاله الشيخ لها، فقال: صدق، بينما كنت منهمكاً في القتال يومها، أحسست بأن الطربوش قد رفع عن رأسي، ثم عاد إليه، والحمد لله على كل حال.

٦- هدية الشيخ من الحج:

وكانت ثقة الناس بالشيخ كبيرة وكثيرة، وكان مرجعهم في صغير الأمور وكبيرها، وكانت رحلات الحج تستغرق أياماً بل شهوراً، وكان للشيخ مريد اسمه الحاج رئيف عوف، فذهب إلى الحج، وقال لزوجته: إذا تأخرت أخباري عنك فاسألي عني شيخي سليم. وتأخرت عودته، لأن رحلة الحج كانت طويلة آنذاك، فذهبت الزوجة تسأل شيخه عنه، في أيام عيد الأضحى، وكأن العيد أهاج الذكرى في نفسها، فقال الشيخ: إن زوجك الآن في منى وقد اشترى لك هدية (إبريق أخضر). ومضت الأيام، وعادت قافلة الحج بالحجاج وهداياهم، فما كان من تلك الزوجة المؤمنة إلا أن فتحت متاع زوجها

وأخرجت منه هدية منى (الإبريق) وقالت لزوجها: هذه هدية الشيخ سليم التي أخبرني عنها وأنت في منى، وهذه لن يأخذها إلا الشيخ سليم. ثم أخذتها للشيخ، شاكرة.

٧- أين الأمانة:

وقد يُذَكِّرُ الشيخ مريده إذا نسي، تنشيطاً لهمته ورفعاً لمعنوياته، وتقوية لصلته ورابطته به، ومن هذا النوع أنه كان مريداً للشيخ يدعى أبا عارف من حمص ذهب إلى الحج، وعندما كان في الزيارة يصلي في الروضة الشريفة في المسجد النبوي التقاه رجل هناك، وقال له: سلّم لي على الشيخ سليم، وعاد أبو عارف من الحج وسلّم على شيخه، ونسي أمانة السلام من ذلك الرجل فقال له شيخه: أين الأمانة ؟!

فقال أبو عارف: تصلك الأمانة إن شاء الله، وظن أبو عارف أن شيخه يطالبه بهدية الحج، وفي اليوم الثاني قال له الشيخ: أين الأمانة التي بعثها الرجل الذي رآك في الروضة وقال لك: سلّم على الشيخ سليم ؟! فقال: نعم، نسيتها يا شيخي. فقال الشيخ سليم: الآن توفي هذا الرجل وهم يصلون عليه، فقم أنت فصلِّ عليه صلاة الغائب.

٨- صاحب البقرة:

وأي صاحب أو صديق صدوق لا بدّ أنه يهتم بصديقه وصاحبه، ﴿الأَخِلاء يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ (الزخرف: ٦٧)، والمتقون هم الأولياء، وهم العظماء، وهم الرحماء بخلق الله جميعاً، فكيف بأحبابهم وإخوانهم ؟! وأكثر ما يتعب الشيخ إخوانه ومحبوه، وقد كان للشيخ سليم مريد من قرى حمص، وكان له بقرات يستعين بها في حقله، وعاد ذات مساء من حقله وترك بقراته تأكل في أرض الدار، ثم طلب من ابنه أن يدخل البقرات إلى الاصطبل، فقام الابن ليدخلها وقد سجى الليل بظلامه أرض الدار، فتفقد البقرات فوجد واحدة منها غائبة، فأخبر والده، وبدأ البحث عنها في القرية، فلم يجدها، فغضب ذلك المريد وحزن على بقرته، وبدلاً من أن يدعو الله سبحانه أن يردها عليه، صار يسبّ شيخه سليم؛ فقال له ولده: لَمَ تسبّ شيخك ؟! فقال الأب: لأني ملتزم عنده، وأحافظ على أورادي ثم تضيع بقرتي.

وتابعوا البحث، وسلكوا طريقاً خارج القرية، ولم تمض لحظات في طريقهم حتى رأوا رجلاً ذا ثياب بيضاء يقف بجانب رجل والبقرة معه، ولما اقتربوا منهم، غابَ الرجل ذو الثياب البيضاء وبقي السارق بجانب البقرة، فقبضوا عليه وعلى البقرة، ولما سألوه كيف فعل ؟! قال: جئت إلى الدار بعد المغرب فما وجدت أحداً، فسحبت البقرة ومشيت في دربي هذا، حتى استوقفني شيخ بثياب بيضاء، فأوقفني ولم أستطع أن أسير خطوة واحدة، ولما حضرتم أنتم غاب الشيخ عني. وفي الصباح ذهب ذلك الفلاح صاحب البقرة إلى حمص ومعه هدية لشيخه وهي (جبس) - بطيخ أحمر - وقال: ولما دخلت زاوية الشيخ قال لي: مرحباً بصاحب البقرة، يا بني لماذا تسبّ شيخك ؟! إذا كان الله سبحانه لم يطلع شيخك على الغيب، فماذا يفعل ؟ وتعلم أن الله غيور، يغار على أحبابه، لا تعد إلى مثل هذا، سامحك الله !

٩- شيخ حمص:

والأولياء والشيوخ الربانيون؛ يعرفون مراتب الكاملين، ويلزمون الأدب معهم، ومن ذلك ما يرويه الشيخ راغب الدويري رحمه الله تعالى، أن مريداً لأحد الأشياخ في تركية جاء إلى الحج ومرّ بحمص، ونزل ضيفاً على الشيخ راغب، وصار هذا المريد يمدح شيخه ويذكر فضائله للشيخ راغب، فرأى في ليلته تلك شيخه في المنام يقول له: هنا في حمص لا تمدح شيخك، لأن في حمص شيخ الدنيا الشيخ سليم، ولما أصبح الصباح حدّث الضيف الشيخ راغب برؤياه، وطلب منه أن يريه الشيخ الذي وصفه له شيخه في المنام، فأخذه إلى الشيخ سليم وقال له: هذا هو.

١٠- الماء قهوة:

وإذا كان الماء قد صلح للسراج بدلاً من الكاز - كما أسلفنا عن الشيخ سليم - فإن الماء يصلح قهوة أيضاً، فقد طلب الشيخ من أبي سعيد الشعار أن يصب القهوة، فوجدها (الدلة) فارغة، فقال له الشيخ: صب فيها ماءً، واسق الإخوان. فصبّ الماء، وسقاهم منه قهوة بن خالصة.

١١- مع الشيخ يجب التسليم:

وقد يطلب الشيخ من أضيافه طلباً - لحكمة يعلمها، وتخفى عليهم - فلا يفطنون لتلك الحكمة، فيشاء الله سبحانه أن يجري مقدوره ويسلّموا مذعنين، فمن ذلك أن بعض العلماء من دمشق زاروا الشيخ سليم، ثم استأذنوه في العودة، فلم يأذن لهم الشيخ، فألحوا في الاستئذان، فقال الشيخ: إذا أردتم أن تذهبوا فاذهبوا، وأراد هو أن يستأذنوا حين يسهل الله سبحانه سفرهم دون عائق، فذهبوا إلى محطة القطار ليغادروا منها حمص إلى دمشق، وفي صالة الانتظار جلسوا فيها، ما أحسوا إلا والقطار قد صفّر منطلقاً ولم يستطيعوا اللحاق به، فعادوا إلى البلدة، ولله في خلقه شؤون تقضى وأقدار تمضي.

١٢- الرتب تصغر أمام الشيخ سليم:

كان الشيخ سليم مرة في بيت مفتي حمص من آل الأتاسي وكان في المجلس أحد موظفي الدولة له رتبة مستنطق، وكان له كلمة مسموعة في حمص، وكما حدث الراوي أنه كان غير مسلم - نصراني - ولم يأبه له الشيخ سليم، ولما انصرف الشيخ عاتب المستنطق هذا صاحب المنـــزل على عدم احترام الشيخ سليم له وهو صاحب الرتبة، وفي صباح اليوم التالي كان الشيخ خارجاً من جامع القصير، وإذ بذلك الرجل صاحب الرتبة راكباً على بغلته - ولم يخبره المفتي بعتبه عليه - فنظر إليه الشيخ سليم فسقط من بغلته على الأرض، فأحس بالعطب، فأسرع إلى الشيخ يقبل يديه ورجليه، والشيخ يستغفر الله سبحانه. والله يختص برحمته من يشاء.

١٣- وينك يا شيخ سليم:

وحكى لي الشيخ محمد علي مشعل في منـــزله في المدينة المنورة في شهر شعبان ١٤٢٣ هـــ قال: كان والدي الشيخ محمد مشعل عند الشيخ سليم في زاويته في حمص، فأيقظه الشيخ سليم وقال له: يا محمد ما له محمد التركماني يناديني في الليل؛ يا سليم؛ يا سليم ؟ فقال والدي: يا شيخي لا أدري. قال أبو أسامة: ولما عاد والدي إلى (تلدو) جاءه والد إمام قرية (برج قاعي) فسأله والدي: ما لك في الليل تنادي يا سليم؛ يا سليم، أقلقت الشيخ ؟!

فقال: لقد ضاعت الغنمات ليلاً فخشيت عليها الذئاب، وبحثت عنها فلم أجدها، والمطر ينهمر، والظلام دامس، فناديته، وينك يا شيخ سليم، فلم أشعر إلا ورجل جاء ولَملم غنماتي وقال لي: هذه الغنمات خذها واذهب. فأخذتها إلى البيت، وهذا كل ما في الأمر.

* أين المصاغ الذهبي:

وجاءت تلميذَ الشيخ سليم أبا سعيد الشعار امرأةٌ من نصارى حمص، سُرِقَ مصاغها الذهبي، وبحثوا عنه في كافة الجهات فلم يجدوا له أثراً، فدلوها على أبي سعيد، فلما جاءت وزوجها إليه قال لهم: هل أنا من فتاحي الفال ؟! فترجُّوه وألحوا عليه بالطلب، فقال لهم: تعالوا غداً. وبعدما ذهبوا شرع في قراءة الأوراد والأذكار، والابتهال إلى الله سبحانه، وفي صباح اليوم التالي جاءه السارق وقد رأى في منامه أنه كلما ذهب إلى مكان لبيع الذهب، يجد أمامه سداً ولم يستطع تصريف المسروق، وفي النهاية لم يجد نفسه إلا ويطرق باب الشيخ أبي سعيد، فقال له: لي عندك حاجة، هذا ما سرقته. فقال له أبو سعيد: ألقها. فألقاها تحت المقعد، فلما جاء صاحب المسروق في اليوم التالي قال لهم: خذوا صيغتكم من تحت المقعد، فأخذوها وأسلم الزوج والزوجة.

* تب إلى الله:

قال: وكان العلماء يحكون عن الشيخ أبي سعيد الشعار الحكايا في تقواه وصلاحه وكراماته، وأما سبب تعلقه بالشيخ سليم؛ فقد ذُكر هذا الرجل للشيخ وأنه لا يصلي، وكلما دعوه إلى الصلاة يماطل ولا يصلي، فقال الشيخ سليم: نذهب إليه، فذهب الشيخ سليم إلى دكانه، فلما رآه مقبلاً فرح به كثيراً، فالتقاه الشيخ سليم وقال له: يا أبا سعيد جئنا نطلب منك الدعاء، فصار يبكي، وقال: تبت إلى الله، وأقبل على العبادة، والصلاح وصار من كبار الأولياء. (وقد ذكرنا فيما سبق أيضاً سبب ملازمته للشيخ سليم).

* قوة الله:

قال وجاء رجل من المصارعين المشهورين إلى حمص، ونُصِبَ له سرادق شرقي حمص ليشهده الناس، فأخذ الشيخ سليم إخوانه وذهبوا إليه، فلما وصل الشيخ والإخوان،

استقبله المصارع ورحب به، وقال له: أهلاً بالشيخ. فقال الشيخ: جئت أصارعك. فقال له: أهلاً. وقال في نفسه: أمشي وراءه وأحمله وأضعه على الكرسي، تكريماً له ولسنّه، فكشف الشيخ سره والتفت إليه وهو رجل ضخم الجثة كبير الجسم، فحمله الشيخ بيده ودار به على جمهور الحاضرين، ثم وضعه على الكرسي. [اهـ حديث الشيخ محمد علي مشعل]

٥- الاستقامة على الشرع رأس الكرامة:

وللحقيقة نقول:

إن حياة الشيخ كانت الاستقامة على الشريعة الغراء، وكان الأتباع من المريدين والمحبين، علماء وعامة، مستقيمين أيضاً، لذلك انتفعت الأمة بهم جميعاً في وقت كانت تعيش فيه الأمة الإسلامية مرحلة الوهن، وتكالب الكفرة المتفوقين مادياً على المسلمين المتخلفين دينياً ودنيوياً، وبذلك الحين كانت توجيهات الشيخ سليم لتلاميذه وإخوانه وأمته لدوام الاستقامة على الشرع الشريف، ولزوم السنة المحمدية، وترك البدعة، كانت من أعظم الكرامات، وما من كرامة للإنسان المؤمن أعظم من ثباته على الحق في وقت يتزعزع فيه الناس، ويتدكدك بنيان إيمانهم، فيكرم الله أحبابه وأولياءه ومن تمسك بشرعه، ويقيّض لهم من يرعاهم ويوجههم من أوليائه ممن تولاهم ويتولى من يحبهم.

ومما يجدر ذكره هنا ما قاله الإمام الكبير الأجل الرباني، السيد أحمد الرفاعي قدست أسراره في كتابه الرائع (البرهان المؤيد) الذي هو دستور أهل الطريق، شارحاً قوله تعالى: ﴿وهو يتولى الصالحين﴾ [١٩٥: الأعراف] قال: **(يتولى أمورهم وأمور مناديهم، ومن ينـــزل بناديهم، حال حياتهم وبعد مماتهم، بلحوق علم منهم، وبغير لحوق علم منهم)** [البرهان ص ٨٣].

* يا شيخي شيخك شيخ:

فلا غرابة إذن ما سمعناه ونسمعه من إكرام الله سبحانه لأوليائه ومن جاء إليهم بعد مماتهم مستشفعاً إلى الله بهم ومتوسلاً بهم إلى حبيبه المصطفى ﷺ ولو من غير ملتهم، كما لا غرابة ولا عجب أيضاً مما قصه علينا شيخنا عبد الباسط (أبو نزار) قدس سره العزيز؛ أن

شاباً من نصارى حمص عقد زواجه على ابنة عمه التي يحبها، وبقي أربعة أشهر لا يستطيع مواصلتها من بعد ليلة الزفاف، وأعيا الأطباء من كثرة مراجعتهم، ولما استيأسوا منه دلّوه على الشيخ راغب الدويري رحمه الله تعالى، فجاءه مستنجداً مستغيثاً، فاستغرب الشيخ راغب مجيئه، وقال له: إنني لم أدخل الدنيا (لم أتزوج) ومن دلك عليّ فقد سخر منك وغشك. فأصرّ الشاب على إجابة طلبه بالدعاء له، أو إعطائه دواء يحل عقدته، ويفك رباطه، وكان من أرسله قال له: لا تبرح باب الشيخ حتى يستجيب لطلبك. ولما أكثر الشاب الإلحاح وأصرّ على طلب الدواء، لم يجد الشيخ راغب بدّاً من إحالته إلى الشيخ سليم، فقال له: اذهب إلى مقبرة الشيخ سليم، وخذ معك فأساً وقل له: إن لم تُحَلّ عقدتي فسأخرب قبرك. ودلّه على قبر الشيخ سليم، وانصرف الشاب، وفي صباح اليوم التالي، عاد الشاب فرحاً مسروراً إلى الشيخ راغب وصار يناديه قبل أن يصل إليه: يا شيخي؛ شيخك شيخ ! يا شيخي؛ شيخك شيخ ! لقد انحلت العقدة، واستجيب الطلب، وقصّ الشاب على الشيخ راغب ما فعل من ذهابه إلى قبر الشيخ سليم، وما أوصاه به، وأن الله سبحانه فرج عنه، وتزوج ابنة عمه ليلتها.

أقول: لا غرابة ولا عجب في ذلك، ولا منافاة لقواعد الشرع، ومبادئ العقيدة، لأن مجيب الدعاء وقاضي حاجة المضطرين من عباده مؤمنهم وكافرهم، هو الله سبحانه إكراماً لحبيبه ووليه سليم: ﴿أمَّن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء﴾ !

الخيط الدقيق بين الشرك والإيمان:

وهنا كلام لطيف يجدر أن نثبته للسيد الأجل الإمام الرفاعي قدس سره، يبين فيه ذلك الخيط الدقيق المهم من العلاقة بين الخالق والمخلوق، ومنـــزلة التوسل بأحباب الله، قال ﷺ في البرهان المؤيد:

(أي سادة: إذا استعنتم بعباد الله وأوليائه، فلا تشهدوا المعونة والإغاثة منهم، فإن ذلك شرك، ولكن اطلبوا من الله الحوائج بمحبته لهم، (رب أشعث أغبر ذي طمرين، مدفوع

بالأبواب، لو أقسم على الله لأبرّه) [1]؛ صَرَّفهم الله في الأكوان، وقلب لهم الأعيان، وجعلهم يقولون بإذنه للشيء كن فيكون.

عيسى عليه السلام خلق طيراً من الطين بإذن الله، وأحيى الموتى بإذن الله، نبينا وحبيبنا سيد سادات الأنبياء، محمد عليه أفضل الصلاة والسلام حنّ إليه الجذع، وسلمت الجمادات عليه، وجمع الله به ما تفرق في الأنبياء والمرسلين من المعجزات، وجرت أسرار معجزاته في أولياء أمته، فهي للأولياء كرامات تمر، وله عليه الصلاة والسلام معجزة تستمر.

أي ولدي، أي أخي:

إذا قلت: اللهم إني أسألك برحمتك، فكأنك قلت: أسألك بولاية عبدك الشيخ منصور، وغيره من الأولياء، لأن الولاية اختصاص، ﴿يختص برحمته من يشاء﴾، فإذاً إياك وإعطاء قدرة الراحم إلى المرحوم، فإن الفعل والقوة والحول له سبحانه، والوسيلة رحمته اختص بها عبده الولي، فتقرب برحمته ومحبته وعنايته التي اختص بها خواص عباده إليه عند حاجتك، ووَحِّدْهُ في كل فعل، فهو غيور) اهـ [1].

---

[1] رواه مسلم والحاكم وأحمد.

[1] البرهان المؤيد ص ١٥٧-١٥٩ طبعة الأنصاري، تحقيق عبد الله المسعود.

شذرات من أحواله المباركة

وآثار الشيخ كثيرة وشهيرة، وأخباره متواترة، في حياته وبعد مماته، وسنقص عليك من أخبارها الشيء الكثير... منها ما جرى مع مرشدنا الشيخ عبد الباسط يوم تراكمت عليه الديون، ويوم ضويق أخوه الشيخ كلال وأراد المتنفذون ترحيله من منبج، ويوم أصيب بحادث السيارة عام ١٣٧٩ هـ، وسيأتي ذلك كله في محلّه من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى، وترى فيه ما يسرّ القلب، ويدفع الكرب، ويجيب دعوة المضطر.

وإليك شذرات من أخباره وأحواله المباركة:

١- الشيخ سليم مع علماء آل الأتاسي:

حدثني الشيخ وصفي مسدي حفظه الله أن الشيخ عارف الأتاسي جدّ مفتي حمص السابق الشيخ طيب الأتاسي رحمهم الله جميعاً، كان من أهل العلم والطريق، مريداً للشيخ سليم، وكان كثيراً ما يدعوه إلى منـــزله، وكان أقرباؤه من آل الأتاسي ينتقدونه على كثرة تعلقه بالشيخ سليم، وكان الأتاسية علماء، وكانوا يردّدون عليه: إلى متى وأنت تتبع الشيخ سليم، اترك هذه الأمور، (بلا طريق بلا شي) ؟ أي لا تحتاج إلى طريق الصوفية، ولا إلى صحبة المشايخ، فأنت عالم وكفى، فشكى الشيخ عارف الأتاسي إلى شيخه سليم ما يلقاه من لوم وعذل أقربائه وغيرهم من صحبته للشيخ سليم، فقال له: ادع لي جماعتك إلى منـــزلك. فدعاهم وحضروا، وكانوا كلهم يعتمون العمائم البيضاء، ودعا شيخه سليماً أيضاً إلى منـــزله ودعا المنشدين، ولما اشتغل المنشدون بالإنشاد المتضمن المدح للنبي ﷺ وتمجيد الذات الإلهية، توجّه الشيخ سليم إلى الحاضرين بقلبه (والتوجه انكسار القلب إلى الله والطلب منه سبحانه إصلاح حال المتوجَّهِ إليهم، ونقلهم من حال الغفلة إلى حال اليقظة)، فصار مع المدعوين حالٌ عظيمٌ، وتَوجُّهٌ إلى الله سبحانه، وأخذهم الشوق

والوجد، وارتفعت أصواتهم بالبكاء، وصيحاتهم، وما أحسوا على أنفسهم إلا وهم يتقلبون على الأرض (يتدركلون) من شدة الوجد والحال، ومضت فترة، ولما انتهى الإنشاد، وجاء الصحو بعد الوجد، قاموا إلى الشيخ سليم يقبّلون يديه، ويعتذرون إليه، معترفين له بالسيادة وقوة الحال، وصدق التوجه.

قلت لمحدثي الشيخ وصفي: ما سبب هذه الأحوال والمواجيد لدى الناس سابقاً، والحال العظيم يؤثر في الجمادات، وقِلّتهُ أو عدمه الآن، فقال الشيخ حفظه الله: كان المشايخ متمكنين، وضعف التمكن الآن. ثم أردف قائلاً: الشيخ سليم والشيخ أبو النصر، ليسا بمستوى واحد، بل كان الشيخ سليم أعلى، والشيخ الطوزقلي أعلى، والشيخ خالد أعلى، وهكذا، ثم قال: زرنا مرة مولانا خالد الحضرة في دمشق، فحدثنا خادم الحضرة أنه رأى في منامه سيدنا خالداً قال: فسألته ما هي علامة علماء الدنيا والآخرة ؟ فأجابه سيدي خالد قائلاً: يا بني؛ علماء الدنيا يظهرون علمهم ويخفون جهلهم، وعلماء الآخرة يظهرون جهلهم، ويخفون علمهم.

٢- الشيخ سليم والبستاني وموظف البلدية:

قال أستاذنا الشيخ وصفي مسدي حفظه الله: حكى لي منشد الشيخ سليم، ثم منشد الشيخ أبي النصر، أبو حسن النداف، قال: انتشر أيام الحرب العالمية الأولى مرض الوباء الأصفر (الكوليرا) وكانت تخرج من حمص ثمانون جنازة يومياً، واتخذت الحكومة التدابير الوقائية لمنع انتشار الوباء، فمنعت إنزال الخضار إلى البلدة، وكان أصحاب البساتين فقراء، فصاروا ينــزلونها إلى السوق خفية عن أعين موظف الحكومة (تهريب) وفي الليل، ومرة كان الشيخ سليم خارجاً من المسجد بعد صلاة العشاء (من جامع القصير)، ماراً بمحلة تلة الحجارة، فرآه بستاني معه حمل (شليف) ملفوف أو غيره، وأحد موظفي البلدية يريد مصادرته ومنعه، فتعالج الموظف والبستاني، فالتجأ البستاني إلى الشيخ سليم قائلاً: دخيلك يا شيخي، فقال له الشيخ سليم: اتركه، ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلاَنَا

﴿وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (٥١: التوبة)، فقال الموظف: ما بصير شيخي. فقال الشيخ سليم: اتركه. فقال الموظف: شو دخلك شيخي ؟ فقال الشيخ سليم: روح. فخرَّ الموظف فوراً، وأصيب بالكوليرا، فمرَّ بهم رجل وقال له: لقد قتلت الرجل يا شيخي. فقال الشيخ: ما قتلته، ولكن الله قتله بقضائه وقدره.

وقد ذكر سيدي الشيخ إسماعيل هذه الرواية أيضاً كما سمعها من والده سيدي الشيخ عبد الباسط قال: (إن الحادثة كانت بعد صلاة الضحى وعند انصراف الشيخ من ختم بعد الشمس وأن الموظف أساء إلى الشيخ سليم وتلفظ معه بكلمات قاسية فيها إهانة، فقال الشيخ له: اتركه. فخر الرجل ميتاً، فقال له رجلٌ: قتلته. فقال الشيخ: ﴿.. وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاء حَسَناً إِنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (١٧: الأنفال)، والله أعلم).

أقول: (إن الله سبحانه يغار على أوليائه وأحبابه، فإذا انتقلت ممانعتهم إلى مرتبة العناد، فإنها تصير أقرب إلى المعاداة، وفي الحديث القدسي: (من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب). والله أعلم.

ثم أردف الشيخ وصفي قائلاً: واعترض أحد الناس في حلب على الشيخ أبي النصر، فقال له الشيخ: اسكت. فخرس، وبقي سنة لا يتكلم، حتى جاء الشيخ في المرة التالية إلى حلب، وشكوا إليه أمره فقرأ عليه فانطلق لسانه.

٣- دعوة الشيخ سليم تشمل مؤمني الجن:

قال أستاذنا الشيخ وصفي مسدي حفظه الله: سمعت من الشيخ محمود أتماز السباعي، وكان صهراً للشيخ أبي النصر، وممن أدرك الشيخ سليم، قال: سألت مولانا سليم مرة عن مشيخته، هل بلغت الجن ؟ أي: وهل له مريدون من الجن ؟ فقال لي الشيخ سليم: شيخك شيخ الجن والإنس. أو: أنا شيخ الجن والإنس.

وكانت تغلب على الشيخ محمود حالة الخوف الشديد من الله تعالى، والخوف من

أحوال الآخرة، فلما رأى الشيخ سليم ما به من حالة الخوف، طمأنه وأزال خوفه وقال له: لا يهمك.

٤- رحمة الشيخ سليم بالعصاة وتأثره من أحوالهم:

ومما حدثني به الأستاذ الفاضل الشيخ وصفي حفظه الله قال: كان عندنا في حمص شخص من آل الأتاسي، وكان فقيهاً عالماً، لكنه مبتلى بشرب الخمر، والعياذ بالله، وكان مرة سكران، فمر على زاوية فيها ذكر، فوقف بجانب الشباك يستمع إلى الذكر، وبعد الانتهاء منه، وقف نقيب الحضرة يقرأ الفواتح ويهديها إلى حضرة النبي ﷺ ثم الصحابة، ثم مشايخ الطريق، ثم قال: وإلى كافة أهل التوحيد الفاتحة، فقال هذا الفقيه: دخلنا بها ورب الكعبة. (أي نحن من أهل التوحيد)، وجاء هذا الرجل الفقيه واسمه سليم إلى زاوية الشيخ سليم خلف، وكانت حصة المولد، والمريدون حاضرون، والزاوية غاصّة بالإخوان، فوقف متفرجاً عليهم، ولما انتهى المولد قال للشيخ سليم: أنت سليم، وأنا سليم، فمن السليم ؟! ومشى، فبكى الشيخ سليم كثيراً وطال بكاؤه، ولما انتهى من البكاء، قال الشيخ سليم للإخوان: لقد جاء هذا الرجل فوعظنا.

يقول أستاذنا الشيخ وصفي حفظه الله: يذكرنا هذا بقصة الأعرابي الذي جاء يطلب عطاءً، فأعطاه رسول الله ﷺ شيئا، ثم قال: (أحسنتُ إليك ؟)، قال الأعرابي: لا ولا أجملت. فغضب بعض المسلمين، وهموا أن يقوموا إليه، فأشار رسول الله إليهم: أن كفوا. فلما قام رسول الله ﷺ وبلغ إلى منـــزله، دعا الأعرابي إلى البيت، فقال له: (إنك جئتنا فسألتنا فأعطيناك، فقلت ما قلت) فزاده رسول الله ﷺ شيئاً، وقال: (أحسنت إليك ؟) فقال الأعرابي: نعم، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرًا.

قال النبي ﷺ: (إنك جئتنا تسألنا فأعطيناك، فقلت ما قلت، وفي أنفس أصحابي عليك من ذلك شيء، فإذا جئت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدي، حتى يذهب عن صدورهم). قال: نعم.

فلما جاء الأعرابي. قال: (إن صاحبكم كان جاءنا فسألنا فأعطيناه، فقال ما قال، وإنا قد دعوناه فأعطيناه فزعم أنه قد رضي. كذلك يا أعرابي؟). قال الأعرابي: نعم، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرًا.

فقال النبي ﷺ: (إن مثلي ومثل هذا الأعرابي كمثل رجل كانت له ناقة، فشردت عليه، فاتبعها الناس فلم يزيدوها إلا نفورا. فقال لهم صاحب الناقة: خلوا بيني وبين ناقتي، فأنا أرفق بها، وأعلم بها. فتوجه إليها وأخذ لها من قَتام الأرض، ودعاها حتى جاءت واستجابت، وشدَّ عليها رحْلها، وإنه لو أطعتكم حيث قال ما قال لدخل النار) [(١)].

وهذه وظيفة الأنبياء، ووظيفة وراثهم، لذلك لا بد من الحلم والرحمة، فقد يخرج الإنسان عن طوره باسم الغيرة على الدين، وكذلك الصحابة ما قاموا على الأعرابي إلا باسم الغيرة على الدين، ولكن صنيع النبي ﷺ هكذا، والخلق الرحيم هكذا.

الخاتمة:

والحديث عن مولانا سليم فيه انتعاش للقلب، وسلوى للمحب، كيف لا ؟! والحق سبحانه هو الذي ينادي في عالم سماواته وأرضه أنه يحب عبداً من عباده فيقع له القبول في الأرض بعد أن يُذكر في السماء، [(٢)] والقبول عند الله والحب عند الناس مستمرٌ وباقٍ، يزيده ذكر الصالحين المحبوبين ألقاً وسناءً. (الألَق الضياء، ومثله السَناء).

ومحبتنا لمولانا سليم قدس سره، تدعونا لمزيد من الحديث عنه، وقد يسر الله فيما سردنا آنفاً ما لم أكن أتوقعه عند شروعي في كتابة هذا الفصل، ولله الحمد والمنة على ذلك، على أن الحديث الذي سنذكره عن سيدنا أبي النصر إنما هو في الحقيقة استمرار لذكر مولانا سليم قدس سرهما ونوّر ضريحهما.

كما أن حديثنا عن شيخنا عبد الباسط فيما سنذكره إن شاء الله، عن إكرام الله له

---

(١) رواه البزار عن أبي هريرة ﷺ.

(٢) حديث: (إذا أحب الله عبداً نادى جبريل: إني أحب فلاناً فأحبه).

بشفائه من مرضه الخطير، ببركات قراءة جده ووالده، وفيما سنحكيه أيضاً في الفصل الأخير عند الحديث عنه، وكيف أن أنظار جده ووالده لم تفتأ عنه وعن كافة المحبين مما سنرى في الفصول التالية، تسلية وتقوية للمحبين من المؤمنين.

أولاده:

ومن المفيد أن نذكر أن مولانا سليم كان له من الأولاد خمسة، رغم أنه كان وحيداً لوالديه، مع بنات سبع كما ذكرنا، وكان سيدي سليم محباً لوالده مكرماً له، وكان يخصه بتوجيهاته المباركة، وكان يقول له: أنت والد جسمي، وأنا والد روحك.

وأولاد الشيخ الخمسة أكبرهم سيدي أحمد، وقد أصهر إلى شيخ أبيه سيدي الشيخ أحمد الطوزقلي فتزوج ابنته ورزقه الله منها ولداً سماه سليماً، وكان سليم الحفيد أكبر من عمه الشيخ أبي النصر، ثم سيدي الشيخ حافظ، ثم سيدي محمد، وسيدي أمين، وأصغرهم درة العصر، وعقد الدهر من سار سنا نوره في الأقطار، وتعلقت بمحبته أفئدة الكبار والصغار سيدي **الشيخ محمد أبو النصر**.

وقد توسم سيدي سليم في أولاده فرأى نور الشريعة ورسوم الطريقة ومعالم الحقيقة تتوهج في صدر هذا الولد الأصغر لأبيه، والأكبر لإخوانه ومحبيه؛ سيدي محمد أبي النصر، فتوجه إليه بمزيد من العناية والرعاية الربانية والتربية والتزكية المحمدية، حتى بلغ مبلغ الرجال الذين تشد إليهم الرحال، ونضج فيه الإرشاد الذي عمَّ العباد والبلاد. فأجازه بالإرشاد العام، ونصيحة الإخوان، وسنفصل ترجمته إن شاء الله في الفصل القادم.

وفاة مولانا سليم:

ولما أذن الله لشمس مولانا سليم بالمغيب، وكانت شمس أبي النصر قد أشرقت في حياة شيخه وأبيه، وكملت أيام مولانا سليم الدنيوية أذن الله لروحه الكريمة بالانتقال إلى بارئها، وكان ذلك في منتصف شهر المحرم من عام ١٣٢٨ هجرية في وقت السحر، وجرى له تشييع رسمي وشعبي عظيم ودفن في المقبرة الجنوبية على طريق دمشق، ثم لما حق

به ولده أبو النصر دفن قريباً منه. وزائر قبره الشريف سوف يلاحظ مع انشراح صدره أثناء زيارته، هذه الأبيات مكتوبة على قبره:

زائـري، تـب واتـبع الشرع القـويم ... وتأهـب للقـاء الـبر الـرحيم

واتـعظ بـالموت، والـزم ذكـره ... إنَّ ذكـر المـوت ترياق عظـيم

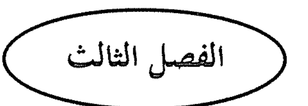
وادفـن الـشهوة لا تـطلب سوى ... حضـرة الحـق ومرضـاة الحلـيم

واشـتغل بـالـذكر حـتى ينجلي ... فيك معنى ذكـر ذي العـرش الكـريم

حـيثما المصباح فـي مشكـاتـه ... لاح يجلـو نـورُه الليـلَ البـهيم

كـل مـن يهـدي يرى (أرّخت طب ... وأتـى التـوابَ في قلـبٍ سـليم)

نصف محرم ١٣٢٨هـ



الفصل الثالث

درّة العصر، وفخر أهل الذكر، ومرشد الطريقة، وعلَمُ الحقيقة، سيدي ومولاي

الشيخ محمد أبو النصر بن الشيخ محمد سليم خلف

الجندي الحسيني، رحمه الله وقدّس سرَّه

(١٢٩٢- ١٣٦٨هـ) (١٨٧٥-١٩٤٩م)

المقدمة: عن حياته، وسيرته وأخلاقه، وبعض شمائله

ولادته ونشأته:

(هو مرشد العلماء العاملين، وقدوة المحبين المخلصين، الشيخ محمد أبو النصر خلف الجندي الحمصي - رحمه الله تعالى - ولد في مدينة حمص عام ١٢٩٢هـ، ١٨٧٥م، في بيت والده الشيخ سليم خلف - رحمه الله تعالى - وظهرت عليه منذ صغره علامات الولاية، وأمارات العناية الربّانية، فقد كان بعيداً عن عادات الأولاد في تضييع الوقت باللهو واللعب، محباً للعلم والتعلم والعبادة، ولا عجب في ذلك، فقد نشأ في بيت التقى والعبادة، مشمولاً برعاية والده الشيخ سليم خلف رحمه الله تعالى) [1].

شيوخه وأساتذته:

تلقى هذا العلَم الكبير، والمرشد الخطير علوم الشريعة من منقولها ومعقولها، وتفسيرها وأصولها، والحديث الشريف والفقه، وعلوم اللغة العربية، عن أكابر علماء حمص في وقته،

---

[1] المحامد في سيرة الشيخ محمد الحامد: تأليف الشيخ عبد الحميد طهماز، ص (١٩٤).

وعلى رأسهم العالم النحرير، والسيد الكبير، المرشد الكامل، قطب وقته، والده الشيخ محمد سليم خلف، فقد تلقى عنه: علم التوحيد، والفقه والتصوف، كما قرأ فقه الشافعية على الشيخ عبد الغني السعدي. وتلقى العلوم الأخرى عن الشيخ محمد محمود الأتاسي، والشيخ عبد القادر الأتاسي، والشيخ عبد القادر الشيخة) [1].

تدرجه في العلم والطريق، وإجازته بالإرشاد:

ظلّ هذا المرشد العالم، منذ نشأته، وبروز فتوته، يتزوّد من علوم الشريعة، وينهل من مناهل الطريقة، ويرتقي في معارج الحقيقة، متدرجاً في أحضان شيوخه من العلماء، وعلى رأسهم المرشد الكبير قطب الإرشاد، والده مولانا سليم، الذي كان يدخله الخَلْوات، وينقله في مدارج السعادات، منذ أن تلقى العلم عن شيوخه وحتى بلغ سنّ الخامسة والعشرين من عمره، فقد كانت آخر خلواته لما بلغ هذا السنّ.

وأفادنا أستاذنا المفضال ولده الشيخ عبد الباسط رحمه الله أن خلوات الشيخ كانت ثلاث خلوات، آخرها لّما كان عمره /٢٥/ عاماً، اختلاها في مسجد الصحابي الكبير، والبطل الشهير سيف الله ورسوله سيدنا خالد بن الوليد في حمص، وكانت لمدة /٤٠/ يوماً، وكان يفطر فيها على نصف رغيف، ويتسحر بالنصف الثاني، مع الزعتر والزيت، وشرط عليه والده الشيخ سليم أن يكون ورده اليومي، ذكراً خفياً بلفظ الجلالة / ١٠٠ / ألف مرة، وأن يصلي الفرائض مع الجماعة، وأن يتنفل بـــ /١٠٠/ ركعة يومياً، وأن يعمل الختم النقشبندي الشريف صباحاً ومساءً.

وكان الشيخ سليم يرسل إليه شخصاً بعد عمل الختم الشريف ليأخذ حصيات الختم، فيشمها الشيخ ويعيدها إليه، وهكذا صباحاً مساءً، كما عليه أن يصلي صلاة التسابيح /٥/ مرات يومياً مع كل فريضة مرة، مع المحافظة على السنن الرواتب أيضاً.

ولما أنهى الشيخ أبو النصر خلوته الأربعينية على الشروط المذكورة في المسجد المبارك

---

[1] المصدر السابق نفسه.

أجازه مولانا سليم بالإرشاد العام، قال سيدي الشيخ عبد الباسط: (كان هذا قبل ولادتي بخمسة عشر عاماً).

قال الشيخ عبد الحميد طهماز في كتابه الذي ألفه عن حياة شيخه محمد الحامد رحمه الله، في الفصل الذي خصصه للحديث عن شيخ شيخه؛ سيدي أبي النصر:

(وبعد أن تحقق الشيخ الوالد (سيدي سليم) في ولده (سيدي أبي النصر) الأهلية الكاملة للإرشاد أجازه به، وأذن له فيه، فكان رحمه الله بحق مرشد المرشدين، ومربي السالكين، وشيخ العلماء العاملين، اعترف له بذلك الخاصة والعامة، وأقرّ بفضله القريب والبعيد، حتى أن كثيراً من أهل العلم والفضل في مصر، كتبوا إليه يرجون دعواته، ويطلبون تبريكاته، مما سمعوا من أوصافه وأخلاقه من سيدي (الحامد) رحمه الله تعالى عندما كان في مصر) اهـ [1].

وقد كان سيدنا الشيخ أبو النصر بحق مرشداً عاملاً متخلقاً بالأخلاق النبوية، داعياً إلى الله بإذنه، لا يفتأ عن إبلاغ دين الله، وحمل الدعوة الإسلامية إلى القريب والبعيد، يتحمل المشاق، مشاق الغربة، ووعثاء السفر، متنقلاً في البلاد السورية الشمالية، يبلغ عباد الله دين الله، فكان ظاهرة فريدة في عصره، وأمّة وحده، جمع الله له العلم تلقياً ودرساً، عن شيوخ عصره، والعمل سلوكاً وطريقة، وتحققاً وشريعة، عن سلسلة المرشدين الكاملين من والده الكريم مولانا سليم قدس سره، وانتهاءً بفخر الكائنات وسيد السادات وإمام الهداة سيدنا ومولانا محمد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

وقد ذكر لي الأخ الموفق، الأستاذ موفق بن الشيخ أحمد الكعكة الحمصي، أنه سمع من والده أن الشيخ سليم أجاز الشيخ أبا النصر خطّياً، قال: وبعد وفاة الشيخ سليم، أخذ بعض تلامذة الشيخ تاجه (عمّته)، وألبسوه لأخيه الشيخ حافظ، وهو أكبر أولاد الشيخ سليم، وذلك بعد دفن الشيخ، وهم بالمقبرة، ولكن الناس والإخوان والمحبين التفوا حول

---

[1] المحامد في ترجمة الشيخ محمد الحامد تأليف الشيخ عبد الحميد طهماز، ص ١٩٤.

الشيخ أبي النصر ولم يلتفوا حول الشيخ حافظ، وذلك منذ عودهم من الجنازة، فخلع الشيخ حافظ تاج والده وألبسه لأخيه الشيخ أبي النصر.

إجازة السنوسي لأبي النصر:

كما أطلعني الأخ موفق الكعكة أثناء زيارتي له في بيت والده بحمص عام ١٤٢٠ هـ، على إجازة خطية من الشيخ السيد أحمد الشريف السنوسي لسيدنا الشيخ أبي النصر، وهي في مخطوطة من /٣٣/ صفحة، ذكر فيها أسانيده في الطريق والعلوم الشرعية؛ من تفسير وفقه وحديث وسواها، إلى مشايخه [١]، وذكر في خاتمتها ما يلي:

وبعد: فقد أجزنا العالم الجليل العامل الفاضل النبيل خادم العلم والدين، وقائد الخلق إلى الحق المبين، ذي السعي المشكور، والعمل الصالح المبرور ولدنا الشيخ محمد أبا النصر خلف، فيما ذكرنا من أسانيد الأستاذ ﷺ وطرقه المأخوذة عنه إجازة تامة شاملة عامة على الخط الذي أجازنا به قطب العارفين، وإمام المرشدين سندنا الأعظم، وملاذنا المعظم السيد محمد المهدي ﵁.

ثم قال: وقد أجزنا المومى إليه في تلقين الذكر والدلالة على الله سبحانه وتعالى، وأوصيناه بإعمار الظواهر بالمجاهدات، وإعمار البواطن بالمشاهدات، والمسارعة لنوافل الخيرات، والسعي في تأليف قلوب المسلمين وجمع كلمتهم وتوثيق عروهم، مع بثّ العلم وتعليمه وتفهيمه بعد تفهمه، إلخ.

وكان توقيعه: المقتبس النور القدوسي، عبد ربه، الغازي في سبيله، مملوك أستاذه المهدي وخليفته؛ أحمد الشريف السنوسي ١٣٦٥ هـ.

وقد ذيلها شيخنا أبو النصر بخطه وكتب: وقد أجزت ولدي القلبي أحمد كعكة بما أجازني به سيدي أحمد السنوسي، إجازة عامة، كتبه بقلمه، وقاله بلسانه، العبد الفقير محمد أبو النصر خلف.

---

[١] وقد حصلت على نسخة مصورة منها.

أخلاقه الكريمة:

(كان رحمه الله تعالى متواضعاً، رحيماً بخلق الله تعالى، ليّن القلب، طيب النفس، غزير الدمعة، فمن تواضعه أنه كان يقدم الطعام لمريديه بنفسه، ويطعمهم أحياناً بيده، ويقوم على خدمتهم، ويأكل فضل طعامهم، ويلعق أصابعهم، وكان يحمل العجين بنفسه إلى الفرن، ثم يعود بالخبز إلى البيت) [1].

وإذا أراد أحد من محبيه أن يحمل عنه أو معه بعض متاعه، يأبى ويقول: صاحب الحاجة أحق بحملها. ويصبّ الماء على يدي أضيافه ومريديه، ويطمئن على سيرهم وسلوكهم وتعبدهم وتخلّقهم، ومدى ارتباطهم بالشريعة المطهرة، ومواظبتهم على فرائضهم وأحكام دينهم وتمسكهم بها، والتزامهم للسنة النبوية الشريفة، ويأبى أشد الإباء أن يحدِثوا فيها ما يخالفها، أو يبتدعوا فيها ما لم يكن فيها.

لذلك كان دائم السفر والتجوال في المدن والقرى في محافظات حماه وحلب وحمص والجزيرة، داعياً إلى الله، حاضّاً الناس على التوبة وإقامة الصلوات وترك المعاصي والمنكرات، وبصحبته طلبة العلم من أكابر العلماء إلى صغار الطلبة، حيث يكلفهم بإلقاء الدروس والمواعظ، وتعليم الناس أمور دينهم، وكان هذا خلقاً له في كل أسفاره، بل وحتى في إقامته، كما حدثنا بذلك أشياخنا وآباؤنا، وكان كثيراً ما يتنقل بين القرى ماشياً والدواب تقاد خلفه.

(وكان يحترم العلماء كثيراً، ويقرب طلبة العلم الشرعي ويجلسهم في صدر مجلسه، ويقول: هؤلاء عظمهم الله سبحانه، فعلينا تعظيمهم.

ومن رحمته أنه ما دعا على أحد من أصحاب النفوس المريضة الذين كانوا يحقدون عليه، ويشيعون الشوائع السيئة عنه، وما كان رحمه الله يزيد - إذا وصل إليه شيء من أقوال أحدٍ منهم - على قوله: ادعوا له، ادعوا له.

---

[1] المحامد في سيرة الشيخ محمد الحامد تأليف الشيخ طهماز، ص ١٩٥.

يتحمل إساءات الناس وسوء أدب بعضهم بنفس راضية مطمئنة، يتفقد مريديه، ويزورهم في بيوتهم، ويسافر من أجل رؤيتهم، ولقد قدم إلى حماه مرات ومرات، وصرح لسيدي (الشيخ محمد الحامد) رحمه الله تعالى في إحدى المرات؛ أنه قدم من أجل رؤيته.

ومع ذلك فإن البعد ما كان يحجبه عن أتباعه وأحبابه، فهو دائماً بروحه القوية معهم، وكان كثيراً ما يقول: البعد والقرب عندنا واحد.

ولقد حدّث سيدي الحامد رحمه الله تعالى أنه عندما كان في مصر، كانت تنتابه نوبات من الضيق النفسي الشديد، فيكتب إليه رحمه الله تعالى، فما يمضي وقت وصول الرسالة، حتى يكشف الله ضيقه، ويعود إلى هدوئه وانشراح نفسه)[1].

وسوف نرى في بحث (أثره في العلماء) نماذج كريمة كثيرة من تلك الرعاية الإيمانية التي كان يرعاها لإخوانه ومحبيه ومريديه، وأمثلة رائعة من شدة حبهم له وتعلقهم به، ومدى تأثيره الإيماني ولو من بعيد على سلوكهم وسير حياتهم إلى أحسن الأخلاق وأكرم السلوك.

دعوته إلى الله، وأثره العظيم في القلوب:

كان رحمه الله وقدس سره الشريف قد هيأه الله للدعوة إليه بإذنه، وفتح أقفال قلوب عباده له لتتوجه إلى مقلِّب القلوب، الذي بيده قلوب العباد يقلبها كيف يشاء، وكأن ربي سبحانه أعطاه مفاتيح هذه القلوب، فكان يَلِجُها، ويدخل حبّه إليها باطمئنان وشوق، ولوعة وتطلع إلى المزيد، فكان رضي الله عنه مظهراً لأسرار الله سبحانه التي أودعها في خاصته من خلقه، ومظهراً للدعوة المحمدية التي اختارها الله سبحانه وتعالى رحمة لعباده، ولا غرابة، فالوارث الكامل له حظه التام من الوراثة النبوية الشريفة، فإنَّ (الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، ولكن ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظٍ وافر).

وكما قال سبحانه وتعالى عن رسوله الكريم ﷺ: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾،

---

[1] المحامد في سيرة الشيخ الحامد: تأليف طهماز، ص ١٩٦.

كان نصيب الشيخ رحمه الله تعالى من هذه الرحمة النبوية ومن هذا العلم النافع، الحظّ الوافر، فقد كان قدس سره لا يفتأ بحاله وقاله وأنظاره وتوجهاته يدعو الناس إلى سلوك الطريق القويم، والتزام الشرع الشريف، والعمل على التوبة، والبعد عن كل ما يخالف السنة الشريفة؛ من قول أو فعل أو اعتقاد، حاله فعّالةٌ، وأنظاره وهّاجة، وتوجهاته نفّاذة، وكلماته القليلة تفعل في قلوب سامعيها فِعل الغيث الهطال في الأرض العطشى، ويده المباركة إذا صافح فيها إنساناً هزّته هزّاً عنيفاً، وحركت أعطاف جسمه كأنها الكهرباء، يجمع هذه الأخلاق ويزينها الرحمة والشفقة والعطف على جميع المخلوقات.

إذا جلس في المجلس، فإنه دائم الإطراق؛ في مراقبة خاشعة، أو تفكر دؤوب أو عين دامعة، فإذا رفع بصره، ووجّهَ نظره الشريف إلى جهة من المجلس، فكأن نوراً ساطعاً وضياءً وهاجاً قد وُجِّه إلى تلك الجهة، وإذا حرّك يده المباركة أو قدمه، فلامست أحداً، فإنها تفعل فعلها في أعْطافِ مَنْ لا مسته أو وجِّهت إليه.

إذا نظر إلى المنشدين نظرة فهموا ما يريد من إنشاد، فيغرفون من قلبه معاني تحرِّكُ القلوب، وتُهيج الشوق والحب والحنين إلى علام الغيوب، وقد تطول السهرة في الذكر والإنشاد فلا أحد يشعر بملل أو تعب، أو ضيق مما لاقاه من نصب عمله في النهار، بل يجدون على العكس من ذلك الراحة والسكينة، والهدوء والطمأنينة، بين يديه وتحت نظره الشريف.

تتناوب توجهاته وأنظاره الكريمة في المجلس كافة الإخوان، وفيهم كبار العلماء، وعامة الناس فيأخذ كل منهم حظّه، فتزول إشكالاته، وتعلو همته، ويتجدد نشاطه، وقد تعتري بعضهم أسئلة وإشكالات فيخاطبهم بها، ويكاشفهم بما يدور في أنفسهم، ويعطيهم الجواب قبل السؤال، فيقبلون على يديه الكريمتين لاثمين مقبلين.

وكم هدى الله على يديه من أناس ضالين ومنحرفين، وفسقة عاصين، فتابوا ورجعوا، إلى الحق مذعنين، وكل هذا من سرّ الوراثة النبوية والرحمة المصطفوية.

وما من أحد من أحبابه ومريديه التقى به إلا ويحدّث عن كراماته التي حدثت معه هو،

ولذلك كثرت كراماته، واستفاض نقلها وروايتها، وإن أعظم الكرامات بحق عندنا، هي ثباته رحمه الله على جادة الاستقامة الإسلامية، والتزامه الشرع الشريف، وعدم الانحراف عنه في سيره، ولو في خلُق وأدب من الآداب، بل لم يُنقل عنه رحمه الله شطحات الصوفية أو انحرافاتهم حال الجذب أو الغيبة، بل ظل مستمراً في التمسك بالسنة النبوية داعياً إليها، نابذاً كل ما خالفها منكراً على إخوانه الذين تبلغه عنهم الشطحات والمخالفات، معلناً براءته من كل ما يخالف الكتاب والسنة، وكان هذا السلوك القويم والخلق الكريم مِن أهم ما جذب العلماء الأعلام إليه، وجعلهم يلقون زمامهم بين يديه، ويبايعونه على سلوك الطريق النقشبندي، ويستمرون دعاة إلى منهجه طيلة حياتهم، ويوصون أحبابهم وإخوانهم وأولادهم، بالتمسك بهذا النهج المحمدي الشريف، والطريق النقشبندي القويم، حتى صارت مقولة (الطريقة النقشبندية طريقة العلماء) حقيقة يعرفها كافة أهل العلم، وأهل الإنصاف.

ولذلك استقطب الناس حوله، علماء وعامّة، وانتشرت شمس الطريقة على الآفاق والبقاع التي زارها ووصلتها أقدامه، في الوقت الذي كانت فيه البلاد تحت وطأة حكم الكفرة، من المستعمرين الفرنسيين الذين كانوا يحصون على الناس أنفاسهم، ويراقبون تحركاتهم وتجمعاتهم، ويحسبون كل صيحةٍ عليهم، وكل تجمّعٍ ضدهم.

لقد كان رحمه الله وقدس سره يهدف من وراء الدعوة والتجول في البلاد، إلى أمر عظيم لم يهدف إليه الناس الذين واجهوا الاستعمار آنذاك، لقد كان يهدف إلى تأسيس القاعدة الإيمانية الراسخة في القلوب، وتثبيتها حتى تقوى وتصلب، وتطرد الاستعمار من القلوب والعقول ثم من البلاد والعباد، ولذا كان جلّ اهتمامه -قدس سره- تربية المسلمين على الإسلام، وإفهامهم حقائق هذا الدين المتين، ولقد كان يصرّح دائماً؛ إننا جئنا لنعلم الناس أمور دينهم، ونصحح لهم عقائدهم.

ومما يذكر هنا كشاهد على قولنا: ما حدثنا به أستاذنا الشيخ عبد الباسط رحمه الله تعالى، أن الشيخ أبا النصر قدس سره كان يقرأ درساً صباحياً للإخوان في حمص (وأظنه

في زاوية والده الشيخ سليم) وكان العلاّمة الشيخ أمين سويد عالم دمشق [1]، حاضراً الدرس وإذا بالرئيس الأسبق للجمهورية السورية السيد هاشم الأتاسي رحمه الله ومعه الزعيم إبراهيم هنانو يدخلان زاوية الشيخ، فحضرا الدرس، ولما انتهى الشيخ من درسه وسلّما عليه، وكان هنانو يقود الثورة على الفرنسيين في شمال البلاد آنذاك، قال هنانو للشيخ أبي النصر: يجب ألا نكتفي بالدروس، ويجب أن نجاهد فرنسا والاستعمار، فإن الدروس دون جهاد لا تكفي، فانبرى الشيخ أمين سويد يناقش إبراهيم هنانو بهذه الفكرة، (أي فكرة الجهاد ومقاومة المستعمر، دون تزود بالعقيدة الصحيحة وتعلم آداب الشرع وأحكامه التي تهيئ الإنسان للجهاد كما فعل الرسول ﷺ). فقال الرئيس الأتاسي موجهاً الكلام إلى إبراهيم هنانو [†]: (إن الشيخ أبا النصر، مفرِّغٌ نفسه للدعوة والإرشاد والعلم، وإنه قائم بوظيفة أكبر من وظيفتنا، إنه يجهز الناس ويحلّيهم بالعقيدة الإسلامية والشريعة، حتى إذا دُعوا للجهاد كانوا جاهزين).

قال سيدي الشيخ عبد الباسط: وكان هاشم الأتاسي رجلاً تقياً صالحاً محباً للشيخ أبي النصر، معتقداً به، وقد عاش ومات وهو لا يملك ما يملكه غيره ممن تولوا الحكم.

وكان مما قاله الأتاسي عندما جاء معزياً بوفاة الشيخ أبي النصر: (إن الإرشاد في هذا البيت صار له ثمانون عاماً، وأرجو الله ألا يقطعه عنه) آمين.

ولقد كان من آثاره في القلوب والعقول أن أتباعه ومحبيه ومريديه أصبحوا في زمانهم ظاهرة فريدة بين الناس في قراهم ومدنهم، فلقد أصبحوا بفضل إرشاده وتربيته متمسكين بآداب الشرع، ذوي سلوك قويم وخلق مستقيم، أنوار الذكر لائحة على وجوههم،

---

[1] انظر ترجمته فيما سبق ص ١٤٨.

[†] قال الزركلي في الأعلام: هاشم الأتاسي، استلم رئاسة الدولة السورية أيام الاحتلال الفرنسي ثم أيام الاستقلال، ولد في حمص وتوفي فيها... وإبراهيم هنانو ولد عام ١٢٨٦هـ ١٨٦٩م وتوفي ١٣٥٤هـ ١٩٣٥م في كفر تخاريم قضاء حارم، وتعلم في الأستانة، عمل موظفاً إدارياً أيام الدولة العثمانية، ثم قاد الثورة على الفرنسيين أيام الاحتلال الفرنسي، واعتقله البريطانيون في القدس وسلموه للفرنسيين، ثم حوكم وبرئ، ثم عمل في الحقل السياسي، وتوفي بحلب، ودفن بالمقبرة المسماة باسمه في محلة الفيض. اهـ عن الأعلام باختصار.

وحسن المعاملة ظاهرة في سلوكهم، العلماء منهم ورّاث كاملون مكملون، ودعاة راشدون مهديون، يبثون نهجه في إخوانهم ويربون تربيته لأهلهم وأحبابهم، وأما العامة منهم، فمسلمون صالحون، رقيقة قلوبهم، غزيرة دموعهم، عليهم سيما الصلاح وأثر الفلاح.

وإن بلداً أو قرية أو أرضاً زارها الشيخ أبو النصر، أو حلّ فيها لتجد آثاره فيها ظاهرة بعد عشرات السنين، من تميز أهلها بالتقوى والصلاح، والتمسك بالشرع الشريف، وإقامة شعائر الدين، والاستقامة على الأخلاق الإسلامية، والاستجابة للدعاة والعلماء إذا زاروها بعد حين. (كما سمعت هذا مراراً من أشياخنا القلاش، حسون، رجب).

وقد أجمع كل من رآه من العلماء والعامة وأهل الكمال، وخالطه من المحبين، أنَّ شخصيته فذة فريدة تؤثر في الناس تأثيراً لا يمحى ولا يزول وبخاصة من صحبه وجالسه وأحبه، فإن قوة الجذب التي حباها الله سبحانه إياهُ كانت شيئاً عجيباً، وكما أُثر عن السيد الإمام الأجل أحمد الرفاعي الكبير ﷺ قوله: (دفتر حال الرجل أصحابه) فإن إخوانه من العلماء والصلحاء والعامة أعظم دليل على قوة حاله وصدقه مع الله سبحانه، وشدة تأثيره فيهم، وصدق من قال من العلماء: بأننا لم نسمع بأمثاله في تاريخ هذه الأمة منذ زمن بعيد، ولم نرَ حتى الآن ممن عاصرنا وعايشنا من المرشدين من هو بقوة شخصيته وشدة جذبه للمحبين.

بعض كمالاته وشمائله الكريمة:

أ- **تمسكه بالسنة:** ولقد كان ﷺ في دعوته الناس إلى التمسك بالإسلام لا يحيد عن السنة الشريفة المطهرة، عاملاً متحققاً بأركان هذه الطريقة التي قوامها التمسك بالكتاب والسنة والذكر، ومحبة الشيخ الموصلة إلى محبة الله عن طريق محبة رسول الله ﷺ.

ب- **عباداته:** فما كان الشيخ قدس سره يدع قيام الليل، ولا صلاة الجماعة، ولا كان يدع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان يحضّ الإخوان والأَتْباع على لزوم الأخذ بالعزائم، ويجمعهم دائماً على الطاعة، ويبعث فيهم روح الحب الكامل لله ورسوله

بتوجيهاته القوية، والقلبية، وأنظاره النورانية.

ج- **ذكره:** وكان ذاكراً مكثراً فلا يطلع الفجر عليه إلا وقد ذكر الله نحواً من ثمانين ألف مرة، (ذكراً قلبياً)، وقد أخبرني بهذا شيخنا عبد الباسط مراراً.

وكان من حبه للشيخ سليم رحمه الله تعالى وخدمته له أن فاق أولاده جميعاً بذلك، بل ما كان يترك أحداً يسبقه لخدمته، فصار المرشد الكامل بواسطة حبه الكامل لشيخه سليم، وتفانيه بخدمته، ليعلمنا عملياً أن الخدمة للأشياخ طريق الوصول إلى رضا الله سبحانه وتعالى.

د- **قوة شخصيته وكمال إرشاده:** لقد كان العلَم الفرد في الإرشاد، حتى إن أكابر الشيوخ الذين التقوا به وسمعوا به كانوا يَنْضَوون تحت لوائه، بعد أن أشرقت شمس إرشاده وسطعت أنواره على عصره.

ومنهم من أكابر العلماء الذين كانوا مرشدين وعلماء عاملين، أمثال الشيخ عيسى البيانوني، والجد الشيخ محمد المسعود، (الذي أجازه الشيخ أمين الكردي المصري بالإرشاد والتوجيه)، والشيخ حسن البنا (الذي كاتبه بواسطة الشيخ محمد الحامد، وتلقى الطريق والذكر منه مراسلةً)، والشيخ محمد النبهان، والشيخ محمد الحامد، والشيخ أحمد الجصري، وغيرهم من أكابر علماء هذا القطر، حتى إن كثيراً من مشايخ الحجاز ومصر الذين سمعوا به أو رأوه، التمسوا بركاته والأخذ عنه.

نتيجة:

نخلص من هذا؛ إلى أن الشيخ أبا النصر لم يكن شيخ طريق من مشايخ الطرق الذين يجمعون الناس على الذكر والانزواء عن الناس، وهمُّهم - كما يقال - الدروشة، وستر الحال، ولا من الذين همهم تنميق الكلام، وإلقاء الخطب والمواعظ، بل إن كلماته أقل بكثير من صمته، فقد كان عالماً عاملاً ذاكراً، يوجه الناس بقلبه ونظراته، فجمع الكمال بنوعيه، حالاً وقالاً، وإرشاداً وتوجيهاً، وهذا في المرشدين الكاملين قليل.

وقد حدثني أكثر من شخص، أن الشباب (الجُهّال)، كانوا يخشون السلام عليه،

ووضع أيديهم في يديه، لأن سلامه كان يجذبهم، ويهزّ أجسامهم ويفعل فيها فعل الكهرباء، ويقلبهم – مع الاستعداد – إلى ذاكرين تائبين خاشعين.

وقد حدّث كثير من إخواننا أنه كانت تلقى حصيات الختم بعد قراءته على بعض الناس (في الجزيرة) فينجذبون للذكر ومبايعة الشيخ على التوبة، وتأخذهم الأحوال، وينقلبون خلقاً آخر.

وما قصة انجذاب الشيخ الحامد عنا ببعيد، وقد ذكر الشيخ عبد الحميد طهماز، (في كتابه المحامد)، أن الشاعر بدر الدين الحامد، الأخ الأكبر للشيخ محمد، لما سمع بجذب أخيه محمد وتركه المدرسة، ولحوقه بالشيخ إلى حمص، أرسل أخاه عبد الغني إلى حمص ليستطلع له خبر الشيخ وأخيه، قال عبد الغني: فإذا بي أتعلق بالشيخ وأتلقى عنه الذكر، فعدت إلى حماه وقلت أول قصيدة لي في مدح الشيخ أبي النصر ومطلعها:

الحب فـــي القلب أمسى ثابت القدم والشوق خالط مني أعظمـــي ودمـــي

وسنثبتها في البحث الرابع (فيما قاله فيه الشعراء من قصائد ومراثي)، مع قصيدة أخيه بدر الدين. أما أخوه بدر الدين الذي أرسله فقال:

يا هيكل الجسم دع روحي ومسراها تسقى براح التـــداني مـــن حميّاهـــا

والخلاصة:

لقد كان لتعلّق العلماء به، فضلاً عن عامة الناس – وتعلق العلماء وانضوائهم تحت لواء غيرهم أصعب بكثير من تعلق غيرهم – لقد كان لهذا التعلق سر عجيب، يدعونا لمزيد من الدراسة والإمعان بهذه الظاهرة الكبيرة التي مرت على بلادنا، واسمها (أبو النصر) وهذا يذكرنا بتعلق الصحابة الكرام بسيدنا رسول الله ﷺ، ومدى حبهم له وتفانيهم في خدمته، والذود عن دعوته، وبذل المُهج والأرواح والأموال في سبيل دعوته.

كلمات الشيخ الحامد:

وما أجمل وأصدق ما قاله الشيخ محمد الحامد حينما سئل عن الشخصيات التي تأثر بها

وكان لها في نفسه أعظم التقدير والحب قال: (والذي له في نفسي مكان الصدارة الأولى على الإطلاق والعموم، وله فيها بالغ التأثير العميق والشديد معاً، هو فضيلة سيدي العالم العامل والمرشد الكامل مربي المريدين، ومرشد السالكين العارف بالله تعالى الشيخ محمد أبو النصر الحمصي النقشبندي قدس سرّه الذي أخذت عنه طريق السادة النقشبندية العلية، إنه الذي أخرجني الله تعالى به من ظلمات الغفلة والقسوة والشرود، إلى نور الذكر والرقّة والوقوف بباب الله سبحانه في ذلة وضراعة لهذا الربّ الكريم، إنه الذي ملأني بتوجيهات قلبه الشريف، وكم طهرت فيوضاته من أسرار وأزاحت من أكدار، وأغلت من همم، وأنجت من نقم، كم أنقذ من غرقى في بحر الطغيان، وكم جلا عن القلوب مِن ران العصيان، وكم أبكى من عيون الناس عيوناً، وكم ألقى في ضمائرهم سرّاً مكنوناً، كان من الصدّيقين الراسخين الذين لهم قوة إشعال جذوة الحال في مريديه، على القرب والبعد، وقد سمعته يقول: القرب والبعد عندنا واحد، من لم ينفعك بعده، لم ينفعك قربه...

ثم يقول في نهاية كلامه عن الشيخ: رحمه الله وبارك عليه، وأعاد عليّ وعلى المسلمين من بركاته آمين.

.. إني دائب على زيارته، ودائم على عهده، أحفظه في ذريته، وأرعاه في أهل خرقته، وإن زيارته تملأ النفس حالاً صحيحة وبركة واضحة). اهـ [1].

ما ذكره المؤرخون عنه:

١- من أوائل من ذكر الشيخ سليم والشيخ أبا النصر؛ المؤرخ محمد أديب آل تقي الدين الحصني، فقد ذكر في كتابه (منتخبات التواريخ لدمشق) في الجزء الثاني ص ٩٢٦ في طبقات علماء دمشق وحمص، ما يلي: (ومنهم؛ العالم المتصوف الشيخ أبو النصر خلف نجل الشيخ الجليل سليم خلف النقشبندي الخالدي، كان يعتقده أكثر الناس.

ومنهم الشيخ طاهر الرئيس، والشيخ عبد الجليل مراد بن الشيخ عبد الرحمن، وهما من

---

[1] من مجلة حضارة الإسلام العدد الخامس السنة السادسة ١٣٨٥ / ١٩٦٥.

الفقهاء الأفاضل) اهـ منه. والكتاب مطبوع في دمشق سنة ١٩٢٨ م.

٢- وقدمنا في أوائل البحث بعنوان (شهادة من أهلها) أن الباحثين محمود السباعي، ونعيم الزهراوي في (دراسة وثائقية عن حمص) التي طبعت بحمص، قد ترجما للشيخ الطوزقلي والشيخ سليم والشيخ أبي النصر، وأم محمد التلاوية.

٣- وممن ترجم لسادتنا الكرام: الشيخ الطوزقلي والشيخ سليم والشيخ أبي النصر، الأستاذ الفاضل عبد الحميد طهماز، في كتابه الذي جمع فيه سيرة أستاذه الشيخ محمد الحامد وسماه (المحامد في سيرة الشيخ محمد الحامد) والمطبوع في بيروت ١٩٧١م، وقد نقلنا عنه في كلامنا عن هؤلاء السادة الكرام وعزونا إليه ما نقلناه في محله.

٤- وممن ترجم لسيدي أبي النصر عدا ما ذكر آنفاً، الدكتور أحمد درنيقة الطرابلسي في كتابه (الطريقة النقشبندية وأعلامها) فقد جاء فيها ما يلي:

٩٤- محمد أبو النصر خلف الجندي الحمصي: ولد في حمص عام ١٢٩٢ هـ، ١٨٧٥ م، تلقى عن والده الشيخ سليم خلف علوم التوحيد والفقه والتصوف، كما درس على عدة مشايخ منهم: عبد الغني السعيدي (الصواب السعدي)، محمد المحمود الأتاسي، عبد الستار الأتاسي، عبد القادر الشيخة... بعد ذلك نال الإجازة بالطريقة النقشبندية من والده.

اشتهر أبو النصر باهتمامه بمريديه المنتشرين في مناطق حمص وحماه وحلب وغيرها، فكان يتنقل بين تلك المناطق يتفقد أحوالهم ويرشدهم ويوجههم، ولا يزال أتباعه حتى الآن في حلب يقيمون ذكر الخواجكان بجامع العثمانية قرب باب النصر، وذلك عقب صلاة الجمعة من كل أسبوع، وقد خلف عليهم ابنه عبد الباسط.

توفي أبو النصر عام ١٣٦٨ هـ، ١٩٤٨ م (الصواب ١٩٤٩) ودفن في حمص في المقبرة الجنوبية، وقد رثاه عدد كبير من مريديه، في طليعتهم عبد الغني الحامد:

يا أبا النصر جُزيت الخير عن ... معشر علَّقهم هذا الغراما

لم نكن نعرف من قبل جوىً ... يملك القلب ولا دمعاً سجاما

ثم لما إن توجهت لنا ... أصبحت نار الهوى تذكو ضراما

أنت ألهبت الحشا من ضمرةٍ   هي ذكر الله في القلب دواما
وبحب المصطفى علّقتنا   وإلى الإخلاص وجهت الكراما

من أقواله: من لا يعمل خيراً في هذه الدنيا فالموت خير له. أنا بريء من كل ما خالف الكتاب والسنة [1]..

٥- وقد أخذ الأستاذ عدنان الصواف عن كتاب الدكتور درنيقة، وعن الدراسة الوثائقية عن حمص ترجمة مختصرة للشيخ أبي النصر في كتابه المعد للطبع بعنوان: (دراسة عن التصوف والطريقة للنقشبندية) فقال: وتلقى الطريقة النقشبندية عن والده، وخلفه في مشيختها، انتشر مريدوه في حمص وحماه وحلب ودمشق، وكان يتنقل في تلك المدن ويتفقد أحوالهم، ولا يزال أتباعه يجتمعون في مسجد العثمانية بحلب، وقد خلّف عليهم ولده الشيخ عبد الباسط، ومن بعده (ولده) الشيخ إسماعيل خلف، وكان له دور كبير في نشر الطريقة في بلاد الشام، ومن أشهر تلاميذه الشيخ محمد الحامد في حماه، والشيخ أحمد الكعكي في حمص، والشيخ محمد علي المسعود في مدينة الباب بحلب، والشيخ محمود الرنكوسي بدمشق.

المصدر: الطريقة النقشبندية وأعلامها. ص ١٢٣-١٢٤. و: حمص دراسة وثائقية ١/٢٩٩.

٦- وترجم له عامر رشيد المبيض في كتابه: (مئة أوائل من حلب)، في الجزء الأول ص /٢٦٧/، بما يلي:

محمد أبو النصر: ولد في حمص في رجب ١٢٩٢هـ - ١٨٧٥م، قرأ الصحيحين والفقه الشافعي على الشيخ عبد الغني السعدي، والشيخ محمد المحمود الأتاسي وغيرهما.

تشرّف بزيارة الأراضي المقدسة وأداء مناسك النسكين عام ١٣٢٩هـ ثم رجع مرة ثانية ١٣٦٣هـ وفي زيارته الأخيرة تزاحم الناس كثيراً وأقبلوا عليه، وانتسب إليه كثرة، وتنسك به جمع، وأخذ عنه خلق لا يحصون بالحرمين. أما تلامذته بالشام فهم كثرة من

---

[1] ص ١٢٣-١٢٤، وعزا الدكتور درنيقة مراجع الترجمة إلى كتاب الشيخ طهماز، (محمد الحامد) و م. ع. ص ٧٠، وص ٧٧.

الأعلام، ولكن منهم سادة أثروا في الناس منهم: الشيخ محمد الحامد، والشيخ عبد الباسط خلف ابنه، والشيخ بدر الدين الحامد، وغيرهم. (أقول: الشاعر بدر الدين الحامد أخو الشيخ محمد الحامد).

كان صاحب كرامات كثيرة مستقيماً على الطاعة، وكان رحمه الله صاحب دعوة مستجابة، لين الجانب، سخي اليد، سهل الطبع، رحيماً بالناس.

ومن حلب إلى حدود العراق تقريباً كان الشيخ أبو النصر هو الشيخ المتبوع صاحب الصيت المدوي في الطريقة النقشبندية، وكان أتباعه ومريدوه يرون على الشيخ آثار الخير، فقد ترك أثراً في الطريقة جيداً.

توفي رحمه الله في حمص وقت السحر ليلة الجمعة ٥ رمضان ١٣٦٨هـ ١٩٤٩م، وقد انكشف قبره بعد سنة من وفاته، ففاحت رائحة زكية من قبره الشريف، ورؤي بحالته التي دفن فيها، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء. اهـ.

مصادر الترجمة: كتاب (تشنيف الأسماع بشيوخ الإجازة والسماع) جمع محمود سعيد ممدوح. وكتاب (آلاء الرحمن على العارف النبهان) تأليف الشيخ محمد أديب حسون.

آخر حياة الشيخ ووفاته:

ولما أراد الله سبحانه طيّ صفحة مشرقة من صفحات هذا الوجود، وآذنت شمس مشرقة من شموس الهداية بالمغيب، وبلغت سن الشيخ قدس سره ستاً وسبعين عاماً هجرية، /٧٤/ ميلادية، فكان ذلك في أوائل شهر الصوم من عام ١٣٦٨هـ.

وكان الشيخ قدس سره في ذلك العام قد زار معظم ريف حلب والجزيرة، وكان - كما حدثنا أستاذنا الشيخ عبد الباسط رحمه الله - في صرّين من (الجزيرة) ووفود الإخوان والمحبين تتوافد إليه مسلّمة ومحيية، تعرض شوقها وحبها، وتتزود بتوجيهات الشيخ وأنظاره. قال شيخنا عبد الباسط أبو نزار: فكان كلما جاء وفد من الإخوان من قرى الجزيرة مسلماً مستمداً توجيهات الشيخ وتعليماته، يأمرني سيدي الشيخ أن أقوم فيهم

خطيباً معلماً ومرشداً ومبيناً آداب الشرع الشريف، وقواعد الطريق، وحقوق الأخوة الإسلامية. قال سيدي أبو نزار: فجاء ثلاثة عشر وفداً وقمت فيها ثلاث عشرة مرة في ذلك اليوم وذلك المجلس.

وقد سألت سيدي: ماذا تعني هذه القيامات ؟ فقال: إنها إشارة إلى قرب انتهاء أجل الشيخ رحمه الله وقدس سره.

أقول: وقد فهم منها كثير من الإخوة المحبين من العلماء أنها إشارة أيضاً بل دلالة على خلافة الشيخ عبد الباسط لأبيه، ولم تمض مدة طويلة بعد عودة الشيخ قدس سره إلى حمص، حتى كانت الأيام التي تدنيه من ربه جلَّ جلاله قد اقتربت، ودخل رمضان ذلك العام /١٣٦٨ هـ/ وفي اليوم الخامس منه، فارقت تلك الروح الجسد، إلى الرفيق الأعلى، وإن شاء الله تعالى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

وبكت حمص، وبكت حلب وحماه والجزيرة وأريافها، ودمشق، وكافة أحباب الشيخ، بكوا دموعهم دماءً، واضطربت أحوال كثير من الإخوان ولم يتحملوا الصدمة الكبرى بفراق شيخهم ومربيهم، إلا أنها سنة الله في خلقه، ومراده في أحبابه، أن يختارهم لجواره، ويدنيهم من رضوانه مهما طالت مدة حياتهم.

وهرع العلماء والإخوان والأحباب من كافة أطراف بلاد الشام إلى حمص ليشهدوا جنازة ذلك العالم الربّاني، والمرشد الكامل والمربي الفاضل ليشهدوا ذلك المشهد الفريد، كيف تضم الأرض بجنباتها حبيباً من أحباب الله، وكاملاً من العلماء العاملين.

وصُلِّيَ على الشيخ في الجامع الكبير، ودفن بجانب والده الشيخ سليم قدس سرهما العزيز، وفتحت مجالس العزاء في حمص في زاوية الشيخ لتستقبل عشرات الألوف من المحبين والمريدين، وكذلك في حلب ومنبج والباب،.. وغيرها.

واختار الأخوة المحبون في حلب أن يكون قبر شيخهم مميزاً، فصنعوا له أحجاراً لقبره هناك، وأقاموها عليها، فأنت تراها مميزة عن سائر (شواهد) قبور حمص، وتدرك أنها من أهل حلب، وقال الشعراء قصائدهم، وتكلم العلماء يثنون على الشيخ، وقد فصلنا كل

ذلك في محله من هذا الكتاب. وقد نقشت على الضريح هذه الأبيات التي نظمها الشيخ محمد كامل بدر الحسيني (البابي):

أ- من جانب رأسه:

حـــَيٍّ الضريحَ ومرقــدَ الإيــمـــان	فيه أبـــو النصـــر العظــيمُ الشـــان
غوثُ الطريـــق الـــنقشبنـــديِّ الذي	صَـــلُحَ الزمـــانُ بفيضـــه الربـــاني
قـــد كـــان للإسلام خـــير مـــجدد	ورث الهـــدى عن جـــده العدنـــاني

وكتب تحته هذه العبارة:

هذا ضريح المرشد الكامل الشيخ محمد أبو النصر خلف النقشبندي.

ب- من جانب الرجلين:

يا روضـــة سعـــدت بـــضم جنابه	مهـــوى الأحبـــة أنـــتِ والإخـــوان
لاقـــى بشهـــر الصوم وجـــه حبيبه	من بعد ما أســـدى يَـــدَ الإحســـان
ماضـــيك فـــي الأجيـــال؛ أرّخ أبلج	يـــا مرشـــداً لمعـــارج العرفـــان

وكتب تحت الأبيات:

هو الحي الباقي. توفي إلى رحمته تعالى ٥ رمضان ١٣٦٨ هـ، الموافق ١ تموز ١٩٤٩م.

ج- وكتب على الجانب الأيمن:

ســـقى المـــولى الثـــرى وجزاك منه	عـــن الإســـلام إحســـاناً عميمـــاً
ستبقى خالد التاريخ رمـــزَ الْـــ	محامـــد شـــيخنا البَـــرَّ العظيمـــاً

د- وعلى الجانب الأيسر:

أبا النصـــر المحبب قـــد فـــقـــدنا	بفقـــدك مرشـــداً وأبـــاً رحيمـــاً
أيـــا غـــوث الـــزمان بكاك جـــيلٌ	وُليـــت قيـــاده فغـــدا كريـــماً

صور من حياة الشيخ أبي النصر كما يرويها محبّان

الأول: العالم المحبُّ الشيخ محمد الحجار رحمه الله:

* **تواضع الشيخ أبي النصر وزهده:** وحكى لي أستاذنا الحجار في زيارة لي للمدينة المنورة عام ١٤٢٣هـ قال: كنت في زيارة شيخنا أبي النصر في حمص وكانت زوجته أم كلال في حلب، فقال لي: إن أم كلال في حلب، فنم اليوم معي في غرفتي، فامتثلت لأمره ونمت معه، وإذا الغرفة صغيرة متواضعة لها باب ونافذة على الشرق، وأيام الصيف حارة فقلت في نفسي: سبحان الله، هذه غرفة الشيخ، إنها مظهر التواضع والزهد، ولو شاء الشيخ أن تبنى له من ذهب لفعل أحبابه ومريدوه.

* وقد طلبت من أستاذنا الحجار ترجمة عن نفسه وفيما يتعلق بصلته بالشيخ أبي النصر، وذلك أثناء موسم حج ١٤٢١ فكتب إلي هذه الترجمة بخط يده عن شيخه أبي النصر قدس سره وهي:

هذه صورة موجزة عن حياة شيخنا الفاضل والمرشد الكامل الشيخ محمد أبي النصر سليم خلف رحمه الله تعالى.

نستطيع أن نتناول الحديث عنه مع الإيجاز السريع عن حياته المباركة من حيثيات:

١- حياته العلمية. ٢- حياته الروحية. ٣- حياته الاجتماعية. ٤- حياته المنـــزلية.

١- أما حياته العلمية:

فكان رحمه الله يحب العلم كثيراً، ويشجع عليه، ولا يرضى لكل من انتسب إليه أن يكون محروماً من العلم بعيداً عنه، كما يفهمه بعض من لا فقه له بأن الشيخ كان اتجاهه للذكر فحسب. نعم كان يرغب في الذكر لنفعه، وفي العلم لفضله، وكان رحمه الله، له

جلستان في حمص كل يوم في زاويته، صباحاً بعد الإشراق ومساء بعد العشاء، على قراءة كتاب مع بعض الإخوان من طلبة العلم، ويتدارسون فيها الحلال والحرام. ويتبادلون الحديث حول هذا ليخرجوا من المجلس بفائدة علمية نافعة. وله كل يوم بعد صلاة الظهر درس عام في الجامع الكبير، يحضره عامة الناس على قراءة كتاب يناسب المقام.

وكان – يرحمه الله – من أبرز علماء الشافعية في حمص المحمية في ذاك الزمن.

٢– أما حياته الروحية:

فقد تلقاها من والده مولانا الشيخ سليم قُدس سره، فخدم والده خدمة المريد الصادق لشيخه الكامل، وهذا أمر نادر الوجود، لأن أولاد المشايخ يغلب عليهم الحرمان، لزهدهم به بل وجهلهم بمقام أبيهم. فالشيخ رحمه الله تعالى على خلاف ذلك، إذ كان لا يسمح لأحد من الإخوان أن يتقدم لخدمة والده بوجوده.

ولذا كان استعداده كاملاً وإناؤه واسعاً لتلقي الفيوضات الإلهية، لصدقه وإخلاصه، لأن مقام الإرشاد مقام رفيع جداً، ووراثة نبوية.

وقد كان شيخنا رحمه الله يخلو الخلوات الطويلة لاشتغاله بالذكر القلبي على اختلاف أنواعه، وتباين أوضاعه: من لطائف، ونفي وإثبات، وغير ذلك.

مع قيامه رحمه الله بوظائف وطاعات تنوء عنها فطاحل الرجال؛ فله في اليوم والليلة أربعة أختام في أماكن مختلفة، صباحاً في الجامع الكبير بعد صلاة الفجر، ثم ينتقل إلى جامع التركمان بعد الإشراق، ثم يعود بعد العصر إلى جامع الكبير لإقامة الختم أيضاً، ثم بعد العشاء في جامع القصيّر، ويوم الجمعة يزيد خامساً بعد صلاة الجمعة في زاويته، يجتمع في هذه الأختام كثير من العلماء وطلاب العلم وغيرهم من الإخوان والمحبين.

٣– أما حياته الاجتماعية: كان له في السنة رحلتان: واحدة في فصل الربيع، وثانية في فصل الصيف، حدّث هنا ولا حرج عما يلاقي الشيخ من صعوبة شديدة، وحياة مريرة، من أجلاف العرب، وصبره عليهم وتحمل عاداتهم وطبائعهم المتنافرة، وأخلاقهم المتباينة، حتى يصل إلى المقصود من تبليغه دعوة ربه، وإنقاذهم من أوحال الدنيا ومشاكلها، لأنهم

كانوا لا يعرفون من الحياة سوى القتل والسلب والنهب، فالقوي يفترس الضعيف، والغني يقضي على الفقير، والغزو بينهم قائم على قدم وساق، فلما عرفوا الشيخ وصحْبوه إذا بهم قد تغير وضعهم، وحسُن حالهم، واستقام شأنهم، وانصاعوا إليه واستسلموا له.

وهذا أمر اعترف به القريب والبعيد، وكان رحمه الله تعالى، إذا تفرَّس بشاب من شباب القرى والأرياف، استعداده للعلم، ينقله رأساً إلى المدينة، ويرغبه ويحببه فيه، ويوصي مدراء المدارس به، ليحسنوا رعايته، فأثَّر على عدد كبير من هؤلاء. وكان رحمه الله يحب السّنة ويحافظ عليها ويكره البدعة وينفر منها، وإليك صورة من هذا:

دُعي الشيخ رحمه الله لعقد صلح بين فئتين في إحدى القرى أيام الشتاء، والبرد شديد، وكان اليوم يوم جمعة، وإذا به كعادته طلب من رب المنــزل ماء لغسل الجمعة، فاغتسل وقال لي: أبقيت لك ماء لتغتسل، وأنا منذ ذاك الزمن أتذكر هذا الدرس العملي لسنية غسل الجمعة، كلما نازعتني نفسي بتركه لشدة البرد أو غير ذلك.

ويكره التصوير بأنواعه، ولا يسمح لأحد أن يصوره، أو يقتني له صورة.

(أقول: إن صوره انتشرت بعد وفاته قدس سره).

٤- أما حياته المنــزلية:

فكانت زاويته من أبسط البيوت فرشاً، بعيدة عن التكلف الدخيل علينا، ففرشها من البسط البسيطة، ووسائدها من القش المتواضع، وليس على بابه حُجّاب يحجبون الزائرين عنه إلا بشكل رسمي، فمن أحبه ورغب بمواجهته يجد الطريق سهلاً معبداً.

وكان رحمه الله مضيافاً يحب الأضياف ويكرمهم، ويقوم بخدمتهم بنفسه، يحمل طشت العجين مع ثقله على كتفه إلى الفرن.

وكان لباسه - رحمه الله - من أبسط اللباس لا يتكلف للباس خاص، يُعرف به عن جلاّسه، كما يفعله بعض الدخلاء على هذا السلك. وليس له كرسي برّام مرتفع ليشار إليه، كان يحمل حاجاته البيتية بيده من السوق. وكانت غرفته للنوم على غاية من التواضع، فقال لي يوماً وأنا عنده: أم كلال هي في حلب نم عندي، وإذا بغرفة شرقية،

مكونة من باب وشباك فحسب، فليس هناك مروحة ولا مكيف، فقلت في نفسي كيف يستطيع الشيخ أن ينام في هذه الغرفة ؟

وهكذا عاش رحمه الله متواضعاً، ولحق بربه متواضعاً، ولم ينل من الدنيا ولا الدنيا نالت منه، مع كثرة مريديه، وكثرة محبيه، ولو أراد لصيغت الزاوية من ذهب، فهذه كلمة موجزة عن حياته رحمه الله تعالى.

ثم نختتم هذا الموضوع بتذكر بعض مآثره، وخوارق من العادات التي شاهدتها منه أوائل صحبتي له:

١- كان الشيخ رحمه الله تعالى في حلب أيام الربيع، وطلب مني أن يتناول طعام الغداء في دار والدي، وكان اليوم يوم جمعة، وكان له ختم في جامع العثمانية، فقال لي: بعد الختم نتوجه إلى بيتكم. فعرضت الأمر على والدي - وكان من أهل الكرم والسخاء - فتلقى الأمر بصدر منشرح رحب وقال لي: كم عدد الأشخاص المرافقين للشيخ ؟ فقلت: ما بين الخمسة والستة، فاشترى في ذاك الزمن رطل لحمة، يعني ما يعادل ٣ كغ تقريباً، فلما صلى الشيخ الجمعة، دعاني إليه وقال لي: نحن على موعدنا ؟ فقلت: نعم. فقال لي: قل لفلان وفلان وذكر عدداً كبيراً. وكان كثيرون ممن يسمعون بأن الشيخ عندي يأتون، حتى غص البيت بالإخوان، فلما رأى والدي هذا المشهد انكمش في نفسه، وأراد إحداث طعام آخر، فلحظ الشيخ - رحمه الله - هذا عن طريق الكشف فقال لوالدي: ضع الطعام، لقد جعنا. أو كلمة في هذا المعنى، فوضعناه وجلس الشيخ حتى الأخير، فأكل الجميع ومن في البيت من زوار سمعوا بالشيخ فجاؤوا أيضاً، فكان لهذا المشهد أثر كبير في نفس والدي وغيره من قريب وبعيد.

٢- والكرامة الثانية: كنت عنده في حمص في إحدى الزيارات فلما انتهت الزيارة وأنا جالس بجانبه، وكنت مستصحباً معي منشفة جيدة وكانت معلقة بجدار الزاوية، فوقع في نفسي إبقاؤها للزاوية أمام الشيخ، فإذا نظر إليها تذكرني فأكون بهذا سعيداً، وهو خاطر خطر لي، وإذ بالشيخ يقول لي: نحن نذكرك بدون شيء. وهذه الكرامة ذكرتها في كتاب

بستان العارفين لإمامنا النووي رحمه الله بمناسبة ذكره لكرامات الأولياء.

الثاني: المنشد المحب الشيخ عيسى الحصري[1]:

وهذا الراوي هو من منشدي الشيخ أبي النصر ومن الشباب الذين كانوا يلزمون الزاوية (في جامع أبي ذر) في الجبيلة بحلب يوم يأتيها الشيخ ويحضر ليلة الجمعة فيها، وبعد أن يغادر الشيخ إلى حمص، كانت ملازمتهم لها في الليلة الأسبوعية، هو والحاج محمد علي الفتال وعبد الوهاب شمالي وحاج مصطفى حبوش وغيرهم من الإخوان المنشدين كالحاج عبد الرحمن برصة.

والحاج عيسى حفظه الله وأمد في عمره مع العافية، قعيد بيته الآن لعجزه وضعفه، ولكنك إذا ذكرت شيخه أبا النصر، تراه كأنه عاد شاباً كما كان على عهد الشيخ، زرته في أواخر شوال عام ١٤٢٣ هـ، (أول كانون الثاني ٢٠٠٣) بصحبة الأخ المحب الحاج أحمد مجدمي، وطلبت منه أن يقص علينا من أنباء سيدنا الشيخ أبي النصر ما ينعش فؤادنا، فحركت الذكرى كوامن الحب في قلبه وتنشط جسمه، ووثب فؤاده يسترجع ذكريات مضى عليها أكثر من ستين عاماً فقال: أول ذهابي إلى حمص، كنت شاباً، صحبت رفيقاً لي، وكان هذا في الشتاء في (الأربعينية). توجهنا مساءً ووصلنا حمص الساعة /٤/ زوالي، أي بعد غياب الشمس بأربع ساعات، وهذا ما يعادل الساعة الثامنة والنصف في كانون الثاني، وتعرفنا أثناء ركوبنا السيارة إلى حمص على ابن عمٍ لشيخنا، اسمه (عبد الباسط) ولما عرف وجهتنا ومقصودنا من الزيارة قال: الشيخ ابن عمي، وأوصلنا إلى بيته، وحملنا معه حقائبه الأربعة، وقبل أن يفتح الشيخ الباب قال: أهلاً وسهلاً بعيسى، (وأنا متعب، جائع، نعسان). وقال الشيخ: تفضلوا، ودخلنا الزاوية، وبعد السلام عليه، صار يواسينا ويسألنا عن مشايخ حلب، فسألنا عن الشيخ عيسى البيانوني، والشيخ عثمان المارعي، وبقية الإخوان من العلماء والأحباب، فقلنا: هم بخير يريدون رضاكم، قال الشيخ عيسى:

[1] توفي هذا المحب المولَّه والمريد الفاضل في حلب عام ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م

(وأنا بقلبي أطلب الطعام)، ولما مضت برهة من الزمن، قال الشيخ: ألا تأكلون ؟ قلنا: نعم، نأكل. فدخل الشيخ البيت وأحضر كمية من الخبز الرقيق الذي تختص به حمص، ومعه صحن فيه طعام (مسقعة خضار)، فلما رأيت الصحن، قلت في نفسي: أليس عند الشيخ غير هذا ؟ إنه لا يكفيني وحدي ! أنا آكله كلَّه !، فأكلنا وشبعنا، نحن اثنان ومعنا الشيخ وبقي نصف الصحن، وشبعنا شبعاً كافياً، فقال الشيخ: ضعوا الصحن في الكتبية (وهي خزانة بجانب الباب) جانب الخابية، فوضعناه، ثم قال: افرشوا وناموا، - وأنا أحس أنني بحاجة للنوم، ونوم عشرة أيام متواصلة لا يكفيني - ونمنا، وقبل الفجر بساعة استيقظنا، وكيف ؟ وأنا المستغرق في النوم ؟! فمنذ أن توجه الشيخ من بيته قادماً إلينا فتحنا عيوننا، فقال: إلى الجامع الكبير، فذهبنا أنا ورفيقي، وقد لزمني الغسل من جرّاء احتلام ليلي، إذ أنا شاب في مقتبل عمري، فقلت: تعزّيت على عمري ! فقال الشيخ: ما معنى تعزيت على عمري ؟! فقلت: يا سيدي لزمني غسل ! فقال الشيخ: الحق علينا، لو كنا لاحظناك ما احتلمت، خذ هذا (برغوت كبير) وهي عملة عثمانية تعادل بضعة قروش من الليرة، واذهب إلى الحمام جانب الجامع الكبير واغتسل، وعد إلينا، فقلت: أنا معي دراهم، فقال: لا الحق علينا. فاغتسلت وأدركت الصلاة في الجامع، ثم حضرنا مع الشيخ الختم النقشبندي في الغرفة المجاورة للمحراب، وبعدها توجهنا مع الشيخ إلى جامع التركمان، وكانت الشمس قاربت الشروق، فقرأ ختماً ثانياً مع طلوع الشمس، وصلينا الضحى، ثم بعد ذلك عدنا للزاوية.

وقلت في نفسي: الآن أنام، وإذا بطلاب العلم من إخوان الشيخ، يتوافدون الواحد تلو الآخر، كلهم لفّات بيض (عمائم) وأنا أدافع النعاس، فقرأ الشيخ لهم الدرس، وذلك إنَّ كل واحد منهم يقرأ حديثاً ويشرح الشيخ لهم، وبعد انتهاء الدرس انصرفوا، فالتفت إليَّ الشيخ وقال: اعمل لنا زهورات، فعملتها وشربنا، ثم قال: أحضر الطعام، فتناولت صحن الطعام الباقي من مساء أمس، وأحضر الشيخ الخبز من البيت، وأفطرنا وشبعنا والحمد لله نحن الثلاثة وأكل معنا اثنان من الإخوان الحاضرين، وفضل من صحن الطعام شيء. فقال

الشيخ: ضعه في الكتبية، فقلت في نفسي: هذه الشغلة ما صارت معي، إن شاء الله نتعشى من الصحن أيضاً ؟! فلما انصرف الشيخ إلى البيت، قلت في نفسي: سوف آكل ما بقي من هذا الصحن، بلقمة واحدة متى ذهب الشيخ، فما أنهيت حديث نفسي حتى رجع الشيخ وقال: هات الصحن، فأعطيته إياه، وأخذه معه إلى البيت.

وبعد الفطور وانصراف طلاب العلم، قلت في نفسي: أنام الآن، وإذا بالإخوان المحبين يتوافدون إلى الزاوية، وقام مجلس الإنشاد وقعد، وصرت أنشد معهم وأبكي معهم، وتعالى البكاء والوجد، وقام من يفتل (يدور) واستمر الإنشاد حتى الظهر، فلما أذن الظهر، توجهنا مع الشيخ إلى الجامع الكبير، فصلينا الظهر معه، وقرأ درساً عاماً للناس، وبعد انتهاء الدرس عدنا معه إلى الزاوية، ومرّ بطريقه على دكان الشيخ عبد الجليل مراد، فجلس عنده قليلاً، ثم توجهنا إلى الزاوية، فقدم الشيخ لنا الطعام..، وبعد الغداء توجه الشيخ إلى جامع القصيّر ونحن معه، وجلس إلى الشيخ راغب الدويري يتذاكران في العلم حتى صلاة العصر، فصلينا العصر هناك، ثم قرأنا الختم مع الشيخ، وعدنا للزاوية.

وفي الزاوية حضر جمع من الإخوان والمحبين، وانعقد مجلس الذكر والإنشاد، وفتل من فتل، وبكى من بكى، واشتعلت أحوال الناس ومواجيدهم حتى المغرب، فصلينا المغرب، ثم قدَّم لنا العشاء، وأحضر من البيت صحناً فيه (سلق محشي)، وهذا الصحن هو غطاء طنجرة صغير، ولو أردت أن أعد تلك المحشيات التي فيه لعددها، ولو أردت أن آكلها وحدي لفعلت، فأنا شاب، وفي تمام صحتي وعافيتي، ولا أزال عزباً، فتعشينا من هذا السلق ومن حضر معنا، وزاد من الطعام فأعاده إلى البيت، ثم توجهنا إلى جامع القصيّر، فقرأ الختم في الجامع، وبقينا هناك حتى الساعة /٤/ زوالي، أي بعد المغرب بأربع ساعات، ثم عدنا إلى الزاوية.

واستمر الحال معنا هكذا كل يوم؛ (وبقينا أربع ليالي وأيام) سهر حتى الساعة /٤/ أو /٥/ واستيقاظ عند الساعة /٨/ عربي، إي أننا ننام أربع ساعات فقط في ليالي الشتاء الطويلة، ورغم نعاسنا واستغراقنا في النوم، فكنا نستيقظ ونهب من فرشنا بمجرد أن يخرج

الشيخ من بيته متوجهاً إلى الزاوية، وكان بيته مقابل الزاوية، أي والله ما هذا السرّ ؟! بمجرد توجه الشيخ إلينا يستيقظ كل من في الزاوية، فنفتح له الباب ويدخل علينا، ويصحبنا إلى الجامع الكبير لنحضر الصلاة والأختام والدروس والإنشاد، فقلت لرفيقي في اليوم الرابع: سوف أعمل اليوم عملية أشبع بعدها نوماً، إذ أنني في ذلك الوقت لو نمت عشرة أيام متواصلة لفعلت من كثرة حبي للنوم، فما هي العملية ؟! قلت: سنغلق نوافذ الزاوية الخارجية، البلور، والخشب، وسوف أغلق الباب بالدرابيس الكبيرة (بالجناكل) الموجودة وراء الباب، فإذا جاء الشيخ وجدنا نائمين، والباب مقفل، فمن أين يدخل، سيتركنا ويذهب إلى الجامع الكبير يصلي دوننا، ونحن نصلي الصبح هنا ثم ننتقل للغرفة المجاورة فنكمل نومنا حتى إذا جاء الشيخ ومعه الإخوان لا يزعجوننا في نومنا، ولا نكون في محل دروسهم وإنشادهم، وبَيَّتْنا هذا الأمر أنا ورفيقي، وبعد انصراف الشيخ نَفَّذْناه، وأَرْتَجْنا الأبواب بالجناكل، وأغلقنا الشبابيك، ونمنا بعدما فرشت فرشتين لي، وأخريَين لزميلي، من فرش الزاوية الكثيرة، واطمأننت أن الأبواب والنوافذ مغلقة ومرتجة.

ولكن هذا الأمل بطول النوم لم يدم ولم يطل، وما أن صارت الساعة /٨/ قبل الفجر، وإذا بي أجد الشيخ بجانب الفراش، ورأسه أمام رأسي، ولكنه أكبر مما هو، إن رأسه يملأ الغرفة، فخفت وفزعت، وكاد رأسي ينفلق، فقلت مندهشاً: شيخي أنا دربست الباب، وأنت من أين دخلت ؟! فصار الشيخ يبكي ويقول: إلهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي. فانشكل لساني (ارتبط) من رعبي، وصارت تنتابني الأحوال والصياح، وتوجهنا إلى المسجد مع الشيخ، وأنا لا أزال أصيح في الطريق، والمطر ينهمر عليّ، والذهول والدهش، والأحوال الغريبة تنتابني، لا أدري كيف صليت، ولا كيف حضرت الختم، ولا كيف انصرفت وعدت إلى الزاوية، ثم الجامع الكبير، وأنا لا أزال أصيح وأبكي، ولا أدري ماذا أتكلم، فقال الشيخ للإخوان: خذوه، وزوّروه الشيخ سليم، وبعدها خذوه إلى سيدنا خالد. فأخذوني إلى سيدنا سليم، ثم إلى سيدنا خالد، وأنا لا أدري مَن أزور من شدة الأحوال، وفي الطريق اشتروا برتقالاً وأطعموني، فكنت آكل البرتقال مع قشره وأنا غير صاحي، ثم عدنا إلى الزاوية، ودُعيَ

الشيخ إلى بيت صهره الشيخ محمود السباعي، وأنا لا آكل ولا أشرب مع هذه الأحوال، ولما دام معي هذا الحال، شكا رفاقي أمري إلى الشيخ فقال: هاتوه. فوضع جبينه على جبيني وكأن صدمة كهربائية قد أصابتني فصحوت بعدها تماماً، وفي صباح اليوم التالي قلت: شيخي إلى حلب، فأذن لي وجئت. اهـ من حديثه.

أقول: هذه بعض أيام الشيخ في الحضر، وفي السفر أمثال هذا وأكثر، لقد كان الشيخ رحمه الله وقدس روحه يوظّف كل دقيقة من وقته في الدعوة إلى الله وفي طاعة الله لنفسه وإخوانه، منذ أن ألقيت عليه مسؤولية دعوة الخلق إلى الحق حتى لقي ربّه راضياً مرضياً.

ترتيب فصول وقطوف سيرة أبي النصر

بعد هذا (الطلّ المبارك) من السيرة العطرة لشيخنا أبي النصر رحمه الله تعالى وقدس روحه، لا علينا أن نستمتع (بالوابل الصيّب) من الكلام الطيب، لدرة هذا العصر، وفخر أهل الذكر شيخنا أبي النصر..

وسنعرض بعون الله وتوفيقه فيما يأتي من الصفحات، نماذج كثيرة عما أوردناه، وشواهد حيّة على ما أسلفناه في صفحات حياة إخوانه ومريديه، وتلاميذه ومحبيه من العلماء والعامة، مما جرى معهم، وحُدّثنا به، أو كُتب عنهم، أو شافهونا به، أو عشنا جزءاً منه في أبحاثنا التالية:

المبحث الأول: في نبذ وقطوف من كراماته رحمه الله، وما خصه الله به من عناية وإكرام، وأكرم به أحبابه في حياته وبعد وفاته.

المبحث الثاني: آثاره في إخوانه وأحبابه بعد وفاته.

المبحث الثالث: ما قاله الشعراء فيه من مراثٍ ومدائح، وقصائد وأشعار.

المبحث الرابع: علاقته بالعلماء وأهل الطرق الأخرى.

المبحث الخامس: آثار تربيته في مريديه من الإخوان والأحباب (عامة الإخوان).

المبحث السادس: أثار تربيته في مريديه من العلماء الكرام.

تنويه في تنبيه:

وفي الحقيقة فإن هؤلاء الأعلام من العلماء الذين تربوا في مدرسة الشيخ أبي النصر، أو انتفعوا بأنظاره وألحاظه، وتزكيته وتربيته، يستحق كل منهم أن يُفرد له تأليف خاص، وكتاب مستقل، فإنهم كانوا مدارس تربية وتزكية، وروضات علم يانعة نافعة، وملاجئ

لعامة المؤمنين، وكهوف عناية لعباد الله أجمعين، وقد انتفع بهم، ولا زال ينتفع الجمُّ الغفير، والخلق الكثير، من هذه الأمة، ولا تزال آثارهم باقية، ونفعهم جارياً، فرحم الله من انتقل إلى جوار ربه منهم، وأمدَّ الله في عمر من بقي مع العافية، ونفعنا والمسلمين بهم، وجمعنا وإياهم مع أشياخنا من رجال هذه السلسلة المباركة في مستقر رحمته تحت لواء سيدنا المصطفى ﷺ.

ومما يجدر ذكره، أنهم كلهم يردُّون الفضل لأهله، وينسبون نفعهم وتزكيتهم، وتربيتهم لشيخهم أبي النصر، خلافاً لما يتقوله بعض محبيهم من قصار النظر، أو محدودي الفكر، وقديماً قالوا: (عين المحب ضيقة لا ترى إلا محبيها).

وقد أفرد لبعض هؤلاء السادة من العلماء الذين تخرجوا من مدرسة أبي النصر الإيمانية، وتزكوا بتربيته الربانية، تآليف قام بها تلامذتهم ومحبوهم، وكلهم ذكروا فضل سيدي أبي النصر عليهم، وسأشير إلى هذه التآليف عند النقل منها، كلٌّ في حينه، وأنسب الفضل لأهله، وأعزو ما نقلت منهم إليهم.



ومما يجب أن يلاحظ، وخاصة في تراجم من نذكرهم من العلماء الذين تلقوا الطريق عن سيدي أبي النصر ما يلي:

١- أن منهم من حصلنا على ذكرياته وصلته بالمرشد الكامل الشيخ أبي النصر إما مكتوبة في كتاب، أو منقولاً عنه شفاهاً أو بواسطة من سمعها منه، فكان الحديث فيها عن الشيخ أبي النصر وافياً نوعاً ما.

٢- ومنهم من لم نحصل على مزيد حديث عن علاقتهم بالشيخ سوى ارتباطهم به وأخذ الطريق عنه، وذلك بسبب عدم تدوينه - نظراً لوفاتهم - أو لعدم من يعرف عنهم هذا الارتباط وتفاصيله.

٣- ومنهم من لم يستمر في السير بالطريق بعد وفاة الشيخ لانشغالهم بالعلم، أو لأسباب

أخرى، وقد ذكرنا وترجمنا لكل من علمنا صلته بسيدنا الشيخ أبي النصر من هؤلاء السادة العلماء وغيرهم من المحبين راجين من الله سبحانه القبول، وأن يلحقنا بهم، وأن يجعلنا وأولادنا وأحفادنا وأحبابنا معهم في مقعد صدق عند مليك مقتدر.



وإني والحمد لله؛ وقد أكرمني الله سبحانه بأن قبّلت يدي سيدي أبي النصر منذ طفولتي، والتقيته مراراً عندما كان يحلُّ ضيفاً في بيت جدي وعمي رحمهم الله جميعاً، أرجو أن تكون أنظاره وأعطافه شملتني.

كما أسعدني المولى بصحبة وملازمة خليفته من بعده سيدي الشيخ عبد الباسط أبي النصر، ولده الكريم، حتى وفاته، ونلت بركة أنظاره وألحاظه، وأحاطني وإخوتي بالرعاية والعطف، والحنو واللطف، ولازمته في أشد حالات اضطراب الأمن وكثرة الخوف، فأسبغ عليَّ وعلى أخي عبد الله من كريم عنايته، ولطيف معشره، وسديد نصحه ما لا أنساه، رحمه الله ونوّر مرقده.

كما أكرمني المولى أيضاً والإخوة بملازمة خليفته من بعده الشيخ إسماعيل عبد الخالق ابن شيخنا عبد الباسط، ونرجو الله سبحانه أن يوفقنا لحسن الصحبة، والقيام بحقوقها، ويديم علينا إرشاده وإمداده، رغم تقصيرنا وعجزنا عن القيام بواجبنا تجاهه، حفظه الله وزاده علماً وتقوى، ونوراً وهداية.

المبحث الأول

نبذٌ وقطوف من كرامات سيدي أبي النصر وما خصَّه الله تعالى به من عناية وإكرام

مقدمة عن الكرامة:

وكرامات الأولياء لا جدال فيها ولا مراء، وقد ذكر الله سبحانه منها في كتابه الكريم، وحدّث بها الرسول الرحيم ﷺ، ولكن بعض قاصري النظر يؤمنون بوجودها ولا يصدِّقون بوقوعها من معاصريهم غالباً، لأنهم يظنون أن الكرامات يجب أن يكرم الله بها عباده بعد أن يستشيرهم، ونظرتهم إلى أولياء الله سبحانه من معاصريهم أو سابقيهم كنظرة الذي قال: ﴿ألم نربِّك فينا وليداً﴾، أي: فمتى أصبحت نبياً ؟!

وهؤلاء لا ينظرون إلى أولياء زمانهم إلا أنهم كانوا معهم فلماذا أكرمهم الله، ولم يكرمهم، وشأنهم أيضاً كما قال الملأ من قريش: ﴿لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم﴾، ألم يجد الله سبحانه من ينـــزل عليه القرآن غير يتيم أبي طالب ؟!

ولذلك نسأل الله لهم الهداية وأن يوسِّع عقولهم وينفعهم بما علموا، وينفعهم بصالحي زمانهم ويزيل الغشاوة عن أعينهم، والكبر عن قلوبهم، وهو وحده المستعان وعليه التكلان.

وقد قال علماؤنا: إن كرامة الولي هي استمرار معجزة النبي ﷺ، فهي للأولياء كرامات تمر، وللأنبياء معجزات تستمر.

وقد أكرم الله سبحانه شيخنا بكرامات تفوق الحصر، وكما أسلفت، ما من رجل من أحبابه وإخوانه التقاه إلا وله معه كرامة، وكم كاشف ناساً بما في نفوسهم، فحدَّثهم بما

فيها قبل أن يقولوه، وأجابهم عن تساؤلاتهم قبل أن يسألوه، وكانت نظراته النفّاذة إليهم مدداً نورانياً بقلوبهم يحسونه، وبأنظارهم يتلمسونه، وكم شفت يده الكريمة من مريضٍ، وهزّت من قلوبٍ فارتعشت أجسادها، وكم كثَّر الله الطعام على يديه، وكم أنقذ الله من المعاصي من التزم طريقه وسلَّم قياده إليه !

❖ ولننقل هنا من كرامات سيدي الشيخ أبو النصر ما كتبه أخونا الأستاذ العلاّمة الشيخ عبد الحميد طهماز [1] في كتابه الماتع عن شيخه الأستاذ العلامة المجاهد الشيخ محمد الحامد. قال في ص ١٩٧:

(وإني أعتقد أن أعظم كرامات الشيخ أبي النصر رحمه الله تعالى، احتلاله لهذه المكانة العالية في قلب سيدي الحامد رحمه الله...، فقد كان سيدي رحمه الله يقول: لم يكسر رأسي من الشيوخ غير أبي النصر، ولهذا قصة، (وقد أثبتناها في ترجمته مع تراجم العلماء الحمويين من هذا الكتاب فارجع إليها)، وبعد أن ذكر الشيخ طهماز قصة التقاء الشيخ الحامد بالشيخ أبي النصر وتسليمه له وندائه أمام الناس قائلاً: أشهد أنك يا أبا النصر على حق.

قال: هذا يوم من الأيام المشهورة في حياة سيدي، وفيه حصل له هذا التحول العظيم والانتقال الكبير ببركة شيخه أبي النصر رحمهما الله جميعاً، وإلى هذا أشار رحمه الله بقوله: إنه الذي أخرجني الله تعالى به من ظلمات الغفلة والقسوة والشرود، إلى نور الذكر والرقة والوقوف بباب الله سبحانه في ذلة وضراعة لهذا الرب الكريم، إنه الذي ملأني بتوجيهات قلبه الشريف، وكم طهَّرت فيوضاته من أسرار، وأزاحت من أكدار، وأعلت من همم، وأنجت من نقم، كم أنقذ من غرقى في بحار الطغيان، وكم جلا عن القلوب مِن رين العصيان، وكم أبكى من عيون الناس عيوناً، وكم ألقى في ضمائرهم سراً مكنوناً، كان من الصديقين الراسخين الذين لهم قوة إشعال الحال في مريديه على القرب والبعد، وقد سمعته يقول: القرب والبعد عندنا واحد، من لم ينفعك بعده لم ينفعك قربه، وكراماته التي أكرمه الله بها من خوارق العادات كثيرة جدّاً جداً) اهـ منه.

---

[1] اقرأ ترجمته في بحث تراجم علماء حماه.

* (أقول: ولقد سمعت من فضيلة الشيخ الداعية العالم الفاضل الشيخ مصطفى تركماني الدمشقي حفظه الله [1] في بيت أخينا الشيخ عمر ناصح نعساني: أنه سمع من الشيخ محمد الحامد من فمه يحدثه، أنه رأى الشيخ أبا النصر في المنام مرتين، يقول له أن القبر سينهار عليه، فلما كشفوا القبر لإصلاحه وجدوا الشيخ على حاله وكفنه وهيئته يوم دفن).

عود إلى حديث الشيخ عبد الحميد طهماز:

* ومن هذه الكرامات ما سمعته من الشيخ منير لطفي [2] – من علماء حماة الصالحين – فقد سمعته يحدِّث: أنه كان إذا زار الشيخ أبا النصر في حمص، وأستأذنه بعد ذلك للعودة إلى حماه، لا يأذن له، ويأمره بالانتظار، ثم بعد ذلك يأذن له فجأة، فيذهب إلى موقف السيارات، فيجد السيارة على وشك التوجه إلى حماه فيركبها، ويعود فوراً دون انتظار ركاب آخرين.

ولقد حدثنا سيدي – رحمه الله تعالى – كثيراً عن كرامات شيخه أبي النصر وأشهرها شفاء الله تعالى ببركة دعائه لامرأة مشلولة، حُملت إلى بيته حملاً، وخرجت منه بعد قليل تمشي بصحة وعافية، ولقد اشتهر عنه أن الله سبحانه وتعالى، يكشف له مخبآت النفوس، وأسرار القلوب، فكان يقرأ ما في نفوس مريديه، ويخبرهم عن طوايا قلوبهم، ولقد سمعت من سيدي رحمه الله أن الشيخ عيسى البيانوني[3] – من كبار علماء حلب – قدم إلى حمص لزيارة الشيخ، وكان في الطريق يتساءل عن أبي الهدى الصيادي رحمه الله تعالى، وعن رأي الشيخ أبي النصر فيه، ولما التقى الشيخ على مشارف حمص، متوجهاً إلى قرية تلبيسة ابتدره الشيخ قائلاً: (الشيخ أبو الهدى رجل صالح، ولكن للناس مطاعن فيه).

وما من مرة جلس رحمه الله تعالى إلى مائدة الطعام إلا وبارك الله فيها، وكفت الجموع الكثيرة التي تلتف حول الشيخ حيثما حلّ وأينما اتجه، ولذلك كان رحمه الله يبقى جالساً

---

[1] توفي رحمه الله في دمشق، تموز ٢٠٠٤.

[2] ترجمته في بحث علماء حماه من هذا الكتاب.

[3] ترجمته في بحث علماء حلب من هذا الكتاب.

على المائدة حتى يأكل كل الناس، ثم يقوم عنها ويأمر برفعها.

ولو أردت أن أستقصي كراماته كلها، لاحتجت إلى كتاب مستقل، ولكنني أكتفي بهذا الغيض من الفيض، ملتزماً المبدأ الذي ذكرته في بحث الكرامات، وهو **الاستقامة عين الكرامة**، واستقامة الشيخ أبي النصر أجمع عليها كل من رآه وعرفه رحمه الله تعالى، فما كان رحمه الله تعالى يترك قيام الليل.

ولقد سمعت من سيدي: أن الفجر ما كان يطلع على أبي النصر، حتى يذكر الله ثمانين ألف مرة، وكان كثير القراءة للقرآن الكريم، وخاصَّة قبيل وفاته.

توفي رحمه الله تعالى ورضي عنه وقت السحر، من ليلة الجمعة الخامس من رمضان سنة ١٣٦٨ هـ، وقد انكشف بعد سنة مرت على وفاته حجر من فوقه في عملية حفر، ففاحت رائحة زكية من قبره الشريف، ورؤي الشيخ قدس سره بحاله التي دفن عليها لم يتغير ولم ينتن. رحمك الله يا سيدي، يا مرشد الحائرين، وشيخ السالكين، ونور قلوب العارفين. اهـ منه.

وسوف نرى في البحوث التالية عند الحديث على آثاره في مريديه من العلماء والعامة حال حياته وبعد مماته الشيء الكثير الذي يثلج الصدر ويقر العين، إضافة إلى ما سنذكره في هذا البحث فنقول وبالله التوفيق:

١- نجاة ركاب السفينة في الفرات من الغرق:

وهذه الحادثة مشهورة بل ومتواترة وسمعتها مراراً من سيدنا الشيخ عبد الباسط رحمه الله، يحكيها لنا، كما سمعتها من الحاج بكري ملاحفجي مراراً، وقد كنا بضيافة أخيه الشيخ عمر ملاحفجي في منـزله بحلب بعد عودته من الحجاز يوم ١٢ جمادى الثانية ١٣٩٩ هـ، الموافق ٨ أيار ١٩٧٩م، على شرف شيخنا الشيخ محمد علي المراد (الحموي) رحمه الله تعالى، وبحضور الأساتذة أحمد مهدي الخضر، عمر زيتوني، عبد الله المسعود، والحاج مصطفى حسين الترك، فحدثنا الحاج بكري عن هذه الحادثة باعتبار أنه كان فيها مع الشيخ أبي النصر قدس سره وكتبتها في دفتري وقت حديثه لنا فقال: كنت أخرج بصحبة سيدنا الشيخ أبي النصر في جولاته السنوية إلى الجزيرة، وقرى محافظة حلب، أثناء الحرب

العالمية الثانية ١٩٣٩-١٩٤٠م، وخرجنا مرة مع الشيخ نريد اجتياز الفرات من الشامية إلى الجزيرة، تلبية لدعوة الحاج محمد الزبعات، من عشيرة (الولْدة) ولما ركبنا السفينة وكانت تتسع لحوالي /١٥٠/ رجلاً، وركب إخوان الشيخ معه، وزاد العدد عما تتسع السفينة، وكان من العلماء الحاضرين مع الشيخ من إخوانه، الشيخ محمود السباعي والحاج عبد الجليل المراد، والحاج عبد العزيز الديك (من حمص)، وجمع غفير من الإخوان، ولما وصلنا منتصف النهر، وكان الوقت نهاية الربيع تقريباً، - وزمن الفيضان للفرات - وإذا بربان السفينة الذي يقودها وبيده خشبة تسمى (المرْدة) يلقيها في النهر، فاضطربت السفينة بعدما أصبحت وسط النهر، وتغير اتجاهها، وصارت تتقاذفها الأمواج، وصارت تميل يمنة ويسرة، وبدأ الماء يتسرب إلى داخلها من جراء الميل، وصار الناس في ضوضاء وخوف عظيم، ولما أحسّ الشيخ بحال الإخوان - وكان أغلب وقته مطرقاً مراقباً - مشى إلى مقدمة السفينة، ووقف تجاه الإخوان، ونادى بصوت عال، وقد تغير حاله: هُو. (ومدّها) وظهر عليه الانفعال الشديد، ثم قال: بابا، بابا، سليم. عدة مرات.

قال محدثي الشيخ بكري: فما أحسسنا إلا بالسفينة وكأنها تسير بسرعة محرك نفاث، وليس بمجداف، وتتجه نحو (حويجة) في منتصف النهر، مخالفة ما كانت متجهة إليه، ووصلت شاطئ الحويجة، فنزل الشيخ والإخوان بسلامة الله، ولم يصب أحد منهم بأذى، ولو تأخر الوقت دقائق لغرقت وغرق من فيها.

ولم تمض برهة من الوقت على هذا الحال حتى وصلت بعض السفن الصغيرة إلى الحويجة، لتنقل الإخوان تجاه بر الجزيرة، ولما ركب الشيخ والإخوان فيها، ظنوا أن مرسلها هم أهل الجزيرة، وتبين بعد الوصول إلى البر أن من أرسل السفن هو المستشار الإفرنسي الذي أوغر صدره تجمع الناس حول الشيخ أبي النصر، فأوعز لربّان السفينة بإغراق الشيخ وإخوانه لقاء ما يريد من المال، ولما نزل الشيخ إلى البر مع إخوانه، كان المستشار الإفرنسي قد صفّ جنوده فأدوا التحية العسكرية للشيخ، وأطلق من مسدسه عدة طلقات تحية للشيخ، ثم تقدم منه يحمل رزمة من الأوراق المالية وقدمها له، فالتفت الشيخ إلى

الإخوان وقال: يا بكري ماذا يريد ؟ هل يريد مالاً ؟ أعطوه المال، فلدينا المال الكثير والحمد لله. ورفض الشيخ أن يأخذ قرشاً واحداً.

وقد ذكر هذه الحادثة أستاذنا الشيخ أديب في كتابه آلاء الرحمن، عندما تحدث عن كرامات الشيخ أبي النصر، وذكرها أيضاً الشيخ طهماز في ترجمة الشيخ الحامد، وذكرها لي أستاذنا الشيخ وصفي مسدي أيضاً، وقد سمعتها من فم الشيخ بكري ملاحفجي كما ذكرت أعلاه.

٢- سماع من بداخل الدار حركة يده على الباب بما يشبه الزلزلة:

وهذه أيضاً سمعتها من الشيخ الحاج بكري الملاحفجي رحمه الله تعالى أكثر من مرة، قال: أنهى الشيخ جولته في مناطق الجزيرة، أيام الحرب العامة، ووصلنا حلب - وكنت معه - ليلاً والبلدة مظلمة، لأن الأنوار مطفأة بسبب الحرب، فأوصلته إلى منـــزل صهره الحاج يوسف حموية في الجبيلة، ووقف على الباب، وضغط على الباب ضغطاً خفيفاً كمن يكتب ألف، ونادى بصوت خفيض: يا أميرة (ابنته، زوجة الحاج يوسف أمد الله بعمرها مع العافية) [1] افتحي لأبي النصر، أبو النصر على الباب. وإذا بالحاج يوسف يأتي مسرعاً، ويفتح الباب مسلماً قائلاً للحاج بكري: أحسست كأن الدار تزلزلت من شدة الصوت. وضحك الشيخ بكري وودع شيخه.

٣- الشيخ يخبر الشيخ عيسى بما دار بينه وبين زوجته:

وذكرنا هذا في ترجمة الشيخ عيسى البيانوني رحمه الله فيما حكاه لي العم الحاج محمد علي فتال رحمه الله في بيتي، قال حكى ذلك لي الشيخ عيسى أكثر من مرة قال:

تشاجرت مع زوجتي أم أحمد، وأغضبتها وأغضبتني، ثم ضاقت بي الدنيا، فقلت في نفسي: إلى أين أتوجه ؟ فتوجهت إلى حمص، ولم أجد سوى سيارة شاحنة تحمل حبوباً، وكان الوقت بعد العشاء، فركبتها ووصلت حمص بعد منتصف الليل، واحترت إلى أين

---

[1] توفيت في حلب أيار ٢٠٠٦، ودفنت بجانب أخيها الشيخ عبد المهيمن في مقبرة الصالحين بحلب.

أذهب، فتوجهت إلى زاوية الشيخ أبي النصر، فرأيت النور ينفذ من شباك الزاوية إلى الشارع، فاستبشرت خيراً، وقرعت الباب، وإذا بالشيخ أبي النصر رحمه الله يفتح لي ويقول: أهلاً وسهلاً يا ولدي، يا شيخ عيسى لماذا تقاتلت (تشاجرت) مع أم أحمد هذه المقاتلة، حتى أزعجتها وجئت لعندي ؟ هي جاوبتك ونفرزتك، وأنت قلت لها كذا، وهي قالت لك جواباً أقسى، وهي ليس لها حق، لكن يجب أن يكون بالك أطول، ألم تسمع قول الرسول ﷺ: (استوصوا بالنساء خيراً) ؟ فقال الشيخ عيسى: أقبّل نِعالك يا سيدي، هل كنت معنا ؟

٤- شفاء المرض المزمن بقراءة الشيخ:

ومما حدثنا به أخونا الشيخ مصطفى العزيزي [١] رحمه الله عندما كان يحضر معنا الدرس لدى شيخنا عبد الباسط رحمهم الله جميعاً، في داره في الأنصاري وذلك عام ١٣٩٩ هـ، ١٩٧٩م، وذلك بعد أن قصّ علينا شيخنا عبد الباسط قصة شفائه من مرضه بقراءة والدته رحمها الله.

قال (العزيزي): كان معي وجع خاصرة مزمن ومؤلم، وكنت حاضراً مجلس سيدي أبي النصر في مسجد أبي ذر بحلب، فانتابني الألم حين الإنشاد، وأقلقني، ونغّص علي حضوري، وشكوت مرضي للشيخ، فأمر ابنه الشيخ كلال الذي كان بجانبه أن يقرأ لي، فقرأ لي، ومن يومها عافاني الله سبحانه، ولم أشكُ وجعاً من خاصرتي.

وحكى أخونا الشيخ مصطفى أيضاً قال: كان يصيبني رعاف دائم إذا كنت واقفاً أو ماشياً، ويطول رعافي ويزعجني، وكنت ألازم مجالس الشيخ رحمه الله، ولا يفوتني مجلس من مجالسه إذا كان في حلب، فقالت لي والدتي ذات يوم: قل للشيخ أبي النصر يقرأ لك لعلّ الله يعافيك من الرعاف، وتبرأ منه، فكنت إذا وقفت بين يدي الشيخ نسيت مهابة منه، ثم قالت لي مرة أخرى: قل للشيخ يقرأ لك، فنسيت أيضاً.

---

[١] اقرأ ترجمته في بحث تراجم علماء حلب من هذا الكتاب.

ولما وصلت إلى الشيخ وقبلت يده أوقفني وأمسك أنفي بين أصبعيه (الوسطى والشاهدة) ونظر في وجهي وتبسم، ولم أدرِ لماذا ؟ فقلت في نفسي: إن الشيخ يمازحني، ثم أرسلني (تركني)، وانقطع الرعاف، ولم يأتني، وبعد أسبوع تذكرت أنني لم أعد أرعف ! فتذكرت قول والدتي: ليقرأ لك الشيخ، ونسياني، وإمساك الشيخ أنفي بأصبعيه، وكانت آخر مرة رعفت فيها قبل أن يمسك الشيخ بأنفي رحمه الله وقدس روحه.

٥- الشيخ ينادي طالب علم بآخر المجلس باسمه:

وحدثنا الأخ المحب حاج عبد الرزاق الأعمى من حلب أنه سمع الشيخ محمد يوسف عفش العنداني المعروف بالبطايحي يقول: كنا طلبة علم في الخسروية، وسمعنا من رفاقنا أن الشيخ محمد أبا النصر قد قدم حلب، والآن هو في سهرة في بيت صهره حاج يوسف حموية، فذهبت مع بعض رفاقي للسلام على الشيخ، فوجدنا ساحة الدار ممتلئة بالناس، والشيخ في صدر المجلس بعيدٌ عنا، وكنت أنا ورفاقي صغار السنّ، لا نظهر بين الناس، فجلسنا آخر المجلس، فقلت في نفسي: لو بقينا في المدرسة نقرأ ونطالع دروسنا لكان خيراً لنا، هنا لا نرى الشيخ ولا يعرفنا، فما أتممت خاطري في نفسي حتى نادى الشيخ لمن حوله قائلاً: هناك طالب علم اسمه محمد يوسف أرسلوه إليّ. فجئت فسلمت عليه ثم قال لي: ارجع إلى محلك.

٦- تكثير الطعام وكفايته لكل الموجودين:

وهذه الكرامة من المتوترات المشتهرة عن الشيخ، فما من رجل دعا الشيخ إلى بيته وفي تقديره أن الطعام الذي أعده هو لثلاثين أو أربعين، فيأكل منه الثلاثمئة أو الأربعمئة، وقد حدثت هذه الكرامة لأكثر من واحد من أحبابه، وأذكر منهم شيخنا العلامة أحمد القلاش فقد حدثني أنه لما دعا الشيخ إلى كرم عنب له خارج حلب، وكان طعامه لبضعة أشخاص فأكل منهم العشرات والمئات، وقد ذكرها في ترجمة شيخنا القلاش.

ومنهم شيخنا محمد الحجار [1] حيث كتبها لي عندما طلبت منه أن يكتب لي عن صلته بالشيخ، وذكر أن والده صنع طعاماً لبضعة أشخاص، فجاء إلى البيت الجم الغفير، فأكلوا وشبعوا ببركة الشيخ، وهذا بفضل الله لا يعد ولا يحصى من كثرته، ومنهم الشيخ عبد الله سلطان وأخوه الدكتور وجيه رحمهما الله تعالى.

٧- الشيخ أبو النصر شيخ الأناضول:

وسمعت الشيخ أديب المارعي يحكي ذلك، وكذا سمعتها من ابنه الأستاذ خالد في بيتنا يوم ٦ ربيع الثاني ١٤١٩ هـ، وكتبتها عنه، أن الشيخ بكري النجار المارعي [2] (أبو نورس) حدثهم، أنه التقى بأحد باشوات الأتراك، في القطار الذاهب إلى القامشلي، وتحادثا، وسأله: من أين أنت ؟ فقال له: من حلب، قال: وذكرنا سيرة العلماء، وذكرت سيرة شيخي أبي النصر، فلما سمع باسمه اهتزّ وانتفض، وكان على رأسه قبعة فوقعت على الأرض، فأخذها وقال له بتأثر وحنين: الشيخ أبو النصر شيخي، جسمه عندكم وروحه عندنا وهو شيخ الأناضول، وهو يحضر عندنا كل جمعة بذاته، ويعمل توجيهاً للإخوان، ثم أخرج من جيبه دفتراً صغيراً وقلماً وقال له: خذ هذا هدية للشيخ وقل له: هذه من فلان، وليدع لنا. قال أبو نورس: فأخذت القلم والدفتر ووضعته في جيبي، ولما عدت إلى بلدي ورأيت الشيخ عندما حضر إلى حلب وسلمت عليه قال لي مبادراً: يا أبا نورس كيف كان سفرك ؟ فقلت: سررت والحمد لله حسب دعواتكم. فقال لي: ما رأيت أحداً في القطار؟ فتذكرت وقلت: نعم يا سيدي رأيت فلان وهذا الدفتر والقلم هدية لك. وأخرجتهما من جيبي، فغضب الشيخ عندها، وقال: صاحبك يقول عني أنا شيخ الأناضول ؟ من أنا ؟ وأخذ القلم وكسره.

وقال ابن الشيخ بكري النجار (محمد) فيما كتبه لي عن والده أن الشيخ أبا النصر،

---

[1] اقرأ ترجمته وترجمة الشيخ القلاش في بحث علماء حلب ممن سكنوا المدينة المنورة من هذا الكتاب.

[2] اقرأ ترجمته وترجمة الشيخ أديب المارعي في بحث تراجم علماء إعزاز.

ألقى القلم إلى الأعلى، فارتفع ولم يقع على الأرض، فصاح الحاضرون بصوت واحد (الله). وقال الشيخ أديب المارعي:

قال الشيخ أبو النصر: شيخك شيخ الأناضول، صاحبك أكلها (لأنه أذاع السر).

٨- الشيخ يملأ المكان:

حدثنا الحاج نجيب الهباش، وهو من أهل الصلاح رحمه الله، ومن أهل الطريق الرفاعية، ومشايخه من آل عجان الحديد، وقد حدثنا بهذه الحكاية مراراً لي ولأخي عبد الله قال:

- دخلت الجامع الكبير مرة عندما كان الشيخ أبو النصر يتردد إلى مدينة الباب، في أوائل أيامه، وكان ينــزل في بيت أبي سليمان قباط الشهابي، المجاور للجامع الكبير، وكانت أيام الصيف حارة، ولا توجد هناك مراوح في البيوت ولا في المساجد، فكانوا يفرشون للشيخ في (حجازية) الجامع الكبير في الباب ليقيل ظهراً، (ينام القيلولة)، وكان المسجد بقبابه العالية ألطف من البيوت، وتشعر فيه بالبرودة صيفاً، قال فدخلت المسجد قبل أن ينام الشيخ، لا أدري لماذا، فرأيت الشيخ قد ملأ المسجد، حتى أني أرى بوضوح خطوط عمامته (التاج) فأغمضت عيني خوفاً، وفتحتهما مرة أخرى فرأيته على حاله، فازددت خوفاً وخرجت من المسجد.

وبمثل هذا حدثنا أخونا الحاج يوسف قبلاوي أثناء زيارته لنا بعد الحج يوم ٢٩ ذي الحجة ١٤١٩ هـــ، الموافق ١٥/٤/ ١٩٩٩ قال: كنت في قرية شويحة، وكان الشيخ أبو النصر هناك في غرفة المختار، وكنت يومها طفلاً مع معلمي (البيطار) فدخلت الغرفة فوجدت الشيخ أبا النصر جالساً وقد ملأ واجهة الغرفة التي كان جالساً فيها، فخفت وامتلأت رعباً وهيبة وخرجت، ثم دخلت مرة أخرى مع معلمي، فرأيته على هيئته العادية، فسلمت عليه وقبّلت يده، وكذلك ذكر الشيخ عيسى الحصري فيما نقلناه عنه آنفاً.

٩- طفل تدهسه السيارة ثم يقوم مهرولاً:

حدثنا الأخ الحاج عدنان بن الحاج صبحي الفرحات قال: لما كان شيخنا أبو النصر

يزور الباب، كان والدي يجنِّد نفسه ليكون بخدمته وخدمة أولاده، ونحن وسيارتنا في الخدمة أيضاً، فحكى لنا أخونا الشيخ أبو النصر بن الشيخ كلال [1] ما يلي قال: كان والدك أخذنا بسيارته من منبج إلى العمارنة لنتنـــزه على ضفاف الفرات، وفي طريق عودتنا إلى منبج وفي مدخلها، دهس والدك طفلاً ومشى دولاب السيارة فوقه، فوقف فوراً ليرى ما حدث، وإذ بدورية شرطة تمر من ذلك المكان، فلما نزلنا من السيارة لنرى الأمر ورأينا الولد ملقى في الطريق، قلنا: لقد خربنا بيت الزلمة (أي والدك)، فحملت دورية الشرطة الطفل لتسعفه، واقتادت والدك إلى المخفر.

يقول أبو النصر: كان جدي الشيخ أبو النصر لَحْظَتها في بيت والدي الشيخ كلال يتوضأ، ويصب على يديه الماء الحاج عبد اللطيف المجدمي، ابن عم الشيخ حسين المجدمي، فصاح الشيخ الجد بصوت مرتفع: (الله). ولما أنهى الوضوء التفت إلى الحاج مصباح لبنية الذي كان حاضراً عنده وقال له: قم يا مصباح، وتفقّد لنا صبحي. فلما وصل الحاج مصباح أمام المخفر وجد الشرطة يقتادون الحاج صبحي، وكانوا قد أركبوا الولد في السيارة لإسعافه، فلما توقفوا أمام المخفر، نزل الولد فهرب، يركض معافى ليس فيه شيء، فأمسكوه وتلمسوه، فما وجدوا فيه قَلَبَة، فاستدعوا والده، ولأمر يريده الله كان الوالد مع الشيخ في بيت الشيخ كلال، فقال: ليس لي دعوى، وأخلى سبيل الحاج صبحي من المخفر، وكأن شيئاً لم يكن.

١٠- عاقبة الاعتراض على أهل الله:

حدثني الحاج محمد علي فتّال رحمه الله، منشد الشيخ أبي النصر في حلب قال: كنا في إحدى الليالي في منـــزل صهر الشيخ الحاج يوسف حموية في حفلة إنشاد، وكان الشيخ أبو النصر قدس الله روحه يتوسط المجلس، والإخوان حوله، ولما حمي الإنشاد، وتوجه الشيخ إلى الحاضرين علا الصراخ والأحوال، وتتابعت صيحات المحبين، فلما سمع هذه

---

[1] توفي إلى رحمة الله بعام ١٤٠٩ هـ-١٩٨٩م، واقرأ ترجمته فيما يأتي في فصل أولاد الشيخ أبي النصر.

الأصوات زكي بك المدرس، وكان جاراً للحاج يوسف، وكان ذا دنيا ومال وجاه، جاء إلى الحاج يوسف يرفع صوته، ويستنكر هذه الصيحات والأحوال، فقالوا له: اخفض من صوتك، اسكت، الشيخ أبو النصر هنا، وحاج يوسف صهره. فما استجاب ورفع صوته أكثر من ذي قبل، فتأثر الشيخ أبو النصر لمّا سمع هذه المجادلة والأصوات المرفوعة، وغضب، ولكنه لم يقل شيئاً، ورجع زكي المدرس إلى بيته، وكان عنده بنت عمرها ست سنوات، فوجدها تصرخ وتستغيث من الألم، وأسرعوا بها إلى الطبيب، ولكن لم يُجْدِ الطب معها شيئاً، فأشار عليه أحد الناس ليلتها أن يأخذها إلى الشيخ أبي النصر ليقرأ لها، وذلك بعدما عجزوا عن تهدئتها، وتهدئة ألمها طباً، فأتى إلى الشيخ أبي النصر وقال له: أبوس إيدك (أقبِّل يدك) أنا أخطأت. فأجابه الشيخ: أيْوَه، دير بالك، لا تتعدى على المشايخ. ثم قال: ارجع إلى البنت ما فيها شيء. فرجع إلى بيته فوجد البنت تعافت تماماً، و لم يبق فيها قَلَبة ألم من مرض.

١١- أين الرمان:

قال لي الأخ الحاج أحمد الحامد من تادف: كان شيخنا أبو النصر في تادف في الجامع الكبير، وبعد انفضاض المولد ناداني وكنت طفلاً وقال لي: اذهب وائت بالرمان، فذهبت إلى جدتي وقلت لها: الشيخ يريد الرمانات. وكانت جدته من أحباب الشيخ، وقد أخذت عنه العهد والورد عن طريق زوجها جده، فقالت له: ما في الآن رمان. فعاد أحمد إلى الشيخ وأخبره، فأعاد الشيخ مقالته وقال له: اذهب وائت بالرمان ! فعاد أحمد إلى جدته وقال لها: لو أن الشيخ يعرف أنه لا يوجد رمان ما بعثني. فأرسلته إلى أحد الدكاكين في السوق ليشتري رماناً، فقال الدكاني: أين الرمان الآن ؟ شهوة عجوز بتموز ! فرجع أحمد إلى جدته وقال لها: لو لم يكن الشيخ يعلم بوجود الرمان ما بعثني. وأثناءها دخلت زوجة عمه، وكانت زائرة عند أهلها، فسألت ماذا في الأمر، فأخبروها، فقالت: عندي جطل رمان، فوضعوه في صحن وقدموه للشيخ، فلما رآه تبسم وقال له: شفت ! في رمان أم لا ؟

١٢- يا عم. أشتهي الزبيب:

وحدثني الحاج عبد الرزاق بدر بن الشيخ محمد بدر الحسيني رحمهم الله جميعاً، قال:

كان الشيخ في الباب نازلاً في الدار المجاورة لنا، وكان معه الشيخ عبد الباسط وزوجته أم نزار، وكانت حاملاً فقالت للشيخ: يا عم أشتهي الزبيب، وكان الوقت ليلاً، حوالي الساعة /١٢/ وكان هذا عام ١٩٤٦م، فودعت الشيخ - وكنت لديه - واستأذنته لأنام في بيتنا، ولم تمض دقائق وإذا بالباب يطرق، وإذا الطارق الحاجة زمزم زوجة جدك الشيخ محمد المسعود، فقالت لي: أريد أن أرى الشيخ أبا النصر وأسلم عليه. فقلت: الآن ؟ لقد أطفؤوا النور. أنتِ وهو، اطرقي الباب لعلهم يفتحوا لك. فطرقت الباب وسلمت على الشيخ وابنه وزوجته، ورحب الشيخ بها، فقالت: أتيتكم بهذا الزبيب. فالتفت الشيخ إلى أم نزار، وقال لها: هذا الزبيب فكلي.

أقول: وسبب مجيئها ليلاً، لأن المنـــزل كان ضمن السوق، وليس من العادة أن يمر النساء في سوق الباب، وهذه العادة لا تزال، فانتظرت حتى انقطعت الرِّجْل منه ثم أتت إليه رحمهم الله جميعاً.

١٣- يا ولدي أنتظرك من الصباح:

زار شيخَنا عبدَ الباسط الشيخُ حسينُ العلي (كوركانلي) من مشايخ الطريقة النقشبندية في جبل الأكراد حفظه الله عام ١٣٩٩هـــ، ولما علم أننا نُدَوِّن سيرة شيخنا أبي النصر كتب هذه الكلمات في الكراسة التي ندوِّن فيها ما يمليه علينا شيخنا أبو نزار رحمه الله تعالى:

(قال الشيخ حسين العلي، خليفة الشيخ عبد الله الداغستاني وشيخ النقشبندية في جبل الأكراد: قصدت السفر إلى دمشق، وقلت في نفسي: إذا ما زرت الشيخ أبا النصر في حمص لا أذهب إلى دمشق، وقد ركبت في ذلك اليوم وتأخرت بنا السيارة، وعند وصولي إلى حمص قلت: سأذهب إلى الجامع وأتوضأ وأصلي الضحى ثم أذهب إلى زيارة الشيخ،

وعند وصولي إلى الجامع رأيت الشيخ أبا النصر أمام دكان واقفاً بالقرب من الجامع الكبير، فسلمت عليه وقال لي: أهلاً وسهلاً، لقد تأخرت علينا يا ولدي، وإني أنتظرك من الصباح، وقد أبطأت علينا. ثم قال لي الشيخ: اذهب إلى الجامع وتوضأ وصلِّ الضحى وسافر إلى دمشق، مظهراً لي ما كنت أنويه بقلبي). توقيع حسين علي.

وهذا الشيخ الكريم من المحبين الصادقين الأوفياء وكان لا يفتأ يزور الشيخ عبد الباسط أيضاً، وقد دعا الشيخ إلى قريته بقرب عفرين، وذهبنا بصحبة الشيخ وأكرمنا حفظه الله، ثم لما علم بعزم سيدنا الشيخ عبد الباسط على العمرة عام ١٣٩٤ هـ، ١٩٧٤م، ذهب معه أيضاً، وكان بصحبتهم العم الشيخ سعيد المسعود، رحمهم الله جميعاً [(١)].

١٤- يا عبد الباسط، يا عبد الباسط، تعال:

حدثنا شيخنا عبد الباسط، وعمنا الشيخ أديب المارعي، وكثير من الإخوان من العلماء والمحبين أن ثلة من مريدي شيخنا أبي النصر من علماء حلب زاروه في أحد أيام الأعياد كعادتهم، وأراد اثنان منهم؛ وكانا ممن لهم حب وإخاء خاص بسيدي عبد الباسط، وهما الشيخ محمد النبهان [(٢)]، والشيخ محمد بلنكو [(٣)]، أرادا أن يذهبا لدمشق لزيارة بعض علمائها، ويأخذا معهما ابن شيخهما وصاحبهما سيدي (أبا نزار) فاستأذنا الشيخ، فأذن لهم بشرط أن لا تتجاوز مدة الغياب ثلاثة أيام، نظراً لأن سيدي (أبا نزار) كان يقوم بخدمة ضيوف والده الكثيرين من العلماء والمحبين، فقالا: نعم ثلاثة أيام. وانطلق الثلاثة إلى دمشق، ولما مضت الثلاثة الأيام ولم يعودوا بعد، وقد سُرّوا مع أخيهم أبي نزار في بقائهم في دمشق، وانتظر الوالد الشيخ عودتهم فاستبطأها، فقال له الشيخ محمد الجبريني [(٤)]، وهو أحد علماء حلب الأجلاء ومن مريدي الشيخ: لقد كنتَ في دمشق وتأخرتَ على سيدي سليم

[(١)] انظر ترجمته الوافية وصورته في كتاب (الطريق النقشبندية الخالدية الداغستانية، سلوكاً وتاريخاً) بقلم ابنه محمد علي ص٣٠٠ بعنوان الشيخ حسين علي الرباني، وانظر فيه أيضاً تراجم علماء النقشبندية (الفرع الداغستاني) أحد فروع مولانا خالد، الكتاب طبع في حلب ٢٠٠٣ /١٤٢٤هـ ط أولى بتصدير الشيخ عبد الله مسعود.

[(٢-٣-٤)] انظر ترجمتهم في بحث علماء حلب من هذا الكتاب.

فوقف هنا (في الزاوية) أمام هذا الشباك وناداك، فسمعتَ صوته فحضرتَ، فنادِه أنت الآن. فقال له سيدي أبو النصر: هيك بتقول ؟ قال له الجبريني: نعم، فوقفَ الشيخ أبو النصر أمام الشباك حيث وقف والده سيدي سليم متجهاً لدمشق، وناداه: يا عبد الباسط، يا عبد الباسط.

قال سيدي عبد الباسط: كنا الثلاثة في دمشق في محلة البحصة، وإذا بي أسمع صوت سيدي الوالد، فانتبهت، وإذا به يكرر النداء، فقلت لمن معي ألا تسمعون ؟! قالوا: بلى. فقلت: هيا بنا إلى حمص، ولما وصلنا إلى حمص فكأنَّ الوالد لامنا على التأخير، فقلت: جئنا والحمد لله، فقال الشيخ الجبريني: جئتم هكذا ؟! لقد وقف الشيخ هنا وناداكم، فقلت: سمعنا والله، والحمد لله على ذلك.

١٥- الله يرزقني سيارة لأجعلها في خدمة الشيخ:

وهذا ما نقل عن الحاج مصطفى مستت [1] رحمه الله تعالى، وكان من الإخوان المحبين للشيخ أبي النصر طيب الله ثراه، وقد سمعت هذه الحكاية من أكثر من أخ، وهي أيضاً مما أخبرني به الأخ صالح الطه (أبو منير)، قال حدثني الحاج مصطفى بهذه الحكاية فقال لي:

سافرت مرة من حلب إلى حمص ماشياً على الأقدام لأزور شيخي أبا النصر، ولما وصلت (خان شيخون) استرحت على الطريق، وخطر بقلبي، هل يا ترى أملك يوماً ما سيارة واركب فيها شيخي أبا النصر ؟ ثم تابعت سيري إلى حمص، وزرت الشيخ قدس الله روحه بالرحمة، ثم عدت إلى حلب، ومضت ثلاث سنوات كاملة، فرزقني الله سيارة صغيرة (تاكسي) ولما قدم شيخنا إلى حلب، وضعت السيارة بخدمته وتحت تصرفه، ولما أراد شيخنا العودة إلى حمص قلت له: يا سيدي هذه السيارة تحت تصرفكم، فركب الشيخ، وركب معه المنشد أبو حسن النداف، وركبت معه، والسائق وصرنا أربعة،

---

[1] الحاج مصطفى مستت رحمه الله من أفاضل إخوان سيدي الشيخ أبي النصر وقد رزقه الله المجاورة في المدينة المنورة، وحصل على الجنسية هناك وتوفي في المدينة، وقد التقيناه أكثر من مرة بصحبة سيدي الوالد رحمهما الله.

وتوجهنا إلى حمص، ولما وصلنا (خان شيخون) قال الشيخ للسائق: قف، فوقفنا، ثم التفت الشيخ إلي وقال: يا حاج مصطفى، منذ ثلاث سنوات جئت إلى حمص، وجلست في هذا المكان، فماذا حدثت نفسك ؟ فقلت: أنت حدثنا يا سيدي، فقال الشيخ: عندما جلست بهذا المكان قلت بنفسك: الله يرزقني سيارة حتى أركب بها شيخي أبا النصر ! فقال الحاج مصطفى: الله شهيد نعم، لقد خطر ببالي هذا. فقال الشيخ: ارجع بالسيارة إلى حلب وإني سأبقى هذا اليوم في خان شيخون لأزور الأحباب. قال: فودعت الشيخ وعدت إلى حلب، رحمه الله ما كان أعظم حاله، وما أكثر كشفه.

١٦- يا عبد الرحمن قم فاغتسل:

ومما حدّث به الحاج عبد الرحمن برصة رحمه الله كثيراً، ومرة حدث بهذا في جامع أبي ذر، وسمعناه منه بحضور شيخنا عبد الباسط رحمه الله ونور ضريحه، وهو أيضاً مما أخبرني به الأخ حاج صالح (أبو منير)، قال الحاج عبد الرحمن:

كنت مع شيخنا أبي النصر في سراقب، مع جملة المنشدين والإخوان الذين يصاحبون الشيخ، ونمنا ليلتها في سراقب، وكان نصيبي أن أنام مع الشيخ في غرفة واحدة، ولما استيقظ الشيخ قبل الفجر - كعادته - للتهجد، انتبهت أنا من نومي أيضاً، ولكن يلزمني غسل من الاحتلام، فاستحييت أن أطلب من أهل البيت غسلاً بحضور الشيخ فقلت في نفسي: أتشبه بالمصلي مع الشيخ، فإذا طلع الصباح أتوجه لحلب وأغتسل هناك، ثم أعود إليه بعد ذلك. ولما أنهيت حديثي مع نفسي، انتهى الشيخ من صلاته فالتفت إلي وقال: يا عبد الرحمن قم فاغتسل، فإن مضيفنا قد هيأ لك الماء الساخن، فقمت واغتسلت خجلاً مما أصابني، وحمدت الله على ملاحظة الشيخ وعنايته [1].

---

[1] الحاج عبد الرحمن برصة من محبي الشيخ أبي النصر، وقد كان من المنشدين الذين يلازمون مجالس الشيخ في حلب (جامع أبي ذر) ويصحبونه في جولاته في مناطق محافظة حلب وقراها، وكان ينظم الأشعار التي تنشد في مجالس الشيخ وله أولاد عدة سماهم بأسماء الشيخ سليم وأبي النصر توفي بحلب عام ١٩٧٥م.

وانظر في ترجمة الشيخ عمر ملاحفجي نظير هذا حدث معه ومع أخيه حاج بكري رحمه الله.

١٧- يا شيخ عبد الرحمن سيقع بلاء على أهل هذه القرية:

وهذا ما حدّث به الشيخ عبد الرحمن البكري (المنغي) [1] رحمه الله مراراً ودوّنه الأخ الحاج صالح الطه (أبو منير)، قال: حدثنا الشيخ عبد الرحمن (المنغي) رحمه الله أن شيخنا أبا النصر كان في إحدى زياراته لتل رفعت (منطقة إعزاز) ، فبقي فيها يوماً واحداً، وفي اليوم الثاني جاء أحد الإخوان المحبين للشيخ يستأذنه في أن يكون الشيخ ضيفه، وقال له: لقد ذبحت عجل بقر، وأنت بضيافتي هذا اليوم. فاعتذر الشيخ عن تلبية الضيافة، وقال له: إن كنت فقيراً فبعه، وإن كنت غنياً فوزعه، ثم طلب من الشيخ عبد الرحمن أن يحضر له مركوباً للتوجه إلى (منغ)، قال الشيخ عبد الرحمن: فوجدت عربية تجرها الدواب، وركبت فيها مع الشيخ واتجهنا إلى (منغ)، والشيخ عليه حالة الجلال والصمت، ولما كنا في بعض الطريق، وقد خطر بنفسي أن الشيخ لم يجبر بخاطر هذا الرجل الذي ذبح عجل البقر من أجله، فقلت للشيخ (وأنا خائف من انتقاد الناس لفعل الشيخ وعدم جبر خاطر المضيف): يا سيدي؛ لو بقيت في (تل رفعت) لجبرت خاطر هذا الرجل ؟! فأجابني الشيخ رحمه الله وقدس روحه: يا شيخ عبد الرحمن؛ سيقع بلاء على أهل هذه القرية، لذلك خرجت منها.

قال الشيخ عبد الرحمن، ولم تمض تلك الليلة، حتى وصلتنا الأخبار إلى (منغ) أنه في تلك الليلة وقعت جريمة قتل فظيعة، فقد قتل أولاد فلان أباهم، ثم وضعوه في كيس قنب، وحملوه من حارتهم الشمالية، إلى الحارة القبلية، وألقوه أمام المسجد، ولما حضر أحد المصلين إلى المسجد رأى الكيس يسيل منه الدم، واجتمع الناس وأخبروا الشرطة، فكشفوا عن المقتول فعرفوه، ثم ذهبوا إلى منـــزله، فوجدوا أولاده يغسلون الدم ليطمسوا معالم الجريمة، ووضعوا القتيل في تلك الحارة، بسبب عداوة كانت بينهم وبين أهل تلك الحارة،

---

[1] انظر ترجمته في بحث علماء إعزاز.

ووقع سابقاً فيها عدة قتلى، ولكي يتهموا أهل الحارة القبلية بالقتل، ويأخذوا ثأرهم، وقد كانت هذه الحادثة حوالي عام ١٩٤٠ هـــ، وهي مشهورة.

١٨- يا محمد علي الزم الأعتاب، ولا تدق - في الليل - الأبواب:

وهذه واحدة من الكرامات التي أكرم الله بها الشيخ أبا النصر، وأكرم بها مريده، وكم أكرم الله مريديه من إكرامات لا تعد ولا تحصى، وهي بنفس الوقت تدل على صدق الارتباط ونفعه للمريد وحفظ الله إياه، وكَم وكم يحدث هذا النفع وتلك العناية إذا صدق المريد في رابطته بشيخه.

أخبرني أخونا الحاج صالح حسن طه (أبو منير) وهو ممن يلازم مشايخنا النقشية حتى الآن، ومنذ زمن الشيخ عبد الباسط رحمه الله تعالى وقدس روحه، أن عمه الشيخ محمد علي النايف (الضرير) من أهالي قرية الشيخ عيسى التابعة لناحية تل رفعت (إعزاز) حدّثه أنه جرت مشاجرة في قريتهم، وما أكثر المشاجرات في القرى وما أبشعها، فسمع عمّه مسبة عمته، فأخذته الحميّة (الجاهلية) على عمته وقال في نفسه: سأذهب ليلاً إلى بيت الذي سبّ عمتي، وأضربه (كفين) جزاء سبابه. قال: وانتظرت هدأة الناس ليلاً، وبعد صلاة العشاء في المسجد وقراءة الختم النقشبندي الشريف، جلست في الجامع أترقب هدوء الناس في بيوتهم، وانقطاع المارة، حتى أذهب وأنفذ ما قررت.

ولما هممت بالخروج من المسجد، وإذا أنا فجأة أرى الشيخ أبا النصر قدس سره العزيز يفتح باب المسجد ويدخل، وكشف الله عن بصري حينها وأنا أعمى، فرأيت المحراب والمنبر، وشاهدت كل شيء موجود في المسجد، وأخذتني حال من الدهشة لما رأيت الشيخ يقول لي: يا محمد علي الزم الأعتاب، وليس لك أن تدق في الليل الأبواب !!

ثم قال: عذّبتني من حمص لعندك ! لا تعد لمثلها أبداً.

ثم خرج من المسجد، وأنا لم تنقضِ دهشتي بعدُ مما رأيت وسمعت ومما قررته في نفسي، رحمه الله وقدس سره، ما أعظم عنايته ورحمته بمريديه.

قال الحاج محمد علي: وهذه هي المرة الوحيدة التي أبصرت فيها الدنيا عندما حضر عليّ الشيخ أبو النصر قدس روحه بالرحمة.

١٩- الشيخ يلاحظ مريده الواقع في الجب:

وهذا المريد هو المذكور آنفاً الحاج محمد علي النايف (الضرير)، قال، كما أخبرني ابن أخيه الحاج صالح (أبو منير): زرت شيخي أبا النصر بحلب، وبعد الزيارة صحبت قافلة من الجمالين عائدة إلى قريتنا، فمشيت معهم، ولما وصلنا قرية (تل جبين) والوقت ليلاً، وكان في طريقنا آبار كثيرة مكشوفة، فتزحلقت ووقعت في أحد الآبار وكان فيها ماء، فما شعرت أثناء سقوطي إلا بيد تحملني، حتى أخرجني رفاقي لما سمعوا صوتي، وكان شيخنا أبو النصر في سهرة عند الحاج محمد حنطاية في حلب، فسمعه الحاضرون يقول: يا لطيف! فسأله أحد المحبين: ماذا جرى ؟ فقال الشيخ: لقد وقع رجل من إخواننا في الجب وخرج سالماً، تداركه الله بلطفه.

٢٠- ائتني بالمولود الأشقر:

وحدثني الأخ السيد محمد بهاء بن حاج ديبو العمر (أبو دياب) من مارع عن والده، أنه كان فقيراً، وظل يعاني من فقره مدة، قال: ولما حملت والدتي بأخي الأول وحان موعد الولادة، وتعسَّرت ولادتها، احتار أبي في أمره ماذا يفعل، وليس عنده أجرة سيارة تحملها إلى مستشفيات إعزاز أو حلب، وبقي الحال في التعسر مع الوالدة ثلاثة أيام، وما عند أبي ما يقدِّمه لها إلا الحزن والبكاء عليها، إذ أنه برغم محبته لها لا يملك قرشاً، فرآه أحد جيراننا مهموماً مكروباً، فقال له: ما لك ؟! فأخبره بالحال، فقال الجار له: إن الشيخ أبا النصر في بيت فلان (في مارع) فاذهب إليه واحك له حكايتك. فذهب أبي حالاً إلى الشيخ وحكى له حاله، فطمأنه الشيخ - رحمه الله ونور ضريحه - وجبر خاطره بكلمات ودعوات وقال له: هذه عصاي، خذها إلى زوجتك، وائتني بالمولود الأشقر الذي ستلده الآن. فذهب والدي فوراً، ووضع عصا الشيخ عليها، فولدت وأتى بالمولود الأشقر إليه،

فقرأ له وسماه (عبد الدائم)، والحمد لله على فضل الله.

أقول: سألت الأخ محمد بهاء (أبو دياب) عما إذا كان والده من مريدي الشيخ أبي النصر، فقال: لا، ولكنه من مريدي آل خير الله بحلب، ولكن الشيخ أبا النصر، والد الجميع رحمه الله وقدس روحه.

٢١- قراءة الشيخ ودعواته سبب النجاح:

ومما حدثني به مراراً الأخ أحمد بن حاج حسن الشهابي [١] ابن أخي الحاج حسين قدور الشهابي، وكان عمه حاج حسين من خلّص أحباب الشيخ أبي النصر، قال:

كان الشيخ أبو النصر مدعواً إلى بيت عمي حاج حسين، كان هذا عام ١٩٤٧م، وقبل موعد فحص الشهادة الابتدائية بأسبوع، وكان الفحص مهماً تقوم عليه وزارة المعارف، والأسئلة تأتي من الوزارة، والمراقبون من غير أساتذتنا، وكنت أنا وأخي أيتام وفقراء، وما عندنا كتب دراسية، وقرب موعد الفحص فماذا أفعل ؟! فطلبت من عمي وكان عمري آنذاك /١٢/ عاماً، أن يدخلني على الشيخ ليدعو لي بالتيسير والنجاح، والدار ملأى بأحباب الشيخ وإخوانه، فأدخلني على الشيخ رحمه الله فقبلت يده، وأجلسني بجانبه بعد أن نظر إليّ طويلاً ثم قرأ على صدري وظهري وقال لي: قم. فانشرح صدري وتفاءلت خيراً، لكن من أين آتي بالكتب ؟ ولا أملك قيمتها، ومن يعير كتابه قبل الفحص بأسبوع ؟، فلقيت أحد أبناء عمنا وهو عدنان بن سعيد الحمدان الشهابي، وهو حي يرزق، فقلت له: ألا نجتهد وندرس استعداداً للفحص سوية ؟ فقال: بلى. وأنا قصدي من ذلك الاستفادة من كتبه، وبدأنا نقرأ ونتصفح الكتب كتاباً كتاباً، حتى أنهيناها بمطالعة وقراءة سريعة، وقدمت الامتحان، وصرت أجيب على الأسئلة كأن الكتاب أمامي، ونجحت والحمد لله ببركات شيخنا أبي النصر.

---

[١] توفي الأخ أحمد الشهابي أبو حسان في الباب ٢٠٠٧/٣/٨ وانظر قصة زوجته مع ولدها غسان وكيف حضر عليها الشيخ أبو النصر في المبحث الثاني.

٢٢- ما آذاك الكلب ؟! سليمة والحمد لله:

ومما حدثني به أيضاً الأخ أحمد الشهابي أبو حسان قال: كان سيدنا الشيخ مدعواً عند عمي الحاج حسين، فتفقد عمي السفرة فوجدها تحتاج إلى فليفلة خضراء، فأرسل ابن عمتي خيرو بن يحيى الشهابي إلى بستان بعض أصدقائه قريباً من البلدة، فركض خيرو سريعاً وعندما دخل البستان عضّه الكلب وأدمى رجله، فخرج أهله وردوه عنه وأعطوه (الفليفلة) ولما عاد إلى بيت عمي، بادره الشيخ أبو النصر قائلاً قبل أن يتكلم: ما آذاك الكلب ؟! سليمة والحمد لله، وكأن شيئاً لم يكن ولم يشعر بالألم والحمد لله.

٢٣- تشتهي المجدرة:

وحكى لنا الأستاذ إياد بدر بن الشيخ محمد كامل بدر الحسيني، حفظه الله، في رمضان ١٤٢٣ هـ، في بيته العامر في جدة قال: عندما عاد والدي مع زوجته (قدرية) - وهي خالتي - من مصحّ في لبنان، وكانت مصابة بمرض السلّ، مروا بحمص ونزلوا من القطار في المحطة، وتوجهوا إلى بيت الشيخ أبي النصر، وكانت لشدة مرضها لا تستطيع المشي، فكان يحملها تارة ثم يعود إلى الحقائب ليحملها، وفي الطريق اشتهت على (أكلة المجدّرة) - وهي برغل وعدس يطبخ بالزيت - ولما وصلوا بيت الشيخ أبي النصر، قدّم لهم غداء المجدّرة، وأكل الشيخ بملعقتها بعد ذلك، والله المشافي والمعافي.

٢٤- دير بالك على محمد جوهر:

وحكى لي الشيخ عيسى الحصري، في بيته في كرم الجبل بحلب شوال ١٤٢٣ هـ، بعدما متعني بحديثه عن زيارته للشيخ في حمص قال:

قال لي مرة ابن خالي محمد جوهر: سأذهب معك إلى حمص لزيارة الشيخ. فقلت: استأذن والدك. فأذِنَ له وذهبنا إلى حمص، فرحب الشيخ بنا وأكرمنا، وبعد انتهاء زيارتنا، استأذنا الشيخ في العودة وودعناه، فقال لي: دير بالك على محمد جوهر (ابن خالي). ثم مشى الشيخ معنا إلى محطة القطار (وهي بعيدة عن حمص آنذاك)، فلما ركبنا القطار أكّدَ

الشيخ الوصية، وقال لي قبل أن يمشي القطار: دير بالك على محمد جوهر. وسار القطار مسافة، ومحمد جوهر واقف أمام الباب يتفرج على الأراضي والمزارع، وفجأة انفتح باب القطار، وانقذف محمد جوهر إلى داخل القطار، فصحت بقوة: الله ! وأغلقنا الباب وجلسنا، والحمد لله الذي سلّم، ولما زرت الشيخ في المرة التالية في حمص ابتدرني قائلاً: ألم أقل لك دير بالك على محمد جوهر ؟! والتفت الإخوان الذين بحضرة الشيخ إلي وقالوا: بعدما ركبتم القطار وعاد الشيخ من توديعكم إلى الزاوية، سهر معنا ليلتها، وفجأة وهو معنا، وإذا بالشيخ يعمل بيده هكذا، كأنه يدخل أحداً إلى الغرفة. قال الحاج عيسى الحصري: فهمت سرّ وصية الشيخ بابن خالي، وانقذافه إلى داخل القطار بدلاً من خارجه عندما كان واقفاً على الباب، رحم الله شيخنا ما كان ألطفه وأرحمه وأعظمه !

٢٥- متى خرجتم من إدلب يا نعمان:

قال أخي عبد الله المسعود، حكى لنا الشيخ نعمان حبوش [1] رحمه الله، وكان من أحباب الشيخ، قال:

خرجنا من المسجد بعد صلاة العشاء في إدلب، وأُخبرنا أن الشيخ أبا النصر رحمه الله في سراقب، فقلنا لبعضنا: أتذهبون إلى سراقب ؟! قالوا: نعم. فانطلقنا سيراً على الأقدام سيراً سريعاً، فأدركنا الشيخ وقد خرج من صلاة العشاء بعدما قرأ الختم مع الجماعة، فسألنا الشيخ أبو النصر: متى خرجتم يا نعمان ؟! فقلت: بعد العشاء يا شيخي. فصار الشيخ يبكي ويعيد السؤال عليّ: متى خرجتم يا نعمان ؟! فأجبته، وعاد الشيخ إلى البكاء وأنا لا أدري لماذا يبكي، بعدها أدركت سرّ كرامته رضي الله عنه، إذ طوى الله لنا الأرض بين إدلب وسراقب وكانت المسافة عشرين كيلاً على الأقل، فأدركنا شيخنا قد خرج الآن من المسجد بعد قراءة الختم الشريف. قال أخونا الأستاذ محمد علي ابن شيخنا عبد الله حماد: وأنا سمعت هذه الحكاية أيضاً من الشيخ نعمان حبوش رحمه الله.

---

[1] انظر ترجمته في علماء إدلب.

٢٦- يسقط الطفل من السطح ولا يصاب بأذى:

ومما حدثني به أخونا الشيخ العالم الفاضل محمود حساني (من صوران حماه) - في بيته عام ١٤٢٥ هـ - أنه كان يقيم في مسجد القصّير في حمص، عندما كان يدرس في دار المعلمين، فحدّثه مؤذن الجامع المدعو (أبو سليم) عن كرامات الشيخ أبي النصر قال:

كنا بصحبة سيدنا أبي النصر في قرى حماه وذهبنا من (طيبة الإمام) إلى (صوران) ومع الشيخ أبي النصر الشيخ حسين الطيباني في صوران، وكان الشيخ وأحبابه وإخوانه يجلسون على سطح الدار الواسع، وكان في طرف السطح فراش ينام فيه طفل لا يتجاوز الخمس سنين، ففقدوا الطفل وإذا به يسقط من السطح إلى الأرض، والسطح يتجاوز ارتفاعه الخمسة أمتار، فلم يصب الطفل بأذى، وبقي على نومته حتى الصباح، واجتمع في الصباح النسوة والأهل حوله يقولون لبعضهم: الحمد لله لم يصب بأذى. قال أبو سليم: وهذه من كرامات الشيخ أبي النصر، فقال له أخونا الشيخ محمود: أتعرف من هذا الطفل ؟! قال: لا. قال: إنه والدي الحاج عبد العزيز حساني رحمه الله.

خاتمة:

أقول في نهاية هذا الفصل: إن كرامات الشيخ ليس بعدد إخوانه ومريديه، بل أكثر، وإخوانه ومريدوه لا يُحْصَون لأن كل واحد منهم رأى منه أكثر من كرامة، وأكثر من خارقة، وأكثر من عناية ولطف وبركة، حال حياته، وبعد وفاته، كما سترى في البحث الثاني، وهذا غيض من فيض من كراماته وبركاته وإمداداته، رحمه الله وقدس سره العزيز.

قال سيدي الشيخ إسماعيل أبو النصر بعد قراءة هذا البحث:

(ومما يجدر الانتباه إليه أن كرامات الشيخ المأثورة عنه واضحة جلية قاطعة لا تحتمل التأويل والظن والاحتمال، وأنها متنوعة ليست على نسق واحد مما قد يثير فكرة الرياضة والتدريب).

المبحث الثاني

بحث هامّ

أثر الارتباط بالشيخ بعد الوفاة

وهذا الموضوع هام وضروري لكل من ارتبط بالشيخ المرشد الكامل برباط الصدق والمحبة، والاتباع والولاء، إذ إن صدق الرابطة ينتج عنه صدق الارتباط، وبالتالي تلحظ المرتبط بالمرشد الكامل العناية الربانية، ويحوطه اللطف والمدد، عن طريق شيخه حياً وميتاً، وفيما يلي نذكر جملة من الوقائع التي جرت مع محبي الشيخ وإخوانه في حياته وبعد وفاته، وهي أدلة قاطعة، وأنوار ساطعة لمن أراد الحفظ والعناية الربانية في الدنيا والآخرة.

١- مع ولده الشيخ عبد الباسط رحمه الله:

وقد ذكرنا هذه الحادثة مفصّلة في ترجمة شيخنا عبد الباسط قدس الله روحه بالرحمة والرضوان، وكيف أن العناية الربانية لاحظته وأمدته بالشفاء بعد الحادث الخطير الذي أصيب به أثناء عودته من حماة في سيارة أخينا مصطفى العزيزي وقد كنتُ معهم، وبعد إجراء الجراحة في رأسه، قدّر الأطباء أنه لا شفاء إلا بعد عدّة شهور مع لطف الله وعنايته إن أمدّه بالشفاء، وذكرنا كيف زاره في منامه والده وجده، ثم جده الأكبر سيدي رسول الله ﷺ، ورجا والده الجدَّ الأعظم والرسول المكرم أن يقرأ له ويدعو له بالشفاء، فقرأ له الحبيب المصطفى ﷺ ودعا له، وزال عنه الخطر، وتخرج من المستشفى بعد أيام وتمت العافية والحمد لله. (فارجع إليها هناك) في ترجمة الشيخ عبد الباسط، فإنها مهمة.

٢- مع الشيخ محمد الحامد الحموي:

* وكان الشيخ الحامد من أكابر علماء حماة ومجاهديها والقائمين على حدود الله فيها، وكان متفانياً في حبّ شيخه، وفياً له، ومحباً له في حياته وبعد مماته، يزوره كل جمعة، ويأتيه من حماة إلى حمص من أجل زيارته بعد وفاته.

قال شيخنا عبد الباسط (أبو نزار): وفي عهد صولة (أكرم الحوراني)، ورجاله في الحكم ومؤيدوه فيه، تطاول عليه رجاله وأعوانه ليخرجوه من حماه، وينقلوه إلى صوران (حماه) وهو لا يستطيع مفارقة بلده حماه لأكثر من سبب وارتباط.

فجاء إلى حمص زائراً قبر الشيخ وحكى عنده حكاية تواطئهم عليه وقال: أريد أن أرى بعيني هل يَغْلِبُ أهل الله، أم أهل العناد والشرك ؟ ثم عاد إلى حماه، فرأى ليلتها في منامه شيخه أبا النصر جالساً على كرسيٍ عالٍ، فناداه وقال له: التفت؛ إلى يمين الشيخ. فرأى خلقاً لا يحصون، وقال له: انظر؛ كلهم أنصارك. ثم أخرج الشيخ من جيبه قارورة زيت ودهن بها رجلي تلميذه الحامد، وقال له: ثابت، ثابت، ثابت.

وما أصبح الصباح حتى خرج أهل حماه كلهم متظاهرين يطالبون ببقاء الشيخ الحامد في حماه، وقدموا للسلطات عريضة طولها /١٤/ متراً تطالب ببقائه، فقررت الحكومة إبقاءه في حماه، وارتفعت منــزلته عندهم بعد ذلك والحمد لله، ولما صارت الفتنة عام ١٩٦٣م، التي أثارها بعض الجماعات، وحكم على أحد أهل حماة بالإعدام شفع فيه الشيخ الحامد عند رئيس الدولة آنذاك فشفعه فيه، والحمد لله.

* وسمعت من الأستاذ إياد بدر بن عمنا الشيخ كامل بدر حفظه الله قال: كنت مع والدي في دار الشيخ عبد الباسط أبي النصر بحلب، وإذا بالشيخ محمد الحامد يدخل ويصاحبه الحال القوي، فدخل وسلّم وعانق الشيخ عبد الباسط طويلاً، وبكى كثيراً، وجلس عند الباب وقال: هنا مكان الخدم، ثم لما صحا بعد برهة؛ سلّم على الحاضرين وقال: كنا في الطريق، وإذا بالسيارة تنحرف وتصطدم بعمود، ولكن جرى اللطف، ولو تم الاصطدام القوي مع سرعتها لَنصَّفَها نصفين، ولكن رأيت الشيخ أبا النصر يقف أمام

السيارة ويدرأ عنها الاصطدام، قال الأستاذ إياد: وكان هذا بعد وفاة الشيخ أبي النصر بسنين.

أقول: سمعت هذه الحكاية والتي بعدها والتي مرت من قبل من الأستاذ إياد في بيته بجدة عام ١٤٢٢هـ.

* وحكى الأستاذ إياد بدر أيضاً، وهو مقيم الآن في جدة مدرس وخطيب وإمام، ومن أفاضل العلماء والدعاة إلى الله سبحانه، قال: لما توسط الشيخ محمد الحامد من أجل أحداث حماه التي جرت عام ١٩٦٤ رئيسَ الجمهورية، وكان آنذاك أمين الحافظ، دخل الشيخ محمد الحامد عليه، وكان المجلس غاصّاً ولا يوجد مكان لأحد، وإذا بالشيخ الحامد يرى الشيخ أبا النصر يدخل إلى المجلس فطأطأ الحاضرون رؤوسهم بما فيهم أمين الحافظ، وقدم الشيخ الحامد مطالبيه، وكلما قدم طلباً يقول له أمين الحافظ: موافق، وقد تم بفضل الله الفرج، ورفع الفتنة ونتائجها عن حماه والحمد لله.

٣- ما جرى مع الشيخ محمد خير المارعي:

وذكرناها مفصلة في ترجمته، ونذكر منها واحدة وباقيها ذكرت هناك، قال رحمه الله: زرت الشيخ النبهان بعد وفاة شيخنا أبي النصر، فسررت في مجلسه، وأردت أخذ العهد عليه كمريد، فرأيت شيخي أبا النصر في المنام، فقلت له: إني أريد أخذ العهد على الشيخ النبهان، فقال: لماذا ؟ قلت: لأني سررت عنده، وقد قالوا: إن على المريد أن يبحث بعد وفاة شيخه عن شيخ مرشد. فقال لي: وما أدراك من أين جاءك السرور ؟ فعرفت أن سروري جاءني عن طريق ارتباطي بالشيخ أبي النصر رحمه الله.

٤- ما جرى مع الشيخ عبد السلام الحربلي:

وذكرنا أيضاً في ترجمته، أنه دعاه أولاد أخيه في (حربل) لقراءة مولد لهم، وكان الوقت شتاء وكان متعباً بردان، فلم يذهب، فحضر عليه والده مناماً في اليوم الأول والثاني، يأمره بالذهاب إليهم - وكان والده متوفى - ثم حضر عليه الشيخ أبو النصر مناماً أيضاً في اليوم الثالث،

وأركبه خلفه وسار به بسرعة البرق، فأتى به إلى أولاد أخيه، ثم وجهه لقبر أبيه ليزوره، ثم مضى، فاعتبر ذلك لفت نظر من الشيخ ليبرَّ والده ويسر أولاد أخيه، إرضاءً لوالده.

٥- مع الشيخ بكري ملاحفجي:

وقد حكى هذه الحكاية بنفسه وكتبتها عنه، وكنت زرته في مستشفى المجتهد بدمشق يوم أدخل إليه للمعالجة عام ١٩٦١ م تقريباً، قال: ابتليت بمرض في ركبتي وأجمع الأطباء على عدم تحريكها، وثبتوها لي على السرير بأثقال حتى لا أحركها، وبقيت على هذه الحال أربعة أشهر، لم أستطع ثنيها، وأدى ذلك إلى التهاب عظام الفخذ والساق، وذقت الآلام المبرحة، ثم اسودت رجلي من جرّاء ذلك، ثم نقلت إلى مستشفى المجتهد بدمشق، وبقيت تحت الفحوص الطبية والتحاليل والمراقبة مدة ستة أشهر، وأمضيت في المستشفى شهوراً يعودني الإخوان والأصدقاء، وكنت أتسلى بقراءة القرآن الكريم والأوراد، والصلاة على النبي ﷺ، ووقع في يدي أثناءها كتاب الأوراد الرشيدية، وقلت في نفسي: إنني أخذت الطريقة النقشبندية عن شيخي أبي النصر، والقادرية عن والدي، وعليّ الآن أن آخذ الطريقة الرفاعية، بعد شفائي إن شاء الله تعالى، ونمت ليلتها، تلك على هذه النية.

وليلتها رأيت والدي الشيخ محمد واقفاً على باب غرفة كبيرة، وقال لي: يا بكري؛ سيأتي رسول الله ﷺ بعد أبي النصر، والرفاعي والكيلاني، وخذ هذه البطاقة. وكانت بطاقة مذهبة لم أتبين كتابتها، فدخل أمامي سيدنا عبد القادر، ثم سيدي أحمد الرفاعي، ثم سيدي أبو النصر، وكل منهم يأخذ بطاقة من والدي ثم يدخل.

ولما دخل سيدي عبد القادر رأيت عليه من الهيبة والجلال ما شاء الله، ولما دخل سيدي أحمد الرفاعي، قلت في نفسي: الأحسن أن آخذ الطريقة منه، وكل منهم يدخل ويقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ويدخل ويقف بأدب بجانب الذي دخل قبله.

ثم دخل سيدي أبو النصر يرتدي جبة لونها فاتح بهيئته على شبابه الذي أعرفه، فلما رأيته قلت: لن آخذ الطريقة الرفاعية طالما أن شيخي دخل، وذلك هيبة منه ومحبة له، فلما

رآني قال لي: يا بكري. ولفني بجبته، ثم قال: ما بعيفو (لا أتركه). ووقف هو بصدر المجلس، وإذا برسول الله ﷺ، يدخل ويعانقني ويقول لي: لا بأس عليك يا بكري، لا بأس عليك. ويمسدني بيده، ثم قبلت يده، ورضعت فيها أشبه شيء بحلمة الثدي، ثم أحسست أني ألتصق به، وأقول في نفسي: ما أجمل تواضعه، إنه قريب من المؤمنين.

ثم قلت لوالدي: كم يحبني رسول الله ﷺ ! كم بقي للمحشر حتى اجتمع برسول الله ﷺ ؟! فقال لي: سبعة، ثم ودع رسول الله ﷺ الموجودين وقال: السلام عليكم ورحمة وبركاته، فأجاب الجميع: الصلاة والسلام عليك يا نبي الرأفة والرحمة.

ثم قال لي والدي: كيف دخلت إلى هنا ؟! قلت: من الباب. (وأوّلها بعض الإخوان من باب الابتلاء)، واستيقظت بعدها من نومي، وكانت رجلي مربوطة على السرير بأكياس من الرمل، حتى لا تتحرك، وإذا بالأربطة منحلة، وأحسست أنه لم يبق برجلي مرض ولا عرض، وإذا بالمرضين مجتمعين حول غرفتي لما سمعوا صوت صلاتي وسلامي على النبي ﷺ، ثم قمت أتحسس رجلي، وإذا ليس بها بأس، فأخذت عصاي ومشيت، وأنا لا أصدق نفسي أنني أمشي، وأنا أكرر الصلاة والسلام على سيدنا رسول الله متدخلاً عليه، لقد كانت خاتمة المرض والحمد لله.

وفي الصباح زارني الأطباء، وطلبت تخريجي من المستشفى، وصار لون رجلي يتبدل تدريجياً من الأسود إلى اللون الطبيعي، وصرت أشعر بعدها بطعم النوم، فنمت طيلة يومي، ولم يخرجوني من المستشفى حتى عوفيت، فبقيت أحد عشر يوماً يتبدل فيها لون رجلي تدريجياً إلى اللون الطبيعي، ثم بعد عشرين يوماً عوفيت تماماً من كل وهن المرض وشدته وخرجت من المستشفى والحمد لله على كل حال.

٦- مع المنشد الكيالي الإدلبي:

وحدثنا هذا الأخ مراراً أنه عندما كان في بيروت أيام فتنة الكتائب عام ١٩٧٤م، قبض عليه رجال الكتائب لما نظروا في هويته، وأركبوه في سيارة وأخذوه معهم إلى

مكان، وكان من المعلوم آنذاك (القتل على الهوية)، ولما أيقن أنه الموت لا محالة، خطر في باله أن يستنجد بشيخه أبي النصر، ولكنه لم يجرؤ على التلفظ به، فاستنجد به في قلبه، فلما وصلوا مكان تجمعهم في أحد الأقبية، وإذا بضابط منهم يأتيهم مسرعاً ويقول لهم: لماذا أحضرتم هذا الرجل، اتركوه فوراً. قال: فأرجعوني إلى حيث أخذوني، وانطلقت إلى بيتي أحمد الله على الحياة بعد الموت.

وقد سمعت منه هذه الحكاية مراراً وكان شيخنا عبد الباسط يقول له: إحك لنا يوم أخذوك الكتائب. فيحكيها.

٧- مع الأخ حاج بهاء العمر المارعي (أبو دياب):

وهذا من المحبين للشيخ أبي النصر ولكل من له علاقة بالشيخ حفظه الله، وهو يتردد علينا منذ زمن الوالد، ويحافظ على الود، ولا زال مرتبطاً بعد شيخنا عبد الباسط بشيخنا الحالي الشيخ إسماعيل، ويلازم المجالس النقشية، وكان يعمل شرطياً سائقاً لدى قائد شرطة حلب، قال، (وهذه الحكاية منذ سنوات):

قال لي رئيسي اللواء أحمد صبحي كيخيا قائد شرطة حلب يومها: يا بهاء هيىء لنا السيارة سنذهب بتعزية إلى طرطوس. قال: وكنت مريضاً، ولا أجد من نفسي نشاطاً للسفر، وأتمنى أن يتركني لأذهب إلى البيت فأرتاح، ولكني أستحي أن أقول له ذلك، وكانت الساعة حوالي الثالثة ظهراً، وانطلقنا بالسيارة وركب معه رئيس الشعبة السياسية أيضاً، وأصبح السفر لازماً، فقال لي: سنمرُّ على قصر المحافظ ليكون الانطلاق من هناك، قال: فتوجهت بقلبي لسيدي أبي النصر، وقرأت له الفاتحة بنية أن يتركني ويعفيني رئيسي من السفر، ولما وصلنا قصر المحافظ قال لي قائد الشرطة: ليش سيارتك مربّطة (بطيئة) والتفت إلى رفيقه، وقال: انزل يا أبا صفوان لنركب بسيارتك، وصرفني إلى بيتي والحمد لله.

قلت لأبي دياب: ذاك سرّ الإرتباط الصادق بالمرشد، والإرتباط بالحياة وبعد الممات سواء.

٨- الشيخ يحضر وفاة مريده الصادق في حربل (قضاء إعزاز):

وهذا مما يعرفه الإخوان المرتبطون بصدق المحبة بشيخهم، وقد سمعوا قول المُنشد بلهجة بدوية يقول: (دزّوا - أي أرسلوا - على شيخي يحضر وفاتي)، وعند الصادقين من المحبين لا حاجة للإرسال، فإن الشيخ الكامل يحضر وفاة مريده الصادق، وقد حدثني منذ أيام (أوائل محرم ١٤٢٣ هـ، ٢٠٠٢ م) الأخ عبد الحي مصّيني بن الحاج أحمد من حربل، ووالده من أحباب الشيخ ومريديه الصادقين، وقد لزم الشيخ أبا النصر ثم الشيخ عبد الباسط ثم الشيخ إسماعيل، حفظه الله.

قال عبد الحي: منذ فترة قريبة كنت في الأردن نائماً عند ابن خالتي محمود طبشو، وكان الوقت قبل صلاة الجمعة، فرأيت في منامي أننا في مدينة الباب، وإذا بثلاث سيارات يركب فيها مشايخ، والسيارة الأخيرة ينقصها عدة ركاب، وكان ابن خالي أبو عمر، محمد العمر، فناداني: يا عبد الحي، تعال واركب معنا، فإن رجال الطريق النقشبندية يريدون حضور جنازة والدك. فركبت معهم واتجه الجميع إلى زاوية والدك (الشيخ محمد علي المسعود في الباب) وإذا بي أرى داخل الزاوية سيدنا رسول الله ﷺ، وشيخنا الشيخ إسماعيل أبو النصر متكئين على وسادة واحدة، ووالدي جالس أمامهما ينشد نشيدة لم أحفظ منها إلا هذه الكلمات: (أنتم يا سيدي بيّشتم بجوم السما، وإذا قلتم أنا؛ فقل لي يا سيدي من أنا)، وفهمت من القصيدة أنها توسل بسيدنا رسول الله ﷺ وآل بيته الطاهرين، ثم استيقظت، وحدثت ابن خالتي محمود بالرؤيا وقلت له: أظن أن والدي قد توفي. فجئت حالاً من الأردن إلى سورية، ثم وصلت إلى (حربل)، فأخبروني أن والدي قد توفي في نفس اللحظة التي رأيت فيها رؤياي، وقد كان معه في البيت حين وفاته إخوتي؛ إبراهيم، وعبد الله، ومحمد، وأخواتي ووالدتي، فقالوا كلهم: صدقت في رؤياك، لأنه كان يقول لنا عند الاحتضار: قم يا إبراهيم، قم يا عبد الله، وافتح الباب لسيدنا رسول الله ﷺ، ثم أعاد الكلام مرة ثانية، وثالثة، وقال: قوموا أما سمعتم ؟! افتحوا الباب لسيدنا محمَّد، ولسيدنا أبي النصر، فإنه آت معه.

ثم سمعه الموجودون يقول: أهلاً بسيدي رسول الله، أهلاً بسيدي أبي النصر، وبعد أن أكمل السلام لفظ أنفاسه رحمه الله تعالى.

أقول: إن والده الحاج أحمد، معروف بالحاج حميدة، وكان إماماً لجامع حربل المبني على الطريق إلى مارع، والمسمى باسم (الشيخ أبي النصر)، وكان هذا الرجل من المحبين المتواضعين، الذين لازموا مجالس شيخنا أبي النصر وابنه شيخنا عبد الباسط بعده، وقد صحبنا شيخنا عبد الباسط إلى حربل مراراً، وكان هذا الرجل رحمه الله من أشد الناس حباً لأشياخنا وتواضعاً وملازمة وإكراماً ومواظبة على المسجد رحمه الله تعالى، وأكرم نزله، وقد توفي عن عمر يبلغ تسعين عاماً.

٩- الشيخ يحضر وفاة مريده في شويحة (منطقة الباب):

ومما أذكره أيضاً في هذا الموضوع ما حدثت به أم زوجتي الحاجة حليمة، زوجة عمي الشيخ محمد سعيد المسعود رحمه الله تعالى، وكانت امرأة صالحة تقية، وكانت ممن أخذ العهد والورد أيضاً عن الشيخ أبي النصر، وسلكت الطريق النقشي، عندما كان يزور الشيخ قريتهم (شويحة) شمالي الباب قبل زواجها من عمي، إذ كانت تحدثنا عن إخوتها عبد الوهاب، وعبد العال، وعبد الرزاق، أولاد الحاج حسن العيدو، وهم وجهاء تلك المنطقة، وكان الشيخ ينـــزل عندهم ويتفقدهم أثناء جولاته في منطقة الباب، وكانوا ملتزمين بالطريق لدى الشيخ أبي النصر قدس سره، وتقول:

كان أخي حاج عبد الوهاب إذا علم بقدوم الشيخ إلى تلك الجهة، يُعِدُّ له فرساً مخصوصة لا يركبها غيره، ويضع عليها سجادة تحفظ بعد نزول الشيخ عن الفرس ولا تبسط إلا للشيخ، كما كان عنده سجادة أخرى يضعها على فراش الشيخ إذا نزل بدارهم، ولا تبْسط أيضاً إلا له، وكان الشيخ أبو النصر يرسل لهم السلام في رسائله للشيخ محمد المسعود. قالت السيدة حليمة أم محمد رحمها الله: لما احتضر أخي عبد الوهاب كان ينادي زوجته قائلاً: حلوم، حلوم مدّي فراش الشيخ جيداً، ضعي عليه السجادة (التي كانت لا توضع إلا للشيخ)، فتمد زوجته

الفراش، ثم يقول لها: مدي السجادة جيداً (عدّليها)، جاء الشيخ أبو النصر، أهلاً بسيدي أبو النصر أهلاً بالشيخ عثمان (المارعي)، أهلاً بفلان، وينادي أسماء العلماء الذين كانوا يصحبون الشيخ رحمه الله في جولاته، أهلاً بسيدي أبي النصر... وهكذا حتى توفي رحمه الله.

١٠- الشيخ يحضر مناماً من أجل شفاء ولد أحد مريديه:

وهو ابن الشيخ عبد السلام الدابقي، وقد ذكرنا تفاصيل هذه الحادثة في ترجمة الشيخ عبد السلام الدابقي رحمه الله، كما كتبها لي الأخ الشيخ عبد الرحمن بكور الدابقي، المقيم في منبج والمدرس في شرعيتها وفي المدارس العامة فيها، أن أحد أعمامه المدعو إسماعيل البكور رأى في منامه شيخنا أبا النصر ووراءه الشيخ عبد السلام يمشي، ولما قبّل يده قال له الشيخ أبو النصر: يا ابني يا إسماعيل إني جئت من أجل أحمد (ابن الشيخ عبد السلام) لأنه مريض، وقد كان الشيخ عبد السلام مشغولاً بأمر الطريق وأمر الإخوان، جزاه الله خيراً. ولما قص إسماعيل الرؤيا على الشيخ صباحاً قال له الشيخ عبد السلام: صدقت يا أبا بكور، لقد شفي أحمد ولله الحمد. اهـ

وانظر هذه القصة في ترجمة الشيخ عبد السلام الدابقي (قسم علماء إعزاز) من هذا الكتاب.

ولا أظن أن أحداً ممن ارتبط بالشيخ أبي النصر قدس سره ارتباطاً صادقاً إلا وله معه مثل تلك المواقف، وإلا له عليه مثل تلك العنايات والتوجهات، التي يحفظ الله بها الصادقين من عباده المؤمنين الكائنين مع الصادقين، وذلك في حياتهم وبعد مماتهم، كما قال سيدي أحمد الرفاعي في برهانه المؤيد شارحاً قوله تعالى: ﴿الله وليُّ الذين آمنوا..﴾، قال: يتولاهم في حياتهم وبعد مماتهم، ويتولى من يناديهم ومن يحلّ بناديهم، بلحوق علم منهم وبغير لحوق.

١١- وينك يا شيخي أبو النصر:

وهذا ما حدثني به الأخ أحمد بن حسن الشهابي مراراً، يذكره وعبرته ودموعه تسبق لماته، يقول: فضل الشيخ علينا عظيم وكبير، حال حياته وبعد مماته، وفضله عليّ وعلى

أولادي وعلى زوجتي (أم حسان)، وقد كانت من مريديه ومحبيه، وتلقت عنه الورد (الذكر النقشبندي)، ولا أنسى عناية الشيخ رحمه الله بعد وفاته، إذ أنه بعْد ولادة ابني غسان بشهرين مرض مرضاً شديداً كاد يودي بحياته، وكان هذا في تموز عام ١٩٦٣ م، ولم تُبْقِ منه الحمى سوى الجلد على العظم، وقد أوصانا الطبيب الشيخ عمر خياطة بأن نديم وضع الثلج على بطنه، حتى يشفى وتزول الحمى مع استعمال الدواء، ودامت هذه الحال ما يقارب ثلاثة أشهر، واستنفد الدواء والمعالجة ما عندي من (راتب) وكنت موظفاً بسيطاً في شركة كهرباء الباب.

ودخلت يوماً بعد العصر إلى البيت، فبادرتني زوجتي قائلة: لقد انتهى الدواء، فقلت لها: إذا مات أحمله إلى المقبرة، وإذا عاش أربيه. فخرجت كاسف البال حزيناً مهموماً، وما عندي قرش اشتري دواء، ولا أحب الاستدانة، فلم أحضر إلى البيت إلا بعد صلاة العشاء، ودخلت فوجدتها تهز سريره وهو يبكي بصوت يشبه الأنين، لا يكاد يسمع من شدة الجهد، واستلقيت على سريري أتقلب، وما أستطيع النوم من الحزن والأسى، حتى قاربت الساعة الواحدة، وإذا بي أسمع صوت أم حسان تقول: وينك يا شيخي أبو النصر، إذا بهذه الحالة وبهذه الأزمة ما زرت ولدي وما رأيته، فمتى ؟ ثم قالت بقلب حزين محترق: إذن لماذا أنت شيخي ؟ قال: وأنا أسمع مناجاتها لشيخها، ودموعي تسيل على خدي، وإذا بي أسمع صوتها فجأة تقول بصوت عال: (الله، الله، الله)، وتمدها، وقامت وانتابتها الأحوال مع الذكر، فأسرعت إليها أمسك بها، وهي تتفلت من يدي، وهكذا ظللت أحاول إمساكها وتتفلت لمدة دقيقة أو أكثر، ثم هدأت وقالت لي: لماذا أمسكتني ؟ سامحك الله، لقد جاء شيخي أبو النصر، ورأيته بعيني قرأ للولد ومسّده وأَمَرَّ يده على جسمه، وأردت تقبيل كتفه فلم تتركني !

قال أبو حسان: ومن ساعتها هدأ الصبي وبدأ العرق يتصبب منه، ونام حتى الصباح، ثم بدأ ينمو ويسترد عافيته، وكان كل يوم يزداد صحة ونمواً، بل يزيد وزنه نصف كيلو تقريباً، ولم تمضِ بضعة عشر يوماً حتى صارت صحته ونموه أحسن مما كان، وهو الآن

مهندس كهرباء كبير، وأنا مدين بحياته للشيخ أبي النصر.

١٢- خَلِّي شيخه يقرأ له:

وحدثني الشيخ عيسى الحصري حفظه الله عندما زرته في بيته بحلب (كرم الجبل) في شوال ١٤٢٣ هـــ، بصحبة الأخ المحب الحاج أحمد المجدمي، بعد حديث طويل عن زيارته للشيخ أبي النصر في حمص، (أثبتناه في المبحث السابق، فارجع إليه) قال:

مرضت مرضاً شديداً، وكان ابني سعيد يدخل عليّ ويرى حالتي، فقالت له والدته: انظر إلى والدك كيف حاله، وسخونته ؟! فوضع ابني سعيد يده على جبيني، فرأى الحرارة تتقد في جسمي، وأظن أنها كانت فوق الأربعين، كأنها نار تغلي، فقالت له الوالدة: اقرأ لوالدك. فقال لها؛ وقد رأى ما بي من شدة الحمى: إش أقرأ له ؟ شيخه أولى به. وتركني وذهب إلى غرفته وجلس مع رفاقه، فقلت أنا بلحظتها وقد صحوت: لا إله إلا الله، فقالت أم سعيد زوجتي: محمد رسول الله. وقمت من فراشي، كأنما نشطت من عقال، لم يبقَ فيّ مرض ! وذهبت إلى غرفة ابني سعيد، فقال متعجباً: ما لك ؟! قلت: عوفيت، لقد قرأ لي الشيخ أبو النصر، لقد حضر بجسمه ولحمه وقرأ لي، ليس هذا مناماً، لقد رأيته رأي العين والحمد لله، إنه شيخي، لم أر بعد الشيخ إنساناً مثله، رحمه الله وقدس روحه.

١٣- اذهب إلى الشيخ وقل له: أنا ابن مريدك عيسى الحصري:

وحدثني الشيخ عيسى الحصري في تلك الزيارة قال: جاء ولدي عمر بإجازة من وحدته العسكرية، ستة أيام ليقضيها لدينا في حلب لكنه بقي ثلاثة أشهر، وبعدها قال لي: أنا مأذونيتي ستة أيام، وبقيتُ ثلاثة أشهر وسأعود إلى قطعتي، دبّرني، فقلت: أنا ؟! اذهب إلى حمص وزر الشيخ سليم والشيخ أبا النصر، وقل له: أنا ابن ابنك عيسى الحصري. فقال لي: يؤذونني، يعاقبونني. فكررت عليه القول: ادخل على الشيخين واقرأ لهما الفاتحة.

ولَمّا لم يجد بدّاً من ذلك، توجه ابني عمر إلى حمص وزار الشيخين؛ سليماً وأبا النصر،

ووقف عند قبرهما وترجّاهما، وقال لهما ما قلت له، ثم ذهب إلى قطعته، وانتهت خدمته، و لم يقل له أحد من رؤسائه أين كنت ؟ ولماذا غبت كل هذه المدة ؟ والعادة أن من تأخر يجري في حقه البحث والطلب، ويعاقب.

وبعد أن انتهت خدمته العسكرية قال له رئيسه: كلما أراك، يكون عندي كلام، فأسكت، إيش الحكاية ؟! فقال له عمر (بعدما قص عليه وصيتي له وقال ما فعل عند الشيخين): هذه الحكاية !

١٤- الله يبيض وجهك:

وحدثني الأخ أحمد مجدمي: قال أنا لم أدرك الشيخ أبا النصر، ولكن أكرمني الله بصحبة الشيخ عبد الباسط أنا وأولادي، كما أكرمنا بصحبة سيدي الشيخ إسماعيل حفظه الله، قال: ذهبت أنا والشيخ أحمد النصَّار إلى حمص لنـــزور سيدنا أبا النصر، فقال لي الشيخ أحمد: لازم نزور سيدنا خالد بن الوليد، لأن شيخنا يرضى بذلك. ودخلنا على سيدنا خالد، فدفع باب الحجرة، فانفتح ودخلنا، والنقود تملأ المكان – كما تعلم – وأثناء وقوفنا بين يدي سيدنا خالد، سمعت صوتاً يقول: الله يبيض وجهكم مثلما بيضتم وجهي مع خالد بن الوليد. وظننت أنه شيخنا أبا النصر، ولكن لم أر شخصاً، ثم توجهنا إلى مقبرة الشيخ، فرأيت شواهد القبور كلها أبا النصر، قدس روحه ونوّر ضريحه.

١٥- اتبعوني:

ومما حكاه لي الأخ خلدون الخطيب قال: ذهبنا لزيارة حمص المحروسة وقصدنا زيارة سيدنا خالد بن الوليد ﷺ وسيدي الشيخ سليم الخلف وسيدي الشيخ أبي النصر.

وكانت أول زيارة لسيدي الشيخ سليم والشيخ أبي النصر، وبعد زيارة سيدي خالد أردنا زيارة مقبرة السادة ولكن بعد تعب عجزنا عن الوصول إلى المقبرة، وفي هذه الأثناء ونحن بسيارتنا نسير في شوارع حمص، قلنا للإخوة الذين معنا لنقرأ الفاتحة لهما فقرأناها وبعد الفاتحة مباشرة وإذ بسيارة أمامنا تشير بالضوء لأخي السائق خالد الغضبان فقال لي:

سيارة تشير بالضوء لنا. فقلت له: توقف حتى نعرف ماذا يريد. فقال سائقها: السلام عليكم. فرددنا السلام، فقال: اتبعوني (دون أي سؤال). فقلت له: اتبعه، فسرنا خلفه حتى وصل إلى المقبرة فقال: هذه مقبرة الشيخ سليم. ثم مضى رضي الله عنهم وأرضاهم.

١٦- يا سيدي أنا محسوب عليكم:

ومما حدث به الحاج أحمد مصطفى النجار عن عمه المرحوم حاج جمعة وكذلك حدث أبناء الحاج جمعة، وكتب لنا الأخ الأستاذ مهند الخطيب من تادف أن الحاج جمعة العلو النجار رحمه الله كان من مريدي الشيخ محمد أبي النصر قدس سره، وكذلك كان ملتزماً بعده ابنه وخليفته الشيخ عبد الباسط رحمه الله. وكان في آخر حياته يذهب كل عام لأداء العمرة في رمضان ويبقى لموسم الحج فيحج ثم يعود، إذ لم يكن أمر العمرة ميسراً كما هو الآن، (وهذا مخالف طبعاً لتعليمات السفارة السعودية).

وفي آخر سنة من حياته، راجع السفارة السعودية من أجل تأشيرة عمرة، فرفض الموظف لكثرة مخالفاته، (وهي واضحة في جواز السفر) فغضب الحاج جمعة من رفض الموظف وخاطبه قائلاً: سأذهب بهذه العصا. وأشار إلى عصاته التي يحملها، وانصرف عائداً إلى حلب مع ولده، وفي الكراج قال لولده: اقطع لنا تذكرتين إلى حمص. وأمام ضريح الشيخ محمد أبي النصر في حمص بكى وقال: يا سيدي أنا محسوب عليكم، وأريد زيارة جدي رسول الله ﷺ، وهم يمنعوني، وإن لم أذهب، فلا أعرفك ولا تعرفني. ثم تابع مسيره إلى حلب.

وليلتها رأى في نومه الشيخ أبا النصر قدس سره يفتح عليه باب غرفته ويقول له: تعال ياحاج جمعة لنعتمر سوية. قال الحاج جمعة: فخرجت مع الشيخ وإذا نحن أمام الكعبة المشرفة حرسها الله، فطفت معه سبعاً وسعيت سبعاً، وعند المروة في آخر شوط وضع الشيخ يده على ظهري وقال لي: مشي حالك ياحاج جمعة.

قال: فاستيقظت عند الفجر، فصليت الفجر ثم سافرت مع ولدي إلى دمشق، ولما قدم

ولدي الجواز إلى نفس الموظف الذي رفض بالأمس قال: أين صاحب هذا الجواز ؟ فجاء الحاج جمعة، فأكرمه الموظف واعتذر منه وختم له بتأشيرة العمرة، فاستغربَ الحاج جمعة من هذا التصرف وقال له: ما الذي غير الحال، فأجاب الموظف: لقد جاءني هذه الليلة مناماً رجال أولياء لهم هيبة عظيمة وقالوا لي: هذا الرجل يجب أن يسافر. وسافر الحاج جمعة إلى العمرة، وكانت السفرة الأخيرة حيث توفي بمكة بعد أداء العمرة في رمضان، وكانت وفاته في أول أيام عيد الفطر، ودفن في مقبرة المعلا رحمه الله تعالى.

ما قيل في الشيخ أبي النصر من أشعار؛ مدائح ومراثٍ

وهذا الباب لا يمكن أن تستقصيه، فإن أحباب الشيخ وتلامذته وإخوانه لا يحصون، وضبط ما قالوه من مدائح شعرية منذ أكثر من خمسين عاماً لا يُستطاع، وسنقتصر في هذا الباب على ما استطعنا الحصول عليه وجمعه مما قيل فيه، قدس الله سره ونور مرقده.

١- الشيخ عيسى البيانوني:

ونبدأ هذا الباب بما قاله المحب الأول للشيخ؛ العالم العامل، والفاضل الكامل؛ **الشيخ عيسى البيانوني**، الذي توفي بالمدينة المنورة قبل شيخه بأعوام، اقتطفناها من ديوانه (فتح المجيب في مدح الحبيب) قال في مدح الرسول الأعظم ﷺ ومدح شيخه:

حبيب الله للكون ابتداء	له الخلق المعظَّم والبهاء
وقد عمَّ الوجودَ ندىً وجوداً	وفيه قطّ ما خاب الرجاء
شغفت بحبه مذ كنت طفلاً	وشبت وليس للحب انقضاء
يضاعف حبّه في القلب يوماً	فيوماً، والمحبُّ له الهناء
عذاب الحب للعشاق عذبٌ	وأعظم لذة فيه البكاء
وأكمل حالة الإنسان صدق	وأفضل وصفه حاء وباء

فهِم وجداً وكن في وصف قوم بصدق الحب للأحباب جاؤوا

وقل يا سيد السادات: إني (محبٌ والمحب لـه رجاء)

حبيبي إن داء البعد أضنى فؤادي حينما عزّ الدواء

فأنقذني حبيبي من بعادٍ به قد زاد كربي والعناء

وعجّل يا طبيب الكون برئي متى شئت لي حصل الشفاء

وإن وسيلتي لعلاك شيخي (**أبو النصر**) الذي منه الصفاء

إمامٌ مرشد في الكون لمّا فَنِي في الحب تمّ له البقاء

عليك صلاة ربك مع سلام ذكيٍ كلما طّلَعت ذكاءُ

تَعمُّ الآل والأصحاب طراً وتبقى الدهر ليس لها انتهاء

(الديوان ص ٣).

– وقال رحمه الله تعالى في قصيدة من حرف الباء يمدح الرسول الأعظم ﷺ ويمدح فيها شيخه أبا النصر:

قد طال بعدي وزادت بالنوى كُرَبي وسيد الرسل قصدي منتهى طلبي

مَن قد علا فوق كل الخلق مرتبة بالخلق والخلق والإحسان والحبِّ

ماذا يقول بليغ في مدائحه والله مادحه في جملة الكتب

وحبه لرضا خلّاقه سبب أَكرِمْ به سبباً ناهيك من سبب

– ثم يقول:

وسيلتي شبلُه غوثي الذي ارتفعت بلحظه عن فؤادي ظلمة الحجب

شيخي (**أبو النصر**) من تُنْمى طريقته للسيد السند الصديق ذي الرتب

خليفة المصطفى وسرّ الوجود ومن قد شيدّ الدين بالصمصام والخطب

صلى عليه مع التسليم خالقه والآل والصحب أهل الدين والأدب

(الديوان ص٣٢).

- وقال في أخرى مادحاً حضرة المصطفى ومذيلاً المديح بشيخه أبي النصر:

إن مولانــــا الحبيـــب المجـتبى   خـــير كـــل النـــاس أمـــاً وأبـــاً
يــدخل الجنـــة مـــن أطاعـــه،   ولظـــىً عبـــدٌ عصـــاه وأبى
حبــه المفـــروض عنـــد الأوليـــا   بـــل علـــى كـــل البرايـــا وجبـــا
إن قصدي القـــرب مـــن أعتابـــه   وفـــؤادي مـــن البعـــد وجبـــا

- ثم قال:

فعليــــه الله صــــلّى مُتْحِفــــاً   كلمــــا هبّــــت قبــــولٌ وصــــبا
وعلــــى آل وصــــحبٍ ســــادةٍ   ما تــــراءى الــــبرق وهْنــــاً وجبــــا
وعلى شيخي **(أبي النصـــر)** الـــذي   كـــم لوجـــه الله أعطـــى وحبـــا
مرشد في العصر أضـحى مفـرداً   حـــاز للمختـــار طـــه نســـبا
قـــد أقـــر الكـــون بالفضـــل لـــه   بـــل لـــه كـــل المعـــالي نســـبا
رضـــي الله تعـــالى عنـــه مـــا   هـــام ذو وجـــد غرامـــاً ونبـــا

(الديوان ص٣٤).

- قال رحمه الله: وقلت، (فيها لزوم ما لا يلزم):

هبـــت صـــبا مـــن طيبـــة   فأنعشــــــت إذ هبّــــــتِ
وبشــــــرتني باللقــــــا   والوصــــــل مــــــن أحــــبتي
يـــــا واقفـــــاً في بـــــابهم   كـــــن حاضـــــراً في غيبـــــة
وانظــــــر ســــــنا هلالهــــــم   مــــن فــــوق تلــــك القبــــة
إن الغــــــرام فــــــيهم   لله خــــــيرُ قُربــــــةٍ

- ثم قال:

أرجـــو نجـــاتي يـــوم حشــــ   ـــري مـــن أمـــورٍ صـــعبة
وكيـــف لا وقـــد علـــت   بالحـــب فـــيهم رتـــبي

وسـيلتي شـيخي (أبـو الـــ ـــنصر) ومنــه أهــبتي

حاشــاه أن يــردني بعــد الرجــا بخيبــة

وقــد مــدحت جــدّه بصــادق المحبــة

صــلى عليــه ربــه والآل مــع ذي صــحبة

كــذا علــى العشــاق مــا هبــت صــبا مــن طيبــة

(الديوان ص٣٨).

- وقال في قصيدة من حرف الحاء:

كــن مغرمــاً إن الغــرام فــلاح واهْوَ الجمال فما عليك جناح

وانظم لآلئ من دموعــك وابتــهج بالمــدح فيــه فــالعقود صــحاح

من كان في حــب الــنبي متيَّمــاً وافــاه في الــدارين منــه نجــاح

- ثم قال:

بالقرب جودوا واسمحوا يا سادتي فضلاً فخلــق الأكــرمين سمــاح

وتعطفــوا فوســيلتي لعلاكــم شيخي (**أبو النصر**) الفتى الجحجــاح

هو شبلكم هو مرشد عنكم لــدى أهــل القلــوب أريجــه فــواح

أخلاقه الذكر الخفي والجود والــ ــعرفان ثم المــدمع الســحاح

وهو المهــيم في جمــالكم الــذي بــالنور منــه تهتــدي الأرواح

فعلــيكم صــلى الإلــه مســلماً ما انشق من فجر الوصال صــباح

أو قال كامــل حســنكم لمحــبكم كــن مغرمــاً إن الغــرام فــلاح

(الديوان ص ٤٥).

- وقال في مدح الطريقة النقشبندية:

واسلك **طريق النقشبندي** وابتــهج فلتلك أقــرب للوصــول وأنــور

وتوســلن برجالهــا متــذللاً بالذل للمحبوب كســرك يجــبر

واصدق وناد يا (**أبا النصر**) الـــذي ... اسمو به وعلـــى الأعـــادي أنصـــر
دارِك وأســـعفني بفضـــلك إنـــني ... عبـــد مســـيء مـــذنب ومقصـــر
لا شيء عندي غـــير حـــبي وبـــه ... أرجـــو التقـــدم والخلـــي مـــؤخر

(الديوان ص٦١).

– وقال من حرف الواو:

يـــا آل ســـلع بالـــذي أعلاكـــم ... لا تتركـــوني بـــالنوى مجفـــوا
ثوب اصطباري مذ تخرق في الهـــوى ... بالوعد مـــنكم قـــد غـــدا مرفـــوا

– ثم قال:

الحمـــــد للـــــبر المهـــيمن أن لي ... قلبـــاً ســـليماً فـــيكم مشـــجوا
فوسيلتي شيخي (**أبو النصر**) الـــذي ... أضـــحى إلى أشـــبالكم معـــزوا
لمـــا نقشـــتم بـــالهوى أســـراره ... بالمرشـــد النقشـــي غـــدا مـــدعوا
صلى عليكم ذو الجـــلال مســـلماً ... ما دام قـــرب في النـــوى مرجـــوا
والآل والصحب الكرام ومن رقـــا ... بالمرشـــدين الكـــاملين سمـــوا

(الديوان ص١١١).

– وقلت مطرزاً اسم شيخي حفظه الله: (والتطريز أن يذكر في أول كل بيت حرفاً من اسم المطرَّز).

ا الحب أشرف ما حوتـــه أضـــالـــع ... والعمـــر إلا في المحبـــة ضائـــع
ل لا يَشْغَلَنْكَ شاغل عن حـــبِّ مـــن ... بـــدر الســـماء لـــه عُبَيـــدٌ طـــائع
ش شـــافي قلـــوب شـــفّها ألم النـــوى ... فترقرقت في العـــين وهـــي مـــدامع
ي يـــمم حمـــى أعتابـــه بتـــذللٍ ... والْـــثُمْ ثراه وأنـــت بـــاكٍ خاشـــع
خ خـــذ صدق حبّك للحبيب وســـيلة ... لجنابـــه يبـــدو الضـــياء اللامـــع
م مـــن يَفْنَ في حبّ الحبيب يعش بـــه ... أبـــداً ويحيـــه النـــوال الواســـع

ح حُسْن وإحسان وأخلاق وأَلْـ ـطافٌ سَمتْ بِحُلاه جلَّ الصانع

م ماذا يقول بمدحه أهل النهى والمدح في الكتب القديمة شائع

د دعني من التهديد في يوم الجزا فالأمر للبرّ المهيمن راجع

أ أأخاف ذنباً والحبيب محمد ذُخرٌ لأهوال يوم القيامة شافع

ب بحر المكارم والمراحم والندى شمس الهدى بدر الكمال الساطع

و وحياته أنا مغرم في حبه وبفضله في كل آنٍ طامع

ا أَوّاه من نار النوى كم أجّجت في مهجتي والبعد بيْنٌ رائع

ل لولا رجائي أن أفوز بقربه لأبادني سهم البعاد الصادع

ن نور من النور القديم قد انجلى فرْدٌ لأشتات المعالي جامع

ص صان الإله بحبه قوماً لهم سهرٌ إذا ضمّ الخليَّ مضاجع

ر راحوا سكارى من مدامة عشقِهِ وعليهم غيث الكرامة هامع

(الديوان ص٧٤).

٢- الشيخ محمد الحامد:

ومن أعظم من مدح الشيخ أبا النصر، تلميذه ومريده، علاّمة حماه، بل علامة الشام المجاهد الشيخ محمد الحامد، وقد نقلنا من كتاب المحامد الذي ألفه في ترجمته تلميذه الشيخ العالم عبد الحميد طهماز هذه القصائد.

قال الأستاذ طهماز ص٢٥٦: وما أكثر قصائدَه المحفوظة، فهي التي قالها في مدح شيخه ومرشده العظيم محمد أبي النصر رحمه الله تعالى، والسبب في حفظها أن سيدي – رحمه الله تعالى – كان يرسلها إلى شيخه، فيعطيها الشيخ إلى ولده فضيلة الشيخ عبد الباسط ليحفظها، كيلا تضيع، فجزى الله الوالد العظيم وولده الكريم خير الجزاء.

– قال الشيخ الحامد وهو في مصر، في الثالث من شوال ١٣٥٦هـ:

هي الروح تسري في الهوى حيثما يسري وتصعد في نَجْدٍ وتهبط في غَوْرِ

وكل مناها أن يكون أليفها ... بمشهدها والبعدُ مِنْ أنكر النُّكر

وأنكر منه أن يكون مُتيّم ... قصيّاً ومرميّاً بشيء من الهجر

فَذاك أسىً فوق الأسى ومرارةٌ ... بجانبها يحلو الزُّعاف من المرِّ

ولولا له الآمال بالقرب واللقا ... قضى حزناً أو غاص في أبحر الضر

ولكنها تبدو فيغدو بفرحة ... ويسكن مرتاحاً ويأمل باليسر

خليلي ما فوق البسيطة كلها ... ولا بين أحبابي على القل والكثر

ولا في فؤادي ساكن أبد المدى ... سوى سيدي الشيخ الإمام **أبي النصر**

فروحي به هامت وقلبي له عنا ... وذكراه في جهري وسِرِّيَ في سري

أجلُّ إمام قام في الناس مرشداً ... فسيقت له الأرواح من عالم الذرّ

ونادى بهَدْيٍ فاستجاب له الألى ... أُريدَ بهم خيرٌ وخيرٌ على خير

فقاموا خشوعاً ثم تاهوا بجمعهم ... هياماً لشيخ الكل في محفل الذكر

وما مثله فيهم وقد لاح نوره ... عليهم إلا البدر في الأنجم الزهر

هو **القطب** في الإرشاد والمدد الذي ... تلين به صمّ الجنادل والصخر

كريم المحيا في جلالٍ وهيبةٍ ... وسيمٌ إذا تلْقاه يلقَاك بالبشر

له الهمة العلياء عُلْي مقامه ... وبين رجال الله مرتفع القدر

تقيٌّ سخيٌّ طيبُ القلب خاشع ... أخو ضِعةٍ في نفسه واسع الصدر

يقوم ظلام الليل والناس هجّعٌ ... فيعبد مولاه إلى مطلع الفجر

وإن سمع القرآن أطرق باكياً ... ووالى بدمع في التحدّر كالقطر

تبارك ربي خصّه بفضائل ... ويمنح ربي من يشاء بلا حصر

لقيت شيوخاً غيره، غير أنني ... وحق الهوى ما ملت عنه إلى غير

وكيف ولي عهد وثيق بحبه ... وإنيَ وافٍ لّسْتُ في الحب ذا غدر

علــى أنــه للــروح أعظــم قائــد بصير بأحوال القلــوب أخــو خــبر

❁ ❁ ❁

أيا سيدي حــتى م أبقــى مقصــراً أسير على بطء وأعــرج في ســيري

وحتى م أفني العمــر لا أنــا آخــذٌ نصيباً من التقوى ولا مصلحاً أمــري

وكــم أتمنــى أن تتحــوّل حــالتي فأقربُ من خير وأبعــدُ عــن شــرّ

فبالله يــا مــولاي جُــدْ لي بــدعوة تنير بهــا قلــبي وتصــلحني عمــري

ومنَّ أيــا شــيخ الرجــال بنظــرة أعود بها في النــاس منجــبر الكســر

ويا صاحب القلــب الــرحيم تحننــاً على ابنٍ لكم يشتاقكم وهو في مصــر

أحــبكم مــولاي حبــاً مبرِّحــاً وحسبي هواكم مؤنساً لي في قــبري

وارغب في أن تلحظــوني بســركم وحسبي رضاكم عدة لي في حشــري

وإني والله الفقــــير بذلــــة وعــزي أني للكــريم أخــو فقــر

وحــبي رســول الله للقلــب مــالئ وحبي رسول الله من أنفــع الــذخر

❁ ❁ ❁

لقد نبِّتَ يا مولاي عن خير مرســل وخير حبيب من بــه معقــد الفخــر

رســول إلــه العــالمين وحبــه وسيد خلــق الله في الــبر والبحــر

عليــه صــلاة الله مــا أنَّ مغــرم وما دام مشتاق بسير الهوى يســري

– وفي مفكراته كتب رحمه الله تعالى: الخميس ٧ صفر سنة ١٣٥٣ هـ؛ في هذا اليوم سافرت من حماه إلى حمص، لزيارة سيدي العالم والمرشد الكامل، السيد الأستاذ محمد أبي النصر قدس الله تعالى سره:

تترامــى روحــي إلى أرض حمــص وفــؤادي تهــزه الأشــواق

وبروحــي حِــبٌّ أقــام بقلــبي هــو للــداء كلــه تريــاق

- وفي ٢٥ صفر ١٣٥٣ قال رحمه الله تعالى:

هبـــت علينـــا نســـمة حمصـــيّة ... فأزاحـــت الأكـــدار عنـــا والعنـــا

والروح تسعى قبـل جســمي للقـــا ... ولقـــاؤكم فيـــه المســـرة والهنـــا

أضحى فـؤادي في هـــواكم عالقـــاً ... وبحـــبكم يـــا ســـادتي متمكنـــاً

فلكم أثـــار الوجـــد مـــني ساكناً ... يدع الكئيب الصبّ في حال الضـــنا

- وفي ٢٦ صفر ١٣٥٣ هـ، قال رحمه الله تعالى:

يـــا ســـادتي والله أنـــتمُ مقصـــودي ... وهـــواكمُ ديـــني فجـــودوا بـــالمنى

قد خالط الشـــوق المـــبرّح أعظمـــي ... والحب في الأحشاء أمســـى ســـاكنا

منّـــوا علينـــا بـــالقبول تكرمـــاً ... أنتم أولو الأفضـــال أربـــاب الســـنا

صلى الإلـــه علـــى الحبيـــب محمـــد ... ما ذاب قلب الصَّبِّ والظهـــر انحـــنى

- وفي ٨ شوال ١٣٤٨هـ قال رحمه الله تعالى:

هـــو البـــدر إلا أنّ ليـــل تمـــه ... غدا مشرقاً وســـط الســـماء مـــنيراً

هدى الله أقوامـــاً بـــه كـــان دأبهـــم ... فســـاداً وعيشـــاً في الـــديار وزوراً

فإن رمت رشداً من ضلالك فاتخـــذ ... (أبا النصر) شـــيخاً واتخـــذه أمـــيراً

ألست تـــرى نـــور الهـــدى بجبينـــه ... وفي حلبـــة العليـــاء كـــان جســـوراً

فيـــا ســـيدي إني ببـــاك واقـــف ... وقد همت في بحـــر الضـــلال كـــثيراً

وأنّـــي لمثلـــي أن يُصَـــدَّ ولي بكـــم ... صِلاتٌ تبدّت حين كنـــت صـــغيراً

لك الله نرجـــو مـــن إلهـــك نفحـــة ... بهـــا نتقـــي يـــوم المعـــاد ســـعيراً

ويدخلنا جمعاً فراديس جنـــة ونمـــلأ ... مـــن بحـــر الهنـــاء صـــدوراً

بحرمة خير الخلـــق أحمـــد مـــن بـــه ... نؤمّـــل مـــن رب الســـماء أمـــوراً

- وفي ١٢ ذي القعدة ١٣٥٢هـ، قال رحمه الله تعالى:

يا نسيماً سرى إلى أرض حمص ... بلّغ الحب أنني في اشتياق

وإذا ما وَرَدْتَ دار حبيبي ... فاسأَلَنْهُ متى يكون التلاقي

يا (أبا النصر) زاد وجدي وقلبي ... يشتكي بعدكم مرّ طول الفراق

آه لو كنت في حماك قطيناً ... أحتسي الراح منك يا خير ساقي

يا إمامي وأنت قرة عيني ... جُدْ بعطفٍ يَحُلَّ قيد وثاقي

ففؤادي من حبكم في عناء ... والحشا من فراقكم في احتراق

غير أني من فيضكم في نعيم ... وجميعي لروحكم في عناق

ولو أني أبعدت عنكم لضاقت ... بي أرضي وليس لي ثَمَّ واقي

أنت روحي وأنت في القرب أنسي ... ونعيمي ومن سقاميَ راقي

يا عذولاً في جهله يتمارى ... حب شيخي أراه حلو المذاق

وحبيبي له المحاسن تتلى ... ولقد بزّ في مجال السباق

برضاء الإله فاز وحاز الوصل ... والقرب في أعز المراقي

- وفي ١٣ ذي القعدة ١٣٥٢هـ قال رحمه الله تعالى:

بين المحبين سرٌّ ليس يفشيه ... خط ولا قلم عنه فيحكيه

نار تقابله أنس يمازجه ... نور يخبره عن بعض ما فيه

شوقي إليه ولا أبغي به بدلاً ... هذي سرائر كتمان تناجيه

- وفي ٢٤ ذي القعدة ١٣٥٢هـ كتب رحمه الله تعالى:

وقلت في سيدي ومولاي وقرة عيني، الأستاذ العالم العامل والمرشد الكامل، الشيخ **محمد أبي النصر** خلف الحمصي النقشبندي قدس سره:

يا أحبابي بكم قلبي هام ... فارحموا الصَّبَّ الضعيف المستهام

واقبلوا من ينتشي من ذكركم ... وله القلب عن الأغيار صام

۞ ۞ ۞

آه ما أحلى مقامي عندكم ... أستقي من دنّكم في كأسكم

وأراعي شمسكم في حبكم ... وحياتي تزدهي في قربكم

۞ ۞ ۞

إن روحي في غيابي طائرة ... وبأكناف حماكم دائرة

أنت أنسي وروحي فيكم ... علقت والنفس فيكم حائرة

۞ ۞ ۞

ليتها دامت سويعات الهنا ... إذ فؤادي الصَّبّ يحظى بالمنى

يشهد الحِبَّ وقد زال العنا ... قد دنا ثم دنا ثم دنا

۞ ۞ ۞

إن في حمص لنا كل الشؤون ... و (**أبو النصر**) بها نور العيون

فهو البحر وناهيك به ... وهو في الإمداد والفيض الهتون

۞ ۞ ۞

أنا مفتون بشيخ ذي جمال ... وجلال وعلاء وكمال

في سويداء فؤادي ساكن ... وحبيبي كرمت منه الخصال

۞ ۞ ۞

آه كم همت بكم يا سندي ... ولكم طبت ومنكم مددي

ولكم ألبستموني حللاً ... يا أهيل الفضل بل والسؤدد

۞ ۞ ۞

وعلى الهادي صلاة وسلام ... وجميع الآل والصحب الكرام

ما شدا الحامد يوماً قائلاً ... يا أحبابي بكم قلبي هام

۞ ۞ ۞

- وفي عام ١٣٦٠هـ وبعد وصوله إلى مصر، كتب إلى شيخه أبي النصر رحمه الله تعالى رسالة قال فيها:

سيدي، قد أسمعت الشيخ محمد خالد الأنصاري لما كان في حماه بعض أقوالي فيكم،

فرأيت منه عتباً، لأني لم أقل فيه شيئاً، مع أنه أجازني بالإذن، وبأعلى السند إلى النبي ﷺ عن طريق الإمام البخاري ﷺ، وقد يسر الله تعالى لي نظم القصيدة الآتية، وتوارد علي معظمها، وأنا في السيارة بين بيروت ويافا، وقد شاء الله سبحانه - وله الفضل - أن يزينها بالنبي ﷺ وبكم، فاسمه الكريم مشرق فيها واسمكم تالٍ له، ولعمري إن مقام سيدي قدس سره أحق بأن أقول فيه من مقام الشيخ الأنصاري، مع احترامي إياه وتبركي به، وهل يحن المرء إلى غير أصله ؟ وأيضاً فهل فرع الشجرة إلا منها، وعلى هذا فقد يكون من أسرار ابتدائي به واختتامي بكم، أن الأمور بالخواتيم، وإني أسأل الله ختاماً حسناً كحسنكم، وهذا ولئن أوصلني الشيخ الأنصاري إلى النبي ﷺ بسبعة عشر شيخاً هو منهم، **فأنا أعتقد أنه ليس بيني وبينه ﷺ عن طريقكم سواكم، فأنتم الباب، وعن يدكم الوصول القريب إن شاء الله تعالى.**

- أما القصيدة فهي:

انتجـــع حمـــص مطلـــع الأقمـــار	واحظ فيهـــا بالجهبـــذ الأنصـــاري
ســـيدٌ ريحـــه يـــنم عـــن صـــدق	كـــريم الخصـــال بـــدر ســـاري
علَـــمٌ وفي العلـــوم حَبْـــرٌ عظـــيم	طيـــب القلـــب ســـاطع الأنـــوار
يا أبا الفضـــل أنـــت فـــرد بمعنـــاك	وفـــيض العرفـــان عنـــدك جـــاري
كم سمعنـــا مـــنكم حـــديثاً طريفـــاً	ولكـــم شُـــقْتَنَا بحلـــو الســـمار
ولكـــم كنـــت بـــالفؤاد شـــتى	هامعـــاً كالســـحابة المـــدرار
نظـــر ثاقـــب وفكـــر صـــحيح	ثنايـــاه نخبـــة الأفكـــار
فـــإليكم حقـــاً تحـــثُ المطايـــا	يـــا جليـــل الأعمـــار والآثـــار
لكم ســـيدي نســـبت وقـــد نلـــ	ـــت بعطف منكم عظـــيم الفخـــار
إذا وصـــلتم هـــذا الحقـــير بقـــوم	هـــم نقـــاة التقـــاة والأبـــرار
رأســـهم أشـــرف الخلائـــق طـــراً	أحمـــد الرســـل ســـيد الأخيـــار

يـــا بروحـــي حديثـــه وحـــلاه ... كم بـــذاك الحـــديث مـــن أســـرار

ليت عيني تـــراه يـــا لهـــف نفســـي ... بـــدمي شـــم عرفـــه المعطـــار

ساعة الأنـــس بالرســـول لعمـــري ... ســـاعة لا تقـــاس بالأعمـــار

يـــا أبـــا الطيـــب الأمـــن فـــإني ... جئـــتكم في مذلـــة وافتقـــار

وقـــديماً عـــداك نـــالوا أمانـــاً ... منـــك لمـــا تجلببـــوا بانكســـار

هـــذه وصـــلتي إلـــيكم بإســـناد ... حبانيـــه شـــيخي الأنصـــاري

قـــد عـــلا واســـتنار فهـــو قريـــب ... وقـــد ازدان بالإمـــام البخـــاري

فبأشـــياخي الكـــرام أجـــرني ... - يا ضيا العين - من عـــذاب النـــار

فدُعَاكم حاشا يـــرد؛ وكـــم حـــط ... بـــه ذو الجـــلال مـــن أوزار

وبمـــولاي ذي الأيـــادي **(أبي** ... **النصر)** أُرجِّي دخـــول دار القـــرار

ســـيد الأوليـــاء بـــدر ســـناهم ... الحســـيب النســـيب رحـــب الـــدار

هـــو والله في فـــؤادي مقـــيم ... حاضـــراً أو أكـــون في الأســـفار

كم ســـقاني مـــن الشـــراب لذيـــذاً ... ولكـــم حلّـــني مـــن الآصـــار

ولكـــم بـــتُّ في حمـــاة أراعـــي ... وجهـــه المســـتنير بالأذكـــار

ولَكَـــمْ هَـــاجَرَ المنـــامَ ينـــاجي ... ربَّـــه في ديـــاجر الأســـحار

يا رسول الإله هـــذا **(أبـــو النصـــر)** ... بكـــم قـــد بـــدا عَلِـــيَّ المنـــار

فاقبلوني بحبـــه فـــأخو الحـــب يجـــا ... زي بـــالعفو والاغتفـــار

أدخلـــوني بـــه رحـــاب التـــداني ... خالصـــاً مـــن شـــوائب الأكـــدار

وصـــلاتي كـــذا الســـلام علـــيكم ... كلمـــا ذرّ شـــارق الأقمـــار

وعلـــى الآل والصـــحاب جميعـــاً ... والمحـــبين يـــا كـــريم الجـــوار

❁ ❁ ❁

٣- الشاعر عبد الغني الحامد:

وذكر الأستاذ عبد الحميد طهماز في كتابه عن شيخه محمد الحامد رحمه الله تعالى ونور ضريحه، أن أخاه الشاعر بدر الدين الحامد لما سمع لقاء أخيه بالشيخ أبي النصر، وتأثره به، وأن أخاه ترك المدرسة ولحق بحمص، أرسل أخاه عبد الغني إلى حمص ليستطلع الخبر، فلما عاد **عبد الغني** من حمص قال: فإذا بي أتعلق بالشيخ وأتلقى عنه الذكر، وعدت إلى حماه وقلت أول قصيدة في الشيخ أبي النصر مادحاً له:

الحب في القلب أمسى ثابت القدم   الشوق خالط مني أعظمي ودمي

والروح تلهج في الآصال ذاكرةً   وفي الليالي، سناءَ المفرد العَلَمِ

يا من ترامت إليه الروح والهة   إني على البعد لا أنفكُّ في ضرم

كيف السلوُّ وقلبي لا يكفكفه   عن النزوع إليكم رِبْقَةُ العدم

أم كيف أنسى التداني منكم ولقد   كانت سويعاته أشفى من الدِّيَم

في مجلس الذكر والأنفاس حابسةٌ   لقنتموني التقى والزهد من أَمَمِ

تبارك الله ما أسمى مجالسنا   القلب للذكر فيها عاقد العلم

والقوم قد خشعت منهم بصائرهم   لله ذي العزة العليا من القدم

وأنت يا سيدي فينا حليف جوىً   تفيض أعينكم في أثر منسجم

إني إلى الذكر يا مولاي في كلفٍ   وفي حماكم به يشفى ذوو السقم

شيخي (**أبا النصر**) أنت الشيخ إذا   عمَّ الظلام به في السهل والأكم

فهل ألام إذا علّقْتُ حبكمُ   ومن يديكم أتتني أبلغ النعم

واليوم كل رجائي أن أنال رضاً   من سيدي الشيخ عالي الخلق والشيم

(المحامد ص٢٠٣).

٤- الشاعر بدر الدين الحامد:

وأمَّا الأستاذ بدر الدين الحامد رحمه الله تعالى، فقد قال بعد أن التقى بالشيخ أبي النصر

وعرف من هو هذا المرشد العظيم:

يا هيكل الجسم دع روحي ومسراها ... تسقى بساح التداني مِنْ حميّاها

هناك حيث رياض القرب ناضرةٌ ... تهيم وجداً بسلماها وريّاها

وكم لها من تَنَاجٍ كلُّهُ شغفٌ ... حذارِ يا قلب من إفشاء نجواها

بتنا على حالة من ذاقها كُشفت ... له الستور فنادى؛ ما أحيلاها

شيخي (**أبو النصر**) نبراس الحقيقة بل ... قطب الطريقة يحميها ويرعاها

تهفو القلوب إليه وهي خاشعة ... وسرُّه كم تولاها وأولاها

يا سيدي إن لي في الذكر سابقةً ... عدا الزمان على قلبي فعفّاها

فصِلْ بحبلك حبلي إنني دَنِفٌ ... وأنت لي قدوة في ذكريَ اللهْ

(المحامد ص٢٠٢).

٥- الشيخ محمد سعيد المسعود:

وقال العم الشيخ محمد سعيد المسعود (مفتي الباب) مادحاً شيخه أبا النصر، والمظنون أنها نظمت عام ١٣٤٩هـ، ١٩٣٠م:

سليل المعالي، مرشدَ العصر من غدا ... إماماً لسادات الرجال ذوي القدر

مربٍّ له الباع الطويل، وهمةٌ ... تفوق الثريا، تُغْدِقُ الناس بالبِرِّ

حباه الذي الذي أعطى المكارم والندى ... بمفتاح باب الله، في ورده السرِّي

وربَّاه أستاذُ المشايخ والد ... له المدد الفياض في العسر واليسر

(**سليم**) سليم القلب قطب زمانه ... ووارثُ سادات لهم ساطع الفجر

عليهم من الرحمن ألف تحية ... وصيِّبُ رحماتٍ تفيض بلا حصر

وعنا بهم يا رب فَارْضَ، وَوَفِّقَنْ ... لصالح أعمال مع الختم والذكر

- ومما قاله العم الشيخ **محمد سعيد المسعود** كأنشودة تقال بين يدي حضرة الشيخ

محمد أبي النصر قدس سره، وذلك عام ١٣٤٩هـ، ١٩٣٠م، وهي على وزن قدِّ (والذي أسراك ليلاً) ما يلي:

لذت في ظل حماكم　　سادتي أرجو رضاكم　　فـارحموا إني عبيـد　　يبتغي تقبيل ثـراكم

سادتي يا أهل المعالي　　أنتمُ كنـزُ الكمـال　　اسعفوني بالوصـال　　علّني أبلغ رضـاكم

أنتم خِـيرة جـيرة　　فاجبروا القلب الكسيرا　　إن مضناكم بِحَـيْرة　　أَلِقَاكُم أم جفـاكم

يا كرام الحيِّ رفقـاً　　بفـؤاد ذاب شـوقاً　　من يمت في الحب عشقاً　　يُحْيِهِ فيض نـداكم

قد صببت الدمع صباً　　فيكموا شوقاً وحبـا　　أأراني أحدُوَ ركبـاً　　مسرعا نحو علاكـم

ساداتي جودوا بنظرة　　تذهبوا عن قلبي حسرة　　ففؤادِ المضنى جمـرة　　لم يكن قط سلاكم

عمدتي **أبـا كـلال**　　رِقَّ لي وارحم لحالي　　**بسليم** ذي المعـالي　　جد وأنعم برضاكم

حمص يا ذات الفخار　　فيك عزي وانتصاري　　سادتي أنـتم دراري　　فاشملونـا بهـداكم

منكم يـا آل طـه　　روحنا ترجو هداها　　فعسى تبلـغ مناهـا　　ثم تقضي في فـداكم

صل يا رب البريـة　　بل وأجزل للتحيـة　　للـنبي ثم الذريـة　　من تملوا من بهـاكم

– وزار حمص بصحبة الشيخ عبد الباسط بتاريخ ١٠شعبان ١٣٩٣هـ، الموافق ٧ أيلول ١٩٧٣، فقال هذه التخميسات بعد زيارة الشيخ سليم والشيخ أبي النصر:

سـاعة في حمـص والحـظُّ عظـيم　　زرنا فيهـا روض مولانـا (**سـليم**)

كامل الإرشاد ذي الوهـب العمـيم　　فـاض فيهـا الفضـل والله فَـتَحْ

نحمد المولى على ما قد مَنَحْ

بعـدما قمنـا بمـا قـد وجبـا　　نحـو حامينـا مـلاذ الغربـا

مرشد العصـر (**أبي النصـر**) حبـا　　أنعماً عظمـى وطيبـاً قـد نَفَـحْ

نحمد المولى على ما قد مَنَحْ

ولقـد لـذنا بأكنـاف رحـاب　　لكـرامٍ خـيرةٍ عـالي الجنـاب

سادة ساروا على النـــهج الصـــواب　　من حِماهم كلٌّ خـــير قـــد وَضَـــحْ

نحمد المولى على ما قد مَنَحْ

رأســـــهم شـــــهمٌ رفيـــعُ الهمَّـــة　　موئـــلُ القصَّـــاد بـــابُ الرحمـــة

مـــن بـــه تجلـــى جيـــوش الظلمـــة　　ولـــه في مـــوطن العليـــا قَـــدَحْ

نحمد المولى على ما قد مَنَحْ

شيخنا المفضـــال (**عبـــد الباســـط**)　　مـــيرة الإنعـــام أسمـــى باســـط

يـــا أبـــا الشـــهم نـــزارِ، الهـــابطِ　　دوحـــةَ المجـــد الرفيـــع المتـــدَحْ

نحمد المولى على ما قد مَنَحْ

نظـــرةً يـــا ســـيدي تمحـــو بهـــا　　ظلمـــة حلـــت بقلـــب قـــد لهـــا

يا كريم الأصل يـــا ســـامي النـــهى　　كن لنـــا ذخـــراً إذا الـــدهر كَشَـــحْ

نحمد المولى على ما قد مَنَحْ

وتـــدارك يـــا رفيـــع الحســـب　　وبأهـــل الله ألحـــق نســـبي

فعســـى أصـــبح مـــنكم كـــأبي　　من أبيكم، مَنْ به الشـــادي صـــدح

نحمد المولى على ما قد مَنَحْ

فأَعِـــدْ يـــا ســـيدي مجـــد الطريـــق　　وأَدِرْ في القـــوم أكـــواب الرحيـــق

أنت مفتاح الرضا والآســـي الرفيـــق　　يا ســـليل الطهـــر يـــا وافي المـــنح

نحمد المولى على ما قد مَنَحْ

حولك الســـادات مـــن آل كـــلال　　الأمـــير الشـــهم ممـــدوح الخصـــال

مـــن بهـــم يمتـــد حبـــل الاتصـــال　　وعلـــى أيـــديهم المـــولى فـــتح

نحمد المولى على ما قد مَنَحْ

وصـــلاة الله تهـــدى كـــل حـــين　　لمقـــام المصـــطفى الهـــادي الأمـــين

وإلى الأصـــحاب ثم المرشـــدين　　وإلى الأشـــياخ مــا الله مــنح

نحمد المولى على ما قد مَنَحْ

٦- الشيخ محمد كامل بدر الحسيني:

وقال الشيخ الكامل محمد كامل بدر الحسيني مرثية ألقيت بمناسبة وفاة الشيخ رحمه الله، ونظمها في ٥ شوال ١٣٦٨ بعنوان مرثية المرشد الكامل:

جُنَّـت لنعيـك في الإسـلام أبنـاء　　وسُعِّرتْ بلظـى الأحـزان أحشـاء

رزءٌ لقد حل في الدين الحنيـف فـوا　　كَربَاه بعدك شمـس الهـدى ظلمـاء

بكتك شـرعته السـمحاء في زمـن　　عمَّ الفسـاد بـه واسـتفحل الـداء

فكم جلوت بها ران القلـوب وكـم　　شعّت على حالكها منـك أضـواء

فمـا أتـاك بهـا مستشـفياً سَـقِمٌ　　إلا وأسـعفه عطـف وإبـراء

❁　❁　❁

صنو الرسول وريـث المجـد عـ　　ـنه (**أبا النصر**) الحبيب، ربوع الشام سوداء

وساحة العلـم والإرشـاد مقفـرةٌ　　يا ساطع البدر: هـل وارتـك غـبراء

لا. لم تمت، خالـد التـاريخ أنـ　　ـت وذكراك الشجية في الأجيال إطراء

وأنت مصدر خيرٍ في الحيـاة كمـا　　بعد الممـات فمـا تحكيـك أنـواء

إنا على العهد يـا سـرَّ الـنبي ويـا　　غوث الطريـق جَـزَتْ مثـواك آلاء

وبيتُ آلك ذو التقـوى المحـجُّ لنـا　　وهم مدى العمـر سـادات أجـلاء

بني الطريقـة لا تأسـوا ولا تهنـوا　　سدَّ الفـراغ فـتىً في الحـق مضـاء

(**أبو نزار**) أخو الصدق الفقيه ومـن　　فيـه منانـا لصـون العهـد وضّـاء

أعني به الشهم (**عبد الباسط**) الـوَرْ　　عِ وريـث سـرّ أبيـه يـا أعـزاء

فعـزروه لنصـر الـدين واجتنبـوا　　شرّ الهوى، فـالهوى للمـرء أخـزاء

منـــهاجنا نقشـــبندي توارثـــه عـــن المُمَجَّـــد أكفـــاء أجـــلاء

فحـــافظوه نقيـــاً وأمنـــوا خلفـــاً أوفى عليـــه، فشـــرع القـــوم إيفـــاء

❁ ❁ ❁

أبا نزار عليك الكـــل قـــد عقـــدوا أغلي الأماني، فـــلا يقعـــدك إبطـــاء

إرْعَ الطريقـــة والإخـــوان معتمـــداً على الكـــريم ورب الفضـــل معطـــاء

تراثكم خالـــد المجـــد الأثيـــل لقـــد بنـــاه فـــوق سمـــاك الفخـــر آبـــاء

فاحرسه أنت لنا المرجـــو كيـــف ولا وفيك عـــزّ مـــن الأوصـــاف شمـــاء

على أبيكم رضـــي المـــولى ورحمتـــه وجـــدكم آل شـــيخي يـــا أحبـــاء

عـــذراً فمـــدحي عيـــيٌّ في شمائلـــه طغـــى بلُـــجٍّ علـــى السبـــاح إعيـــاء

٧- الشيخ بكري الرجب البابي الحلبي:

وقال المحب الصادق الشيخ بكري الرجب البابي الحلبي، رحمه الله يرثي أبا النصر:

سيدي الشيخ محمد أبو النصر النقشبندي الحمصي، شيخي في الطريق، وشيخ المشايخ النقشبندية في البلاد الشامية، كان له باع طويل في طريق أهل الله، تربى على يديه خلق كثير، وكان ذا نظر ثاقب، وبصيرة تامة، وكرامات تجل عن الحصر، وكان في وجهه مغناطيس نوراني يأخذ بالألباب، مكث زمناً طويلاً في البلاد الشامية، يرشد الناس إلى طريق الله والعمل بسنة رسول الله ﷺ، لذلك ترى الكثير من العلماء في مجلسه. توفي ليلة الجمعة من شهر رمضان المبارك عام ١٣٦٨هـ، فقلت في رثائه:

خطـــبٌ أجـــلُّ أنـــاخ بالإســـلام في حمـــصَ ذات المنظـــر البسّـــام

لبست على ذاك المصـــاب حِـــدادها وتســـربلت مـــن بعـــده بِسَـــقَام

فيها قضى صـــنو المكـــارم والعلـــى بحـــر التقـــى علـــمٌ مـــن الأعـــلام

شيخ الطريقة والحقيقـــة في الـــورى شيخي (**أبو النصر**) الجليـــل الســـامي

النقشـــبندي الجليـــل المقتفـــي إثـــر الرســـول بحكمـــةٍ ونظـــام

في الليلــة الغــراء مــن رمضــان وا فتـــه المنيـــة مـــن العَـــلاَّم

كـــم أنقـــذ الآلاف في إرشـــاده ومحـــا ظـــلام الجهـــلِ والأوهـــام

لله كـــم أجـــرى المـــدامع نعيـــه يحكيـــه بالتشـــبيه دمـــع غمـــام

هذي (الجزيرة) ضجّ أهلوهـــا وقـــد تركـــوا القلـــوب تفـــيض بـــالآلام

وكذلك (الشـــهباء) شـــبَّ لهيبـــها تـــذري الـــدموع عليـــه بالتســـجام

و (حماة) حمّت عنـــد نعـــي حبيبـــها حزناً وكـــم قـــدْ رُوِّعـــت بســـهام

وكذا (المعرة) كم أضرّ بهـــا الأســـى تبكيـــه مـــن أســـف علـــى الأيـــام

و (البـــاب) تبكيـــه بـــدمع هاطـــل وكـــذاك (منـــبج) أججـــت بضـــرام

وقلـــوب (ادلـــب) دُلهـــت بكآبـــةٍ وربـــوع (مـــارع) روعـــت بحمـــام

تلك المصيبة عمّـــت الأقطـــار مِـــنْ قـــاصٍ ومـــن دانٍ مـــدى الأعـــوام

مـــن للطريقـــة والحقيقـــة بعـــده مـــن للنـــدى الفيـــاض بـــالإكرام

ماذا أقـــول وقـــد تنـــاهبني الضـــنا والقلـــــب في حُـــــرَقٍ وفي آلام

والعين تهرق دمعهـــا الهطّـــال مـــن وجْـــدٍ ومـــن أســـفٍ ومـــن أســـقام

لله إنـــا راجعـــون وحســـبنا اللـــــ ـــــهُ العظـــيم مقـــدّر الأحكـــام

ولنا التســـلي بعـــد فقـــد عزيزنـــا بالنّجـــل (**عبـــد الباســـط**) الإنعـــام

وبقيـــة الأنجـــال فـــيهم ســـلوة عمـــا أضـــرّ بنـــا مـــن الآلام

ربّاه أمطـــر مـــن نـــداك ســـحابنا واشمـــل فقيـــد المجـــد بـــالإكرام

٨- وقال العالم الفاضل والمحب الكامل الشيخ مصطفى الحمو المارعي:

قـــف بحمـــصَ ســـاحة الكـــرم وانـــزلنْ في روضـــةِ الكـــرم

إن فيهـــا ســـيّداً بطـــلاً وارث الصـــديق ذي الهمـــم

❁ ❁ ❁

خـــيرة الأقطـــاب قائـــدها عمـــدة الأنجـــاب رافـــدها
زينـــة الأحبـــاب رائـــدها يرعـــى حـــق الجـــار والـــرحم

❁ ❁ ❁

قـــف بهـــا واقـــرا الســـلام لـــه مـــن محـــبٍ شَـــفَّه ولَـــهُ
حيـــث بالإحســـان عاملـــه منـــذ ســـنِّ الحِلْـــم والحكـــم

❁ ❁ ❁

حيـــث شمـــس الفضـــل ســـاطعةٌ وبـــدور البِّـــر لامعـــةٌ
نفحـــات الخـــير عاطفـــةٌ مـــن جـــبين طيـــب الشـــمم

❁ ❁ ❁

مـــن رســـول الله نبعتـــه مـــن رجـــال الله نزعتـــه
لجنـــاب الحـــق دعوتـــه وبحبـــل الله معتصـــم

❁ ❁ ❁

قـــام بالإرشـــاد محتســـباً وإلى الإخـــلاص منتســـباً
لصـــفات الســـر منتـــدباً ولجمـــع الشـــمل والكلـــم

❁ ❁ ❁

أنـــا أهـــواه وأشـــكره وســـروري منـــه مصـــدرهُ
ولســـاني حـــين يـــذكره يســـتريح القلـــب مـــن ألم

❁ ❁ ❁

وأبـــوه (ســـليم) الخلـــف وراثُ الإســـلام والخلـــفِ
هـــو مـــن بـــين الـــورى هـــدفي عشـــقته الـــروح مـــن قـــدم

❁ ❁ ❁

وصـــلاة الله للمـــاحي مـــع آلٍ كـــل مصـــباح
وعلـــى صـــحبٍ ومـــدّاح وســـلامٍ خـــير مختـــتم

❁ ❁ ❁

مـــا تغنّـــى المـــارعي وشـــدا بمـــدح المصـــطفى وحـــدا
راجيـــاً مـــن جـــوده مـــدداً وقبـــولاً فيـــه مغتنمـــي

٩- وقال الأستاذ الشاعر الشيخ عيسى الخطيب (الإعزازي):

مادحاً الشيخ الكبير المرشد الكامل الشيخ محمد أبي النصر خلف النقشبندي الحمصي رحمه الله، وكان الشيخ حاضراً في مدينة حلب عام ١٣٥٨هـ، ١٩٣٩م:

أديرا عليَّ الراح من مطلع الفجر	فروحيَ في راحي وصحويَ في سكري
ولا تصرفا عني كؤوس رحيقها	ولا تحرماني من شذا طيبها العِطْري
فشوقي على طول القطيعة والمدى	إلى رشفها شوق الرضيع إلى الدَرِّ
إذا ما سقانيها النديم وساقها	إليَّ مُصَفَّاةً بكأس (أبي النصر)
غدوت على حكم الهوى متواجداً	تواجد أهل الذكر في حِلَقِ الذكر
إمام له شأن عظيم ورفعة	همام غزير الفضل مرتفع القدر
يظل لإرشاد الورى متنقلاً	من القرية الصغرى إلى البلد المصر
له همم لا منتهى لكبارها	وهمته الصغرى أجل من الدهر
له راحة لو أنَّ معشار جودها	على البر صار البر أندى من البحر
إلى م أصوغ الشعر في مدح ذاته	وأنظمه نظم اللآلىء في البحر
أأطمع أن أحصي جميل صفاته	ومن ذا الذي يقوى على عدد القطر
كفاني ما بينته ونظمته	له بلسان الشعر أو منطق النثر
سأبقى له طول الحياة موالياً	وأذكره في السرِّ مني وفي الجهر
وآليت لاينفك قلبي محافظاً	على عهده حتى أوسد في قبري

١٠- أما الشاعر المحب والمريد الصادق، والمادح الملازم للشيخ محمد أبي النصر السيد صالح الحلبي المارعي:

الذي نشأ وتربى في أكناف شيخه أبي النصر فإن له في مدح شيخه الدر المنظم من نفائس القريض، والشعر الرائق في رثاء شيخه، وقد اخترنا من ديوانه المخطوط الذي

حوى نفائس الشعر، في مختلف فنونه، بعض عقوده التي زانها مدح شيخه أبي النصر، وشيخه عبد الباسط بعده، ثم الشيخ عبد الخالق (إسماعيل) من قام من بعد أبيه بسدة الإرشاد، وسار من بعدهم بذلك المدد على نهج السداد، وقد تكرم ولده الأستاذ محمد صالح المارعي، وأتحفنا بهذه القصائد التي تزينت بمديح أشياخ الطريق، أثبتنا قسماً منها هنا، وبعضاً منها في ترجمة أستاذنا وشيخنا (أبي نزار)، والأخرى في ترجمة الشيخ الحالي (إسماعيل) حفظه الله ونفعنا به وبآبائه وأجداده من رجال هذه السلسلة الكريمة آمين، وهذه القصيدة الأولى التي قالها بعد وفاة الشيخ محمد أبي النصر، وكانت كمرثية له قدس سره:

هَـلِ الرَّبْـعُ الخصـيبُ أو المقـام ... ترحَّـل عنـه سـادات كـرام

أأجـدبَ وادِيـاهُ فـلا اخضـرارٌ ... أم انكشـف السـحابُ فـلا غمـام

وهائمـةٌ تجـود بسُـحْبِ دمـعٍ ... فقلـت لهـا أميمـةُ مـا الهيـام

فقالت كيـف لا تجـري دمـوعي ... ومـات الشـهم والبطـل الهمـام

سـليل محمـد كهـف اليتـامى ... ومـن بنوالـه عـمَّ الأنـام

(أبو النصر) المسلسل طـاب فرعـاً ... ومـن خضـعت لسـؤْدَدِهِ العظـام

لقد بكـت العيـون لفقـدِ شـيخٍ ... إمـامٍ لا يماثلـه إمـام

وحـق لهـا بـأن تبكيـه دهـراً ... طـويلاً كلمـا نـاح الحمـام

فيا شـيخ الرجـال ومـن دعـاهم ... إلى سـبل الحقيقـة فاسـتقاموا

ويا مـن قـام في الإصـلاح حـق ... أقـيم العـدل وارتفـع الخصـام

تَـؤُمُّ لسُـوحِكَ الـزوار دومـاً ... كأنـك فيهمـوا بلـد حـرام

فـلا عجـب وأنـت لهـم مـلاذ ... إذا في بابـك العـالي تراموا

فجـدك خـير خلـق الله طـراً ... وإن أبـاك حيـدرة الإمـام

وأمـك فـاطم الزهـراء حقـاً ... وأنـت لـديهما ذاك الغـلام

فكم أرشدت جهالاً حيارى ... تمادوا في ضلالهموا وناموا
وكم أبرأت من داء عليلاً ... وكادَ يُميتُه ذاك السقام
فأنت لكل مطرود أمان ... وأنت لكل ملتجىء حسام
وأنت لكل ملهوف غياث ... وأنت لكل منكسر قوام
وأنت لكل ظمآن شراب ... وأنت لكل ذي طرب مدام
وأنت البحرُ إنْ ما جُدْتَ يوماً ... وأنت الغيث والفيض الركام
لئن كنت انتقلت لدار خلد ... فطب نفساً فذاك هو المرام
وأديت الأمانة باجتهاد ... ومن تبعوا سبيلك لا يضاموا
فيا لحداً ضممت **أبا كلال** ... ليهنك إنه البدر التمام
ومن عجب حويت كنوز در ... وطبع اللحد تأويه العظام
لقد تيَّمتَ مارع يا ابن حمص ... كما ندبتك بغداد وشام
فلو شُقَّتْ مرائرهم نحيباً ... وماتوا يوم نعيك لا يلاموا
وكم لك في الجزيرة من قلوب ... مفطَّرةٌ لفقدك لا يناموا
جزاك الله عنا كل خير ... وخصك بالكرامات السلام
عليك سحائب الرضوان عمت ... ضريحك كلما هطل الغمام
مدى الأزمان ما الملهوف نادى ... هل الربع الخصيبُ أو المقام

- وأما القصيدة الثانية: فهي أيضاً رثائية، قيلت بعد وفاة الشيخ محمد أبي النصر قدس سره وهي:

هل تذكرين سُلَيْمَى عهد ماضينا ... وهل يعيد علينا الكاس ساقينا
وهل يعود زمانٌ فيه مَرْبعنا ... غضٌ، وطَيْرُ مغانينا يُغنِّينا
سُقْياً لأيامِ قربٍ بالوصال مضت ... ومُزْهِراتٌ بها فينا ليالينا

والدهر مُسعفنا والقربُ مسعدنا والسعدُ يخدمنا والحب يدنينا

ولا رقيب ولا واش ينمُّ بنا ولا زمان بأَتْراحٍ يفاْجينا

فاليوم نحسبها أحلام محتلم مرت وقد طُويت فيها أمانينا

بالله يا راحلاً والقلب يتبعه خذ الهوينا لقد أتعبتَ سارينا

أو فاتَّئِد ساعة يوم الوداع لكي نسقي البقاع نجيعاً من مآقينا

فطالما كنت قبل اليوم مُرتَبَعِي وللحسود اكتئاب من تدانينا

حتى مضى زمن الإقبال وانصرمت حبالُ أنسٍ وعم الحزنُ وادينا

يا أيها المرشدُ البَرُّ الشفوقُ بنا من كل بارزةٍ في الكون تؤذينا

ويا **أبا النصر** يا من عم نائله على الورى وبه استغنى المُقِلُّونا

آنست وحشتنا نَفَّسْتَ كُرْبَتنا أَطلقتَ عثرتنا أرشدت غاوينا

فيا سعادة قوم أنت مرشدهم ويا خزانة أرواح المحبينا

ويا نَضارَة هذا العصر يا حَسَنَ الـ أخلاق يا من به اخْضَرَّت نواحينا

يا من لنيل المنى في بابه وقفت بَنُو الحوائج والآمال شاكينا

لقد رفعت لواء العدل فانقلبت نار الشقاق سلاماً في بوادينا

وانزاح كل ظلام في النفوس لأنْـ نَك أنت يا ابن رسول الله مهدينا

وكم عقَلْتَ نفوس الجاهلين من الـ بَغْي العظيم فعادوا غير باغينا

فما قصدناك في شيء نؤمله إلا وقد مُلِئَتْ غُنْماً أياديـنا

وما التجأنا بأعتاب لسُدَّتكم إلا وجدنا بها الآسادُ تحمينا

جوزيت خيراً ورضواناً وتكرمة من المهيمن عنا جَلَّ بارينا

ورُبَّ سائلة والحزن يؤلمها يوماً فجاوبها بالمثل باكينا

ما بال من عرفوا بالفضل واتصفوا بالمجد والعطف والحسنى أضاعونا

وكنت أعهدهم كالغيث ما نزلوا ... موات أرض لنا إلاّ فأحيونا

فقلت: لا تجزعي يا هِنْدُ إنَّ لنا ... بِمَنْ مَضَوا أسْوةً أضحتْ لنا دينا

فإنْ يكن رحلوا جسماً أو ابتعدوا ... عنا فأرواحهم دوماً تحيينا

أو أنهم قد نأوا عن نور مقلتنا ... ففي جوانحنا دهراً مقيمونا

أختاه لا تجزعي فالله يخلق ما ... لا تعلمين وأمر الله يرضينا

لنا رجاء وآمال محققة ... **بعبدِ من بَسط** الأشياء يؤوينا

لأنه دُرة من بحر والده ... أَوْ جذوة سطعت من طور سينينا

فيا **كلال** فقم واشْدُد لمئزره ... وكن له عَضُداً فالكل راضونا

ولا خلاف بأمر فيه مصطلحٌ ... والأمر شورى وهذا القدر يكفينا

على أبيكم رضا الرحمن ما تُليت ... آيات مدح فقال السَّمْعُ آمينا

وما عرائس مدح زان صالحكم ... في مدحكم وبها ازدانت قوافينا

وقام ينشد ذا وجدٍ بكم شغفاً ... هل تذكرين سُليمى عهد ماضينا

المبحث الرابع

علاقة الشيخ أبي النصر بمختلف العلماء وأهل الطرق الأخرى

أولاً- مع علماء عصره:

١- مع علماء حلب:

مما لا شك فيه أن علاقة شيخنا أبي النصر بعلماء عصره كانت علاقة حب وإخاء، وود ووفاء، وهذا ماسمعناه كثيراً من شيوخنا وآبائنا، ومن كافة أحباب الشيخ قدس سره.

لقد كانت علاقته بهم مميزة، وسواء كانوا من أهل الطرق الأخرى، أو من العلماء الذين لم يلتزموا طريقة صوفية، كانت تربطه بهم رابطة الأخوة في الله والمحبة لدين الله، والنصح للمسلمين أئمتهم وعامتهم؛ فقد ذكرت في ثنايا هذا البحث وغيره كيف كان يزورهم ويزورونه، ويلتقون على الود والصفاء، والمحبة والمناصحة في حمص وحلب وحماه، وفي كافة المجالات التي كان الشيخ الكبير رحمه الله له وجود فيها.

- **ومن أبرزهم وأشهرهم فضيلة العلامة الكبير الشيخ محمد نجيب سراج الدين:**

شيخ حلب وعالمها ومعتقدها، فقد كان يزور الشيخ أبا النصر، والشيخ يزوره ويلتقيان على الحب والوداد، كما حدثنا بهذا أشياخنا وآباؤنا، ويقول في هذا أستاذنا الشيخ أديب حسون، وبعد أن ذكر لي زيارات علماء حلب للشيخ: كان كل من خالطه أحبه.

- **ومنهم العلامة الفقيه المتواضع الشيخ محمد سعيد الإدلبي:**

وقد كان يزور الشيخ أبا النصر رحمه الله كلما أتى لحلب، ويزوره شيخنا أبو النصر

أيضاً، وعندما مرض الشيخ أبو النصر، وكسرت يده في حلب وزاره العلماء والإخوان، أبطأ الشيخ سعيد الإدلبي في زيارته وعيادته، قال سيدي الوالد الذي حدّث بهذا الحديث وسمعناه مراراً: وكان كلما جاء الشيخ أبو النصر إلى حلب فإن الشيخ الإدلبي يكون من أوائل من يزوره، ويسلم عليه، فلما جاءه عائداً زائراً، قال له الشيخ أبو النصر: أبطأت علينا يا أبا أحمد. فقال الشيخ سعيد: ياسيدي، كان هذا لأننا جمعنا الإخوان في الجامع، وقرأنا صحيح البخاري الشريف بنية شفائكم، وهذا سبب التأخير، رحمهم الله ورضي عنهم.

يقول سيدي الوالد: انظر إلى هذه الأخوة وهذا الود، لم يَعُدْهُ حتى جمع الإخوان لقراءة صحيح البخاري بنية شفائه، فلما انتهوا من قراءته بنية الشفاء، جاء الشيخ سعيد عائداً زائراً.

- ومنهم العلامة الشيخ أسعد العبه جي:

مفتي الشافعية في حلب، الفقيه العلامة المتواضع الخاشع، الآلف المألوف، كان يزور الشيخ أبا النصر، ويحبه، وكان بعد وفاته يلازم مجالس تلميذه الشيخ محمد النبهان، ويحضر معه مجالسه، وكان شيخنا النبهان يضع له كرسياً ويجلسه بجانبه، احتراماً وتوقيراً، وأدباً ووفاءً لشيخه، رحمهم الله جميعاً.

- ومنهم علامة حلب الجليل الشيخ محمد جميل عقاد:

الداعية المشهور، والعالم الكبير، والواعظ المؤثِّر في القلوب والمعلم الدؤوب، الذي كانت تشهد جنبات الجامع الكبير بحلب لعلمه وفضله وحسن تعليمه، وتلقينه العلم، وتحفيظه أحاديث الرسول ﷺ للكبار والصغار، وكان لا يكتفي بزيارة الشيخ إذا جاء لحلب، بل يصحبه معه إذا خرج في جولاته.

حدثني العالم الخاشع المتواضع، الشيخ رشيد العلو النجار التادفي [1] قال: كان الشيخ أبو النصر في السفيرة، وكان معه من العلماء الشيخ جميل العقاد، وكان الجمع كالعادة

---

[1] يوم زرته في بيته بحلب عام ١٤٢٠هـ، مع ابن أخته الشيخ محمد علي بن الشيخ عبد الله حماد رحمه الله.

كثيراً، فقال الشيخ أبو النصر للشيخ جميل وكان بجانبه: يا شيخ جميل، درّس على الخمر ومضارِّها. فامتثل الشيخ جميل، وحدَّثَ وأجاد، وكان مما قاله الشيخ جميل: إن الله سبحانه رزق الإنسان العقل، وليس أجمل من العقل، فهو كالجوهرة، فإذا كان مع الإنسان جوهرة فهل يضعها في النجاسة، ويوسخها ويقذرها ؟! فقال له الشيخ أبو النصر: أعدها. وكان أحد الحاضرين في المجلس (المسجد) من شاربي الخمر، وهذا من مكاشفات الشيخ أبي النصر، وما أكثرها، فأعادها الشيخ جميل رحمه الله، وكان كلامه مؤثراً نافعاً والحمد لله. أقول: وكانت سبباً في توبته.

- ومنهم العلامة الفاضل المدقق الشيخ أحمد بن الشيخ سعيد الإدلبي:

فقد كان محباً للشيخ ومعتقداً، ويزوره ويكرم الشيخ إكراماً لأبيه وحباً فيه، وقد طلب الشيخ أحمد من الشيخ أبي النصر عندما ألف رسالته (زبدة البيان في تجويد القرآن) عام ١٣٤٤هـ ــ ١٩٢٣، أن يطلع عليها ويقرظها، فأجابه الشيخ أبو النصر، وكتب له ما طلب.

قال الشيخ أحمد: وكتب فضيلة الأستاذ الماجد شيخ الطريقة النقشبندية ومدرس الجامع الكبير في حمص المحمية الشيخ محمد أبو النصر خلف حفظه الله تعالى ونفعنا به وبعلومه آمين:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً، وأمرنا بترتيله لننال من لدنه أجراً كبيراً، أما بعد: فقد اطلعت على هذه الرسالة المباركة، وفق الله مؤلفها لما فيه نفع الأمة بحرمة سيدنا محمد نبي الرحمة، فوجدتها كافية وافية، بأسلوب لطيف، سهلة واضحة الإشارة على شكل ظريف، والحمد لله الموفق لا ربَّ غيره.

مدرس الجامع الكبير بحمص، **محمد أبو النصر خلف النقشبندي**

وقد حوت هذه الرسالة بالإضافة إلى تقريظ الشيخ أبي النصر، تقاريظ والده الشيخ سعيد، والشيخ أسعد العبه جي، والشيخ محمد خوجة، وتقريظ الشيخ عيسى البيانوني، رحمهم الله جميعاً.

٢- مع علماء الحرمين:

وذكر لي الوالد صلات شيخه أبي النصر المتينة مع علماء الحرمين، وبخاصة مع السادة:

- **الشيخ علوي المالكي مفتي مكة، والشيخ أمين الكتبي**، عالمها وأديبها وشاعرها العظيم، كما ذكر لي ذلك أيضاً الشيخ رشيد علو النجار، وقال لي: لقد حججت مع الشيخ عام ١٣٦٤هـ ـ ١٩٤٤، وكان يقيم المولد لدى المطوف، ويحضره علماء كثيرون من الحجاز وغيرها، وأجازهم بمروياته وأجازوه.

- **ومنهم الشيخ محمد ياسين الفاداني المكي:**

مسند مكة وعالمها، المعمر الذي عاش ما يزيد على مئة سنة، وقد أكرمني الله به وأجازني بالحديث يوم ١٦ ذي الحجة عام ١٤١١هـ، وتوفي بعد أسبوع، له كتاب (الأربعون البلدانية) وهو أربعون حديثاً، عن أربعين شيخاً، من أربعين بلداً، طبع عام ١٤٠٧هـ، وهو من جملة كتبه الكثيرة التي جمع فيها الأحاديث، وله (أثبات) كثيرة، ذكر فيها شيوخه ومن تلقى عنهم ومن أجازهم، وقد التقى بشيخنا أبي النصر في مكة المكرمة، وطلب منه أن يجيزه بالحديث الشريف ليرويه عنه، فحدثه شيخنا وأجازه، وذكر هذه الإجازة والحديث في كتابه المذكور أعلاه قال:

الحديث الثامن عشر: أخبرنا العلامة الفقيه الناسك الشيخ محمد أبو النصر بن الشيخ محمد سليم خلف الحمصي، قال أخبرنا أبي العلامة الشيخ محمد سليم خلف الحمصي، قال: أخبرنا السيد محمد علاء عابدين الدمشقي، قال، أخبرنا أبي السيد محمد أمين بن عمر عابدين الدمشقي الحنفي المتوفى سنة ١٢٥٧هـ قال أخبرنا الشيخ محمد شاكر بن علي العمر الشهير بالعقاد الدمشقي الحنفي.. ثم ساق الحديث بسنده قال: قال رسول الله ﷺ: (إن ربّكم حييٌّ يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفراً). قال: هذا الحديث حسن أخرجه أبو داود والترمذي عن سلمان، وابن ماجه وأحمد والحاكم وأبو نعيم.

٣- ومن علماء مصر:

الشيخ حسن البنا: كما ذكرنا في ترجمة الشيخ أحمد الكعكة ناقلاً عن الشيخ محمد الحامد، أن الشيخ حسن البنا رحمه الله سلك الطريق النقشبندي عن أبي النصر بطريق المراسلة، وسلكه الشيخ أبو النصر به وأجازه به، وكانت هناك رسائل من الشيخ حسن

للشيخ أبي النصر، وقد استأذن الشيخ أحمد الكعكة شيخه أبا النصر بقراءتها فقرأها.

٤- ومع علماء حماه:

- ومنهم العالم العارف الولي التقي **الشيخ محمود الشقفة الحموي:**

المتوفى عام ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م رحمه الله ونور ضريحه، فقد كان شيخ الطريقة الرفاعية في مدينة حماه، وكان بينه وبين سيدي أبي النصر، إخاءٌ وودٌّ ومحبةٌ عظيمة، وكان الشيخ محمود يدعو سيدي أبي النصر إذا قدم إلى حماه مع الإخوان، ويبقى لديه الوقت الطويل، وقد استمر سيدي الشيخ عبد الباسط على منهج أبيه في زيارة الشيخ محمود الشقفة، ومواصلته عملاً بقول النبي ﷺ: (أكرم ود أبيك)، وقد صحبته مرة لزيارة الشيخ الكبير عام ١٣٩٩هـ، قبل وفاته بشهور، وكما ذكرنا هذا في ترجمة شيخنا عبد الباسط رحمهم الله جميعاً، وصحبته أيضاً في التعزية بوفاته آخر عام ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.

- **ومنهم العلامة الشيخ فريز الكيلاني الحموي:**

شيخ الطريقة القادرية في حماه، فقد كان سيدي أبو النصر يزورهم أيضاً في زاويتهم الكيلانية على نهر العاصي بحماه، وتقام لديهم مجالس الذكر بحضور شيخنا، وكانوا يكرمون الشيخ، ويقيمون المآدب الضخمة العامرة على شرف قدومه إلى حماه.

٥- مع علماء الباب وتاذف:

وممن كانت لهم المنـــزلة لدى الشيخ قدس سره باقي علماء الباب وتاذف الذين لم يكونوا من مريديه وتلامذته، فقد كان يزورهم ويزورونه، ويقرؤهم السلام في رسائله إلى سيدي الجد بأسمائهم، ويرسلون إليه السلام في كتب الجد أيضاً لشيخه أبي النصر، وقد كان بعضهم ممن ينكر على الشيخ أول أمره، ومن لطف الشيخ وحلمه وصبره وعظيم أدبه أنه كان يدعو لهم، ويطلب من الإخوان الانتفاع بعلمهم والتأدب معهم، حتى صاروا في النهاية من أعز أصدقائه وأحبابه، فمنهم:

- الشيخ الكبير، علامة زمانه **الشيخ مصطفى أبو زلام** رحمه الله ونور ضريحه، وولده **الشيخ جمعة، والشيخ ناصر**، ومنهم **الشيخ صادق الغزال، والشيخ سعيد الدرويش،**

والشيخ **محمد علي الزين**، وهؤلاء من أكابر علماء الباب الذين كانوا يحضرون مجالس الشيخ أبي النصر إذا قدم الباب، ويزورونه ويزورهم، ولم يكونوا ممن أخذ الطَّريق عنه.

- **ومن مشايخ تاذف**: الذين كانت لهم الصلة والمحبة لسيدي أبي النصر: **الشيخ محمد علي المدراتي، والشيخ عبد الله حماد، والشيخ محمد غازي**، وغيرهم، رحم الله الجميع ونور ضريحهم.

٦- ومع علماء دمشق:

ومنهم علامة دمشق **الشيخ توفيق الأيوبي** رحمه الله تعالى: فقد حدثنا أستاذنا الشيخ عبد الباسط مراراً أن والده الشيخ أبا النصر زار دمشق مرة فرآه علامتها الشيخ توفيق الأيوبي، فدعاه إلى طعام الغداء في بيته، وألح عليه في ذلك، فقبل الشيخ ظناً منه أن طعامه جاهز، وجبراً لخاطر الشيخ، وإدخال السرور على قلبه، وكان شيخنا عبد الباسط بصحبة والده، قال: ولما دخلوا البيت مع ترحيب الشيخ المتواصل، وبعد دقائق مدت المائدة، وبعدها أحضرت الصحون، ثم تلتها دقائق أخرى أحضرت البقول، والمقبلات التي توضع بجانب الطعام، وفي كل مرة يدخل الشيخ إلى أضيافه، يؤانسهم ويذاكرهم.

يقول شيخنا عبد الباسط حتى مضى من الوقت ساعتان ونصف، فنضج الطعام وقدمه إليهم، ولم يكن جاهزاً ولا معدًّا عندما دعا الشيخ وأدخله إلى بيته، وهذا من شدة محبة الشيخ توفيق ولطفه.

ثانياً- مع أهل الطرق الصوفية:

من البديهي أن تكون علاقة الشيخ بأصحاب الطرق الأخرى علاقة مودة ومحبة، وتعاون وإخاء، لأن مصدر الطرق كلها ومنبعها ونهاية سلاسلها هو سيدنا رسول الله ﷺ:

وكلُّهم من رسول الله ملتمس ... غرفاً من البحر أو رشفاً من الديم

ولذلك فلا غرابة ولا عجب أن يكون محبباً لديهم وأن يكونوا أثيرين لديه، وقد قدمنا أن الشيخ كان عنده إجازات بالطرق في أكثر من طريقة، وذكرنا إجازة الشيخ السنوسي

له، كما أن الختم النقشبندي يهدى ثوابه لأرواح أصحاب الطرق كلها، وبالخصوص النقشبندية، والقادرية، والسهروردية، والجشتية، والكبروية، رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

والطرق التي يقوم عليها علماء يعرفون هذا ويقدرونه، ويولون الطرق الأخرى ومشايخها وإخوانهم محبتهم ومودتهم وعنايتهم، ما عدا من كان منهم على غير علم، فقد تدخل عليه نفسه شوائب العجب، أو الغرور فيتصرف بما لا يليق، وقد كان شيخنا أبو النصر قدس سره يراعي أصحابها ويكرمهم ويحترمهم، ويجبر خاطرهم ويعتني بهم أكثر، وخصوصاً إذا لم يكونوا من أهل العلم، ومما نسوقه من الحكايات يتبين لك كيف كان الشيخ رحمه الله يولي العناية لأربابها، فقد حدثني بهذا كثير من مشايخنا من أهل العلم الذين ترجمت لهم وكانوا يقولون لي: كان أهل الطرق يزورونه ويزورهم.

١- مع مشايخ حلب:

كان معظم مشايخ حلب وعلمائها من أحبابه وأصحابه، وخيرة أصدقائه، وعلى رأسهم الشيخ محمد نجيب سراج الدين (رفاعي الطريقة)، والشيخ محمد سعيد الإدلبي (رفاعي الطريقة) فكانوا يزورونه ويزورهم، ويحبونه ويحبهم كما أسلفنا في المرة السابقة [1].

أ- مع مشايخ آل عجان الحديد:

كان على رأسهم في زمن الشيخ أبي النصر الشيخ عبدو عجان الحديد، وكان يغلب عليه الجذب أكثر من الصحو، وكان الحب متبادلاً بينهما.

وقد التقى الشيخ عبدو بالشيخ أبي النصر مرة في صرين، ومعظم أهلها من أحباب الشيخ وإخوانه، فقال له الشيخ عبدو مازحاً: إش جابك يا شيخ محمد لهون (إلى هنا) هذه بلاد أبي وجدي، فقال الشيخ أبو النصر مبتسماً: أهلين أبو عمر، أهلين أبو عمر، راعي الحصان. ثم تعانقا وضم الشيخ عبدو إلى صدره، ولما جلسا طلب الشيخ عبدو من الشيخ

---

[1] قال عبد الله: سمعت السيد الوالد رحمه الله يقول: كانت المدرسة الخسروية كعبة العلم والعلماء في مدينة حلب، أساتذة وطلاباً، وكان معظم الأساتذة والطلاب من محبي الشيخ محمد أبي النصر قدس سره.

أبي النصر أن يعطيه الطريق (تبركاً وتحبباً)، ثم ودع الشيخ وغادر المجلس وهو يقول: الشيخ أبو النصر صاحب حظ وبخت. فسأله بعض أحبابه ماذا حدث فقال: كل شعرة من صدر الشيخ أبي النصر تقول (الله).

ويقول راوي هذه الحكاية (الحاج أحمد الحامد من تاذف): والتقيا في تاذف مرة، فقبل الشيخ عبدو يد الشيخ أبي النصر، قال: وكان لا يقبل يد أحد من المشايخ، بل لا يستطيع أحد التكلم في مجلسه، ولو بحضور أهل العلم، إلا إذا حضر الشيخ أبو النصر فإنه كان يحترمه وينصت في مجلسه.

ب- مع مشايخ العقيلية:

ومرة التقى الشيخ أبو النصر بعض مشايخ العقيلية، فطلبوا منه الامتحان، إما بدخول النار أو بضرب الشيش أو بالحربة، ولما أعرض الشيخ عن هذا كله، وقال لهم: جئنا نعلم الناس أمور دينهم لا لنماحن. وأصروا على الامتحان، قال الشيخ: بل نمد سجادتنا ونصلي على الماء. وحضر أثناءها الشيخ عبدو عجان الحديد فقال لهم: أنا مكان الشيخ أبي النصر، ماذا تريدون ؟ بالنار أو بالشيش أو بالحراب ؟ فقالوا له: لسنا في طريقك أبو عمر. فقال الشيخ عبدو رحمه الله ونور ضريحه: هذا شيخ دلال، هذا الشيخ لا يماحَنُ، فكفوا عند ذلك عن طلبهم.

ج- وقد أسلفنا صلته بالسادة شيوخ الطريقة الرفاعية والقادرية بحماه، في الفقرة السابقة فارجع إليها.

د- ولكثرة إقامة الشيخ رحمه الله في حلب، وتعلق علمائها وطلبة العلم فيها بالشيخ فقد قال لي الشيخ محمد علي مشعل، أنه كان له غرفة في مدرستها الخسروية، (والصواب أن الغرفة كانت في جامع أبي ذر).

وقد اعتبره مؤلف كتاب (مئة أوائل من حلب الشهباء) من علماء حلب، فأفرد له ترجمة في الجزء الأول من كتابه الموسوعة تتصدرها صورة الشيخ رحمه الله.

المبحث الخامس

أثر الشيخ أبي النصر
في مريديه وفي عامة الإخوان

مدخل:

إذا كان أثر الشيخ قد فعل فعله في العلماء، فما بالك بباقي الإخوان من عامة الناس ؟! فهم أشد انجذاباً، وأكثر انقياداً، وقد كان الشيخ لهم كالماء للشجر، والعافية للبدن، كان الشيخ أبو النصر لهؤلاء كالشمس وضحاها، وكانت أنظاره وتوجهاته كالقمر إذا تلاها.

ينتظرون قدومه إلى مدنهم وقراهم كما تنتظر الأرض العطشى الغيث بعد صيف طويل وشمس محرقة، فتروي رؤيته قلوبهم، ويحيون في مجالسته حياة أخرى، وكان معظمهم من ذوي الأعمال اليدوية، أو الزراعية، وقد يكونون متعبين في نهارهم، وتطول السهرة فما يحسُّون بنصب ولا تعب، ويذهبون في الصباح إلى أعمالهم نشيطين أقوياء كأنهم ناموا على أَسِرَّةٍ، وقد حدثنا بهذا أكثر من أخ محب، وسمعناه من كثير ممن لازم الشيخ وصحبه في أسفاره، وقد حدثني كثير من الإخوة الذين صحبوا الشيخ والتقوه وعرفوه بما جرى معهم، وذكروا لي وكتبته، وكانوا يتحدثون وأكتب أو أسجل لهم، فكأن نسمات الحياة تعود إليهم بعد دهر، إذا ذكروا أيام الشيخ ومجالس الشيخ، وأنظار الشيخ العظيم قدست أسراره.

وها أنذا أنقل للقارىء المحب ما جمعته، راجياً أن يكون ذلك باعثاً لي ولهم إلى تجديد الصلة والعهد به ﷺ، وحافزاً لي وللإخوان، ولأولادي وأحبابي لالتزام هذا النهج، وهذا

السلوك مع وراثه من بعده وخلفائه وعلى رأسهم شيخنا وحبيبنا، الشيخ إسماعيل (عبد الخالق) أبو النصر، سليل الدوحة الشريفة المباركة، ونهاية هذه السلسلة العلية النقشبندية في وقتنا الحاضر، أمدَّ الله في عمره، وزاده علماً وعملاً، وحالاً وكمالاً، وتقوى وعافية، ونفعنا به وبآبائه وإخوانه، آمين آمين.

١- من ذكريات الحاج محمد علي الفتال [1] منشد الشيخ:

وكان هذا المحب الصادق، والمادح الصادح من منشدي الشيخ أبي النصر، في مسجد أبي ذر، ملتزماً ذلك المسجد حتى آخر حياته، حيث بقي منشداً فيه، وقد ذكرنا في ترجمة الشيخ عيسى البيانوني كيف اصطاده الشيخ عيسى بعدما سمع صوته، وطلب منه أن يكون منشداً في جامع أبي ذر، ولزم الشيخ أبا النصر من يومها، وقد كان يتردد في آخر آيامه على سيدي الوالد زائراً ومحباً ومتبركاً ومتآنساً، وكنت أسمع منه ما يحكيه لسيدي الوالد عن ذكرياته عن الشيخ أبي النصر والشيخ عيسى وأكتبها، وكان مما حكاه لي [2] ما يلي:

◆ **مع الشيخ في جامع أبي ذر أثناء مرضه بكسر يده:** قال لما قدر الله سبحانه على شيخنا أبي النصر بكسر يده، وكان الشيخ ينـــزل لدى الشيخ عيسى في الجبيلة (جامع أبي ذر) استدعوا له لتجبيرها طبيباً مشهوراً في حلب، اسمه (عازار أورفلي) وأراد الطبيب تخدير الشيخ كيلا تؤلمه عملية التجبير، فقال الشيخ له: لا يحتاج الأمر لهذا، ومدَّ يده للمجبر وهو يقول كلما تألم: ﴿ربنا لا تحمِّلنا ما لا طاقة لنا به﴾، ويكررها ثلاث مرات، وبعد أن انتهى من عملية التجبير قال الشيخ: أكرموا الطبيب، فاحضروا صينية فيها أنواع الفاكهة، فأخذ الطبيب موزة وأمسكها بيده. فقال بعض الحاضرين: أسمعوا الطبيب قصيدة، فقلتُ:

باسم الذي قـــدّر الأشياء فاقتــــدرا ... وكوَّن الكائنـــات الكـــل، واقتــــدرا

---

[1] توفي رحمه الله أول محرم ١٤١٩هـ، رحمه الله وأجزل مثوبته.

[2] في يوم ٢١ شعبان ١٤١٧هـ، الموافق ١/١/١٩٩٧م في بيت الوالد رحمهما الله تعالى.

ربٌّ تعالى قديـر، واحـدٌ، أحـدٌ لم يتخذ زوجة كـلا ولا وزرا
وبين كاف ونون أمـره، فكمـا يقول للشيء كن، كان الذي أمـرا
أرسى الجبال ومد الأرض فانبسـطت وأنبع الماء فيهـا حكمـة فجـرى
وشقها، أنبتـت حبـاً وفاكهـة وقدر الـرزق والأمـوات والعمـرا
قضـى فقـدر تدبـيراً بحكمتـه فليس شيء يـرد الحكـم والقـدرا

قال أبو علي: فجاء المجبِّر إلي وقال لي: حبيبي روحي شيخي، هذا الكلام المضبوط، وهذا الشيء المعول عليه، وهذه الحقائق. فقال أحد الحاضرين بعدما ذهب الطبيب: أسلمته ؟! فقلت: كلٌّ من عند الله.

◆ **شدة حب الشيخ أبي النصر لله سبحانه وتعالى:** وتابع أبو علي الفتال رحمه الله: وبعدما انفض الناس من عند الشيخ، قال لي: عليك أن تأتيني مساءً أو صباحاً، فتسمعني قصيدة ثم تذهب. فقلت: سمعاً وطاعة. وجئت أحد الأيام ولم يكن عنده أحد، وهو جالس في الغرفة (الليوان) في جامع أبي ذر على السرير، يلبس سروالاً من الجوخ وقميصاً (ملتان) من الجوخ أيضاً، ويده معلقة برقبته، فقال لي بلهجته الحمصية: (جيت يا أبو علي ؟). قلت: نعم يا سيدي. فقال: أنشد. فقلت (لابن الفارض):

قلبي يحـدثني بأنك مـتلفي روحي فداك عرفت أم لم تعرفِ
لم أقض حق هواك إن كنت الذي لم أقض فيه أسى ومثلي من يفي
ما لي سوى روحي وباذل نفسه في حب من يهواه ليس بمسرف
فلئن رضيت بهـا فقد أسعفتني يا خيبة المسعى إذا لم تسعـف

فقام الشيخ من مجلسه، وأرسل يده من الرباط، واعتراه الحال القوي، وصار يمشي في الغرفة مشية عسكرية، ويشير بيديه، ويلوح كمشية العسكر، ودار على هذه الهيئة في الغرفة دورين، فلما رأيت هذا الحال وتلك الهيئة اعتراني الخوف، وخرجت من الغرفة، وقد ملئت رعباً وهلعاً من هذه الأحوال التي تأخذ وتذهب بعقول الأبطال. ولم أرَ الشيخ

بهذه الحالة من الجلال والهيبة إلا ذلك اليوم.

قال أبو علي: وكان العلماء والإخوان يزورونه كل يوم وهو في مرضه في جامع أبي ذر، حتى شفاه الله وعاد إلى حمص.

◆ **بشارة عظيمة للمحبين:** قال أبو علي الفتال: وكان في وقت تماثله للشفاء من كسر يده في (أبي ذر) وعنده جمع من العلماء في المجلس، الشيخ محمد النبهان، والشيخ محمد بلنكو، والشيخ ناجي أبو صالح، وصهره حاج يوسف حموية، وثلة من الإخوان المحبين، وكنت أنشد لهم، فلما وصلت إلى قول الرواس (في القصيدة التي كنت أقولها):

ولقد خلوت مع الحبيب وبيننا　　　سر أرق من النسيم إذا سـرى

فقاطعني الشيخ أبو النصر، وبيده سبحة قائلاً للحاضرين: قال والدي الشيخ سليم رحمه الله لمريديه: كل من أحبني ودخل في سلكي، إن شاء الله أعدِّي فيه إلى الصراط مثل هذه السبحة. وحمل الشيخ أبو النصر السبحة ووضعها في رقبته، ثم رفعها وقال: وأنا أقول كما قال والدي، وأزيد: كل من أحبني ودخل في سلكي، إن اشتغل بالذكر أو لم يشتغل، إن شاء الله بدّي أعدِّي فيه الصراط مثل هذه السبحة، ووضع السبحة في عنقه ثم رفعها. فقام كثير من الإخوان يقبِّلون يده وأولهم الشيخ محمد النبهان الذي كان جالساً بجانبه، والحمد لله على هذه المنة.

أقول: وقد سمعت هذه الحكاية من شيخنا عبد الباسط رحمه الله.

٢- كلمات الشيخ ونظراته تحرك الأجسام والقلوب:

وحدثني الحاج محمد عبد الكريم العبيد التاذفي [1] قال: لما كان الشيخ أبو النصر يحضر إلى تاذف كانت تجتمع إليه الخلائق من الباب وتاذف ومنبج وبزاعة، إضافة لمن كان يصحبه من حلب، وكنت وقتها شاباً في أوائل فتوتي ١٥ سنة، وقبل أن آخذ منه الطريق، وكان الشيخ في الجامع الكبير في تاذف والمسجد ممتلىء، وكان الشيخ جالساً فيه مسنداً ظهره

[1] عندي في المزرعة يوم ٩ ربيع الثاني ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨/٨/٢م.

إلى جدار المنبر بجانب المحراب، فدخلت وجلست وكان المنشدون ينشدون، وإذا بالشيخ أبو النصر يقول: (هو) بصوت مرتفع عال، وأحسست أنه قام من مجلسه ذاك ودار دورة واحدة في مجلسه ثم جلس بعدها، وإذا بكل من في المسجد يدور باتجاه دورته كأنهم دولاب حركهم ثم يجلسون.

وقريباً من هذا حدثناه الحاج أحمد الحامد من تاذف أيضاً عندي في المزرعة، وكتبه لي الأخ خلدون الخطيب من تاذف، قال: كان الشيخ أبو النصر في تاذف في الجامع الكبير وبجواره الشيخ عبد الباسط، والمسجد غاص بالناس من مختلف الجهات، فقام أحد الأعراب يستأذن الشيخ بالكلام، والشيخ مطرق وعيناه تدمعان، فقال له الشيخ عبد الباسط: إحكِ. فقال الأعرابي، والله منذ جلست هنا ورسول الله ﷺ فوقك. فجثا الشيخ أبو النصر على ركبتيه وصاح (هو)، وأشار بأصبعه إلى جهة من المسجد، فمال جميع من في المسجد إلى جهة إشارته حتى التصقوا بالأرض مضطجعين، وكان رجل يرتدي ثياباً بيضاء من تاذف، وإذا به يزحف على بطنه فوق رؤوس الناس حتى استلقى بين يدي الشيخ.

٣- من ذكريات عبد السلام العلبي في منبج وحريتان:

وحدثني الحاج أحمد العلبي عن ابن عمه عبد السلام العلبي المقيم في منبج بجوار سيدنا عقيل المنبجي، الذي حدّثه بذلك قال: كنت في جامع أبي ذر بحلب مع ابن عمي حاج طه العلبي نحضر المولد الأسبوعي ليلة الجمعة، وقد بدأ المنشدون بالإنشاد، ولا زال الإخوان الحاضرون ينتظرون قدوم الشيخ أبي النصر من منبج حيث كان هناك، وطال المجلس، وكثر الإنشاد، واعترى الملل كثيراً من الحاضرين، وكنت أجلس قبالة الباب مراقباً دخول الشيخ، وعيناي لا تفارق الباب، فما أحسست إلا والشيخ دخل باب المسجد كما لو هبط من السقف، دون أن يفتح الباب، وكان وحده، وقام الحضور وسلموا على الشيخ وقبلوا يده، فلما جئت لأقبل يده، لم يعطني يده وسحبها بقوة، كأنه يعرف أني كنت أراقبه.

ولقد حدثني الأخ العلبي بهذا والذي بعده مراراً، قال: كان عبد السلام يعمل مرة في حريتان وسمع بقدوم الشيخ إلى حلب، قال: فتركت العمل ونزلت إلى حلبْ ماشياً قاصداً الشيخ، وبينما أنا في الطريق باتجاه حلب إذ وقفت سيارة وفتح بابها، وإذا بسيدنا الشيخ أبي النصر ومعه ثلاثة علماء، فأدخلوني في السيارة وتوجهوا إلى حريتان حيث كانت السهرة هناك، وأتممت السهرة معهم، والحمد لله على هذا الفضل.

٤- الشيخ أبو النصر لا يصافح النساء:

ومما حدثني به الوالدة [1]، وعمتي أم طه، حفظهما الله تعالى وأمدَّ في عمرهما مع العافية: أنهما كانتا قد أدركتا الشيخ أبا النصر رحمه الله تعالى ونور ضريحه، وكانت النسوة من آلنا، جداتي ووالدتي وعمتي، وزوجة عمي أم محمد، رحم الله من مات منهن، وحفظ الله من بقي مع العافية والتقوى، كُنَّ يجتمعن في بيت جدي ويسلمن على الشيخ، ولم يكن يصافح واحدة منهن، بل كان مطرقاً بهيبته المعهودة، وهيمنته المعروفة، وكن مطرقات أيضاً هيبة وخشوعاً، وكان يذكرهن ويعظهن بكلمات قليلة بحضور الجد رحمه الله، وقد لقنهن الطريق بواسطة الجد، وأمرهن بحضور الختم الشريف الذي كان الجد يقيمه لهن في البيت صبيحة كل يوم بعد صلاة الصبح.

بركة رقية الشيخ: قالت لي عمتي: وما كان جدك يسمح لإحدانا ببدء عمل اليوم في شؤون البيت إلا بعد أداء الختم الشريف. قالت: وقد كنت لا يثبت لي (حَمْلٌ) من أجل القرينة التي تصاحبني حتى كتب لي الشيخ أبو النصر (حرزاً) وقرأ عليَّ، فأتم الله سبحانه لي حملي بولدي البكر، ولما زارنا - وأنا حامل بسبعة أشهر - بشرني بالغلام، وقال لي: سيأتيك مولود ذكر فأسميه (محمد طه). ولما ولدت قلت لوالدي (جدك الشيخ محمد المسعود) وعمي (والد زوجي الشيخ موسى الحفني) رحمهما الله تعالى: ماذا نسمي مولودنا، فقالا لي: إن الشيخ أبا النصر سماه وانتهى، فكان اسمه كما سماه الشيخ (محمد

---

[1] توفيت والدتي إلى رحمة الله وعفوه يوم ٤ ذي الحجة ١٤٢٨هـ ودفنت بجانب الوالد والجد في مقبرة سفح جبل عقيل.

طه) والحمد لله، فإنه الآن جد لحفيدين واسمهما محمد طه.

أقول: وهو زوج شقيقتي فاطمة حفظهما الله تعالى، وبارك لهما في أولادهما جميعاً هو وسائر الإخوة والشقيقات.

وكانت أم زوجتي الحاجة **حليمة العيدو أم محمد** رحمها الله تحدثني كثيراً عن الشيخ أبي النصر، وعن انجذاب القلوب له، وكيف أثر في نساء قرية الشويحة (قرية أهلها) ومن حولها، وكيف التزمت النساء بتوجيهاته آداب الشرع والحشمة، وكيف امتلأت قلوبهن بمحبة الله ورسوله ﷺ، والتزمن الآداب الإسلامية، وحافظن على الأوراد النقشبندية، وكان الشيخ يرسل لهن السلام في رسائله لجدك..

أقول: وقد ورد سلامه كثيراً إلى خالتها الحاجة هاجر وأمها الحاجة خديجة رحمهما الله تعالى، وكانتا من فضليات النساء الصالحات اللاتي التزمن آداب الشرع وحافظن على الذكر والاستقامة، وأثر ذلك في بناتهن وأولادهن رحمهم الله جميعاً.

وهذا يبين لنا عظيم أثر الشيخ قدس سره في النساء، ودور إصلاحهن وربط قلوبهن بالله سبحانه، وهكذا كان يفعل الحبيب المصطفى ﷺ عندما يعظ النساء، وكان يصاحبه غالباً سيدنا بلال رضي الله عنه.

٥- الحاج عبد الرزاق بدر الحسني وذكرياته عن أبي النصر:

وحديث هذا الرجل الفاضل والتقي الصالح عن الشيخ أبي النصر حديث الحب والشوق واللهفة والصدق، كحديثه عن والده العالم العامل، والفاضل الكامل محمد بدر الحسيني، حديث عن والد الروح، وعن والد الجسم، بل وعن كليهما، فقد حدثني مراراً وكتبت ذكرياته عن والده وشيخه أبي النصر، كتبت عنه في المدينة المنورة، حيث كان مجاوراً فيها، والتقيته في المسجد النبوي في حلقة شيخنا العالم العامل الشيخ أحمد قلاش، والتقيته في الباب عندما زارها مراراً قبل وفاته، وكان آخر لقاء ضمنا قبل وفاته لدى أخينا الحاج يوسف كعكات في الباب في مزرعته بشهر تموز ٢٠٠٠م، ١٤٢١هـ، **قال**:

- **لقاء الشيخ أبي النصر وأثره في أهل الجزيرة:** أول ماتعرفت على الشيخ أبي النصر حوالي عام ١٣٤٩هـ، ١٩٣٠م، وكان عمري آنذاك ثلاثة عشرة عاماً، (ولد عام ١٩١٧م) ثم ذهبت معه بصحبة والدي إلى الجزيرة وصارة موجة جذب قوية فيها، وصار التفاف الناس هناك حول الشيخ، التفافاً عجيباً غريباً، فبعد أن كانوا في حالة متردية من البعد عن الدين والأخلاق (لصوص، سكارى، قطاع طريق) وإذا بهم ينقلبون خلقاً آخر، رأساً على عقب، وانقلبوا من الإجرام إلى التقوى والصلاح، وأعطى سيدنا الشيخ أبو النصر الإذن للشيخ محمد علي الحِمِّيد، فلقنهم الذكر، وإذا بهم يصبحون أصحاب أحوال عجيبة، فكنت ترى الشباب منهم يتراكضون إذا أقبلت سيارة الشيخ إلى منطقتهم، ويسابقونها وهم يستقبلون الشيخ، وقد تبلغ سرعتها ٨٠ كم في الساعة، يتسابقون للحاق بها، وقد شاهدت هذا بعيني عندما جاءت السيارة تحمل الشيخ مجتازة عبر الفرات إلى الجعدات.

- **سائق سيارة الشيخ، المسرف على نفسه ينقلب إلى تقي صالح:** وكنت في صحبة سيدنا الشيخ في إحدى السفرات إلى الجزيرة في سيارة أجرة تتسع لخمسة ركاب، وكان سائقها السيد بشير حمامي من حلب، وكان مسرفاً على نفسه، مقصراً في الطاعات، ولما رأى الناس حول الشيخ – بعد وصولنا – بين باك ومنتحب، في حلقة الإنشاد، وآخرون يفتلون، ذُهل وقال لنفسه: ماذا أصاب الناس ؟ ولماذا كل هذا ؟! ثم لما توجهنا من قرية الجات (الكبيرة) إلى قلعة نجم، رأى مشاهد أعظم من ذي قبل، ولما عبرنا قلعة نجم إلى (القصق) ونزلنا بضيافة مقدم القرية (حسين العلي) في صرين، وكان يكرم الشيخ ويستضيفه، ورأى السائق الأحوال الصادقة والغريبة من إخوان الشيخ، انقلبت حاله، وتغير سلوكه، وصار يبكي مع الباكين، ويذكر الله مع الذاكرين، وانجذب إلى الشيخ وتاب، وصار من أهل الصلاة والذكر، ولم يترك مجالس الشيخ طيلة سفره، وصار خلقاً آخر، وأعفى لحيته، وكانت السيارة ملك أخيه (قاسم حمامي)، وطالت سفرتنا ١٥ يوماً، واستغرب أخوه قاسم من أحواله وصار من الزاهدين العابدين، وكان يعمل على خط حلب منبج.

◆ **الحاج عبد الرزاق ينشد للشيخ:**

وكان الشيخ قدس سره مرة في تاذف عام ١٣٦٦هـــ، ١٩٤٦م، أو عام ١٩٤٧، وكنت مع المنشدين أنشد معهم، وكان المجلس في الجامع الكبير، في تاذف بعد العشاء، والشيخ يتوسط المجلس وحوله العلماء، وأمامه المنشدون، ولما جاء دوري في الإنشاد قلت مطلع قصيدة:

لــــك في قــــلبيَ دار وعليك القلب دايـــر
وعلى مــــرآك حاروا في الحمى أهل البصائر

وما إن أتممت الشطر الأول من البيت، وإذا بالشيخ يرفع يديه إلى أعلى بعد أن كان مطرقاً والناس مغمضو أعينهم مطرقو رؤوسهم والجامع غاص بهم، وإذا بالجامع يقوم ويقعد، وتعالت صيحات الناس، وبلمح البصر، صار الناس كالسيل الجارف باتجاه الشيخ يريدون أن يصلوا إليه، إلا أن حاجز المنشدين المتحلقين حول الشيخ منعهم، ولكن لم يمنعهم من جانب آخر من أن يقتحموا بعض جلساء الشيخ من العلماء، فقال لي الشيخ بكري رجب رحمه الله وكان قريباً من الشيخ: ماذا فعلت ؟! من أين هذا ؟!

◆ **شو آكل حلو ؟!:**

وفي عام ١٣٦٧هـــ/ ١٩٤٧م، توجهت أنا والشيخ محمد أديب العباس، والحاج حسين قدور الشهابي، وحاج صبحي الفرحات، وحاج خلوف الصباغ، وجمع من الإخوان في الباب بسيارة الحاج صبحي الفرحات، بعد أن حضرنا ختم الجامع الصغير (بعد العشاء) إلى حلب، حيث سمعنا أن الشيخ عند الحاج أحمد أبو الزوق، والسهرة عنده في (الكلاسة) وكان هذا في أوائل الخريف من ذلك العام، وطالت السهرة حتى الساعة ١٢ ليلاً، وبعد انفضاضها توجه الناس إلى بيوتهم، وأردت المبيت في حلب، فاجتزت الكلاسة إلى باب الفرج، ثم إلى شارع القوتلي (الخندق) ثم عوجة السجن، فمررت إلى حلواني هناك اسمه عمر عصفور، فدخلت المحل وأكلت حلواً، ثم اجتزت الجبيلة إلى باب

الحديد، ولما قربت من مسجد أبي ذر، قلت في نفسي: لعل الشيخ وصل إلى مسجد أبي ذر، وكان ينـــزل هناك، فلما وجدت باب المسجد مفتوحاً، دخلت، وإذا بالشيخ يجلس في غرفته في الليوان مع بعض الإخوان وكان معه على ما أذكر الشيخ الحاج محمود السباعي (صهره)، والشيخ عبد الباسط (ولده)، والشيخ عبد الجليل مراد، وقد وضعت للشيخ سفرة عشاء مما حضر، فقال لي الشيخ بعد السلام عليه: تفضل كل. فمددت يدي إلى صحن الزيتون، وتناولت واحدة، فقال الشيخ مداعباً: تأكل الحلو وحدك، وما تجيب للشيخ معك ؟!

فقال الشيخ عبد الجليل: شو عبد الرزاق آكل حلو ؟ فقال الشيخ عبد الباسط: نعم آكل حلو من عند (عمر عصفور). فصارت دموعي تسيل على خدي، وتجمدت مكاني، ولم يخطر ببالي الحضور إلى هنا، وإلا لأحضرت الحلو.

◈ منشده يشتهي البرتقال:

وفي عام ١٣٦٥هـــ ١٩٤٥م، تقريباً كان الشيخ أبو النصر قدس سره في الباب، وبعد أن أفطر في بيت والدي، توجه إلى بستان جدك (الشيخ محمد المسعود)، وجلس هو ومن معه على حافة البركة (حوض الماء الكبير)، وكان والدي الشيخ محمد بدر معهم، وذهبت إلى دكاني في السوق، وكان الوقت ضحى، فمر أحد إخواننا، وقال لي: أما تذهب إلى الشيخ ؟ قلت: نعم، أين هو ؟ قال: في بستان الشيخ محمد المسعود. فمررت على دكان (جوبان) واشتريت برتقالاً ووضعته في منديل كان معي، ولما وصلت سلمت، ووضعت البرتقال أمام الشيخ، فقال الشيخ رحمه الله ونور ضريحه لأبي حسن النداف منشدِه: تفضل هاي البرتقال. وكان أبو حسن يطلب البرتقال، فتحرك قلبي، فجئت به، والحمد لله رب العالمين.

◈ حال الذاكر القوي:

وكان حال سيدنا الشيخ رحمه تعالى قوياً، فإذا تلقن منه الذكر أحد الناس ولو كان راعياً فإنه يصبح ذا حال قوي، وقد كنا بأوائل عام ١٩٤١م و١٩٤٢م، ١٣٦١هـــ في

قرية قصر البريج عند الحاج حسين العلي (أبو فيصل) رحمه الله، وكان الشيخ ﷺ قد لقن الذكر لراعٍ هناك، فلما سمع الراعي بوجود الشيخ جاء إلى المضافة (مضافة أبي فيصل)، ليسلم على الشيخ، فلما دخل ورأى الشيخ صاح الراعي من الهيبة والذهول، (هُو) ومدَّها، فانطفأت الشمعدانات الأربع التي كانت في زاوية المضافة الأربعة بلحظة واحدة، وتعجب أبو حسن النداف من حال هذا الراعي القوي.

◆ **يا شيخي أبو النصر ! أين عبد الرزاق ؟:**

وفي عام ١٣٦٧هـ، ١٩٤٩م، كان سيدنا الشيخ قدس سره في تاذف في منزل الحاج أحمد العلو والد الشيخ العالم الفاضل الشيخ رشيد العلو، وكنت أغلق دكاني بعد العصر أو في المساء وأتوجه إلى مجالس الشيخ، وكنت أنام غالباً مع الشيخ في غرفته التي ينام فيها لأقوم بالخدمة، وأعود في الصباح إلى الباب إلى دكاني بعد أن ينتهي الشيخ من طعام الفطور، وذلك بعد الضحى، فأغلقت دكاني يوماً واتجهت إلى تاذف، وسهرنا ليلتها في الجامع الكبير، ونمنا لدى الحاج أحمد العلو، وكانت لديه مضافة واسعة، ولما قام سيدنا الشيخ - كعادته - قبل الفجر للتهجد وصلاة الصبح، قمت فأعددت له الوضوء، وتهجد حتى الصباح، وصلى تلك الليلة في البيت، وبعد صلاة الصبح قال لي: عبد الرزاق إلى الباب فوراً. وكان من عادتي - كما قلت - ألا أعود إلى الباب إلا ضحىً بعد فطور الشيخ، فامتثلت واتجهت إلى الباب، وبقي والدي مع الشيخ في تاذف، وكنت لا أزال أنا وزوجتي في بيت والدي رحمه الله، ووصلت إلى البيت قبل طلوع الشمس فلما دخلت الدار، وإذا بوالدتي تدور حول الزريعة (بعض الورود تزرع في أرض الدار عادة) وما أن رأتني حتى قالت: يا ابني الله جابك، ما عندنا أحد، وامرأتك قد أتاها الطلق، ولا يوجد من يبقى لديها حتى أذهب لإحضار القابلة، ما خليت ولي ولا نبي إلا ندهته (ناديته) ثم توجهتُ لتاذف، وقلت: يا شيخي أبو النصر أين عبد الرزاق ؟ فقلت لها: ها قد جئت للحال. ثم ذهبت إلى القابلة أم إبراهيم الفرحات (زوجة الحاج صبحي)، وحضرت معي، وبعد لحظات ولدت زوجتي ولدي (محمد فاتح) فالحمد لله على نعم الله.

◆ **الشيخ أبو النصر يؤسس مجلس الجامع الصغير في الباب:**

وسألت عمنا الحاج عبد الرزاق رحمه الله ورفع درجته، عن تاريخ مجلس الجمعة في الجامع الصغير بعد طلوع الشمس، ومن يحضره، فقال: أذكر أن أول حضور للشيخ قدس سره إلى الباب كان في الثلاثين من هذا القرن، وهو الذي أسس مجلس الجمعة الصباحي في هاتيك الأيام، وكان المجلس يبدأ بقراءة الختم الشريف بعد طلوع الشمس، ثم الإنشاد، ثم الإرشاد بدرس لأحد طلبة العلم. قال: وكان يحضره في زماننا كل مشايخ النقشبندية من العلماء والصلحاء والمنتسبين إلى طريق الشيخ، وكان يحضره من العلماء الشيخ أبو النصر أولاً إذا كان موجوداً، ثم من العلماء الشيخ محمد المسعود، والشيخ محمد بدر، والشيخ أديب العباس، والشيخ حسن الهاشم، والشيخ زكريا الزكور، والشيخ محمد سليم أفندي، والحاج حسين قدور الشهابي، والحاج مصطفى حمدو الصالح، والحاج مصطفى المرطو، وكل منتسب للطريق.

أقول: ولا زال المجلس مستمراً والحمد لله، وكان عمي الشيخ محمد سعيد المسعود يحضره حال حياته والوالد بعده، ولا أزال أحضره حتى الآن، وأرجو من الله دوامه، وعدم انقطاعه إلى يوم الدين [1].

وكان الشيخ أول حضوره إلى الباب ينــزل في منــزل الحاج سليمان القباط الشهابي، ثم تحول إلى منــزل جدك الشيخ محمد المسعود، ووالدي الشيخ محمد بدر، وغيرهم.

◆ **الباب مقفل، فمن أين دخل الشيخ ؟!:**

قال الحاج عبد الرزاق حكى لنا الشيخ عيسى الحصري (الحلبي) وكان من المنشدين لدى الشيخ، وكان يذهب إلى حمص ويبقى أياماً فيها في زاوية الشيخ، وكان له دلال وشطة عند الشيخ رحمه الله، وكان من عادة الشيخ إيقاظ من في الزاوية قبل الفجر، فقال

---

[1] قال عبد الله: وهو مجلس مبارك كان السيد الوالد يرغب ويرغّب فيه، ويروي أن روحانية النبي ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي والخلفاء الراشدين تحضر فيه، أو كما روى له أحد المحبين ذلك.

الشيخ عيسى في نفسه: إننا لا نشبع نوماً، والشيخ مهما تأخرنا في السهر يوقظنا قبل الفجر، فسأغلق الباب وأرتجه بالدرباسين الموجودين على الباب، وإن أتى الشيخ فسيجد الباب مغلقاً، فيتركنا ويذهب للصلاة في المسجد والختم، ونحن نستيقظ قبل الشمس ونصلي الصبح بعد ذلك !

قال الحاج عبد الرزاق: سألت الشيخ عيسى الحصري عن هذه الحكاية، وأنا في المدينة المنورة، فقال لي: دربست الباب بجنكلين (درباسين) كبيرين، ونمت مع الإخوان، وقبيل الفجر، وإذا بالشيخ يمسك رأسي قائلاً: يا عيسى قم صار الفجر. فقمت مذهولاً، وذهبت إلى الباب، وإذا بالجنكلين على حالهما والباب مقفل، فقلت للشيخ: من أين دخلت ؟ فقال الشيخ: إلهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي، والتفت إلى القبلة وصار يصلي.

أقول: مرت معنا هذه القصة مفصلة في بحث كمالات الشيخ تحت عنوان (صور من حياة الشيخ أبي النصر).

قال أخي عبد الله: سمعت الشيخ عيسى الحصري يقول: إن عيوني أصبحت حمراء مثل الدم.

المبحث السادس

آثار تربية الشيخ محمد أبو النصر في العلماء

مقدمة:

كما أسلفنا فإن الشيخ أبا النصر رحمه الله تعالى وقدس سره، كان مدرسة عظيمة، ومنهاجاً في التربية قويماً، ومرشداً كاملاً، نفعه حاصل، وخيره وسره إلى أتباعه واصل وفائض وشامل.

ولقد تجلى هذ ا الأثر، وبرزت هذه التربية كأظهر ماتكون في مريديه وتلامذته من العلماء، فإن شمسه لما ظهرت في آفاق حمص وحماه وحلب والجزيرة لم يبق عالم فيها إلا وألقى بين يديه زمام التسليم، أو أظهر المحبة والتكريم، من كافة صنوف العلماء والدعاة إلى الله، فمن ألقى إليه يد التفويض مع المحبة والتسليم واشتغل بتوجيهاته التربوية، ولحِظَتْه أنوار تزكيته وإرشاده صار آية من آيات الله في نفع عباده وإيصال المدد الإلهي والشرع المحمدي إليهم، حتى صاروا ظاهرة متميزة تقول للملأ: هؤلاء تربوا على يدي أبي النصر أو وراثه.

وما أجمل ما قاله العارف الكبير والولي الخطير، الإمام الرباني سيدي أحمد الرفاعي في البرهان المؤيد: (حالة الشيخ، كمالاً أو نقصاً تظهر في أتباعه ومريديه، فإن كانت حالة كمال علا بها حال الكامل، وزاد بها حال الناقص، وإن كانت حالة نقص، نقص بها حال الكامل، وذهب بها حال الناقص، إلا إن وهب الكريم، فلا تأثير للأحوال.

ثم قال: قال سيدي الشيخ منصور: صحيفة حال الشيخ أتباعه، لهم من حاله وخلقه شمة لا بد أن تفعل كيف كانت، إلا إذا غلبها حال سماوي اختص بها التابع، فربما يعلو

منـــزلة شيخه، ﴿... ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (٥٤: المائدة) [1].

وسترى أخي المحب فيما يلي من هذه الفصول تراجم هؤلاء الأعلام الذين تربوا في مدرسة أبي النصر، يظهر فيها سر تلك الوراثة المحمدية التي أفاضها الحق سبحانه على هذا الوارث الكامل، والرباني الفاضل، والعالم العامل، فأخذ مريدوه وتلامذته حظهم الوافر منها، وحاز العلماء منهم النصيب الأعلى، فكانوا مظهراً من مظاهر عزة هذا الدين الحنيف، وشعائر معظمة لهذا الشرع الشريف أدت مهمتها، ولا تزال تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، جعلنا الله سبحانه من هؤلاء الوراث العاملين وحشرنا في زمرتهم تحت لواء سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وصحبه أجمعين.

ولقد أفضنا في تراجم بعضهم وأوجزنا في البعض الآخر، وما ذاك إلا حسب توافر المعلومات لدينا عنهم، وليطلع مريد الخير ومحب الحق، على سيرة هؤلاء الأعلام الكرام الذين كان كل واحد منهم أمة وحده، وليعلم أي رجال عظماء، وأي علماء عاملين ربتهم شخصية المرشد الكامل والوارث المحمدي، سيدي أبو النصر، قدس روحه وطيب الله ثراه.

ملاحظة:

١- وضعت تراجم أربعة من العلماء من تلامذة سيدنا سليم هنا، لأنه تأخرت حياتهم إلى زمن سيدي الشيخ أبي النصر، ولازموه أيضاً بعد شيخهم سليم، وهم السادة: الشيخ قاسم التلمنسي، والشيخ راغب الدويري الحمصي، والشيخ عبد الجليل المراد الحمصي، والشيخ محمود السباعي، رحمهم الله جميعاً، وأخرنا ترجمة الشيخ بشير الدحدوح إلى ما بعد.

٢- من تراجم السادة العلماء الذين سنذكرهم في هذا الفصل تتجلى صفات من حياة الشيخ رحمه الله في سلوكهم وتربيتهم، ومدى نفعهم للناس، فمنهم من كان ارتباطه قوياً، حتى بعد وفاة الشيخ، ومنهم دون ذلك، وهذا ظاهر في تراجمهم كما سنرى بإذنه تعالى.

---

[1] البرهان المؤيد ص١٢٦-١٢٧، ط: الأنصاري بحلب ١٤١٦هـ، تحقيق عبد الله المسعود.

تراجم العلماء الذين عاصروا الشيخين
الشيخ سليم خلف والشيخ أبو النصر

١- الشيخ راغب الدويري

٢- الشيخ قاسم التلمنسي

٣- الشيخ عبد الجليل مراد

٤- الشيخ محمود أتماز السباعي

١- العالم العارف، والأمي الأمين، والصوفي المكين

الشيخ راغب بن مصطفى الدويري "الحمصي"

(١٣٠٠-١٣٧٦ هـ) (١٨٨٢-١٩٥٦ م)

قد ذكرنا بعضاً من ترجمته في فصل تلاميذ الشيخ سليم، ونكمل ما أثبتناه هناك [١] في هذا الفصل أيضاً بما يلي:

◆ سمعت من سيدي الشيخ عبد الباسط رحمه الله تعالى [٢] : أن الشيخ سليمان ثروت كان من أكابر علماء الأتراك وكان عالماً متصوفاً وعارفاً، وهو معروف لدى علماء حلب، جاء حمص وبقي فيها مدة في بيت الشيخ سليم، والتقى بالشيخ راغب، فحكى الشيخ راغب لسيدي الشيخ عبد الباسط رؤيا رأى فيها سيدي سليم في المنام أعطاه رمانة، وللشيخ أبي النصر رمانة. قال الشيخ راغب، ولما قسمتها وجدت رمانة أبي النصر ناضجة بيضاء، أما رمانتي ناضجة حمراء، قال: فقلت في نفسي كيف تكون رمانتي ناضجة أكثر من رمانة الشيخ أبي النصر ؟! فما تفسيرها ؟ قال: ففسرها لي الشيخ سليمان ثروت قائلاً: إنك وارث عن الشيخ سليم لكن معك حدّة، وأما الشيخ أبو النصر فمعه حلم. قال الشيخ راغب: وكان كما قال الشيخ سليمان.

وقد ذكرنا طرفاً من كمالات وأحوال الشيخ راغب في ترجمة الشيخ وصفي مسدي حفظه الله في بحث تراجم علماء حمص فليراجع، وهو تتمة أيضاً لترجمة الشيخ راغب رحمه الله وقدس روحه.

---

[١] راجع ص ٢١٢ فصل تلاميذ مولانا سليم من هذا الكتاب.

[٢] مما أملاه علينا في بيته أثناء درسنا عليه البخاري، وذلك في حلب جمادى الآخرة ١٣٩٩ هـ.

◆ وذكر الأستاذ غازي حسين آغا في كتابه (علماء وأعلام حمص في ظل الخلافة العثمانية) عن الشيخ راغب ما يلي:

- الشيخ راغب بن مصطفى الدويري. (خليفة الشيخ سليم خلف قدس الله سره).

ولد في مدينة حمص سنة ١٣٠٠ هجري ١٨٨٢ ميلادي. توجه في بداية شبابه إلى شؤون معاشه ثم اجتمع بالشيخ سليم قدس الله سره وخصَّه الشيخ بالتوجه التام، فالتفت إلى طلب العلم على يد شيخه ومرشده قدس الله سره وحفظ المتون والشروح عليها بإتقان، وأجازه بالطريقة النقشبندية العلية، وصار داعية إلى الله تعالى فجذب النشء الجديد من أبناء أهل الدنيا على وجه الخصوص إلى الطريق القويم ونذر نفسه لهذا الأمر إلى أن أدركته الوفاة، فكان الموجه والمعلم والمؤدب لهم بالحسنى، ثم يأتي بهم على باب المرشد الكامل الشيخ سليم قدس الله سره لينهلوا من معين علومه ومعارفه وأسراره، وكذلك هو الحال في مدة جلوس الشيخ أبي النصر على سجادة الإرشاد.

توفي سنة ١٣٧٦هـ ١٩٥٦م. اهـ منه.

٢- العالم الفقيه، الفاضل النبيه

الشيخ قاسم التلمنسي، المعري النقشبندي

(...-١٣٨٠ هـ) (...-١٩٦٠ م)

هو الشيخ الفاضل والعالم العامل، والصوفي الكامل الشيخ قاسم بن محمد بن قاسم بن محمد بن إسماعيل بن أحمد بن محمد بن غانم، وينتهي نسبه إلى سيدنا عمرو بن معديكرب الزبيدي، دفين حمص.

(وقد ذكر الشيخ قاسم نسبه هذا في كتابه منظومة الطالب ص ١٢ ط أولى، ١٣٥٣ هـ).

وكان هذا الحبر العالم، والفاضل الفقيه - كما حدثني سيدي الوالد عنه - من إخوان ومريدي مولانا سليم خلف، وأدرك بعده الشيخ أبا النصر رحمهم الله جميعاً، وهو من أهالي قرية (تلمنس)، شرقي المعرة حيث ولد فيها، ونشأ هناك، ثم تلقى تعليمه على يد شيوخ عصره، في حمص وغيرها، وأخصهم مولانا سليم خلف.

وقد عني بتصنيف الكتب النافعة، واللازمة للناس وبخاصة ماله صلة بفقه الحلال والحرام، وكان ناظماً شاعراً فقيهاً، ولم نستطع جمع ترجمة له تبين بعض حاله سوى ما كتبه هو عن نفسه في كتابه الذي ألفه في الفقه على المذاهب الأربعة، الذي سماه (مصباح الطالب، شرح منظومة القول الصائب، في الأربعة المذاهب)، وهذا الكتاب من مقتنيات سيدي الوالد الشيخ محمد علي المسعود، وقد طبعه المؤلف عام ١٣٥٣ هـ، ١٩٣٤ م.

وقد لزم الشيخ قاسم فيما بعد شيخ الوقت سيدي أبا النصر، وقدم له كتابه المذكور كما قدمه للشيخ عيسى البيانوني أيضاً، وكتب الشيخان له تقريظاً (مقدمات)، كما كان سائداً في ذلك العصر، سنثبتها بعد قليل، كما كتب له علماء عصره أيضاً تقاريظ فيه، وله تآليف علمية ذكرها في آخر كتابه (مصباح الطالب)، وأثبتناها ذيلاً.

وله شعر جيد بمدح الرسول الأعظم ﷺ وأشياخه، نذكر منه هاتين المقطوعتين نقلاً عن زميله وعصريِّه الشيخ رشيد الراشد التادفي، الذي جمع بعض القصائد والأناشيد في (مجموع طبعه عام ١٣٩٣ هـ).

قال الشيخ قاسم يمدح الرسول الأكرم ﷺ:

بمحمد دامت لنا الأفراح	وقلوبنا في ذكره ترتاح
فإذا تلونا ذكره وحديثه	دارت لنا بشرابه الأقداح
جلت مواهبه لنا في هديه	لما تجلى نوره الوضاح
بجبينه نورٌ كمصباح بدا	للعالمين جبينه المصباح
حاز الجمال ونال يوسف بعضه	ملئت بمدح صفاته الألواح
نار الغرام بقلب عاشق حسنه	إن مات وجداً ما عليه جناح
همنا به لما ذكرنا وصفه	ولنا بوصف جماله الأرباح
طارت بنا الأشواق نحو مقامه	ولقربه قد حنَّت الأرواح
طارت نفوس العاشقين بعشقه	ولهم يُحاضِر طِيبَةُ الفيّاح
صلى عليه الله مع تسليمه	ما ضاء من بعد الظلام صباح

وقال يتعطف شيخه (سليم) قدوة الإرشاد، طالباً الوصل بعد الفراق والسهاد: (والله تعالى أعلم):

النار تكوي مهجتي	وسعيرها ضمن الحشا لبعادي
طال الجفا والهجر أضنى مهجتي	عفّرت خدي للجفا برمادي
ناديت من أهوى لِمْ هذا الجفا	يا ليت يرفق من إليه أنادي
ويجود في وصلي ويُنْعِمُ باللقا	وتزول أحزاني بنيل مرادي
إن جنّ ليلي فاض دمعي بالبكا	وحرمت في ليلي نعيم رقادي
عللت حالي في هواه بلوعتي	والليل داجٍ باختلاط سوادي

إصلاح قلبي إن ذكرت حبيبه — وإذا غفلت عن الحبيب فسادي
أنا قاسم بالله أقسم وحده — مذ كان من نار الغرام سهادي
أنعم إلهي بالوصال تفضلاً — قبل الممات وبعدُ حين معادي
أدعوك ربي بالنبي محمد — صلني لمن أدعو به يا هادي
وعليه صلّ مسلماً طول المدى — ما دام قولك للعباد؛ عبادي
وعلى صحابته الكرام وآله — والتابعين، (**وقدوة الإرشاد**)

وفيما يلي أذكر ما كتبه له شيخنا سيدي محمد أبو النصر (مقرظاً) لكتابه (مصباح الطالب) كما أثبته مؤلفه مع التقاريظ الأخرى في كتابه المذكور:

قال الشيخ قاسم: ومما قاله إمام الطريقة النقشبندية في قطر الشام والفرات وسورية؛ إمام المرشدين، وبهجة العارفين، وقمر الليالي، وشمس العصر، آل خلف الحمصي الشيخ محمد أبو النصر، دام نفعه للمسلمين آمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لمن جعل السنة النبوية لأمراض القلوب شفا، وأورد من وفقه لخدمته من مناهل بحورها ما رقّ وصفا، ووفق الأمة المحمدية لتناقلها سلفاً وخلفاً، فاتضح طريق سنائها وزال كل لبس وخفا، وصلاة وسلاماً على من قامت به سُنَّة الإسناد.

أما بعد: فقد اطلعت على كتاب (مصباح الطالب شرح منظومة القول الصائب في الأربعة المذاهب)، لمؤلفه الشيخ قاسم التلمنسي، فوجدته مشحوناً بعبارات جلية، وألفاظ درية، وأسأل الله أن ينفعنا به، وإخواننا المسلمين، وحشرنا الله جميعاً تحت لواء سيد المرسلين، عليه وآله الصلاة والتسليم في البدء والختام.

الفقير إليه تعالى:

محمد أبو النصر خلف النقشبندي عفي عنه.

ثم ذكر بعده تقريظاً للشيخ عيسى البيانوني رحمه الله تعالى، قال الشيخ قاسم:

وقال الإمام العارف بالله، محب رسول الله ﷺ الشيخ عيسى البيانوني مُدرس الأخلاق بحلب الشهباء:

الحمـــــد لله الـــكـــريـــــم	وحمــده مصــباح كـــل طالـــب
أحـــمـــده، وفّـــق مـــن أراده	لمحكـم القـول البـديع الصـائب
وبـعـــد ذا، فـقـــد وجب اقتداؤنا	بأحـــد الأربعـــة المـــذاهب
وذا مـــؤلّـــف حوى أحكامـــهـــا	برتبـــة علـــت علـــى المراتـــب
ألّـــفـــه نـــظماً ونـــثراً قـــاســـم	وإنـــه حقـــاً مـــن المواهـــب
أخ صدوق عـــالـــم وعـــامـــل	أكرم بـــه مـــن صـــادق وصـــاحب
جـــزاه رب الـــناس خـــيـــر مـــا	معلمـــاً للفـــرض ثم الواجـــب

العبد المحمدي: عيسى البيانوني.

وقد ذكر الشيخ قاسم في نهاية كتابه (تقاريظ) علماء عصره لكتابه هذا، سوى من ذكرناه أعلاه، فذكر تقريظاً للشيخ محمد أسعد العبه جي مفتي الشافعية بحلب، والشيخ محمد شريف المارتيني الإدلبي، والشيخ سليمان المصري، ونقيب أشراف إدلب السيد الشيخ محمد طاهر الملاّ الكيالي الرفاعي، والشيخ محمد برهان الدين العياشي مفتي إدلب، والشيخ عبد الحميد آل نعمة من إدلب، والشيخ محمد حافظ آل الشريف، والشيخ محمد سعيد حسن سعيد مدرس الحديث باللاذقية، وعلي مطرجي اللاذقي، والشيخ مصطفى أديب المحمودي مفتي اللاذقية، والشيخ سعيد مطرجي مدرس جامع أصلان باشا (اللاذقي)، والشيخ سلامة أفندي الصوفي الحسيني اللاذقي.

ومن المفيد أن نذكر شيئاً عن هذا العالم الفقيه الصوفي النبيه، وعن بعض آثاره العلمية، فقد وجدت في آخر كتابه (مصباح الطالب)، بعضاً من أحواله ذكرها بنفسه، فأقتبس منها ما يكمل هذه الترجمة، قال في ص ١٨٥:

قصة في سفري:

توجهت من قريتي (تلمنس) إلى حلب لأشغال خصوصية نهار السبت ١٤ محرم ١٣٥٣ هـ، الموافق ٢ نيسان ١٩٣٤ م، وفي ليلة الجمعة التي تليها نمت بعد الذكر والأوراد في زاوية الصياد قدس سره، فرأيت النبي ﷺ في نومي ورجلاً جالساً عن يمينه الشريف، وركبته ملاصقة لركبة النبي ﷺ والرجل محسور الرأس محفوّه، ذو جبهة كبيرة، ولحية لطيفة، نحيف البنية، أقنى الأنف، الشجاعة والبسالة ظاهرة بين عينيه، ظننته أحد الصحابة الكرام، يتكلم مع النبي ﷺ، والنبي ﷺ يتسم في وجهه، فأردت أن أعرفه فقلت: يا رسول الله من هذا ؟ فقال: هذا رباح. بصوت مرتفع يشير لقبوله عنده، ورفع النبي ﷺ يديه بعد القيام متوجهاً للقبلة وأنا خلفه كالمأموم ودعا لي الله بالقبول.

وحين رجوعي لقريتي، وجدت في بيتي كتاباً فيه رسالتان الأولى بإمضاء السيد محمد هلال النعيمي، والثانية بإمضاء السيد رباح الصوفي الحسيني، قاضي قضاء جبلة وبانياس، يثني عليّ فيها خيراً لصنعي معروفاً مع السيد محمد هلال النعيمي، فهاجني الشوق لرؤية السيد رباح، وسافرت إلى جبلة، وفي أول دخولي عليه وجدته على تلك الحالة التي رأيتها عليها في المنام محسور الرأس، فعرفته بأنه هو الذي رأيته مناماً، وبعد السلام ذهبنا سوية إلى مقام السلطان إبراهيم بن الأدهم قدس الله أسراره، وبعد أداء فرضي الظهر والعصر ألقيت درساً بطلب من إخواني المؤمنين..

وبعد خروجي من الحضرة الإبراهيمية كلفني أحد علمائها السيد محمد أفندي محسن علي أديب العمري نسباً، لأكون له ضيفاً..، وأتى ذكر مؤلفي (مصباح الطالب) فتكرم السيد رباح الصوفي بطبعه على نفقته،...

وفي صباح يوم الأربعاء توجهت إلى اللاذقية بصحبة السيد رباح أفندي الصوفي الحسيني ونزلنا في تكية مولوية اللاذقية عند شيخها السيد محمد راغب أفندي بن المرحوم السيد صائب، وزرت ضريح الشيخ محمد المغربي، وحظيت ببركاته.

ثم زرت أخي في الطريقة وهو السيد ذو الفقار (الحسكي، الحسيني) [1] وأعطاني قطعة فيها لفظ الجلالة فسرني كثيراً بها، وفي عودتي إلى حلب مررت بجسر الشغور، ونمت عند فقيهها السيد الشيخ إسماعيل أفندي الكيالي، فزاد في إكرامي جزاه الله خيراً.

ولما وصلت إلى حلب وأتيت جامعها الكبير، طلب مني أهلها قراءة الدرس، فأجبتهم لذلك ظهراً وعصراً على الأربعة مذاهب، فأثنى علي علماؤها الفخام وأهلها الكرام.

ثم ذهبت إلى إعزاز وقرأت بها درساً (يومين) وفرح فيّ أهلها فرحاً شديداً، وأكرموني إكراماً عديداً جزاهم الله عني خيراً، وجميع دروسي لا أقصد بها فخراً، ولا أطلب عليها أجراً، بل قصدي وجه الله تعالى، والحمد لله على نعمه التي لا تحصى.

آثاره العلمية: وقد ذكر في آخر كتابه هذا مؤلفاته؛ وهي:

١- منظومة القول الصائب في الأربعة المذاهب، ٢- منظومة الإيضاح والبيان في

---

[1] والشيخ محمد ذو الفقار الحسكي الحسيني كردي الأصل، ولد بالقرب من دمشق وتلقى علومه فيها ثم سلك الطريقة النقشبندية على مشايخها، وانضم إلى الجيش العثماني أثناء الحرب العالمية الأولى، وبعد انتهاء الحرب استوطن طرابلس الشام، وعمل كاتباً في كلية التربية والتعليم بطرابلس، واستلم الزاوية الشمسية الملحقة بالجامع المنصوري، وأخذ يدير فيها حلقات الذكر النقشبندي، كما استلم الزاوية النقشبندية في مدرسة (الدبها) بطرابلس أيضاً... وكان ينتقل من زاوية لأخرى يربي ويرشد ويسلّك حتى توفي بدمشق عام ١٣٧١ هـ، ١٩٥١ م، حيث دفن في مقبرة الشيخ خالد في حي الأكراد بدمشق، (الطريقة النقشبندية وأعلامها ص ١٣٨.)

أقول: وأخبرني شيخي وأستاذي العالم الفقيه الورع والصوفي المتبع، **الشيخ يحيى البستنجي** اللاذقي أن الشيخ ذو الفقار كان شيخه وكان يزور مدن الساحل السوري، ويدعو للطريقة النقشبندية، وقد أخذ الطريقة النقشبندية منه، وقال عنه أن أثره في الساحل كأثر الشيخ أبي النصر في الداخل، وكان يزور الشيخ أبي النصر في حمص، وأنه كانت الحشائش والأعشاب تخبره بأسرارها ومنافعها، ولأي مرض تصلح، وكان شيخنا البستنجي يوصينا بزيارة ضريحه إذا زرنا مولانا خالد بدمشق، رحمهم الله تعالى رحمة واسعة، توفي الشيخ يحيى ودفن في اللاذقية ١٤٠٠ هـ، ١٩٨٠م، وحضر أخي الشيخ عبد الله المسعود جنازته وتشييعه، وألقى كلمة في جموع المشيعين على قبره بيّن منـزلته وفضله، وقد أكرمنا الله تعالى أنا وأخي الشيخ عبد الله بصحبته وحضور مجالسه عام ١٣٩٨ هـ ١٩٧٧، أيام كنا مدرسين في اللاذقية، وانتفعنا به كثيراً، وأجازنا بفوائد وإجازات كثيرة. وكان يريد إعطاءنا الطريق النقشبندي، فلما علم أننا تلقيناه عن شيخنا عبد الباسط أبو النصر، ازدادت عنايته بنا، وأوصانا بلزوم المداومة على صحبته ومحبته، وكان يرسل معنا السلام إلى جنابه، رحمهم الله وأجزل مثوبتهم.

مذهب أبي حنيفة النعمان، ٣- منظومة بهجة السالك في مذهب الإمام مالك، ٤- منظومة القول النافع في مذهب الإمام الشافعي، ٥- منظومة ضياء المقل في مذهب الإمام أحمد بن حنبل، ٦- منظومة حدائق الجنان في أسرار مواعظ القرآن، ٧ - منظومة مواعظ الإنسان الموصوف بالإيمان، ٨- منظومة العقود الجوهرية في الأبيات الحكمية، ٩- منظومة العروس المجلية في علم النحو والعربية، ١٠- منظومة كحيلة الطرف في علم الصرف، ١١- منظومة النجابة في علم الكتابة، ١٢- منظومة الإسناد في أحاديث سبل الرشاد، ١٣- ديوان الدرر النقية في مدح خير البرية، ١٤- ديوان القول المرغوب في مدح المحبوب، ١٥- ديوان موشحات العشاق، وتهييج الأشواق، ١٦- منظومة الإيضاح والبيان في مولد سيد الأكوان، ١٧- ديوان ضوء الساعي في مدح الغوث الرفاعي، ١٨- مصباح الطالب وهي شرح القول الصائب، ١٩- شرح حدائق الجنان في أسرار مواعظ القرآن (شرح الكتاب رقم ٦)، ٢٠- شرح مواهب المنان على مواعظ الإنسان (شرح ٧)، ٢١- تصحيح كل حرف شرح منظومة (كحيلة الطرف)، ٢٢- رسالة حقائق التوحيد لنفع المريد، ٢٣- مرشد السالك إلى أحكام الحج والمناسك، ٢٤- زينة الأبصار بالأحاديث الصحيحة عن النبي المختار، ٢٥- رحمة الباري بالأحاديث الصحيحة عن مسلم والبخاري.

وقد طبع من هذه الكتب: منظومة الإيضاح والبيان، والدرر المنيفة، والقول النافع، بالمطبعة العلمية بحلب البهية، وأرجو الله تعالى بكرمه طبع ما بقي من مؤلفاتي لنفع إخواني المسلمين بجاه سيدنا محمد سيد المرسلين ﷺ. اهـ من كتابه مصباح الطالب ص ١٨٨.

توفي هذا العالم الفاضل عام ١٣٨٠ هـ، رحمه الله تعالى.

٣- الشيخ الجليل، والمريد المراد، صاحب الكمال والوداد

العالم الفاضل والمحب الكامل الشيخ عبد الجليل المراد

(١٣٠٢-١٤٠٠ هـ) (١٨٨٤-١٩٨٠ م)

ولد هذا العالم الفاضل، والولي الواصل، الصادق في محبته، الملازم في صحبته لسيدي سليم ثم من بعده لولده سيدي أبي النصر في حمص عام ١٨٨٤م، وقضى حياته متدرجاً بين مرشدين كاملين، وأولياء فاضلين، فكان مريداً مراداً.

درس وتعلم في حمص على مشايخها، وأدرك مولانا سليم في أيامه الأخيرة، فلزمه، وتلقى الطريق عنه، وسلك لديه، واعتبر في عداد إخوانه ومريديه وأحبابه وأصحابه.

ثم لما انتقل مولانا سليم إلى رحمة الغفور الرحيم عام ١٣٢٨ هـ، لزم خليفته من بعده ولده الشيخ محمد أبا النصر، فأخلص له الصحبة والمحبة، ولازمه وأحبه، ولم يفارقه، وكان يكتب له رسائله الجوابية للإخوان الذين كانوا يراسلون الشيخ من مختلف البلاد، ويحررها له ويعرضها عليه، ثم يوقع الشيخ عليها.

كما كان يصحب الشيخ في أسفاره ورحلاته إلى مناطق حماه وحلب والجزيرة مع العلماء الكرام الذين يرافقون الشيخ ويلقي المواعظ بأمر الشيخ على الإخوان الحاضرين، ويعلّمهم آداب الطريق وآداب صحبة الشيخ وحقوقه عليهم وواجبهم تجاهه.

وكان رحمه الله محسناً إلى جيرانه، وإلى كافة الناس، وكان معتقداً لدى أهل حمص وبالأخص من عرفه، فكان يقرأ لمرضاهم فيبرؤون بإذن الله.

وكان إماماً وخطيباً في المسجد القريب من داره في محلة القرابيص بحمص ويسمى (جامع التوفيق)، وقد أكرمنا الله سبحانه بزيارته مع شيخنا عبد الباسط قبل وفاته بعامين عندما زرنا حمص بصحبته، وسلمنا عليه وطلبنا منه الدعاء أنا وأخي عبد الله، فدعا لنا

وسرّ بنا لما علم أننا من آل المسعود؛ أصحابه وأحبابه.

كان بينه وبين الشيخ عيسى البيانوني رحمهما الله محبة وإخاء في الله فقال فيه الشيخ عيسى هذين البيتين [1]:

قالوا نرى عبد الجليل مقرباً   والـــكل منا للجليل مراد

فأجبتهم يا غافلين تنـــبهـــوا   ما كل عبدٍ للجليل مراد

رقيته للأطفال: وقد التقيت أثناء رحلتي للعمرة عام ١٤٢١ هـــ، في شعبان بأحد جيران الشيخ عبد الجليل واسمه (أحمد تدبير)، فأخبرني عن بعض كرامات هذا العالم الفاضل فقال: انصرفت يوماً من عملي في مطاحن حمص عائداً إلى منـــزلي، فوجدت ولدي (عبد الناصر) وكان طفلاً عمره سبعة أشهر يبكي بكاءً مستمراً، وقالت لي أمه: إنه استمر على هذه الحالة منذ ثلاثة أيام، فحملته بين يدي، وجئت به إلى بيت الشيخ عبد الجليل، فقرأ له طويلاً، ودعا له فنام بين يدي من أذان العصر وحتى الساعة العاشرة من صباح اليوم التالي، وفي اليوم الذي بعده، جاء الشيخ يتفقد الطفل، فقال: كيف حاله ؟ ثم قرأ له، وقال لي: لن يرى هذا المرض بعد اليوم إن شاء الله تعالى، ومرضه يسمى بالعامية (فرحة الأطفال)، وكان كما قال.

رقيته للنبات: قال: وأخبرني عبد الحنان بن الشيخ عبد الجليل أن أباه كان عند صديق له في بستان، فشكى له البستاني من حشرة تأكل جذور الخضروات، اسمها عندنا (الحاشوش)، فكتب الشيخ له ورقة وقسمها أربعة أقسام، وقال له: ضع في كل زاوية من أرضك واحدة منها، ففعل فلم يرَ الحاشوش بعدها.

قال: وحكت لي والدتي أن أمها (جدته) كانت في بستان لهم، وجاء الشيخ أبو النصر، فارتعدت خوفاً لما رأته فجأة، فطمأنها الشيخ وقال لها، سيأتيك ولد واسمه جميل، وكانت

---

[1] أملى عليَّ هذين البيتين شيخنا أحمد القلاش بحضرة سيدي الوالد عندما كانا يتذاكران أحوال الشيخ أبي النصر وإخوانه وذلك في المدينة المنورة، أو في قباء في بستان العباس في ذي الحجة ١٤٠٥.

حاملاً، وبعد أيام جاء هذا المولود، وسموه (جميل)، وهو ابن حاج حسين المسموم.

قال أحمد: وكانت والدتي تتخاصم مع أبي كثيراً فتلجأ إلى بيت الشيخ عبد الجليل فيصلح بينهما، ويقول لأبي: أما تعلم يا أبا أحمد أن الرسول الكريم أوصى بالنساء خيراً.

وللشيخ ولدين، عبد الحنان وعبد الرحمن، توفي رحمه الله بحمص ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠م، وصلي عليه في جامع التوفيق، ودفن بجانب الشيخ سليم رحمهم الله تعالى وقدس أرواحهم.

وكتب عنه الشيخ محمد علي مشعل في ثبته ما يلي:

الشيخ عبد الجليل مراد: من علماء حمص الملازمين للشيخ عبد الغفار عيون السود وللشيخ أبي النصر، وللشيخ عبد القادر خوجة، وهو من العلماء المعدودين، وكان لا يفارق زاوية الشيخ أبي النصر خلف، كان إماماً وخطيباً لجامع القرابيص، وهو مرجع للعلماء في الرأي، وله ولد اسمه عبد الرحمن على قدمه، وتأنيه وكلمته، وأولاده كلهم على طريق الصلاح والتقوى. اهـ منه.

ونقلنا في فصل (تلاميذ مولانا سليم) ما كتبه عنه المؤرخ محمد غازي حسين في كتابه (علماء وأعلام حمص في ظل الخلافة العثمانية).

٤- الشيخ الجليل، والمحب الوَصول

الشيخ محمود أتماز السباعي

(١٢٩٧-١٣٩٣ هـ) (١٨٧٩-١٩٧٣ م)

هو العالم الفاضل، والمحب الكامل، والشيخ الجليل، والصوفي النبيل، الشيخ محمود بن الحاج محمد الخالد أتماز السباعي.

ولد في حمص عام ١٢٩٧هـ الموافق ١٨٧٩م، ونشأ نشأة صالحة لدى أبوين فاضلين تقيين في حي من أحياء حمص القديمة، قريباً من بيت الشيخ سليم، وتلقى تعليمه الأول في الكتّاب الذي كان يعلِّم القرآن ومبادئ القراءة والكتابة، ثم تلقى مبادئ العلوم الشرعية أول ما كان يتلقاها أمثاله على شيوخ حمص آنذاك، ثم أكمل تحصيله العلمي لدى شيوخها الأفاضل، وتفتحت عيونه في ذلك الحي على مرأى الشيخ سليم خلف قدس سره، فكان يلزم زاويته منذ أن كان شاباً، وعنه تلقى الطريق النقشبندي ومحبة العلم وأهله، والطريق ورجاله، وسلك على يديه وتربى في زاويته، كما سمعته من والدي. (والكلام لولده محمد راتب).

وكان من حبه للطريق وأهله والعلم وحملَته أن أرسل ولده خالداً المولود ١٩١٩م إلى المدرسة الخسروية بحلب لتلقي العلم هناك على يدي شيوخها الأفاضل، وانتسب إلى سلكها عام ١٩٣١ ولم تمض عليه أربع سنوات حتى وافته المنية ولم يمتع بشبابه ولم يهنأ والده بأن يرى قرة عينه عالماً كباقي العلماء فتوفي عام ١٩٣٥، وقد أخبرني الأستاذ الشيخ إسماعيل أبو النصر أنه كان زميلاً لوالده في الخسروية، وكانا أخوين متحابين، وكان والده الشيخ عبد الباسط يحدث كثيراً عن زميله الشيخ خالد السباعي.

ثم توفيت زوجته أم خالد، بعد مدة ليست بالقصيرة، فأصهر إليه الشيخ محمد أبو النصر وزوَّجه ابنته (بدرية) رحمها الله، فأنجبت له (محمد راتب) حفظه اللهُ وهو الآن قد تجاوز السبعين من العمر.

ومما حدثني عنه سيدي الوالد أنه كان يصاحب الشيخ أبا النصر في جولاته السنوية إلى ريف حلب ومناطقها، وكان من أهل الأدب والصفاء، والتقوى والسمت الصالح.

أقول: وقد زرت ولده الأستاذ (محمد راتب) في بيته في حمص (آخر ذي القعدة ١٤٢٣ كانون ثاني ٢٠٠٣)، وحدثني ببعض ما وعاه عن والده فقال: كان يصحبني وأنا طفل إلى زاوية جدي الشيخ أبي النصر ليلة الجمعة لحضور المولد الأسبوعي فيها وكان الوالد يقرأ القرآن بأمر الشيخ قبل بدء المولد والختم، وكنا نذهب مشياً إلى الزاوية عندما سكنا في (حي الغوطة) في حمص بعد مفارقة بيتنا القديم حيث كان بيتنا السابق ملاصقاً لبيت جدي الشيخ أبي النصر.

وكان الوالد من أهل العلم والتقوى والسكينة والهدوء، ووعيت آخر أيامه، كان تاجراً في سوق العبي وكان يخطب الجمعة لما يكلفه بعض زملائه بدلاً عنهم عندما يضطرون للسفر أو عذر آخر.

وقضى بقية حياته في حمص بعد وفاة الشيخ حيث تقدم به السن وخاصة بعد وفاة والدتي، فكانت زوجتي (بنت خالتي أم سلمان) تقوم بخدمته (وأم سلمان حفظها الله بنت شيخنا أبي النصر، وهي الباقية من أولاد الشيخ أمد الله بعمرها مع العافية).

توفي الشيخ محمود رحمه الله عام ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م عن عمر جاوز التسعين عاماً ودفن في حمص طيب الله ثراه.

علماء حمص

من مريدي الشيخ أبي النصر

١ً- خليفته الشيخ عبد الباسط أبو النصر خلف. ثم خليفته الشيخ إسماعيل أبو النصر، وفروع الشجرة المباركة الحمصية.

٢ً- من آل عيون السود:

١- الشيخ محمد علي عيون السود وأولاده الشيخ عبد اللطيف، والشيخ عبد العزيز، والشيخ محمد نور، وأحمد.

٢- الشيخ عبد الغني عيون السود وأولاده نجيب وعبد الغفار ومحمد علي وعبد الله.

٣- الشيخ عبد الغفار عيون السود، وولده عبد الرزاق.

٤- الشيخ عبد الله عيون السود.

٣ً- من آل الأتاسي:

١- الشيخ خالد الأتاسي وولده الشيخ طاهر (مفتي حمص).

٢- الشيخ توفيق الأتاسي، والشيخ بدر الدين، والشيخ عارف الأتاسي وابنه عبد الفتاح، وابنه الشيخ طيب الأتاسي، وتقي الأتاسي، وأبو السعود الأتاسي، وزاهد الأتاسي.

٤ً- من آل السباعي:

١- الشيخ محمود أتماز السباعي. ٢- الشيخ فائق أتماز وأخوه الشيخ عادل أتماز.

٣- الطبيب الشيخ رفيق السباعي. ٤- الشيخ عبد الكريم أتماز السباعي.

٥- الشيخ عبد الكريم السباعي "الأحمد". ٦- الشيخ بدوي السباعي.

٥ً- من آل صافي:

١- الشيخ أحمد صافي بن الشيخ سليم. ٢- الشيخ محمود صافي.

٦ً- من آل الكعكي:

١- الشيخ أحمد الكعكي.

٢- والشيخ محمود جنيد، وإخوته الشيخ أحمد والشيخ محمد، وولده الشيخ ممدوح.

٧ً- من آل المسدي:

١- الشيخ وصفي مسدي. ٢- الشيخ عبد الفتاح مسدي.

٨ً- من آل الدروبي:

١- الشيخ عبد الفتاح الدروبي، وابنه الشيخ عبد الغفار الدروبي.

٩ً- ومن أكابر علماء حمص:

الشيخ عبد القادر خوجه، الشيخ محمد الياسين، وابنه أبو السعود، والشيخ طاهر الرئيس، والشيخ أنيس كلاليب، والشيخ عبد الخالق الحصني، والحاج كامل الرجوب، والشيخ عبد السلام عباس، والشيخ حسن شمس الدين، والشيخ أحمد ويس، والشيخ عبد المعطي شمسي باشا، والشيخ مؤيد شمسي باشا.

١٠ً- ومن آل مشعل:

الشيخ حسين مشعل، الشيخ محمد علي مشعل، الشيخ محمد زاهد مشعل.

١١ً- ومن خلفاء وتلاميذ الشيخ محمد مشعل:

الشيخ محمد العكش، والشيخ حسن ضاهر، والشيخ فيصل طرية.

١٢ً- ومن العلماء:

الشيخ فضل الأنصاري، والشيخ تقي البيطار، والشيخ عبد الله جركس، والشيخ راتب حاكمي، والشيخ عبد السلام عباس، والشيخ حسن شمس الدين، والحاج محمد غاوي التركماني، والشيخ محي الدين الدوخي.

١٣ً- ومن أشراف حمص:

الشريف الحاج عبد الكريم حسين آغا، وولده محمد غازي حسين آغا.

الشيخ عبد الباسط بن الشيخ محمد أبو النصر

ابن الشيخ سليم خلف الجندي الحسيني الحمصي، شيخ الطريقة النقشبندية

(١٣٣١- ١٤٠٢هـ) (١٩١٢-١٩٨٢م)

الأرومة الطيبة:

سيدنا وأستاذنا، ومرشدنا وملاذنا، الحبيب إلى قلوبنا، والقريب إلى قلوب الناس، محبوب الأتقياء، وصفوة العلماء، الذي ألبسه الله سبحانه رداء الحلم وأسبغ عليه ثوب الحكمة والأناة، وكساه حلة الأخلاق الواسعة، والصبر الجميل والتحمل والتجمل، وزيّنه بالطلعة الجميلة، ورزقه كل خصلة فضيلة، الحسيب النسيب، ذو الألفة واللطف، والسماحة والعطف والمواساة للإخوان، والصفح عن إساءات الجاهلين، والإعراض عن اللغو والغافلين.

شيخنا وابن شيخنا الأستاذ العالم والخليفة الوارث لجده المصطفى ﷺ وآبائه في النسب والطريق، الشيخ عبد الباسط خلف بن سيدنا ومولانا الشيخ محمد أبي النصر خلف بن سيدنا ومولانا الشيخ محمد سليم بن السيد خلف الجندي الحسيني، الذي ينتهي نسبه إلى سيدنا الحسين بن علي رضي الله عنهم أجمعين.

النشأة الصالحة لدى الوالد الولي الكبير:

ولد هذا الكريم ابن الكريم في بلدة حمص من أرومة طيبة مباركة، وينتهي نسبه من جهة أبيه إلى سيدنا الحسين بن علي عليهم الرضا والسلام، ومن جهة أمه إلى سيدنا العباس رضي الله عنه، فوالدته السيدة حفيظة الأتاسي، رحمهم الله وأعلى درجاتهم في عليين.

وقد سمعت منه وكتبته، أن سيدنا أبا النصر كان يقول له: أنت منسوب من الوالدين،

من الأب للحسين ومن الأم للعباس رضي الله عنهم، ودرج في أكناف والدين صالحين كريمين أولياء مع إخوته الأفاضل كل عناية وعطف، وحدبا عليه بكل حنان ولطف.

والوالدة التقية الصالحة:

كانت تلك الأم صالحة تقية، وقد حدثنا شيخنا عبد الباسط عنها قائلاً: كنت وأنا طفل أنام لدى أبويّ أحياناً، كان أبي يسألني ملاعباً ممازحاً، من أَشْيَخُ أنا أم أمك ؟ فأقول له: بل أمي فيقول لي: لماذا ؟ فأقول له: لأنها تقوم إلى الصلاة (التهجد) قبلك فتتوضأ وتصلي وتسخّن لك ماء الوضوء ثم توقظك. فيضحك رحمه الله.

وحدثنا سيدي الشيخ عبد الباسط عن صلاح وتقوى الوالدة السيدة حفيظة عندما كنا نقرأ في الرسالة القشيرية في منزله يوم ٣ جمادى ١٣٩٩ (في سيرة سيدي أبي حفص عمر ابن سلمة الحداد أنه دخل على مريض يعوده مع بعض أصحابه، فقال أبو حفص للمريض: تحب أن تخرج معنا وتبرأ ؟ قال: نعم. فقال للقوم: احملوا عنه. فقالوا: نعم. فخرجنا وخرج المريض معنا).

قال سيدي: عندما كنت أطلب العلم في المدرسة الخسروية بحلب مرضت بنزلة صدرية قوية جداً، وصار المرض خطيراً، وكاد يودي بحياتي وكان الدم ينزف من فمي، ولما ذهبت إلى حمص، اشتد المرض أكثر، فرأتني والدتي بهذه الحالة الخطرة، فقرأت لي قراءة متواصلة، قال: وكنت أشعر لما تقرأ لي أنني صحوت بعد ذهول، وأن المرض يذهب عني رويداً رويداً، فما أحسست إلا وكأنني نشطت من عقال، وإذا بوالدتي تمرض فوراً، فقلت: ماذا فعلت يا أمي بنفسك ؟ وبقيت أياماً مريضة حتى عوفيت وشفاها الله.

فانظر إلى تقاها وشدة عطفها ورحمتها.

تلقيه للعلم في حمص:

وبعد تعلم القرآن تلاوة وتجويداً لدى شيوخ حمص، اندرج في سلك طلاب العلم في معهد حمص العلمي الشرعي، وتلقى العلم على شيوخها وأشهرهم والده المرشد الكامل

سيدي أبو النصر، والشيخ طاهر الأتاسي مفتي حمص آنذاك، والشيخ عبد الغفار عيون السود وغيرهم من أجلّة علماء حمص.

ولما رضع لبان العلم من هؤلاء الأكابر، وأخذ ما لديهم مما حوته صدورهم والدفاتر، والنفس طالعة للمزيد من العلم والفضل، والخير والمعرفة، توجه تلقاء حلب، وكانت مدرستها الخسروية كعبة القاصدين مَن طلبة العلم في البلاد الشامية.

إكماله التعليم في الخسروية بحلب:

وهناك في حلب نهل من علوم أساتذتها، وعلّ من فهومهم ومعارفهم في المنطوق والمعقول والفقه والأصول، والحديث والتفسير، والفرائض ومسائلها، وعلوم القرآن وأحكامه، وما كان في ذلك الوقت سائداً من العلوم والمعارف والفهوم، وكان من مشايخه في المدرسة الخسروية آنذاك العلماء والأعلام السادة:

الشيخ عيسى البيانوني، والشيخ أحمد الشماع، والشيخ محمد راغب الطباخ، والشيخ أحمد الزرقا، والشيخ فيض الله الأيوبي، والشيخ عبد الله المعطي، والشيخ أحمد الكردي، والشيخ عبد الحميد الكيالي، والشيخ سعيد الإدلبي، والشيخ إبراهيم السلقيني (الكبير) والشيخ أسعد العبه جي، والشيخ محمد الناشد، والشيخ كامل الغزي، ومدير المدرسة العالم الكبير الشيخ مصطفى باقو، وغيرهم من أفاضل علماء حلب.

وكان هؤلاء العلماء الأفذاذ خيرة علماء حلب بل خيرة علماء القطر الشامي كله، وكان التحصيل لديهم يضارع التحصيل في كبريات المدارس العلمية في العالم الإسلامي كالأزهر وغيره.

رفاقه في الخسروية:

وكان من رفاقه في ذلك الصرح العلمي السامق أفاضل كرام، منهم الشيخ محمد أديب حسون (أمد الله في عمره) [1]، والشيخ عبد الله حلاق (حماة)، والشيخ سليم الرفاعي

---

[1] توفي رحمه الله تعالى مساء الاثنين ٢٧ جمادى ١/١٤٢٩هـ، الموافق ٢/٦/٢٠٠٨م.

(النبكي)، والشيخ أحمد المايري، والشيخ محمد الياقتي، والشيخ محمود الأبزماوي، والشيخ نور الدين الخطيب، والشيخ عبد الصمد الصباغ، والشيخ عبد الجواد العطّار، والشيخ عبد القادر بللو، رحم الله من مات منهم وحفظ الله الباقين.

وقد تخرج هؤلاء في دفعته من المدرسة الخسروية عام ١٩٣٤م، كما كان يزامله أيضاً أفاضل آخرون ممن كان قبله كالشيخ أحمد الحصري (المعري)، والشيخ محمد الملاح (الحلبي)، والشيخ محمد الحامد (الحموي). وممن بعده: كالشيخ الوالد محمد علي المسعود، والشيخ صالح النعمان الحموي، والشيخ محمد سيادي المراد الحموي، والشيخ خالد الدلال الحموي، والشيخ حسن العاروني التاذفي، والشيخ إبراهيم الطنجير الحموي، والشيخ كامل بدر البابي، والشيخ بكري النجار المارعي وغيرهم، رحمهم الله جميعاً.

وكان هو السابق لدفعته ممن تخرجوا بذلك العام ١٣٥٣هـ ١٩٣٤م، إذ أنه كان الأول بمجموع قدره ١٣٠/١٣٠ علامة وأعطي درجة ممتاز، كما دُوِّنَ ذلك في سجلات المدرسة الخسروية بحلب.

ولما أكمل علومه، وقطف من دوحة الخسروية ثمارها، عاد إلى حمص إلى أحضان الوالدين الكريمين يلتزم أمرهما، ويقوم مع باقي إخوته الكرام بخدمتهما، وإن كان لدى الإخوان هو المقدم، وعند أحباب والده وأصحابه المفضل والمحبب.

وكان طيلة وجوده بحلب يلازم مجالس والده عندما يحضر إليها متفقداً للإخوان، ومنشطاً لهممهم، ومتوجهاً لهم بمزيد من العناية والتربية.

وكانت حلب زهرة البلدان بعلمائها وطلابها، وفضلائها وصالحيها، تزداد تألقاً وسناءً عندما تشرق عليها أنوار الشيخ أبي النصر، فكان يتبادر إلى مجالس الشيخ أبي النصر المريدون والإخوان من أحباب الشيخ، ويتوافد العلماء والصلحاء للسلام عليه والأنس به وإكرامه، وعلى رأسهم سادة العلماء الشيخ نجيب سراج الدين، والشيخ محمد سعيد الإدلبي، والشيخ أحمد الحجي الكردي الجدّ، وغيرهم من الأفاضل.

مع الشيخ أبي النصر في مجالسه بحلب:

وكانت مجالس العلم والذكر والإنشاد والتوجه تُعقد في مساجدها وفي دور الإخوان من أحباب الشيخ. وكان الشيخ عبد الباسط بجانب والده مستمداً من إمداداته، وقائماً بواجب الخدمة والبر، أو معلِّماً مدرِّساً، بإشارة والده لمن حضر من الأخوان.

وقد حدثنا مراراً رحمه الله وقدس روحه، عن ذلك اللقاء الذي شهده الإخوان عندما جاء الشيخ أحمد الحصري (المعري) ومعه زميله الشيخ محمد الحامد (الحموي) وكانا معه في المدرسة الخسروية، عندما جاءا مسلّمين على الشيخ، وأعلن الشيخ الحامد في ذلك المجلس ولاءه وانتماءه للشيخ أبي النصر، وأخذته الأحوال العظيمة، والصيحات القوية، حتى خلع ثيابه، ثم التجأ إلى حجر الشيخ، فحنا عليه الشيخ حنوّ الوالدة على الولد، وسكّنه وطمأنه.

يقول سيدي عبد الباسط: وعاد الشيخ الحامد إلى المدرسة، ولم تهدأ أحواله، بل كانت الصيحات تتعالى منه رغماً عنه، فلما رآه مدير المدرسة الشيخ الفاضل مصطفى باقو، قال مستغرباً: ذهبت إلى الشيخ أبي النصر ؟ كسر رأسك ؟ وبقي أياماً في المدرسة لا يستطيع المذاكرة ولا الدرس أو القراءة من شدة الأحوال التي اعترته، وكان الشيخ أبو النصر قد سافر إلى حمص، فقال المدير للشيخ عبد الباسط: خذوه إلى الشيخ في حمص لعل أحواله تهدأ، ونفسه تطمئن. وقد فسر شيخنا هذه الأحوال وشدتها أنها من كمال التوجه وصدق التلقي.

في حمص في خدمة الوالدين:

وفي حمص بقي فترة ليست بالقصيرة حتى هيأ الله له الزواج من السيدة الفاضلة بشرى الصوفي (أم نزار) فكانا هو وإيَّاها يقومان في كنف الوالدين بخدمتهما والسهر على راحتهما، وكل ما تتطلبه واجبات البر والصلة، إضافة إلى ما يرعاهما به الشيخ الكبير أبو النصر من العناية والحنو، والعطف والشفقة، وكان ذلك الزواج المبارك عام (١٩٣٧) وشهده أفاضل حمص وعلماؤها والمحبون من إخوان الشيخ وآله وأولاده وأنجاله.

ولما شعر الشيخ عبد الباسط بأن مسؤولية جديدة قد ألقيت على عاتقه، وأسرة سعيدة عليه أن يقوم بحقها، استأذن شيخه والده بأن ينطلق مصحوباً بدعوات والده ليشتغل في عمل دنيوي يكسب منه عيشه الحلال، ويقوم بسد ما تحتاجه الأسرة من نفقة وما يتبعها من متطلبات، فأذن له الشيخ الوالد، وانتقل بأسرته الصغيرة إلى منبج.

في منبج وتجربة العمل الحلال:

وفي منبج باشر أعماله التجارية، عملاً زراعياً في قريتي الجرنة والجعدة، ومحلاً تجارياً في سوق منبج، وكان أخوه الأكبر الشيخ (كلال) قد استوطن منبج أيضاً واتخذ فيها داراً، والتف عليه أحباب والده وإخوانه، وكان الشيخ عبد الباسط أيضاً ممن عاضد أخاه الأكبر الشيخ كلال، وصار غصنا الشجرة الحمصية ترعاهما أعين الوالد المربي وتلحظهما توجهاته في حالة البعد، وأنظاره الكريمة عندما يقدم إلى منبج متفقداً للإخوان، وزائراً لهم.

واكتست منبج حلة البهاء بقدوم آل أبي النصر إليها، واستقرارهم فيها، وشهدت نشاطاً مباركاً، ونهضة إيمانية، ونوراً محمدياً، من خلال جولات الشيخ أبي النصر ومجالسه فيها. وفي ذلك كله كان الشيخ عبد الباسط عضد والده الأيمن مع أخيه الشيخ كلال يجولان معه إذا تجول، ويكونان بجانبه إذا حل في مجلس، وهو المعلم والمدرس عندما يطلب منه الوالد أن يعلم الحاضرين أو يعظهم، وبخاصة عندما لا يكون أحد العلماء بصحبة الشيخ، فإن من عادته أن يكلف من يحضر معه من العلماء بإلقاء الدرس تكريماً لهم وتوقيراً. ورزق الشيخ عبد الباسط أثناء إقامته في منبج أولاداً وبنات كانوا قرة أعين لوالديهم، وعوناً لهما في أمور الحياة.

خلافة الشيخ عبد الباسط بعد وفاة الشيخ أبي النصر:

ولم تدم راحة البال طويلاً، ولا السعادة بالمال والعيال، وكيف تدوم ومعكرات صفو الحياة لا تنتهي ؟ ولم تمض سنوات كثيرة على إقامة الشيخ عبد الباسط في منبج حتى هزّ البلاد السورية، وزلزل الإخوان النقشبندية ذلك اليوم الكئيب من أيام رمضان ١٣٦٨

الموافق تموز ١٩٤٩ حيث أفلت شمس الإرشاد، وانتقل الشيخ أبو النصر إلى جوار ربه الكريم، وأصبح الإخوان النقشبنديون كالغنم دون راع في ليلة مطيرة، ولكن الله سبحانه ومن أسمائه (الوليّ) يتولى الذين آمنوا ولا يضيّعهم، هيأ لأحباب الشيخ وإخوانه من يحبهم ويحبونه، ليقوم بأمرهم ويرعى شؤونهم بعد شيخهم ومرشدهم، فأجمعت كلمتهم على أن يكون القائم على سدّة الإرشاد والخليفة بعد المرشد الراحل حبيبهم وشيخهم عبد الباسط (أبا نزار) رغم امتناعه عن ذلك وإعراضه عنه.

إجماع إخوان الشيخ أبي النصر والعلماء على خلافة الشيخ عبد الباسط:

وفي مثل هذه الأحوال فإن أمر الطريق والإرشاد فيه لا يكون حسب أهواء النفوس، أو تطلعات الراغبين إليه، بل لابد فيه من الإذن الصريح من رجال السلسلة المباركة، وأن تتهيأ فيه الأسباب الموجبة للقبول عند أهل الطريق والإخوان المريدين، ولذلك قال العارفون: إذا أراد الله أمراً هيأ أسبابه، فكيف كانت خلافة الشيخ عبد الباسط للشيخ أبي النصر ؟ هل كانت بما يسمى وراثة، أم إنها كانت اختياراً واصطفاءاً ؟

فلنستمع إلى الشيخ نفسه رحمه الله ونور ضريحه يحدثنا عن ذلك، عن هذه الدلائل والتصريحات على هذا الأمر الخطير (وقد كان هذا الحديث في بيته العامر في حلب اليوم الثاني من صفر عام ١٤٠٠ هـ ـــ ١٩٨٠م أثناء ما كنا نقرأ عليه الدرس أنا وبعض الإخوة من أحبابه):

١ - قال رحمه الله وقدس روحه:

بعد وفاة سيدنا الشيخ أبي النصر، جاءت رسالة تعزية من الإخوان في الباب متوجة بتواقيع علمائها ومدرسيها ومنهم: الشيخ محمد بدر الحسيني، والشيخ محمد المسعود، والشيخ محمد سعيد المسعود، ووجهائها وتجارها ومحبي الشيخ وإخوانه، يعزون فيها بوفاة الشيخ، ويطلبون أن يكون خليفةً للشيخ ابنُه الشيخُ عبد الباسط، وهم يشهدون به شهادة حسنة.

وكان الشيخ راغب الدويري يسمع أثناء قراءة الرسالة فقال لي: أمانة يا عبد الباسط احفظ هذا الكتاب وضعه معك في القبر فهي شهادة لك عند الله. فقلت له: إن شاء الله

سأفعل. ثم حفظته في جعبة خاصة لي، ولكني فقدتها بعد سفري. ثم قال الشيخ راغب: هذه شهادة من الإخوان والعلماء ووجهاء الباب، ويجب عليك أن تقوم بالأمر. (أمر إرشاد الإخوان وخلافة الشيخ أبي النصر). قال شيخنا أبو نزار: وبعد مدة، وفي جلسة أخرى مع الشيخ راغب قال لي أنه رأى الشيخ أبا النصر، والشيخ سليم والرسول ﷺ، فتكلم سيدنا رسول الله ﷺ مع الشيخ سليم، ثم تكلم الشيخ سليم مع الشيخ أبي النصر وقال له: نريد أن نخلّف ابنك عبد الباسط، فطلبوني، وأحضروني، فبايعني الشيخ أبو النصر والشيخ سليم، ثم أجازهم رسول الله ﷺ وذهبت للبيت وقال لي والدي: لاحظ التوجّه (كامتحان لي). فتوجهت إلى بعض الأشخاص والوالد يلاحظني فأجازني ووافق. يقول شيخنا عبد الباسط: وذكر لي الشيخ راغب بشارات ورؤى كثيرة، وهو يحضني على التقدم لمقام الإرشاد والخلافة بعد والدي، فقلت له: ليس لي القدرة على القيام بأمور الإرشاد. لما أعلم من ثقلها.

فقال لي: أنت إش بدّك (ماذا تريد) أنت موظف عند هذه الدولة، والموظف الذي يلبس بدلة الدولة هي التي تدافع عنه، وهي تحفظه وترعاه. عند ذلك قلت له: لا مانع بهذا الشرط، وأنا أقبل وأرضى. يقول سيدنا الشيخ: (المسؤولية عليهم، على أهل الله، لا عَليَّ).

٢- وتابع سيدنا الشيخ حديثه:

في آخر جولة للشيخ أبي النصر في بلاد حلب، كان في العمارنة (منطقة جرابلس) وبرفقته العلماء الكثيرون وجرى البحث مع الشيخ رحمه الله من يكون بعدك ؟ وأبدوا رغبتهم في تعيين واحد من أولاد الشيخ، فبكى الشيخ ودمعت عيناه، وقال: مين في غير عبد الباسط ؟ (هو أولى). فوافق العلماء الحاضرون ومن معهم، واعتمدوا على أن يكتب الشيخ بذلك كتاباً وصية بهذا الأمر، فبلغني ذلك فأسرعت إلى بعض العلماء والموجودين ومنهم الشيخ محمد بلنكو فقلت له: إن الشيخ أجازني ووجهني، وصرّح أمامكم ولا حاجة للكتابة، لأن الكتابة تسبب للشيخ بعض الإزعاج، واكتفوا أنتم بكلمة الشيخ، واشهدوا أمام الله، قالوا: نشهد.

٣- وحدثنا شيخنا، وكتبه في كراسة أخبار الشيخ أبي النصر: أن المرأة الصالحة زوجة حسن الحاج أحمد العلي من السفيرة قالت له لما زارهم في السفيرة: أنت يا شيخي بعد عمر طويل ستتركنا أيتام، فمن يخلفك من بعدك ؟ قال: بسلامة ابني عبد الباسط.

٤- والدليل على أن إخوان الشيخ كانوا يرغبون بخلافة الشيخ عبد الباسط ما ذكره علماؤهم وشعراؤهم في مراثيهم للشيخ بعد وفاته، فمنهم الشيخ محمد كامل بدر في قصيدته التي رثا بها الشيخ أبا النصر بعد وفاته (٥ شوال ١٣٦٨) تذكر شيئاً من هذا الذي رغبه إخوان الشيخ الذين أرادوا أن يكون الشيخ عبد الباسط راعياً لهم وخليفة عليهم بعد أبيه (وقد ذكرناها في بحث الأشعار التي قيلت في الشيخ) وقد جاء فيها:

بني الطريقة لا تأسوا ولا تهنوا ... سدّ الفراغ فتى في الحق مضاء

(أبو نزار) أخو الصدق الفقيه ومن ... فيه منانا لصون العهد وضاء

أعني به الشهم (عبد الباسط) الور ... ع، وريث أبيه يا أعزاء

أبا نزار عليك الكل قد عقدوا ... أسمى الأماني، فلا يُقعدك إبطاء

إرع الطريقة والإخوان معتمداً ... على الكريم، ورب الفضل معطاء

وكذلك ذكر الشيخ بكري رجب في مرثيته للشيخ أبي النصر عام ١٣٦٨ هـ حيث قال في نهاية قصيدته (وانظرها في بحث الأشعار):

لله إنا راجعون وحسبنا ... الله العظيم مقدر الأحكام

ولنا التسلي بعد فقد عزيزنا ... بالنجل (عبد الباسط) الإنعام

وبقية الأنجال فيهم سلوة ... عمّا أضرّ بنا من الآلام

رباه أمطر من نداك سحائباً ... وأشمل فقيد المجد بالإكرام

وكذلك قال منشد الشيخ وشاعره صالح الحلبي المارعي في مرثيته للشيخ أبي النصر (وانظرها بتمامها في بحث الأشعار التي قيلت في الشيخ) قال:

لنا رجاء وآمال محققة ... بـ (عبد) من (بسط) الأشياء يؤوينا

لأنـــه درة مـــن بحـــر والـــده	أو جـــذوة مـــن طـــور ســـينينا
فيا (كلال) فقـــم واشـــدد لمئـــزره	وكن له عضـــداً فالكـــلّ راضـــونا
ولا خـــلاف بـــأمر فيـــه مصـــطلح	والأمر شورى وهذا القـــدر يكفينـــا

الشيخ عبد الباسط يوصي بعده للشيخ إسماعيل:

ولما كنت أدوّن هذه الكلمات من فم الشيخ وذلك في نفس المجلس (يوم ٢ صفر ١٤٠٠هـــ) مرّ بخاطري أن أقول له أنا: ومن بعدك يا سيدي بعد العمر الطويل ؟ فما أتممت خاطري في نفسي حتى قال: ها نحن خَتْيَرْنا (أي كبرنا)، بسلامة الشيخ إسماعيل.

ثم دعا له سيدي الشيخ، ولنا وللإخوان وللطريقة: (والحمد لله على هذا الاختيار المرغوب والمطلوب من كافة الإخوان).

٥- **ذكر لنا الشيخ عبد الباسط مراراً:** أن الشيخ أبا النصر كان في صرّين في آخر جولة له في حياته (في الجزيرة) وكانت وفود الناس تأتي مسلمة عليه، وكان كلما جاء وفد وجلس يأمرني ويقول: قم علّم هؤلاء أمر دينهم واشرح لهم آداب الإسلام، قال: فجاءت وفود كثيرة فقمت بأمره خلال هذا اليوم ثلاث عشرة مرة، أعظ الناس وأعلمهم أمر دينهم، ولما سئل الشيخ عن سر إقامته هو دون غيره وهناك غيره من العلماء قال: إنها تعني اختيار الشيخ لمن يقوم بعده في إرشاد الإخوان وتولي أمرهم.

٦- **وسمعته في ذلك المجلس يقول:** حدثنا أخونا إبراهيم المراد من حماة (أخو الشيخ محمد علي المراد) أنه رأى رؤيا في منامه، رأى الشيخ أبا النصر مسرعاً باتجاه حلب، فطلب منه أن يزوره، فقال له: مالك يا سيدي ؟ أراك مضطرباً، ثم رجاه أن يضيفه فقال له: إنني مستعجل، هناك أحد الإخوان واقع في ضيق وأريد أن أحلّ له شغلته، ورغم أني وضعت عبد الباسط هناك ومع ذلك يستنجد بي، فسأذهب لأرى ما به.

٧- **هذا ما دوّناه وحفظناه:** وعلى كل حال، فإنه لم يكن في مريدي الشيخ أبي النصر من إخوانه وأولاده من هو أجدر وأصلح لهذا الأمر غيره، ولذلك كان التوفيق الإلهي

حليفه، والاختيار في ولاية أمر **الإخوان النقشبنديين** وإرشادهم من نصيبه ﴿والله يختص برحمته من يشاء﴾ ﴿ما يفتحِ اللهُ للناس منْ رحمةٍ فلا ممسكَ لها، وما يمسكْ فلا مرسلَ له من بعده وهو العزيز الحكيم﴾ (٢: فاطر).

الانتقال إلى حلب:

وبناءً على هذا فقد أصبح أمر القيام بشؤون المريدين والمحبين من إخوان الشيخ أبي النصر لازماً، فاقتضى ذلك من الشيخ أن ينتقل من منبج إلى حلب، ليكون على رأس الأمر، مديراً لختم العثمانية بعد صلاة الجمعة، وشيخ المجلس في ليلتها في جامع أبي ذر (في الجبيلة بحلب) حيث يجتمع الإخوان في المولد الأسبوعي (الذي أسسه الشيخ أبو النصر بعد أن تلقى عنه الشيخ عيسى البيانوني الطريق). وانتقل الشيخ إلى حلب، واستأجر داراً في حي الأنصاري، فكانت هذه الدار مجمع الأحباب والعلماء وملتقاهم من كافة مدن القطر إذا حضروا إلى حلب أو قصدوها زائرين للشيخ عبد الباسط أو مسلِّمين عليه، وشبّ الأولاد فيها وانتقلوا إلى حياة جديدة تختلف كلياً عن حياة منبج ومحيطها.

النشاط الدعوي في حلب وما حولها:

وبسكن الشيخ عبد الباسط حلب، منذ عام ١٣٧٨هـ/١٩٦٠م وكانت حلب آنذاك في قمة التوجه العلمي والنشاط الدعوي، جدّد الشيخ صلته بإخوان أبيه من العلماء، ومعظمهم رفاقه وأحباؤه.

وكذلك انتعش الإخوان والمحبون من أهل الطريقة النقشبندية، وصارت حلب تشهد الليالي العامرة بالذكر والإنشاد والموعظة والإرشاد، وعادت لجامع أبي ذر في حي الجبيلة بوجود الشيخ عبد الباسط ألفته وبهجته، وطلب كثير من إخوان الشيخ أن يجعل لهم حظاً بزيارتهم في ليالي دورية في بيوتهم يقيمون فيها مجالس الذكر والإنشاد، فكان يلبي جميع الإخوان، ويزورهم، فيفرحون بقدومه ويسرون بمشاهدة طلعته البهية.

وكذلك كانت المدن الأخرى والقرى في محيط حلب وما حولها تأخذ حظها وحقها

من وجود الشيخ بين أهلها يتباركون بوجوده، ويعيدون إلى أذهانهم وقلوبهم روحاً نعموا بها، وعبيراً استنشقوه من نسيم روح الشيخ أبي النصر.

فكان الشيخ عبد الباسط لا يهدأ ولا يفتر مجيباً لدعوات الإخوان في مناسباتهم المختلفة، ومجالسهم الكثيرة فتراه ما يحط قدماه في قرية أو مدينة مع الأحباب إلا واجتمع الإخوان لديه، وأحاط به المحبون والمريدون، وطلبوا منه موعداً في قريتهم، فكم شهدت منبج وقراها، والباب وأحياؤها، ومارع وما حولها من القرى، وإعزاز ومزارعها، والجزيرة وحويجاتها، وحلب وبيوتها ومساجدها، كم شهدت المدن والقرى والأحياء والبيوت مجالس الإيمان، وحلق الذكر والعلم، وساعات الأنس والصفاء والإنشاد الذي يصدح به مدّاحو الحبيب المصطفى ﷺ، وكم رأت تلك العيون المؤمنة الشيخ عبد الباسط يخطو في جنباتها ويتوسط في مجالسها وحوله العلماء والصلحاء والإخوان والمحبون من مريدي الطريقة العلية النقشبندية، وكان وجوده فيها كالغيث إذا استقبلته الأرض العطشى، فيحييها بعد موت، ويرويها بعد ظمأ.

وقد أكرمني الله سبحانه فلازمته في كثير من هذه المجالس، وصحبته في معظم جولاته وبخاصة بعد أن استقر بي المقام في حلب فكنت وأخي عبد الله كظله لا نفارقه، ولو فارقه الناس، ولا نتركه ولو تركه المحبون وبخاصة زمن الفتنة التي مرت على بلاد الشام عام ١٣٩٩-١٤٠٠هـ، وأكرمنا الله سبحانه فيها بصحبته ومرافقته، وحَفِظَنَا من مكروهات الهجرة ومغادرة البلاد والأذى الذي نال كثيراً من الناس.

وسأذكر طرفاً من مجالسه وجولاته بعد قليل إن شاء الله تعالى.

مدد رجال السلسلة للشيخ، وخاصة آباؤه:

والحديث عن الشيخ ذو شجون، وله في القلب أثر يتجدد بتجدد حديثه، فكم سعدنا بمجالسته وحديثه، وكم سررنا بصحبته ومرافقته، وكم آنسنا بعذب فكاهته، ولفت نظرنا إلى دقائق الأمور وكشف لنا غوامض المشكلات، وكم نبهنا إلى خفايا الأحداث،

وساق لنا عبرها، وبيَّن لنا بثاقب نظره ودقيق قوله، ما في الحياة من دروس وعظات.

وكانت تحفّه عناية الله سبحانه، وتحوطه أنظار آبائه الكرام من رجال السلسلة العلية النقشبندية، وبخاصة الشيخين العظيمين، سليم وأبي النصر، وكم ابتُلي الشيخ وصبر، وكم أصيب بالأمراض والمصائب، فأكرمه الله بثوابها وخرّجه منها بالنتيجة التي يُتحف بها عباده المكرمين المحبوبين.

وكان شيخنا له الحظ الأوفر من الابتلاءات، والنصيب الأوفى بنتائجها من الترقيات، حال حياة والده شيخه وبعدها، ومنها ما حدثنا به ومنها ما عايشناه معه، فرحمه الله تلك الروح الصابرة، والنفس المطمئنة ما أعظمها، وما أحلاها، وما أكرمها.. ومن هذه العنايات والملاحظات لآبائه عليه، ما حدثنا به مراراً عن ملاحظة آبائه له يوم لزمه الدَّين بعد خسارة موسم زراعي عام ١٩٥٩ (وقد دونت هذا الحديث في كراسة كنت أكتب فيها ما يمليه علي من أحوال الشيخ سليم والشيخ أبي النصر قدس سرهما، وكان هذا الحديث في بيته العامر في الأنصاري بتاريخ الأول من ربيع الأول ١٤٠٠ هـ/١٩٨٠م، وبحضور شيخنا الحالي الشيخ إسماعيل حفظه الله والأخ الشيخ مصطفى إعزازي رحمه الله وأخي الشيخ عبد الله مسعود، وقد أملاها شيخنا عليّ لأكتبها)، قال:

أولاً – بقضاء الدَّين وتفريج الهم:

كنت أقوم بزراعة القطن في قرية الجرنة قضاء منبج على شاطئ الفرات، وفي تلك السنة ١٩٥٩م ضاقت علينا أمور الدنيا، وامتنع التجار (الخانجية) من إمداد مزارعي القطن بالأموال نظراً لتأخر أمورهم، وكثرة أعطال الموسم (ولم تكن الدولة آنذاك تتسوق القطن، بل كان حراً والتجار هم الذين يشترونه).

ولما اشتدَّ الأمر عليَّ كثيراً وضاقت بي الدنيا، اجتمعت بالأخ الشيخ أديب المارعي، وذكرت له الحال، فقال: إن الحاج إبراهيم العرجا [1] من إخواننا (في إدلب) وعنده قطن

---

[1] والد الدكتور المخبري عبد الباسط العرجا حفظه الله.

يبيعه بالسلف، فاشتريت منه الكمية اللازمة سَلَماً وبعتها لغيره من التجار بـــ (١٦) ألف ليرة سورية، ثم استقرضت من أخينا الشيخ أديب يحيى الأرمنازي (٦) آلاف ليرة ثمن داره التي باعها في أرمناز، فأخذت المبلغ وحاسبت الفلاحين، وقمت بزراعة الموسم الجديد على أتم ما يرام، وكانت ديوني قد وصلت إلى (٨٥) ألف ليرة سورية.

ولما أتممت أمور الزراعة ونبت القطن في أوائل صيف ذلك العام، مررت على القرية وتجولت في الأراضي فوجدت أن نباته كان حسناً جداً، ثم يممت شطر حمص لزيارة والدتي (وكانت على قيد الحياة) ووالدي، والشيخ سليم، فزرتهم وذكرت لهم ما بي من ضيق ومن غلبة الدين، وإن المواسم الزراعية تأتيني ضعيفة لا تسدّ ديوني وحاجاتي، فدعوت الله سبحانه ورجوتهم، ورجوت الله بقربهم أتضرع إليهم وأبكي قرابة ساعة، ثم عدت إلى البيت ودخلت القاعة (في زاوية الشيخ) وأتى الإخوان للسلام عليَّ والسهر في الزاوية، وكان بينهم شخص لا أعرفه، وبعد السلام والمؤانسة ذكرت للإخوان ذهابي إلى الشيخين (سليم وأبي النصر) وما دعوت به بأن يسدد الله ديني، واستغثت بأهل الله، وحدثتهم بما حصل معي عند قبريهما، ورجوت منهم الدعاء لأنهم أحباب الشيخ، وطال الحديث، فالتفت إليّ ذلك الشخص الذي أراه لأول مرة ولم أعرفه سابقاً، فقال لي: مرحباً يا عبد الباسط، ما عرفتني ؟ أنا جارك، وجاركم، اسمي عبد الرحمن الشلبي، وكنت أتيت إلى القاعة في زمن والدك الشيخ أبي النصر فمنعني من دخولها، والآن أذن لي الشيخ سليم بالمجيء إليها، وانظر إلى هذه الجلود الصغيرة، جلود الخراف، لقد أتيت بها ليجلس عليها الإخوان – وكانت الجلود قرابة خمسين جلداً – ثم تابع قوله: وأنا في كل يوم خميس أحضر الفحم لعبد الكافي (شقيق سيدنا الشيخ) لعمل القهوة. فقلت له: الله يجزيك الخير. فقال: كم دينك يا عبد الباسط ؟ قديش ؟ قلت: كثير. فأصر على أن يعلم مقدار مبلغ ديني، وخجلت أنا من القول بأنه كان (١٠٠) ألف ليرة لأنه ما كان هذا المبلغ يتصور في وقتها، فقال الشلبي: أنا لي على الشيخ سليم ١٠٠ ألف ليرة سورية وحولتها لك، أَوْفِ بها دينك، وانبَسِطْ. (فضحكت أنا، لأنه ولد بعد الشيخ سليم بأربعين عاماً على الأقل) وصار الحديث بيننا بين

أخذ ورد، هو يقول: إن له ديناً على الشيخ سليم، وأنا أقول غير ذلك، وأخيراً حلف بالطلاق أن له هذا المبلغ، فقلت: قبلت الحوالة. وقلت في نفسي: لعل الله يرزقني هذا العام موسماً جيداً أوفي منه جزءاً من هذه الديون.

وانفضّ المجلس، وذهبت إلى بيت الوالدة رحمها الله تعالى، ونمت عندها، وصليت الصبح معها، وإذا بالباب يُطرق وأسمع صوتاً يقول: يا عبد الباسط، يا عبد الباسط. فعرفت أنه صوت الشيخ عبد الرحمن الشلبي، فأجبته حالاً، وخرجت إلى الباب، ووقفت معه فقال: أنا البارحة حولتك على الشيخ سليم بدين (١٠٠) ألف، وهذا حساب غلط، أنا غلطان، فقلت: خير، إن شاء الله ؟ فقال: أنا لي على الشيخ سليم (١٠٠) ألف ولكن هناك شاب من بيت (حمام) فقير وعدته بعشرة آلاف لزواجه، فخذ أنت (٩٠) ألف وهو (١٠) آلاف. فقلت له: لا أقبل، فصار يتدخل علي ويقول: أنا وعدت ذلك الشاب بزواجه. فقلت: لا أقبل أبداً، بوجه من الوجوه، وقد تأتي بعد ساعات وتقول حوالة أخرى على فلان، وبعد ساعة على فلان.. وتمسكت أنا بمبلغ (١٠٠) ألف و لم أتنازل عن قرش، ولكنه أكثر الرجاء والإلحاح عليَّ وأنا أقول: أنتم أهل الله لا تكذبون، كيف تعدني بـــ (١٠٠) ألف وتنـــزل الآن إلى (٩٠) ألف ؟ و لم أقبل، فكأنه تأثر من إصراري على عدم قبول الحوالة فقال: روح، والله غير (٩٠) ألف ما بتشوف، السلام عليكم. فرددت عليه السلام، وفي قلبي أقول لو جاءني بـــ (٤٠) ألف فأنا راض.

ثم سافرت بعدها إلى حلب ثم إلى منبج، وتفقدت المشروع الزراعي، فرأيته في غاية الجودة، ومضت الأيام، وصار فطام القطن (عن الماء) وهو في أوجه (يعجب الزراع) وكل شجيرة منه مملوءة (بالجوز تنوء بحملها) وصار يتفتح جوز القطن ويزهو بأرضه، فدخل على قلبي السرور، ووثقت من أن الحوالة ستأتي إن شاء الله وسيأتي المبلغ كما ذكر الشلبي، وكانت مساحة ما زرعته حوالي /١٥٠/ هكتاراً.

ثانياً- بحفظ ورعاية من توسل بهم:

قال سيدي: وغادرت القرية إلى منبج، وبذلك الوقت حصل نزاع وخصومة بين بعض

سكان منبج من الشراكس وأخي الشيخ كلال وكانوا آنذاك من أصحاب النفوذ في الدولة وحصلوا على قرار حكومي بترحيل أخي الشيخ كلال من منبج، وصعب هذا الأمر على أسرتنا غاية الصعوبة، وأهمني الأمر جداً كما أهم جميع أفراد أسرتنا.

فذهبت إلى حمص إلى الوالد والجد والوالدة أشكو لهم الحادث، وتدخلت عليهم بشأن قصة أخي الشيخ كلال، وما أجمع عليه خصومه من ترحيله، وتوسلت بهم إلى الله، ثم عدت إلى البيت، فاجتمع أكابر إخوان الشيخ أبي النصر بعد العشاء في الزاوية، وحدثتهم بما طلبته من الشيخين (سليم وأبي النصر) وإذا بالشيخ عبد الرحمن الشلبي وأخوه الشيخ ناجي يدخلان (وهما من أهل الجذب) فسمعا الحديث مني واستفهما عن وضع أخي الشيخ كلال، فشرحت لهما القضية فقالا: لا تخف، غداً نذهب إلى الشيخ سليم والشيخ أبي النصر ونحكي الحادثة، وتمضي بالسلامة، فاستبشرت من قولهما خيراً. وفي صباح اليوم التالي، ذهبا فعلاً إلى الشيخين وحكيا لهما القصة، وطلبا تثبيت الشيخ كلال، ورفع الضيم عنه، ثم طفقا يفتشان علي فوجداني بعد الظهر في بيت الوالدة، فلما رأيتهما سلما وقالا: أبشر، إن قضية الشيخ كلال قد انتهت والحمد لله، ذكرناها للشيخين وقبل الله منهما وانتهت. فقلت: كيف انتهت ؟ قالا: حوّلنا الموظفين الثلاثة الكبار الذين كانوا ضد الشيخ كلال. فقلت: حاجة كذب (أي يكفيكما كذباً علي). فقال الشيخ عبد الرحمن: عليّ الطلاق، أنني حوّلتهم، وإذا كنت ذاهباً إلى حلب فانظر، هل نحن صادقون أم كاذبون.

وفي اليوم التالي سافرت إلى حلب، والقضية لا تفارق ذهني، وأول ما استفسرت عنه هو وضع هؤلاء الموظفين الثلاثة، وإذا بهم قد تحولوا فعلاً وفي نفس اليوم (وقد سماهم لنا سيدي الشيخ، ولا زال بعضهم أحياء حتى كتابة هذه السطور)، الأول منهم كان قائداً لشرطة المحافظة فنقل محافظاً إلى الحسكة، والثاني قائداً لكتيبة الشرطة الشمالية نقل إلى قيادة الكتيبة الجنوبية، والثالث من قيادة شرطة منبج إلى منطقة السلمية، وكان الثالث أشدهم مكراً.

قال شيخنا: عندها علمت أن الله سبحانه فرّج عن أخي فبقي مكانه، وزال عنه الكرب، ولن يستطيع أحد أن يُوصل إليه الأذى.

كما أنني استبشرت بموسم جيد من القطن، وأن الوعد بوفاء الدين صحيح، وإن الـ /٩٠/ ألف ليرة سورية ستحصل إن شاء الله.

ومضت مدة، وحان موعد القطاف، وباشرنا بقطف القطن، وعرضناه للبيع، ولما رأينا جودة الموسم ووفرة المحصول – وكانت العادة أن يرتفع سعره آخر الموسم بضعة قروش للكيلو غرام – إذ لم تكن الدولة قد تولت تسويقه بعد، فخطر لي أن أؤجل بيع عدة أطنان منه لآخر الموسم لعلي أنتفع بفرق سعرها، وباشرنا ببيع ما نجنيه، وتخزين قسم منه بانتظار تحسن سعره، ولم تمض أيام على ما بعناه، حتى بدأ سعر القطن ينـــزل بدلاً من أن يرتفع سعره، فهبط السعر عدة قروش بعد أن كان أملنا أن يرتفع، وباعتبار أن للقطن مدة قصوى لبيعه فأخرجنا ما خزّناه وكان حوالي /١٢٠/ طناً وبعناه بسعر أدنى من الدفعات الأولى، وعملت حساب المبيعات فإذا بخسارتي عن (٦٠٠) شل قطن تساوي عشرة آلاف ليرة سورية، ولو كنت بعته في وقته لتمَّ لي ربح عشرة آلاف. وبعد حساب المصاريف والكلفة تبين لي أن الوارد هو /٩٠/ ألف ليرة سورية لا زيادة ولا نقص كما قال الشيخ الشلبي فأوفيت ديوني البالغة /٨٥/ ألفاً وأنفقت على عيالي /٥/ آلاف، وأيقنت آنذاك أن دولة أهل الله هي الدولة الصحيحة.

وقد جرى عليّ عام ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م ديون تراكمت علي بسبب شراء دور لي ولأولادي بحلب واهتممت بسببها كثيراً، وتوجهت إلى حمص، وعرضت على آبائي وضعي وحالتي وديوني وطلبت من الله عندهم وبجاههم أن يسدد ديوني ويسترني مع الناس، إلا أنه كان لدي أثناءها من العقار وقطع الأراضي ما يغطي الديون ويسددها وزيادة إن أنا بعتها، فلم أُجَبْ إلى وفاء الدين سريعاً كسرعة تلك الحالة، ولكن يسر الله أن أبيع داراً من دورنا وأسدد الدين.

والفرق بين عامي (١٩٧٩ و ١٩٥٩) أنني في تلك السنة ليس لدي ملك ولا مال،

ولا دار ولا متاع أبيعه حتى أسدد الدين، فلما أتيت الجد والوالد وشرحت لهم حالي من كل وجوهه، لبى الله سبحانه وتعالى طلبي وسددت ديوني، والحمد لله على ذلك كله.

ثالثاً- شفاء الشيخ عبد الباسط ببركة آبائه ودعائهم:

ومن أعظم ما أكرم الله به شيخنا من ملاحظة آبائه له، هو شفاؤه العاجل والحمد لله بعد أن تعرض لإصابة تكاد تكون مميتة بحادث سيارة ليلة ١٢ رمضان ١٣٩٩ هـ وذلك أثناء عودته من حماة معزياً بوفاة فقيد الإسلام الشيخ العالم العارف بالله الشيخ محمود الشقفة رحمه الله، فقد كنا معه بسيارة أخينا الشيخ مصطفى إعزازي، وكان شيخنا بجانبه وكنت وراءه وبجانبي الشيخ عمر ملاحفجي، وبعد عودتنا من التعزية ومرورنا بالمعرة، صُدمنا بسيارة شاحنة ليس لها أنوار خلفية، وكانت الإصابة في رأس شيخنا بليغة هشمت العظم ووصلت إلى الدماغ وتناثر زجاج السيارة في رأسه ووجهه، فأسعفناه إلى مستشفى المقاصد الخيرية بحلب، وبعد إجراء العمل الجراحي اللازم من قبل الطبيب البارع عمر سلطان، وكنت بجانبه طيلة العمل الجراحي، إذ كان الوقت بعد منتصف الليل، وبعد انتهاء الجراحة أوصى الطبيب بأن يبقى الشيخ في العناية المشددة تحت المراقبة، وأوصى بعدم تحريك رأسه مدة ثلاثة أيام حتى يزول الخطر، وكان الإخوان من المحبين يتناوبون المراقبة والعناية، وكانت تنتابه نوبات ألم عنيفة (كريزات) خشي الإخوان منها على حياته، فأحضروا ثوب جده الشيخ سليم ليضعوه عليه تبركاً وتيمناً بالشفاء، ولما كانت نوبة مراقبة الأخوين المحبين (محمد مارديني وعمر أغيورلي) ألّمت به إحدى النوبات الشديدة التي حيّرتهما ماذا يفعلان ؟ وطلبا الطبيب المناوب، وريثما يأتي؛ خطر لأحدهما أن يضع عليه ثوب جده سليم، قال: وفي الحال وضعته عليه، وبسطته فوقه، فسكن الشيخ للحال والحمد لله، يقول الأخ عمر: وكان في الغرفة المجاورة لغرفة الشيخ امرأة مصابة بجلطة خطرة، وعندها أهلها وأولادها وهي تتألم، فأعطيناهم ثوب مولانا سليم، ودثروها به، وبقي عندها ثلاثة أيام فمنّ الله عليها بالشفاء والعافية التامة، وخرجت من المستشفى

وعادت لبيتها وأولادها.

وقد حدثنا سيدي الشيخ عبد الباسط بعد شفائه التام والحمد لله بما يلي ودوّنته في المجموع الذي كنت أكتب فيه مناقب الشيخين سليم وأبي النصر مما يمليه عليَّ شيخنا قال:

حضر عَلَيَّ - صباح الحادث - جدي الشيخ سليم، ووالدي الشيخ محمد أبو النصر، وكان الآتي أولاً الوالد، ثم حضر الجد، فطلب والدي من الجد أن يقرأ لي وقال له: ولدي في خطر فاقرأ له. فقال له سيدي سليم: لا تخف سيشفى. فقرأ لي الجد ثم الوالد، ثم حضر سيدي الرسول عليه الصلاة والسلام فقبّلا يده، وتأدّبا معه، فقال له سيدي سليم: إن ابن ولدي (عبد الباسط) مريض وحاله في خطر فاقرأ له، فمد يده الشريفة ﷺ، وقرأ لي ومسح بيده على جسمي، ثم ودعونا ومشوا. فقلت لهم: أين أنتم ذاهبون، لا تتركوني.

وعندما كان يملي سيدي الشيخ عليّ هذا الحديث كان الإخوان (مارديني وأغيورلي) حاضرين يسمعان فقال الأخ عمر أغيورلي: وقد كنت مع الأخ مارديني مكلفين بالمحافظة على إبقاء الشيخ بالوضعية التي أمر بها الطبيب، فسمعت أثناءها الشيخ يقول وهو يريد أن ينهض رغماً عني: أهلاً أهلاً سيدي رسول الله، سيدي رسول الله، أهلاً أهلاً، جدي سليم، أهلاً بابا. ثم استلقى الشيخ وسكن، يقول الأخ عمر: وبعد ثلث ساعة أخرى حاول الشيخ النهوض وهو يقول: يا جدي خذوني معكم، يا بابا خذوني معكم.

يقول الأخ عمر والأخ مارديني: ثم أصبح الشيخ في وضع آخر، ليس من أوضاع الدنيا.

أقول: ثم منّ الله على سيدنا الشيخ بالشفاء سريعاً من هذه الإصابة الخطرة بحسب الواقع وتقديرات الأطباء، فقد قال الدكتور سلطان (إن الخطر حاصل إذا لم يتكلم).

أقول: ولما حضر سيدنا رسول الله ﷺ في الرؤيا ومعه الشيخان سليم وأبو النصر، وكلّماه وتكلم، فقد زال الخطر والحمد لله. وقد عاده في المستشفى الدكتور طه اسحق الكيالي، ولما رآه يتكلم خرج يبشر بزوال الخطر والحمد لله. وقد استقبله الشيخ وسلّم عليه باسمه، وهو في حالة الغيبوبة هذه.

وقد تمت كتابة هذه الكلمات في العشرين من شهر المحرم ١٤٠٠هـ، والحمد لله فالشيخ الآن بصحة جيدة وعافية أكثر مما كان قبلاً، ونرجو الله دوام العافية والشفاء التام له، وأن ينفعنا به وجميع إخواننا. الكاتب (أبو يحيى).

وقد تم الشفاء وخروج الشيخ من المستشفى بمدة /٢٢/ يوماً، وكان الأطباء يقدرون له البقاء من ٣ إلى ٦ أشهر، فالحمد لله الذي منّ عليه بالعافية والشفاء.

* حدثني الحاج محمد علي الفتال، منشد الشيخ أبي النصر، قال: زرت الشيخ عبد الباسط رحمه الله بعد حادث إصابته بالسيارة وكان في مستشفى المقاصد، فأنشدته هذه القصيدة:

يا مغيثي وعمدتي ورجائي	ودوائي إن أوهن الجسم دائي
ويا عياذي في النازلات، وعدتي	ونصيري إن سامني أعدائي
رب، إني أدعوك والطرف باك	فاجبر الكسر واستجب لدعائي
ليس لي موئل سواك فدارك	بيد العون يا كريم عنائي
فرج الكرب، بالإغاثة يا من	مدّ ألطافه على الأشياء
قد تداركت يونس حين أضحى	لقمة الحوت ضمن موج الماء
و أعنت الخليل، فالنار برداً وسلا	ماً أضحت بغير انطفاء
وبسر الشفاء شافيت أيو	ب وقد كان مجهد الأدواء
ومنحت الهادي محمد عزاً	دائماً شأنه بغير انقضاء
ثم أعطيته كتاباً عزيزاً حكيماً	معجزاً مبرزاً شؤون السماء
داونا يا رحيم من كل داء	وأجبنا بالقبول يا مولائي

فسُرّ الشيخ رحمه الله، وقال لي: لقد نشطتنا يا أبا علي.

مجالس الشيخ عبد الباسط ونشاطه الدعوي:

بعد أن انتقل الشيخ رحمه الله وقدس روحه من منبج إلى حلب تفرَّغ كلياً للدعوة إلى الله سبحانه، وإرشاد عباد الله إلى ما فيه رضوان الله وطاعته، فكان وقته ليس له، إنما للناس، زائراً لهم أو مزوراً من قبلهم، وكان موضع ثقة كافة علماء البلد وحجتهم والمجمع عليه من بينهم جميعاً، فقد تجد عالماً منهم له أحبابه وأنصاره وبالمقابل له شانئيه وأعداؤه، وبتصوري وفيما أعلم، لم يكن للشيخ عبد الباسط شانئون ولا أعداء، لقد كان حلمه، وسعة صدره، وبسط يده، وبشاشة وجهه، ولين عريكته، وصدق كلمته، وحسن استقباله ومجالسته تسع جميع الناس عامتهم وعلماءهم، فكسب قلوب الجميع وأجمعوا على الثناء عليه، وحسن الأحدوثة عنه، حتى لقد كان موضع قبول لدى الجماعات الإسلامية التي لا تأخذ بالمنهج الصوفي، إذ كان مقبولاً عندهم ومحل ثقة أيضاً.

وقد يظن بعض الناس أن الشيخ كان من البسطاء، وأنه من رجال الطرق الذين لا علم لهم ولا خبرة في الحياة، وأنه من الدراويش، لأن سماحة خلقه ولين جانبه يطمع كل إنسان به، حتى إذا خَبرَ الشيخ وخالطه وعاشره علم أنه طراز فريد من الرجال، يبسط معروفه لكل أحد، ويبسط وجهه أيضاً، ولكن لا يُخدع ولا يُخلب، ولذلك عرفه العلماء وعرفه الدعاة وعرفه عامة الناس وعرفناه بأنه العالم الخبير بزمانه، الواعي لأحداث أمته، الكاشف لدقائق الغامضات من حياتنا.

١ - اجتماع العلماء لديه لبحث الأمور التي تهم الدعوة:

وكان إذا مر على الأمة بعض المهمات التي يجب أن تعالج بسرعة قبل استفحال خطرها وانتشارها في صفوف العامة، كان بيت الشيخ عبد الباسط وصدره هو ملتقى العلماء وفسحة الرجاء لديهم، فكم شهد بيته في الأنصاري بحلب لقاءاتهم ومشاوراتهم، وكم شهدت جنباته أركان العلم والتقوى من جميع بلادنا السورية زائرين ومشاورين ومحبين ومباركين ومتباركين.

كان بيته وصدره ملتقى هؤلاء جميعاً لأنه كان مسلّماً له من قبل الجميع، ومقبولاً ومحبوباً أيضاً، ويذكر الأستاذ خالد الياسين لقاء شهده في بيت الشيخ رحمه الله ونور ضريحه اجتمع فيه علماء وأتقياء من بعض البلدان السورية ومن حلب، وقد أحضروا معهم أحد مشايخ الطرق وقد شاع عنه بعض المخالفات الشرعية، فناقشوه فيما يقال عنه ونصحوه لله، وكان الشيخ عبد الباسط كالأب المشفق الحنون له ولهم، فخرج الشيخ من بيته تائباً عما نسب إليه مستقيماً على شرع الله معاهداً أن يكون على ما يرضي الله ورسوله، وخرج العلماء أيضاً وقد أدّوا المناصحة لدين الله في بيت من اجتمعوا على حبه.

٢- الدرس اليومي واللقاء الأسبوعي:

وكان مما أكرمنا الله به أنا وأخي عبد الله والأخ الشيخ مصطفى العزيزي وأحياناً العم الشيخ عمر ملاحفجي وولداه محمد ضياء الدين وعبد الله عز الدين، ذلك الدرس اليومي الذي كان يقرأه لنا شيخنا في بيته في صحيح البخاري والرسالة القشيرية، وكان شيخنا الحالي ولده الشيخ إسماعيل يحضره أيضاً كما يحضره أحياناً الشيخ أديب الياسين المارعي إذا كان في حلب، وكان لقاؤنا بالشيخ لقاء علم وتخلق، وأدب ومحبة، كان تعلقاً بكمالاته، وأخلاقه الواسعة رحمه الله، ومن ذلك المجلس انطلقت فكرة جمع تراجم شيوخنا (الطوزقلي وسليم وأبي النصر) وكنا نكتب ما يمليه علينا ويذكره لنا في كراس خاص بنيّة تبييضه فيما بعد، وكان هذا في أوائل ربيع الأول ١٤٠٠ واستمر حتى دخلت البلاد في الزمن العصيب وتفرقت الجماعات، وتوقفت بعض المجالس والدروس، ثم يسر الله انقشاع الغمة، وانكشاف الأزمة، وعادت الأمور إلى مجاريها والحمد لله.

٣- وكان شيخنا عبد الباسط يحضر المجلس الأسبوعي ليلة الجمعة:

في مسجد أبي ذر إذا كان موجوداً غير مسافر وغير مريض، وكان يجلس بجانبه العلماء الأفاضل أمثال أستاذنا الشيخ محمد بلنكو والشيخ عبد السلام الحربلي، والشيخ أديب يحيى الأرمنازي، وكان ممن يحضره غالباً الشيخ بكري رجب، والشيخ أحمد القلاش حال

وجودهما في حلب، والشيخ محمد أديب حسون، والشيخ محمد أديب المارعي وابنه الأستاذ خالد، مع جموع الإخوان المحبين من حلب وما حولها. ويصدح فيها المنشدون بمدح الحبيب المصطفى ﷺ وتعداد كمالاته، ومدح رجال السلسلة وشيوخها، وتشويق المحبين إلى كمالات المصطفى ﷺ والتخلق بآداب الإسلام. وكان الشيخ رحمه الله يكلف في نهاية المجلس أحد العلماء الحاضرين ليلقي موعظة أو درساً في أحكام الفقه حسب الحال، كما كان لبعض الإخوان ليالي أسبوعية يحيونها في بيوتهم يحضرها أهل العلم وشيخنا إن وجد متسعاً من الوقت.

وكانت مجالس الإخوان في بيوتهم فرصة أوسع ليلتقي الأحباب فيها بشيخهم ويأنسون به، ويتخلقون بأخلاقه، ويغرفون من كمالاته عملياً بما يربطهم بالدين القويم والشرع الشريف ورجال السلسلة المباركة.

أما المناطق المحيطة بحلب: فكان لها حظها من زيارات الشيخ في مختلف المناسبات، كالحج والموالد والزواج والأعياد، والتعازي، فكان رحمه الله ونوَّر ضريحه، لا يدع مناسبة للإخوان إلا ويزورهم فيها مباركاً أو معايداً أو مهنئاً أو معزياً وكثيراً ما يصحبنا معه ويصحب أيضاً المنشدين وبعض طلبة العلم حسب ما يتيسر الحال.

وكانت تلك الزيارات واللقاءات تنعش الإخوان وتشدهم إلى طريقهم وشيخهم وتقوي همتهم على طاعة الله سبحانه.

٤- رحلات الشيخ وأسفاره:

معظم الأسفار كانت كما أسلفنا ضمن المحافظة، وكانت تشمل ما جاورها كإدلب والباب ومنبج، ومعرة النعمان وحماة وحمص وريفها والجزيرة، وكانت كلها من أجل تقوية أواصر المحبة، ورفع الهمة على طاعة الله سبحانه وتوثيق الصلة بين الإخوان، وأعظمها أسفار الحج والعمرة.

وكانت آخر رحلة له إلى الحجاز عام ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م وصحبه فيها ثلة من

أحبابه الكرام من أهل العلم والفضل والصلاح كالعم الشيخ محمد سعيد المسعود، والشيخ حسين علي كوركانلي، والشيخ وصفي المسدي والشيخ كامل بدر -كما أظن - وكان اللقاء فيها في رياض الحبيب المصطفى ﷺ وجنبات المسجد الحرام متعة للناظرين، وأنساً للمحبين. وسل عن سرور الشيخ محمد علي الحلبي نزيل المدينة المنورة وأولاده بشيخهم فسيأتيك النبأ اليقين.

زيارة (طيبة الإمام) وتجديد الصلة بإخوان الشيخ سليم:

ومن الأسفار التي لا تنسى، تلك الرحلة المباركة إلى طيبة الإمام في محافظة (حماة)، حيث أرسل الشيخ حافظ الخطيب رحمه الله تعالى وقدس روحه إلى أخيه الشيخ عبد الباسط، ولده الشيخ تقي الدين مع سيارته يدعوه فيها لزيارة تلك البلدة الطيبة وإحياء عهود المحبة والأخوة، فلبى شيخنا الدعوة وتكرم وصحبنا معه أنا وأخي الشيخ عبد الله المسعود وبقينا أياماً في تلك المنطقة في ضيافة أولئك الكرام من أنجال المرشد الكبير والعارف الشهير الشيخ حسين الخطيب تلميذ الشيخ سليم وأخي الشيخ أبي النصر في الطريق، وكانت مجالس أنس عامرة وليالي حب فاخرة، يعطرها ذكر مآثر الأشياخ من رجال هذه السلسلة المباركة (الطوزقلي، سليم، أبو النصر، أبو حافظ) ويصدح فيها مدّاح الحبيب بالأناشيد التي تحيي القلب بالحب والشوق.

زيارة حلفايا ومحافظة حماة:

وتسامع الإخوان والأحباب بمجيء الشيخ عبد الباسط إلى (الطيبة) فتوافدوا إليها يحيون بلقائهم بالشيخ أيام والده الكريم، ويتنسمون عبير إرشاده القويم، فجاؤوا من حماة وحمص وقرى حماة ووفد الأخ المفضال الشيخ محمد الموسى أبو كلال مسلّماً، وأخوه الشيخ حسين، ودَعَوَا الشيخ إلى منـــزلهما العامر في (حلفايا) وتوجهنا مع شيخنا والإخوان إلى هناك، وكانت ليلة مباركة من ليالي الشيخ أبي النصر - كما قال الشيخ أبو كلال - واجتمع فيها من العلماء مفتي حماة الشيخ محمد بشير المراد والشيخ محمد علي المراد وأخوه الشيخ سعد والشيخ أحمد المراد وإخوتهم وغيرهم من أكابر علماء حماة، ومن الإخوان

والأحباب أضعاف ما كان في الطيبة وجاؤوا من كل جهة، من حلب وإدلب والمعرة والجسر وحماة وحمص وصارت ليلة عظيمة مباركة وفي نهاية السهرة وبعد انفضاض الناس، أوينا إلى فرشنا بجانب شيخنا في منـــزل الشيخ أبي كلال. فقال الشيخ أبو كلال بفرح ونشوة بالغة: يا سيدي تمنيت اليوم أن أموت. فقال سيدي أبو نزار مستغرباً ضاحكاً: يا لطيف، وليش تبلينا بحالك هذا اليوم ونحن في بيتك ؟ فقال أبو كلال: يا سيدي من شدة فرحي وسروري، هذا يوم من أيام أبي النصر. لقد عملت طعاماً لثلاثين شخصاً، فاجتمع في هذه الليلة فوق الثلاثمائة وأكلوا كلهم وشبعوا وفضل منه والحمد لله، لذلك كان هذا اليوم عظيماً ومباركاً تمنيت أن أموت فيه لأجل بركته. فدعا له الشيخ وآنسه.

إلى حماة وزيارة الشيخ الشقفة وعلماء حماة:

ثم تابعنا الرحلة إلى حماة وفيها التقينا بعلمائها الكرام، وكان يوماً حافلاً في منـــزل الشيخ محمد علي المراد، وحضره كل آل المراد من العلماء والفضلاء، ومن حلب، ومن حمص، كان منهم الشيخان الجليلان وصفي مسدي وعبد الجليل المسدي، ثم زرنا سيدي الشيخ محمود الشقفة شيخ الطريقة الرفاعية فيها، زرناه بصحبة شيخنا في المدرسة الهدائية، وكان لقاءً جليلاً مهيباً مباركاً، لم أرَ شيخنا متأدباً موقراً مثل ذلك اللقاء مع الشيخ الجليل (أبي عبد الرحمن) رحمه الله.. وكذلك كان الشيخ الجليل مع شيخنا أبي نزار رحمهما الله وقدس ضريحهما. ثم كانت اللقاءات مع إخوان الشيخ من آل المراد رحم الله من مات منهم وحفظ من عاش، وكنت ترى سرورهم وحبورهم طافحاً بزيارة شيخهم عبد الباسط وصحبه فكأنه يوم عيد، بل أعياد وأفراح وسرور وانشراح.

في إدلب:

عامها وقبله كان لشيخنا جلسات ممتعة لدى الأحبة هناك، فكان وجوده بينهم كوجود الأب بين أولاده، كله حب، وكله أدب واحترام وشوق وحنين، وقضينا أياماً في أحد كرومها ثم في بيوت الأحباب، وكان الحاج محمود الناشد رحمه الله في خدمة شيخنا يقلّه بسيارته في تلك الرحلة، وحدّث عن سرور عمنا الشيخ أديب المارعي ولا حرج، وعن سرور

وحبور الإخوة في إدلب ونشوتهم بحضور شيخهم فيما بينهم، وإكرامهم له، وعنايته بهم.

في المعرة:

ما أجمل تلك اللقاءات التي حييناها وعشناها بحضرة شيخنا مع المحبين الصادقين من أهل المعرة وشيوخها الأفاضل، ورحم الله شيخنا الحصري لو كان حياً آنذاك لرقصت روحه وفاضت مدامعه وانتعش قلبه بمجالس حبيبه أبي نزار وابن شيخه ومربيه أبي النصر.

في الباب:

كان الجامع الكبير والصغير يشهدان الشيخ الوقور يتوسط أحبته، والمنشدون يغرّدون وشيوخ البلدة حول شيخهم أبي نزار ملتفون، أمثال العم الشيخ محمد سعيد والشيخ محمد بدر والشيخ أديب العباس، ومن قبلُ نديمُ الشيخ (أبو طاهر) رحمهم الله جميعاً.

وماذا أقول عن **مارع**، وما حولها من قرى **إعزاز ومنبج والجزيرة**، لقد كانت مشاهد لا تنسى ومجالس لا تذهب من ذاكرة الإخوان من أحباب شيخنا.

ولكن والحمد لله والفضل له، فإن عوائد ربنا بالخير والإحسان لا تنتهي والمدد الإلهي لا ينقطع، فقد أكرم الله أبناء هذا الطريق النقشبندي بشبل ذلك الشيخ الهمام شيخنا الحالي الشيخ إسماعيل (عبد الخالق) الذي نهض بالطريق نهضة الشباب، وبعث الهمة والعزم في نفوس الإخوان من شباب الطريق وكهوله، وسلك درب أشياخه، الوالد والجد في رعاية الطريق وأهله، فلم يتركهم فريسة الضياع، ولم يسلّمهم إلى الفوضى والخمول، فكانت جولاته وتفقداته لهم في مدنهم وقراهم وزياراته للأحباب في مناسباتهم المختلفة تجديداً للعزم، وترميماً لما اندرس من الهمم وإحياء لسير هذا الطريق المحمدي، واستنارة بنور رجال السلسلة المباركين، أدام الله علينا هذه النعمة ورزقنا شكرها والقيام بحقها، إنه ولي كل نعمة.

ولما تلظّت البلاد بنار الفتنة عام ١٩٨٠ وصار ما صار فيها، واضطرب الأمن ومرج الأمر، وتفرق الناس وتشتت الجماعات، وانفرط عقدها ولم يعد الناس يحضرون المجالس إلا قليلاً، وخاف الكثيرون على حياتهم، كنا نلازمه بفضل الله أنا وأخي عبد الله، وبعض الأحبة أمثال الشيخ مصطفى العزيزي والشيخ عمر ملاحفجي وأولاده، وكنا نذهب معه

إلى المناطق المحيطة بحلب وكنا نأنس به ويأنس بنا ويقول لنا: لم يبق عندي أحد غيركم.

ولما اشتد الأمر وسافر كثير من طلبة العلم إلى خارج البلاد، استأذنته أنا وأخي بالسفر، فقال: إلى أين ؟ لم يبق أحد غيركم، ابقوا وأنتم محفوظون بإذن الله. وكانت كلمته هذه بلسماً لقلوبنا، وطمأنينة لنفوسنا، وذهب الخوف والقلق بحمد الله تعالى، وبقينا في أوطاننا والأمن يحفنا، وأنظاره تشملنا والحمد لله على ذلك.

شذرات وقطوف من أخلاقه وشمائله:

وعن أي خلق نتحدث، وأي فضيلة نثبت، وأيها ندَعُ ؟ قد أكون مغالياً كأي محب (وعين الرضا عن كل عيب كليلة) ولكني سأحكي بالإنصاف والموضوعية ما استطعت.

فأقول: كان رحمه الله قد تجلى الله عليه باسمه الواسع الباسط، فأخذت أخلاقه حظاً من اسمه، ولذلك وسع الناس سماحةً وتواضعاً وصفحاً وعفواً مع ما امتاز به من علم وحلم.

فمن حيث العلم:

كان فقيهاً شافعياً متقناً، وقد بدأ حياته العلمية بداية صحيحة بدراسته لدى أكابر علماء بلده حمص ثم حلب في خسرويتها، بل وكان دقيقاً في أموره الحياتية يضع علمه موضع التطبيق في حياته وبخاصة عندما مارس الزراعة والتجارة ردحاً من الزمان ولم يكن يهدف من ذلك إلا اللقمة الحلال وألا يتكسب من علمه. وقد يعيب عليه بعض الناس ذلك وما في هذا من عيب، فقد كان سلفنا الصالح من العلماء أصحاب تجارة وبيوع وزراعة وصناعة وقد شهروا بها، وما كان في معاملاته أيضاً خبّاً ولا الخب يخدعه، وقد تثير هذه بعض الحفائظ عليه لأنه لم يكن من السهل خديعته ولا خلابته أو غبنه في بيع أو شراء، وقد قال سيدنا عمر: لست بالخبّ ولا الخبّ يخدعني. وقال غيره: المغبون ليس بممدوح ولا مأجور.

وأما كرمه وجوده:

فحدث عن البحر ولا حرج، وحدث عن السخاء ولا حرج، وبخاصة أنه كان يتفقد

الإخوان الذين أعسروا بعد يسر، أو ضاقت يدهم عن لقمة العيش، وقد حدثني بعضهم فقال لي: جزى الله شيخنا خيراً لقد نبت لحم أكتافنا من خيراته، كان يتفقدنا بين الحين والآخر بالمال والمؤونة و لم يحوجنا لأحد.

وأما حلمه وصفحه عن زلات الإخوان:

وإعراضه عمن أساء إليه ومقابلة السيئة بالحسنة، فكان هذا مشهوراً عنه. وفي رسالة له للشيخ أديب المارعي يقول له فيها: (وأما عدم ردي واعتراضي عند تحامله عليكم فهو دليل على حفظ كرامة الشيخ رحمه الله وسعة صدرنا إكراماً لخاطره، من أجل عين ألف عين تكرم..). وكم أسيء إليه، وكم حلم، وبالنهاية صار خصومه من أحبابه.

وأما مواصلته للإخوان:

علماء وعامة فقد قضى حياته في هذا، وما ترك مناسبة لإخوانه إلا وحضرها وقام بما يقتضيه واجب الأخوة الإيمانية، والصلة الأخوية، وكانت آخر ليلة في حياته شاهدة على هذا، حيث دعاه الشيخ عبد الباسط بن الشيخ عثمان المارعي فلبى الدعوة رغم ضعفه ومرضه.

وأما تواضعه وخفض جناحه للمؤمنين:

فقد كان في هذا مثلاً يحتذى، حتى أن بعض من لا معرفة له يظنه درويشاً أو رجلاً من عامة الناس وبسطائهم.. وحدث عن الأطفال ومؤانسته لهم، وخفضه جناحه لهم، وإلفتهم له ولا حرج.

وكان ذا نظرة ثاقبة في الرجال واختبارهم ومعرفة الخبّ من صافي القلب، وكان في هذا لا يُجارى، وكم أشار إلينا وحدثنا عن ناس كنا نظنهم غير ما يقول، وإذا بهم كما وصفهم الشيخ ووزنهم في ميزان عقله وفطنته، وكان من شدة تواضعه ولين جانبه قريباً لقلوب من يجالسهم، حبيباً إليهم، يألفهم ويألفونه، ويحبهم ويحبونه، وفي السفر - الذي يسفر عن أخلاق الرجال - كان أشد حرصاً وعناية بمن معه، ومداراة لمن يصحبه، واعتناء برفاق سفره، آخر من يرتاح وينام ويهدأ، حتى يرتاحواويناموا ويجدوا راحتهم وهدوءهم.

وأما صبره وتحمله:

فقد أخذ منه الصبر حظه، والتحمل غايته، صبر على شظف العيش أول ما غادر حمص يطلب الرزق في منبج، وتحمل مشاق العمل الزراعي المستمرة سنين طويلة، وصبر على مكائد بعض الفلاحين وحيلهم، وقابل ذلك بالحلم والعفو، وصبر على الدَّيْن الذي أهمّه وأغمه من جرَّاء سوء المواسم الزراعية بعض السنين، وكان هذا له فرصة كريمة يلجأ فيها إلى الله سبحانه متذللاً متعطفاً، ولآبائه متوسلاً داخلاً عليهم ففرج الله همَّه ونفَّس كربه وقضى دينه، كما رأينا آنفاً.

وصَبَرَ على المرض الذي أصيب به في فترته الأولى في أيام الطلب، ولازمه مدة طويلة حتى رَقَتْهُ (قرأت له) والدته وشفاه الله، وصبر عليه مرات أخرى عندما أصيب بالشلل النصفي في سن متأخرة من حياته، وقضى وقتاً غير قليل في المعالجة الفيزيائية، ومع هذا كله لم يترك عادته بزيارة الإخوان وتفقدهم، وصبر أخيراً على مرض الاحتشاء القلبي وكأن شيئاً لم يكن، وصبر على إصابته بذلك الحادث الذي كاد يودي بحياته لولا لطف الله سبحانه.

وكان في كل حياته يصبر ويتحمل ثقل الإخوان عندما يلحّون عليه بإجابة دعواتهم، رغم أن سنه وصحته لا تساعد على ذلك حتى آخر حياته، فقد كانت وفاته - والآجال بيد الله - بسبب ما أصابه من وعكة أثناء إجابته دعوة لأحد إخوانه، فرحمك الله يا سيدي ورضي عنك، ما أصبرك وما أحلمك وكأنك تتمثل في هذا قوله تعالى: ﴿إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾.

كراماته، رحمه الله:

والكرامات للعبد الصالح نعمة من الله سبحانه عليه وعلى من حوله، ومدد إلهي يثبت به الله سبحانه قلوب عباده الذين أكرمهم بالالتفاف حول أوليائه وأحبابه، وكما قلنا، إذا علم المؤمن أن المكرم هو الله، فليس بمستغرب أن يكرم الله سبحانه من شاء من عباده، ولو أن بعض قاصري النظر والفكر يريدون أن تكون الكرامة من الله لعبده حسب آرائهم

وأهوائهم ويعطيها الله لعباده الصالحين بعد استشارتهم.

وقد رأينا من أستاذنا وشيخنا (أبو نزار) من هذه الكرامات الشيء الكثير، في نفسه وفي غيره من أحبابه، ومن أعظم ما أكرمه الله سبحانه به، هذا الصبر العجيب، والتحمل الشاق الذي كان يعانيه من أمراضه، وممن حوله من الناس، وكانت هذه الأمراض والمصائب التي جرت عليه لو صُبَّت على جبل لاندكّ؛ فكان تحت وطأة القضاء الإلهي صابراً محتسباً، وشاكراً حامداً، فأكرمه الله سبحانه - عن طريق الابتلاء والصبر عليه - بترقيات وعلاوات، يكرم الله بها أولياءه وأحبابه ليرفع درجاتهم ومنـــزلتهم عنده.

* **ومن أعظم هذه الكرامات:** تولّي سيدنا رسول الله ﷺ وجده الشيخ سليم ووالده أبي النصر له، بعد إصابته بحادث السيارة أثناء عودته من حماة في رمضان ١٣٧٩ وبعد إجراء الجراحة له، فقد زاره جده المصطفى ﷺ مع جده سليم ووالده مناماً وقرؤوا له، فشفاه الله سبحانه بأقل مدة، تعجَّب لها الأطباء، كما ذكرنا آنفاً.

* ومن الإكرام الإلهي له أيضاً سلامته مما تعرض له كثير من المشايخ والعلماء في حلب إبّان الفتنة التي مرت بالبلاد السورية عام ١٣٧٩ / ١٩٧٩ وما بعدها، ولم يمسّ والحمد لله بسوء، ولم يكدّر خاطره أو بيته أو أولاده مكدر رغم أن هذه الفتنة أول ما أصابت بشررها وأحرقت بنارها كبار العلماء، الذين هاجر من هاجر منهم وسجن من سجن وأوذي من أوذي، فكان الله سبحانه لطيفاً به وبآل بيته الكرام.

* **ومن الكرامة حسن الاستقامة:** فقد كان رحمه الله وقدس روحه - فيما اطلعنا عليه وعلمناه منه - ملتزماً آداب الشرع الشريف وأحكامه في نفسه وآل بيته، لا يألو جهداً في تطبيق أحكام الشرع على نفسه وعلى من هم في عياله وبخاصة أيام كان يمارس البيع والشراء في منبج والعمل الزراعي في ريفها، وكان جبر خاطر الإخوان ومسرتهم، والصفح عنهم، وتحمل أذاهم وخشونتهم، والصبر على المشاق من أجلهم، وتفقد المحتاجين منهم وإيصال ما يحتاجون إليه سراً، كان هذا دأبه وديدنه..

* ومما أكرمه الله سبحانه أيضاً ملاحظة آبائه (الشيخ سليم، الشيخ أبي النصر) له أيام

العمل الزراعي في منبج واستغراق الديون العظيمة عليه، ففرَّج الله كربته وقضى دينه وأزاحها عن أخيه الشيخ كلال في منبج أيضاً عندما حاول المتنفذون هناك إخراجه من البلدة.

* ومما يحضرني، عندما كنت ألازمه في جولاته في ريف حلب مع بعض إخواننا من أهل العلم، وقد كنا مرة في مارع وكانت السهرة في أحد مساجدها فأمرني أن أتكلم في الناس، وكنت أغرف من مدده رحمه الله، فتكلمت، وبعد أن جلست نسيت بعض الأمور التي كان يجب أن أتحدث عنها في كلمتي، فقال - رحمه الله وقدس روحه - لأخينا الشيخ عبد الغني يونس رحمه الله: قم يا شيخ عبد الغني فأكمل الحديث. فقام الشيخ عبد الغني وتكلم بما نسيت أن أتكلمه أنا، وبعد أن جلس أقبلت أنا على الشيخ ألثم يديه وأقول: سامحني يا سيدي، فقد أكمل الشيخ عبد الغني ما سهوت عنه أنا.

* وأخبرني أخونا (أبو منير) صالح الطه وقد كان يلازم الشيخ رحمه الله فقال الشيخ له: أحضر لنا سيارة لنذهب إلى بيت أحد إخواننا في (قسطل الحرامي) بحلب، قال: فأحضرتها، ولما وصلنا قريباً من بيته نزل الشيخ ومشيت خلفه، وقلت في نفسي: سأوصل الشيخ إلى بيت الداعي ثم أَنْصَرِفُ لأنني غير مدعو، فالتفت إليَّ حالاً وقال: أنت في صحبة شيخك، ما في هريبة بدّك تبقى معي حتى ننتهي وتعود معي. فامتثلت وبقيت بخدمته حتى عدنا.

* وما أكثر هذه المكاشفات، ولو تتبعنا الإخوان المحبين لوجدنا عندهم الشيء الكثير من هذا، ومما يذكر قصة شرب أخينا المرحوم حاج قدور الحايك للقطرونه، وهي من المواد الكاوية السريعة المفعول، فقد وجد الحاج قدور إناءاً مملوءاً بها في بيت الشيخ عبد الباسط، فظنه لبناً فشربه كله، ولم يصبه أذى، ولما علم الشيخ بهذا قال له ممازحاً: لماذا عملت هكذا ؟ تريد أن تبلينا بحالك ؟ فقال له: يا سيدي ظننته لبناً، وما في شيء في بيتك يضرّ، والحمد لله. وقد كان الحاج قدور رحمه الله من المحبين الصادقين.

* وبعد أن اطلع سيدي **الشيخ إسماعيل** على هذه الترجمة كتب أيضاً هذه الكرامة: ومما أعتقد أنه كرامة جلية واضحة بدون تأويل أو تحميل ما حصل لوالدي في إحدى المرات وكنا نسكن مستأجرين في دار العكام في الأنصاري:

أصيب والدي رحمه الله تعالى، بحصر في البول واستمر يومين أو أكثر لا يبول، فاستدعيت الدكتور طه اسحق الكيالي إلى المنــزل وفحص والدي وطلبَ له تحليلاً ثم قال لي: أحضر نتائج التحليل وتعال إلى عيادتي مساءً. فأجريت التحليل لوالدي وذهبت بالنتيجة إلى عيادة الدكتور طه مساء فلما قرأ النتائج رأى نسبة البولة مرتفعة في الدم كثيراً وقال لي: لابد من إدخال والدك إلى المستشفى الليلة وإجراء تمييل لطرح البول. وطلب مني أن أذهب وأشتري أدوية من الصيدلية وخراطيم من أجل التمييل، وتواعدنا مساءً في البيت لأخذه إلى المستشفى تحت إشراف الدكتور (قدسي) قريب الدكتور طه وكان مختصاً بالبولية. دخلت البيت مساءً قبل حلول موعد الدكتور طه فاستقبلني والدي وهو مضطجع على السرير في غرفة نومه بلهفة وسألني عن نتيجة التحليل، فحاولت أن أداري لحين وصول الدكتور طه، ولكن فلتت مني عبارة: لا بد من المستشفى لإجراء عملية بسيطة لطرح البول. فقال لي والدي: مستشفى ؟ لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. وأُقسِمُ بالله ما هي إلا لحظات حتى طلب مني والدي أن أساعده ليدخل الحمام فقد شعر بحاجة إلى التبول، وكان الفرج، وخرجت الدفعات الأولى من البول ثم أعدته إلى السرير وأنا فرح، ثم طلب مني ثانية أن أذهب به إلى الحمام وهكذا عدة مرات إلى أن حضر الدكتور طه الكيالي وكان قد حجز له في أحد المستشفيات، فلما حدثته بما جرى وأن والدي قد أفرغ مثانته فرح واستبشر وقال: لا داعي للمستشفى فقد برئت يا شيخي. وتحدث بمثل طريف مع والدي وتم السرور والشفاء بفضل الله وبدون مشفى بل بفضل التوجه الصادق إلى الله تعالى من قلب والدي رحمه الله تعالى الذي كان عميق الإيمان واضح التسليم والرضا متوكلاً على ربه حق التوكل.

الأيام الأخيرة من حياة الشيخ رحمه الله:

والأيام الأخيرة من حياته رحمه الله ونور ضريحه لها صلة بالأيام الأولى والوسطى في حياته، فقد تحمل جسمه من الأمراض والأسقام الشيء الكثير، أعلى الله درجاته في عليين،

إذ إنه كما ذكرنا أصيب بمرض خطير أوائل شبابه عندما كان طالباً في الخسروية، كاد يودي بحياته، وشفاه الله سبحانه بقراءة والدته له رحمها الله تعالى ونور ضريحها.

ثم بعد انتقاله إلى حلب وثقل المسؤوليات عليه، الاجتماعية والدينية والبيتية، أصيب بالشلل النصفي، وأقعده المرض شهوراً عاود بعده نشاطه بعد العلاج الفيزيائي، وكأن شيئاً لم يكن، وتابع زياراته وجولاته على الإخوان في مناطق حلب وقراها، وحضور المجالس في حلب، وكان هذا الشلل قبل عام ١٩٧٤م.

ثم وبعد وفاة العم الشيخ محمد سعيد المسعود بنهاية عام ١٩٧٦ وحضوره جنازته في الباب وطول وقوفه، وبقائه سحابة يومه في الباب، أصيب بنكسة مرضية دامت أياماً جاوزت الشهر، وعافاه الله سبحانه وتعالى منها، بالمعالجة المستمرة ثم بفضل دعاء الصالحين من العلماء والأحباب والإخوان الذين كانت قلوبهم وألسنتهم تلهج بالدعاء والرجاء إلى الله سبحانه أن يعافيه ويمد في حياته ويبقيه ذخراً للإسلام والمسلمين.

وكان قد أصيب قبل هذا الوقت - قبل النكسة المرضية - باحتشاء في القلب، لم يظهر عليه إلا بعد أن أصيب بهذه النكسة وعوفي منها، وقد أحس بثقل هذا الاحتشاء فرافقه شيخنا الأستاذ إسماعيل (ولده) إلى الجامعة ليخطط القلب هناك، حيث كان لديها أجهزة لتخطيط القلب، ولا تتوفر بجودتها في غير مكان. قال الأستاذ الشيخ إسماعيل: فمشى معي سيراً على الأقدام وصعدنا درج مستشفى الجامعة، ولما تبين من نتيجة التخطيط أنه مصاب باحتشاء، وكان المعالج الدكتور غسان شبارق صار يعتني بصحته أكثر من ذي قبل وكنا نحافظ على حميته وأدويته ونراقب صحته أكثر.

وفي نهاية عام ١٩٧٩ أصيب بحادث السيارة في أثناء عودته من حماة بعد التعزية بوفاة فقيد الإسلام والمسلمين الشيخ محمود الشقفة رحمه الله تعالى، وقد ذكرنا هذا مفصلاً.

أقول: رغم كل هذه الأمراض الخطيرة، والآثار التي تركتها، فإنه كان في قوة ونشاط روحي عالٍ يتغلب فيه على ضعف جسمه، وما آل إليه بعد كل هذه الأعراض المرضية، ويلبي دعوة الإخوان ويجبر خاطرهم.

وقبل وفاته بيوم كان يلبي دعوة الشيخ عبد الباسط بن الشيخ عثمان المارعي في قرية (تلقراح) رغم ما يعانيه من آثار المرض وأعراضه، وأنه ممنوع من السفر من أجل هذا، كذلك الأكل، له حميته الخاصة، ولكنه ذهب كما قال لمرافقه الأخ عمر أغيورلي: جبراً لخاطر الشيخ عثمان. وعاد ليلاً من القرية وقد ظهرت عليه آثار التعب الشديد، وكانت السيدة أم نزار لدى ابنتها في المدينة المنورة، ورأت ابنته التي كانت في البيت وضعه الصحي غير الجيد، فأخبرت أخاها الشيخ إسماعيل صباحاً فجاء مسرعاً ليجد الوضع خطيراً، وآثار الاحتضار بادية على الشيخ.

وبمشورة الدكتور علي حداد تم نقله إلى مستشفى المارتيني حيث قضى نحبه يوم الاثنين الساعة العاشرة صباحاً ٢٠ جمادى الأولى ١٤٠٢ هـ الموافق ١٥ آذار ١٩٨٢ م.

وتمت الصلاة عليه في الجامع الكبير بحلب في اليوم التالي وحضر الجنازة (رغم ظروف البلد غير المواتية) جمهور من العلماء والصالحين من حمص وحماة وحلب، وألقيت على جثمانه كلمات الرثاء من الشيخ أحمد الكعكة الحمصي والشيخ أديب حسون الحلبي، وتابعت الجنازة سيرها حملاً على الأكتاف من الجامع الكبير إلى مقبرة الصالحين بحلب، مروراً بجانب المدرسة الخسروية حيث كان وزير الأوقاف السابق الدكتور محمد الخطيب، فخرج ليشارك في الجنازة وليلقي كلمة مختصرة في المشيعين يبين فيها قيمة هذا الرجل العظيم الذي تحمله أكفهم وأكتافهم.

واستمرت التعزية الشرعية في بيته وزاويته في حي الأنصاري ثلاثة أيام، وَفدت فيها جموع المحبين والأصدقاء والإخوان من العلماء والصلحاء من كافة مدن القطر، كما أرسلت مئات برقيات التعزية، وألقيت كلمات الرثاء في تلك الأيام تشيد وتبين بفضل ذلك الراحل العظيم الذي ترك الأسى والحزن والشجن في القلوب، ولكنه ترك معها ذلك الخلَف الهمام الذي كان خير تعزية للإخوان وخير خلف لخير سلف إن شاء الله تعالى، ألا وهو ولده شيخنا الأستاذ الشيخ إسماعيل (عبد الخالق) وإخوته الأكارم الأفاضل، الدكتور نزار، والأستاذ فاروق، والأستاذ غياث حفظهم الله وأمدّ في عمرهم ونفعنا بهم وبآبائهم،

إنه خير مسؤول وخير الوارثين، ورحم الله شيخنا وأستاذنا وآباءه وأجداده وألحقنا بهم في مستقر رحمته، وأعلى درجاتهم عنده في عليين، والحمد لله رب العالمين.

ما كتب على القبر:

وقد كتب على الشاهدة الأمامية للقبر: الفاتحة. إلهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي. هذا قبر العالم العارف بالله الشيخ عبد الباسط بن الشيخ محمد أبي النصر بن الشيخ سليم خلف الحمصي مرشد الطريقة النقشبندية، الذي لبى نداء ربه ضحوة يوم الإثنين في العشرين من جمادى الأولى ١٤٠٢ هجرية، الموافق الخامس عشر من آذار سنة ١٩٨٢ م؛ تغمده الله برحمته ورضوانه، وأسكنه بفضله فسيح جناته. آمين.

وعلى الشاهدة الخلفية للقبر: الفاتحة. ﴿فاذكروني أذكركم﴾. ثم أبياتاً من الشعر من نظم الشيخ كامل بدر رحمه الله وهي:

لبى عبد الباسط رباً ... حيِّ المثوى وازدد قربا

أفنى عمراً في إرشاد ... يهوى درب المولى دربا

يا أحبابي لا تغتروا في ... دنياكم، زكوا القلبا

بالزلفى تاريخاً توج ... عبد الباسط نلت قربا

١٤٠٢ هـ

وعلى جانبي القبر ما يلي:

أعبد الباسط اهنأ في رشاد ... سوي كالصراط المستقيم

قرير العين طبت أبا نزار ... بخلد فيه جنات النعيم

بشير اليمن أرخها يقيناً ... حباك الله بالفضل العميم

قضيت العمر بالإرشاد داعٍ ... لدين الحق والنهج القويم

وحزت السبق في الأخلاق لما ... نسبت لصاحب الخلق العظيم

فطب نفساً فأنـــت ســـليل قـــوم تسلسل من كـــريم عـــنِ كـــريم

ما قيل في مدح الشيخ عبد الباسط من الشعر:

قيل فيه الشيء الكثير، من المحبين له من العلماء والشعراء، وها نحن نثبت بعض ما وصل إلينا.

* فمن ذلك ما قاله العم **الشيخ محمد سعيد المسعود:** وقد قام بزيارة الشيخين (سليم وأبي النصر) بتاريخ ١٠شعبان ١٣٩٣/١٩٧٣ وبصحبة الشيخ عبد الباسط، وكان تخميساً لطيفاً أوله:

ساعة في حمص والحـــظ عظيـــم زرنا فيها روض مولانـــا ســـليم

كامل الإرشاد ذي الوهب العميم فاض فيها الفضـــل والله فـــتح

فنحمد المولى على ما قد منح

وقد أثبتناها بكاملها في ترجمة الشيخ محمد سعيد المسعود، من هذا الكتاب في بحث تراجم علماء الباب وتاذف.

* ومما قاله العم أيضاً: تخميس يمدح فيه شيخنا عبد الباسط وآباءه الكرام وذلك في ٧ ربيع الأول ١٣٩٤ هــ/ ١٩٧٤م وهو هذا:

يا أبا نـــزار العـــالي المقـــام من بسر الدين والإرشـــاد قـــام

نظرة يا نسل ســـادات كـــرام وبها تمحى خطايا مـــن جَنَـــوْا

تلحق العاصي بقوم قد سَمَوْا

بأبي النصر الهـــمام المرتجـــى قائم الليـــل، إذا الليـــل ســـجى

ذخرنا المأمول كهـــف الالتجـــا وبه تمحى خطايا مـــن جَنَـــوْا

حينما يهوي بنارٍ مَنْ هَوَوْا

وبســـليم القلـــب ذاك الأمثـــل ذي الكرامات وذي القدر العلي

وبه عـــني كـــروبي تنجلـــي وأنال القـــرب من ربي ولَـــوْ

أنا عاص، فبهم أنجو، ولو

صلى مولانا على طــه الأمــين وعلى الآل وصــحب أجمعــين

وعلى سادات الطريق العــارفين قدست أسرارهم حيــث علــوا

من بهم ننجوا إذا الغير غَوَوْا

* وقد كان شاعر أبيه الحاج **صالح الحلبي المارعي** رحمه الله لا يترك مناسبة من مناسبات الشيخ عبد الباسط رحمه الله إلا وله فيها قصيدة، **فقال بمناسبة شفاءه من المرض:**

الــحمد لله زال الــهم والـــكدر ونفَّس الله عـــنا مـــا قـــضى القـــدر

لـــه الثـــناء له الشكر الجزيل علـــى ما مـــنَّ إذ كلـــنا للفـــضل مفتقـــر

فـــلا تعدُّ ولا تـــحصى مـــكارمه على العباد ولا رحـــماه تـــنحصر

وليس لـــلخلق عـــن آلاء نائـــله غِنـــىً، ونعـــماؤه للخـــلق مُـــدَّخر

وهـــل سواه لنا عون إذا نـــزل الـــ ـــخطب الجسيم بنا ؟ كـــلا ولا وزر

فمـــا دعونـــاه كشف الضر نســـأله إلا استجاب وزال الضُّـــرُّ والضـــرر

ومـــن عوائـــده إذا استـــجار بـــه عبد يُـــجار، وعـــنه يُـــدرأ الخطـــر

رباه هـــذي أيادي الشكر قد رفعت منـــا إليك، ومنـــك البـــر ننتظـــر

وقد غرسنا على أنـــهار جودك أشـــ ـــجار الرجـــاء وفـــيها أينع الثمـــر

وإنـــك البـــر مـــأمول مـــواهـــبه وغيث رحـــماك سيَّـــال ومنهـــمر

واليوم ندعوك والآمـــال تصحـــبها عيـــن اليقين ومـــا زاغت بنا البصـــر

فـــاعطف على من سألناك الشفاء له وكـــن لطيـــفاً بـــه إذ أنت مقتـــدر

فـــأنت يا بـــاسط الإحسان موئـــله والعـــبد فـــي ظل من والاه يســـتتر

أبـــا نزار حـــماك الله من غِيَر الـــ أزمان دومـــاً إلى أن ينقضي العمـــر

وحسبـــك الله يا ابن الطاهرين فقـــد والاك بـــاللطف مِن عين الرضا نظـــر

سـليل قومٍ أبـو الزهراء سيـدهم | من أخبرت عنـهم الآيـات والسور
يسمو الفخار به عن كل ذي شـرف | وكيف لا وهـو فـرع أصله مضـر
تنوب عـن طلعة الأقـمار طلعـته | ولا يـنوبان عـنه الشمس والقـمر
فـفي الشجاعة والإقـدام حـيدرة | وبـالعدالـة فـي أحكامه عـمر
وفـي البـيان إذا ما فـاهَ مـوجزه | سحر حـلال لطيف السبك مختصـر
كأنـه الجوهر الـمكنون حيث بـدا | يُسْـتَحقَرُ الـذهب الإبريز والـدرر
سـلِ الـجزيرة عـن آثار والـده | **أبـي كـلال** فـعنها يَصدق الخـبر
من صيَّر الغي رشداً والضلال هـدىً | بـها سواه ؟ فطاب الـوِردُ والصَّدَر
نعم هـو المرشد الميمون من شهدت | بحسن سيـرته الأعيـان والسيـر
تـهتز مـن سامعي ذكراه أفـئدة | كما يَـهُـزُّ لأرباب الـهوى الوتر
وتشتـفي الأنفس الظمآى بـرؤيته | كالأرض تـحيا إذا ما جادها المطـر
عليه رضـوان ربي كلـما غـربت | شمس وأعـقب ظلماءَ الدجى السحر
وما ابـن مارع قال الشعر مبـتدئاً | الحمد لله زال الـهم والـكـدر.

* وقال الشاعر **الحلبي المارعي** أيضاً يمدح شيخه أبا نزار بمناسبة عقد زواج ابنة الشيخ عبد الباسط إلى السيد غياث أبي زيد ١٤٠١هـ:

أصـاح والـرحيق تـدار فـينا | فيـا نسمات جيـرتنا أصبـحينا
وشـمس قـد أطلت مـن خباهـا | تطوف على الكـؤوس الـطائفينا
كؤوس كـالنجوم بـها اهتـدينا | لسبل الـمرشديـن الـكاملينا
وفـي الشهباء عتَّـقها كـرام الـ | ـعشيـرة لا رعـاة الأنـدرينا
أحاشيـها فلم تـنسب لـكرم | ولـكن للـكرام الطيـبيـنا
أخذنا العـهد عنـهم واقـتفينا | لآثـار الـهداة الـطيـبيـنا
فأكرمـنا الإلـه بـهم وسـرنا | على سنـن الـرسالـة راشـدينا

قرأنا عن محمدهم حديثاً	روته لنا الكرام الطيبونا
يبشرنا به؛ أنّي مباه	بكم أمم الأناس السابقينا

ثم قال:

لك الشكر الجزيل أبا نزار	على مر الزمان مدى السنينا
مودتكم علينا فرض عين	ندين به وحقاً أن ندينا
أنجحد فضلكم ولكم أيادٍ	أبَرُّ بنا وأشفق من أبينا
أزال الله عنكم كل هم	برأفته وكان لكم معينا
وزاد بعمركم مع صفو عيش	وللأنجال عمَّ والأقربينا
ولا زلتم لنا راحاً و روحاً	نعيش بها ونحيا ما حيينا
تطيب بقربكم منا حظوظ	ولا حَظَّ لنا إن تبعدونا
وفيكم عزنا لا في سواكم	وعنكم إن عدلنا قد شقينا



ومن المناسب للمقام؛ وحديثنا يتعطر بشذى سيرة سيدي أبي النصر، وخليفته سيدي عبد الباسط (أبي نزار)، أن نتمم الحديث عن آخر رجال هذه السلسلة النقشبندية العلية، ألا وهو سيدي إسماعيل (عبد الخالق) بن شيخنا عبد الباسط رحمه الله ونور ضريحه.

ثم نتابع الكلام المناسب للمقام بذكر فروع الشجرة المباركة الحمصية، أولاد سيدي الشيخ أبي النصر قدس الله سره ورحمهم الله أجمعين.

الشيخ إسماعيل "عبد الخالق" أبو النصر خلف

الحسيني الحمصي، شيخ الطريقة النقشبندية

(١٣٦٧هـ) (١٩٤٧م) أمدَّ الله في عمره

أساتذته، وتعليمه:

هو العالم العامل، والداعية الفاضل، والأديب الأريب، والحسيب النسيب، من تربى في حجر الفضائل، ونهل من العلوم والكمالات، واتصف بالفطنة والحزم، وتربع على سدة الإرشاد والتوجيه والعزم، بعد جده وأبيه، الأستاذ الشيخ إسماعيل (عبد الخالق) بن شيخنا وأستاذنا الشيخ عبد الباسط بن سيدنا ومولانا الشيخ محمد أبي النصر بن سيدنا ومولانا الشيخ محمد سليم خلف الجندي الحسيني الحمصي.

ولد هذا الفاضل في مدينة منبج عام (١٩٤٧م)، عندما كان والده الشيخ عبد الباسط رحمه الله مقيماً فيها، ونشأ وترعرع في حجر والدين كريمين، والده المربي الفاضل الشيخ عبد الباسط، ووالدته السيدة بشرى الصوفي، وتلقى تعليمه الابتدائي في مدرسة منبج، ثم انتقل والده إلى حلب عام (١٩٦٠) فتابع تعليمه في الثانوية الشرعية بحلب (الخسروية) التي خرَّجت والده من قبل، وتلقى العلم فيها على أيدي أساتذتها الأفاضل الكرام: الشيخ محمد الملاح، والشيخ محمد السلقيني، والشيخ محمد نجيب خياطة، والشيخ إبراهيم السلقيني (الحفيد)، والشيخ حسن رزوق الخطابي.

وبعد أن نال شهادتها، وكان يديرها آنذاك العالم الفاضل الشيخ محمد الحموي، وارتوى من علوم أشياخها، لزم والده فتلقى عنه الآداب والعلوم، وقرأ عليه التصوف والرسالة القشيرية وغيرها، وسمع منه بعض صحيح البخاري وغيره، ثم استقى منه

الأخلاق المحمدية والفضائل النبوية، وكان والده يُعِدُّه لأن يكون خليفة من بعده، وقد صرَّح مراراً بحضورنا، وفي مجالس مختلفة أن الشيخ إسماعيل هو خليفته من بعده.

وكان هذا التصريح المتكرر يبعث في نفوس الإخوان من مريدي والده الشيخ رحمه الله وقدس روحه الارتياح والسرور، حيث كتب له القبول عندهم بحياة والده رحمه الله ونوَّر ضريحه.

وعندما راجع فضيلته هذا الكتاب أضاف هنا ما يلي: (والشيء بالشيء يذكر والإفصاح في بيان المقام مطلوب).

- فقد روى أكثر من مصدر أن الشيخ أبا النصر قدس الله سره حمل المذكور وهو طفل عمره في حدود السنة أو أكثر وقال: إن كان أحد سيخلفني فهذا الطفل سيخلفني.

وهي من البشارات التي يعتد بها المذكور ويستمد منها القوة والثبات.

- **وكذلك من البشارات التي يعتد بها:** أن والدته أثناء المخاض به نامت فرأت في نومها أشياخاً اعتقدت أنهم رجال السلسلة النقشبندية وبدؤوا يعدون أمامها أسماء الأنبياء ثم قالوا لها: الآن ستلدين ذكراً أسميه (إسماعيل). وتمت الولادة وسمته (إسماعيل) تأثراً بالرؤية، وأخبر والدُه الشيخُ عبد الباسط الجدَّ الشيخ أبا النصر بأنه قد ولد له غلام، وكانت سجلات نفوس العائلة في حمص فسماه الجد (عبد الخالق) نسبة إلى الشيخ عبد الخالق الغجدواني، أحد رجال السلسلة النقشبندية العلية وتيمناً به، ولما سمع الشيخ أبو النصر بالرؤية التي رأتها الوالدة، قال: نادوه (إسماعيل عبد الخالق).

- **ومن البشارات** أيضاً أن المذكور التقى الشيخ حسين الجدمي في مشفى هنانو وكان الشيخ حسين مريضاً فلما دخل عليه المذكور وعانقه، قال له الشيخ حسين: إن شاء الله سيكون لك شأن كبير.

- **ومن البشارات:** أن الشيخ ناظم القبرصي وهو شيخ مشهور ومربٍ في الطريقة النقشبندية العلية زار المذكور في زاوية الفرقان مع حشد كبير من إخوانه متنوعي الجنسية، وبعد أن مكث عدة ساعات في الزاوية التفت قائلاً: كنت أبحث أو أتساءل أين ذهب سر

الشيخ سليم الخلف، وإني قد وجدته الآن هنا في هذه الزاوية.

وقد ذكرنا في ترجمة والده شيخنا أبي نزار ما صرح به أنه الخليفة من بعده على الإخوان والمريدين.

واختار الشيخ إسماعيل بعد دراسة العلوم الشرعية وأخذه القسط الوافر منها على أيدي أجلاء علماء حلب أن يتابع الدراسة الجامعية ويأخذ حظه من العلوم العربية واللغوية التي هي وسائل وآلات لفهم العلوم الشرعية، وذلك بعد ما ضعفت مناهج الدراسة الشرعية باللغة العربية خاصة، فأكمل تعليمه الجامعي في جامعة حلب، وحاز على الإجازة (الليسانس) في اللغة العربية من جامعتها عام (١٩٦٩م).

وعيّن مدرساً للغة العربية وآدابها في مدارس حلب الثانوية والإعدادية، وردَّ الجميل إلى مدرسته الشرعية التي خرجته فدرَّس فيها اللغة العربية وآدابها أيضاً مدة غير قليلة.

على رأس المسيرة الإيمانية بعد الوالد:

ولما انتقل الوالد الشيخ عبد الباسط إلى رحمته تعالى وعفوه ورضاه عام (١٤٠٢هـ)، اجتمعت كلمة الإخوان على أن يكون الشيخ إسماعيل المرشد والمربي للإخوان النقشبنديين بعد الشيخ عبد الباسط، وتابع مسيرة والده الدعوية ومجالسه التربوية والإيمانية، وأشرف على الإخوان معلماً ومربياً وداعياً في الزاوية النقشبندية التي أسسها والده سيدنا الشيخ عبد الباسط بجانب داره في حي الأنصاري (سيف الدولة).

كما نقل ليلة الجمعة التي كانت تقام في جامع أبي ذر (منذ عهد جدّه) وكانت قد توقفت عام (١٩٨٠/١٤٠٠هـ) نقلها بعد وفاة والده إلى جامع العثمانية بحلب، وعاد نشاط الإخوة النقشبنديين والمحبين للطريق إلى الاجتماع والانتظام بعد تفرق وتشتت، فجمع الشيخ الحالي حفظه الله شمل الإخوة فكان على رأسهم ليلة الجمعة مع من يحضر من أهل العلم والفضل أمثال الشيخ أديب المارعي وابنه الأستاذ خالد، والشيخ خليل النجار، والشيخ عبد السلام الحربلي، والشيخ عبد الله رجب، والفقير (كاتب الأسطر)

وإخوتي الشيخ محمود، والشيخ عبد الله، وغيرهم ونَظَّم الشيخ حفظه الله برنامجاً علمياً تربوياً لتلك الليلة (تحت إشراف مديرية أوقاف حلب) يتكلم فيه كل أسبوع أحد أهل العلم بعد الختم والإنشاد وذكر الله والصلاة على رسوله ﷺ.

وكان الشيخ إسماعيل حفظه الله أحد هؤلاء أيضاً، فكان إذا جاء موعد درسه ومحاضرته، أمتع ونفع، بما حباه الله من علم نافع ومنطق عذب وحسن حديث، وبما أكرمه الله سبحانه مما يفيض عليه من إرشاد وتوجيه.

ثم لما انتقلت الزاوية من حي الأنصاري (سيف الدولة) إلى حي الفرقان وقَّت الشيخ حفظه الله ليلة الإثنين من كل أسبوع لإقامة مجلس الإنشاد والذكر والصلاة على سيدنا النبي ﷺ، وصار يلقي فيه درسه الأسبوعي من السيرة النبوية، كما كان يكلف أحياناً من يحضر من أهل العلم ليلقي الموعظة والتوجيه والدرس التعليمي الأسبوعي، وثمة درس تفسير في ليلة الاثنين بين المغرب والعشاء، ودرس خاص مع بعض طلاب العلم صباح السبت في التصوف والفقه والنحو.

النشاط الدعوي خارج حلب:

وما أن بدأت مجالس الإيمان في العثمانية، والزاوية النقشبندية في (الفرقان) بعد انقطاع غير طويل حتى تسامع بها المريدون والمحبون والإخوة النقشبنديون في ريف حلب ومناطقها وصاروا يفدون كل أسبوع إلى العثمانية والزاوية؛ لينهلوا من معين الإرشاد، ويتزودوا من صافي الإنشاد، ما يكون لهم نعم الغذاء والزاد في بقية أيام الأسبوع، وبدأت العيون والقلوب في ريف حلب وغيره من المدن السورية تتطلع إلى زيارات الشيخ، وتتطلب حظها بلقائه في تلك المدن والقرى، وتزاحم الإخوة المحبون يريدون من الشيخ أن يكون لهم حوله أكثر من لقاء وأكثر من مجلس في مدنهم وقراهم، وصار الشيخ حفظه الله يلبي دعوات الإخوة في مدنهم وقراهم حسب الطاقة والإمكان وضمن ما يسمح به الوقت والصحة، وشارك حفظه الله المحبين مناسباتهم وأفراحهم على نهج والده وجده رحمهم الله ورضي عنهم.

وانتشر ذكر الطريق وأثره في الآفاق والمدن السورية من جنوبها إلى شمالها وشرقها إلى غربها، وتعلقت أفئدة المحبين في المدن السورية الذين عرفوا الطريق النقشبندي أو قرؤوا عنه أو سمعوا من إخوانهم الذين يفِدون إلى حلب، تعلقوا بهذا الشيخ المفضال، وصار منيةً للكثير من المؤمنين أن يزوروا الزاوية النقشبندية بحلب ليزورهم في مدنهم وقراهم شيخها الشاب ومرشدها الفاضل الشيخ إسماعيل، وذلك فضل من الله وتوفيق وفتح قريب.

وأكرم الله شيخنا وأكرمنا بصحبته في الحج عام ١٣٩٩هـ /١٩٧٩م حيث حج لأول مرة ذلك العام وزار جدّه المصطفى ﷺ، ثم أكرمه الله بالحج مرة ثانية عام (١٩٩٦م) واعتمر أيضاً بعدها مرات.

وقد استقطبت أخلاقه وكمالاته معظم أهل العلم والفضل في حلب، وكانت لقاءاته معهم إما في الزاوية النقشبندية أو في مجالسهم ومناسباتهم؛ يزورهم ويزورونه ويعترفون له بالفضل والكمال، والتقدم في المجال الدعوي، والعلم والإرشاد، أمثال سيدي الوالد، والشيخ محمد بلنكو، والشيخ محمد عثمان بلال (مفتي حلب)، والشيخ محمد الملاح رحمه الله تعالى، والشيخ محمد درويش الخطيب أطال الله عمره، وغيرهم من كبار أهل العلم والفضل والصلاح والنبل.

ونرجو الله سبحانه أن يمده بمدده ومدد آبائه من رجال السلسلة العلية النقشبندية وآل بيت المصطفى ﷺ ليديم هذا النفع والفضل والخير في بيتهم وذرياتهم إلى يوم القيامة.

ما قاله شاعر أبيه وجده فيه:

وقد كانت مناسبة حجه الميمون، ففاضت على شاعر أبيه وجده الشاعر **صالح الحلبي المارعي** هذه الأبيات فقال مهنئاً:

اهنأ بحجـك قـد بلغـت السُّولا	إذ كنـت فيـه مباركـاً مقبـولاً
ودخلـت في كنـف الإلـه وأمنـه	فحبـاك ظـلاً مـن لدنـه ظليـلاً
فاشكر لربك مـا حييـت مترجمـاً	عما حبـاك مـن العطـاء جـزيلاً

هذي السعادة قلدتك وسامها شرفاً به لحق الفروع أصولاً
ودعتك للحرم الذي عكفت به الأملاك تدعو بكرةً وأصيلا
حرم به الرحمات تسبق سؤل من يبغي النوال ويبتغي المأمولا
حرم بنته يد الخليل وشاركت أيدي الخليل به يدا جبريلا
وحماه من شر الطغاة وصانه من كيد أبرهة وردَّ الفيلا
يا ليتني وثراه إثمد ناظري ويبيت جفني بالثرى مكحولا
وأطوف بالبيت العتيق مجودا ومرتلاً فيه الدعا ترتيلا
وأرى الصفا ما بين مروة والصفا شراب أنسي صافياً معسولا
وأشم من عرفات عَرَفاً شَمأَلاً وكأنني خامرت فيه شَمُولا
ويطيب لي عَلَلٌ بزمزم طيب فأطيب فيه وكنت قبل عليلا
أيتاح لي يوماً وأشفي غلتي وعيون حظي عنه أمست حولا
صبراً عسى ولعل أن ألقى المنى بمنى، وأنَّى لي ؟ وصبري عيلا
وعلام عيني عن معالم طيبة عمياء لم تر للوصول سبيلا
وإلامَ عنها مقلتي محجوبة لا تستطيع إلى المزار وصولا
ومتى أُلِمُّ بها وأَضرب خيمتي فيها وأبدأ في الثرى تقبيلا
وأشيم في تلك المعاهد بارقاً يجلو القذى عن ناظري ويزيلا
ولعينها الزرقاء أيمم تاركاً ماء الفرات لأهله والنيلا
وأقول للنفس المشوقة أشرقت شمس الأصيل فأطفئ القنديلا
أَ أُخَيَّ هل بلّغتَ طيبةَ شوقَ من أمسى بها مضنى الفؤاد نحيلا
وهل ادّكرت (صويلحاً) بمثوبة وبصالح الدعوات كنت مطيلا
وبسطت عذر مخلَّف أضحى لها يشكو البعاد مصفداً مغلولا
أواه لو أن الشباب يعود لي وتعاد فيه لي الليالي الأولى

أو أن هذا الشـيب يقبـل رشـوة ... وأظنـــه لا يقبـــل الـــبرطيلا
لرأيتني كـالطير يسـبح في الفضـا ... سـبحاً إلى (ذاتِ الستور) طُـويلا
وتقر عـيني عنـد رؤيتـها كمـا ... قـرّت بيوسـف عـين اسـرائيلا
وهنـاك أحظـى بالمسـرة والهنـا ... لم أذكـرن بعـد المقـام رحـيلا
وإلى الـديار فـلا أكـون مودعـاً ... يومـاً ولا عنـها أروم بـديلا
وإليـك يـابن أبي (نـزار) غـادةً ... زفت تحـاكي الكاعـب العطبـولا
عذراء مـا لسـواك فُـكَّ لثامهـا ... يومـاً ولا اتخـذت سـواك خلـيلا
تسـعى إليـك مشـوقة ويخيفهـا ... أن لا تـرى ممـن تحـب قبـولا
فاسمح وأَدِّيهـا الصِّـداق معجـلا ... وهـو القبـول فـلا أراك بخـيلا
كذبت عزيزة مصر يوسـفها وقـد ... صـدقت عزيـزةُ مـارع **إسمـاعيلا**
وصلاة ربي والسلام علـى الـذي ... بـالحق جـاء إلى الأنـام رسـولا
وعلى القرابة والصحاب ومن أتـى ... مـن بعـدهم هـادٍ لنـا ودلـيلا
ما أخلـص الحجـاج في دعـواتهم ... وغدا ابن مـارع بالـدعا مشـمولا

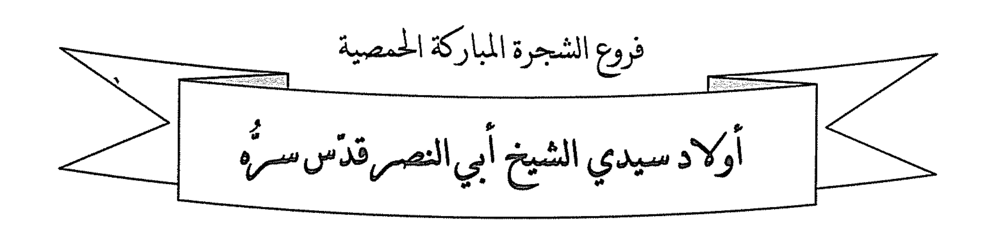
وكتب الشاعر في نهاية قصيدته ما يلي:

استقبل بها ابن شيخنا عبد الباسط وهو **الحاج إسماعيل** حفظه الله، وذلك عندما جاء من الأراضي الحجازية.

* ومن قصائده التي ألقاها في حفل مولد أقيم في مسجد قرية (دويبق) عام ١٤٠٥هـ الموافق ٢٦/ ٣/ ١٩٨٥، وكان يرعى الحفل الشيخ إسماعيل حفظه الله فقال المارعي:

جمـال فيـه تبتـهج الأنـامُ ... لَحَـقٌّ يُسـتَحقُّ بـه الهيـام
دهشـت بـه و لم أرَ مـن شـريك ... لـه بـين البـدور ولا يُشـامُ
يلـوح لنـا مـن **الحمصـي** نـور ... بنا، فعـذرْتُ مـن فيـه استهاموا
فقلـت لنفسـي اتخذيـه حِبـاً ... لـديك، وأبشـري حصـل المـرام

فـــتى مـــن آل بيـــت هـــاشمي … علـــى وجناتـــه منـــهم وســـام
زكي الأصل، مصـــدر كـــل فخـــر … نمـــت فيـــه المكـــارمُ والكـــرام
صـــدوق الوعـــد مثـــل أبيـــه … شهمٌ جـــوادٌ ماجـــدٌ نَـــدْبٌ هُمـــام
لقـــد ورث المفـــاخر عـــن جـــدود … لهـــم بالفضـــل قـــد شـــهد الأنـــام
تظـــن إذا دعـــوك لنيـــل بـــرٍ … علـــى راحـــاتهم هطـــل الغمـــام
فيـــا لهمـــوا وجـــوهٌ نـــيراتٌ … بهـــا تجلـــى المتاعـــب والخصـــام
أبـــا بشـــار، اجـــبر كســـر قلـــب … ظمـــيٍّ أب لـــه أنـــت، الغـــلام
فـــلا عجـــب إذا مـــا نبـــت عنـــه … وأنـــت وزيـــره وهـــو الإمـــام
كـــأنَّ أبـــاك وهـــو الآن حـــيٌ … وفي مقـــل العيـــون لـــه مقـــام
فســـرُّكَ ســـرُّه لازال ســـارٍ … بنـــا وكلاهمـــا الغيـــث الركـــام
فهل نخشـــى الضـــياع، وأنـــت راعٍ … لنـــا يقـــظٌ وكهـــف واعتصـــام
حبـــاك الله بالإنعـــام منـــه، وصـــا … حبَـــك الرضـــا والاحتـــرام
وزادك رفعـــة وعلـــو شـــأن … كما يعلـــو الســـها البـــدر التمـــام
فنحن على العهـــود كمـــا علمـــتم … يـــدأنا والوفـــا هـــو الختـــام
فقـــل للمـــارعي لقـــد قبلنـــا … قصـــيدتك الـــوجيزة والســـلام



أولاد سيدي الشيخ أبي النصر قدّس سرّه

أولاً- سيدي الشيخ كلال رحمه الله

(١٣٣٣- ١٣٨١هـ) (١٩٠٥-١٩٦١م)

ولد هذا السيد المفضال، والعالم الكامل، والبطل العامل، سيدي الشيخ كلال في حمص عام (١٣٣٣هـ-١٩٠٥م)، ونشأ في بيت والديه سيدي أبي النصر والسيدة حفيظة الأتاسي وتربى في أحضانهما وارتوى من آدابهما، وتقلب في بركاتهما، وكان هو الولد الأول والأكبر لسيدي أبي النصر، وتلقى علومه الأولية في مدارس حمص الابتدائية، ثم تلقى مبادئ العلوم الشرعية على مشايخ حمص، كالشيخ شاكر الحمصي، تلميذ مولانا سليم وأبي النصر، والشيخ فائق أتماز السباعي، ومن والده أيضاً، وحفظ المتون، ونشأ وترعرع في أحضان العلم والولاية، والجود والتقى، والمكارم والفضائل.

كان شهماً، مقداماً، كريماً جواداً، سخياً معطاءً، شجاعاً لا يخشى في الله لومة لائم، صحب والده في زياراته إلى مناطق سورية الشمالية والأخص في محافظة حلب وريفها والجزيرة، وأحبه أهلها في حياة والده وأحبهم، وأكرموه وعظموه، وصار له القبول عندهم وتعلقوا به لما فيه من صفات الشهامة والكرم والشجاعة، ونظراً لهذا الحب والتعلق، استأذن والده أن يقيم قريباً منهم في منبج، فأذن له.

وأقام في منبج وابتنى بها داراً وانتقل إليها عام (١٩٤٤م)، وكانت مركزاً للشيخ الوالد أثناء قدومه إلى تلك المنطقة، وتزوج الشيخ كلال السيدة حورية السباعي، وأنجب منها البنين والبنات، وكان أكبر أولاده:

١- **الشيخ أبو النصر**: الذي خلف والده في رعاية إخوان أبيه ومحبيه من بعده، وكان الشيخ أبو النصر جواداً كريماً، وفاضلاً تقياً، لكن المنية عاجلته وهو في منتصف عمره، فتوفي ودفن في منبج عام (١٤٠٩هـ-١٩٨٩م) ودفن بجانب والده، وترك أولاداً فضلاء وكرماء أكبرهم السيد **كلال** الذي أصبح خليفة والده من بعده على الإخوان والمحبين في تلك المنطقة التي تدين بالولاء والحب لهذا البيت المبارك، كما ترك ذرية مباركة من الذكور والإناث، هم السيد **سليم**، والسيد **غسان**، والسيد **وائل**، والسيد **حمزة**، حفظهم الله ورعاهم.

٢- ثم **السيد عبد النافع**: الذي توفاه الله سبحانه، وخلّف أولاداً طيبين محترمين، ودفن في منبج بجانب والده.

٣- **الدكتور مهاب**: حفظه الله الذي كان ولا يزال العين الساهرة والقلب الواسع، والروح الطيبة الناظرة لإخوانه وأولاد إخوته، والذي يلقى المحبة والتكريم والتوقير من كافة أفراد الأسرة خصوصاً، ومن الإخوة المحبين لهذا البيت عموماً، أمد الله في عمره وحفظه الله مع العافية واللطف. وله ولدان محترمان هما السيدان **عدنان ومازن**.

٤- ثم **السيد ماهر**: الذي توفاه الله سبحانه عام (١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م) أول العام رحمه الله ونور ضريحه ودفن في منبج بجانب والده.

ولم تطل الحياة لسيدي الشيخ كلال، فتوفي في منبج لعام (١٣٨١هـ-١٩٦١م) ودفن فيها في مقبرة سيدي عقيل.

ثانياً- سيدي الشيخ عبد الباسط "أبو نزار"

وهو واسطة عقد هذه العائلة الطاهرة المباركة، وخليفة أبيه على الإخوان من بعده، كما ذكرنا في ترجمته المفصلة، وقد أعقب ذرية طيبة مباركة من بنين وبنات، وكان أكبرهم سيدي الدكتور **نزار** حفظه الله ورعاه، الذي درس الطب في النمسا، ثم عاد في

حياة والده إلى الوطن، وهو الآن يعمل طبيباً في مدينة منبج.

ثم سيدي **فاروق** بارك الله فيه.

ثم **سيدي إسماعيل** خليفة والده على هذه الشجرة المباركة (الشجرة النقشبندية) وقد أفردنا له ترجمة مفصلة فيما سبق.

ثم سيدي **زياد** حفظه الله وعافاه، وقد كان آية في الذكاء والفطنة وابتلاه الله بمرض في طفولته، وقد سعى والده سيدي أبو نزار في علاجه كثيراً، ولكن الله سبحانه اختار أن يسلبه أعز ما يملك الإنسان، فصبر سيدي على الاختبار الرباني، وصبر وتحمل مرض ولده، وقام بعده بالولاية والرعاية عليه سيدي الشيخ إسماعيل أمد الله في عمره مع العافية.

ثم خاتمة الأولاد **سيدي غياث**، متع الله به مع التقوى وتمام العافية له ولكافة فروع هذه الشجرة المباركة.

ثالثاً- سيدي الشيخ عبد الرحيم، رحمه الله

وقد ولد ونشأ وترعرع في حجر والده المبارك، وتوفي ولم يعقب أولاداً، وكان يجلس مكان والده في الزاوية بحمص، ويدير الأختام النقشبندية نيابة عن والده في الجامع الكبير وجامع التركمان وجامع القصير، وقد توفي بحمص. رحمه الله.

رابعاً- سيدي الشيخ عبد المهيمن، رحمه الله

المتوفى (١٤١٣هـ) (١٩٩٣م)

وهو الولد الرابع لأبيه، وقد نشأ في حجر والده الشيخ أبي النصر، وتلقى الكمالات والفضائل من منبعها في بيت الكمالات، وتفقه وتعلم على يدي والده وشيوخ حمص، وسار على قدم والده، وكان يدير الأختام بغياب والده أيضاً، وبعد وفاة أخيه عبد الرحيم، ثم لما كبر أولاده وسكنوا حلب سكنها واتخذ فيها داراً، وكان مستمر الصلة بأخيه الشيخ

عبد الباسط رحمهما الله تعالى، وله أولاد فضلاء نبلاء، أكبرهم المحامي الأستاذ **ياسر**، وقد أنس به الإخوان والمحبون أيضاً، وكان شيخنا الشيخ إسماعيل يديم الصلة به ويزوره، إذ أنه الوحيد الذي بقي من أعمامه أولاد الشيخ أبي النصر، ولكن المنية عاجلته بعد أمراض شتى، فتوفي في حلب يوم (٢ شعبان ١٤١٣ هـ الموافق ١٦/٥/١٩٩٣م).

وكان على رأس المشيعين من علماء حلب ومن الإخوان المحبين الشيخ إسماعيل، والشيخ صهيب الشامي، ومفتي حلب الشيخ محمد بلال عثمان، والشيخ أديب حسون وجمهرة كبيرة من العلماء والأحباب، ودفن في مقبرة الصالحين التي دفن فيها أخوه من قبل شيخنا أبو نزار نور الله ضريحهما وقدس روحهما بالرحمة والرضوان.

خامساً- سيدي الشيخ عبد الكافي، رحمه الله

المتوفى (١٣٩١هـ) (١٩٧١م)

وهو أصغر أولاد الشيخ وكان يكنى بأبي فارس، وبقي في حمص يدير الختم الشريف في زاوية والده الشيخ أبي النصر، ويرعى الإخوان الذين كانوا يحضرون في الزاوية ليلة الجمعة لإقامة المولد النبوي الشريف وعلى رأسهم الشيخ أحمد الكعكة، ويقوم بإدارة الزاوية وتقديم القهوة - على سنن والده - للإخوة والأحباب حتى توفاه الله سبحانه في حمص عام (١٣٩١هـ) ودفن فيها، وأعقب أربعة ذكور وست إناث، أكبر الذكور هو **فارس**، ثم **عبد الحفيظ**، ثم **محمد سليم**، ثم **عبد الحكيم**.

سادساً- كريمات سيدي أبي النصر

أما كريمات سيدي أبي النصر فهن:

* السيدة بدرية: وكانت زوجة صالحة، وأماً مربية، وفاضلة كريمة، تزوجها الشيخ

محمود أتماز السباعي الذي أخذ الطريق عن سيدنا سليم، ثم أكمل تربيته في الطريق لدى شيخه وعمه أبي النصر، وقد أفردنا له ترجمة مستقلة.

* والسيدة صفية: وهي تقية صالحة ذاكرة تزوجها أحد أبناء الأتاسي في حمص وأعقبت ذكوراً وإناثاً.

* والسيدة أميرة: أمدَّ الله في عمرها، تزوجت من الحاج يوسف حموية رحمه الله، ولها أولاد صالحون فضلاء أكبرهم السيد سلمان، ولا تزال هي بركة هذا البيت المبارك، يقصدها المحبون من الإخوان والأخوات يلتمسون دعاءها وبركتها، وتقوم بمهمة ونشاط بجمع المؤمنات على الله سبحانه وذكره أمد الله في عمرها وعافاها.

وقد أكرمني الله بزيارتها والتماس دعواتها، وأخرجت لي ثوب جدها مولانا (سليم) وحزامه (الشال العجمي) وتبركت به والحمد لله، عام ١٤٢٣ هـ بمناسبة عيد الفطر السعيد.

وقد توفيت إلى رحمته تعالى في حلب يوم السبت ٢٢ ربيع الآخر ١٤٢٧هـ الموافق ٢٠٠٦/٥/٢٠، وحضرنا جنازتها. رحمها الله ونوّر ضريحها.

٢- من آل عيون السود:

١- الشيخ الفقيه والعالم المتواضع

الشيخ محمد علي عيون السود

المتوفى (١٣٧١ هـ) (١٩٥١ م)

نشأته وهيئته: هو العالم الفقيه، والمتواضع النبيه، الزاهد في الدنيا المقبل على الآخرة، الشيخ محمد علي بن عبد الغني عيون السود المولود في حمص.

ومما كتبه عنه في ثبته الشيخ محمد علي مشعل: (هو من تلاميذ أخيه الشيخ عبد الغفار عيون السود وهو شبيه بالشيخ عبد القادر خوجه في الخلق واللباس، فعمامته من أجمل العمائم، وجبته كذلك، ولباسه الداخلي متواضع جداً، وكان شيخي ووالدي، وهو فقير بالمال غني بالقلب والحال، لم يجدد ثيابه طوال دراستي في دار العلوم الشرعية.

وهو مدرس الفقه الحنفي وأصوله، وكان له أسلوب في التدريس يفوق كل أسلوب، يستفيد منه قليل الذكاء وضعيف الفطنة، وكان محبوباً جداً لدى الطلاب، وكان عضواً في جمعية العلماء، ويرجع إليه العلماء في المعضلات.

كان عالماً عظيماً؛ درَّسَنا الفقه الحنفي وأصول الفقه، ودرَّسَنا النحو أيضاً، كان ذا خلق حسن مهاباً، وكان يدرس بهدوء والطالب البليد في درسه سعيد، وكل الطلاب يفهمون عليه. وقد تلقى الذكر والطريق النقشبندي عن الشيخ أبي النصر قدس الله سره العزيز. وله أربعة أولاد هم: عبد اللطيف وعبد العزيز ومحمد نور وأحمد، وكلهم طلاب علم). اهـ منه.

وذكر في مقدمة تفسير الرياض النضرة للشيخ عبد الغفار عيون السود رحمه الله أن الشيخ

محمد علي كان من تلاميذ أخيه الشيخ عبد الغفار، وقد توفي عام ١٣٧١هـ الموافق١٩٥١م.

٢- الشيخ عبد اللطيف بن الشيخ محمد علي عيون السود:

كتب عنه الشيخ محمد علي مشعل في ثبته: (طالب علم تقي مستقيم، وهو من طلاب العلم الشرعيين، وقد اشتغل بالدكان، ودكانه على شكل دكان الشيخ عبد القادر الخوجة، وبيته وأولاده كلهم من أهل الاستقامة والتقوى). ومما حدثني عنه قال:

هو أكبر أولاد شيخنا محمد علي عيون السود، وهو من طلبة العلم لكنه لم يكن بارزاً ومشهوراً كأخيه الأصغر الشيخ عبد العزيز، وهو ممن تلقى الطريق عن شيخنا أبي النصر. اهـ.

ولا زال على قيد الحياة وعمره الآن حوالي ٩٥ سنة تقريباً كما أفادني الشيخ محمد فيصل الدروبي حفظه الله عام ٢٠٠٣.

٣- الشيخ عبد العزيز بن الشيخ محمد علي عيون السود:

وهو الثاني من جهة السن ولكنه الأول عند والده وعند الناس (وأفردنا له ترجمة مستقلة مفصلة) وستأتي.

٤- الشيخ محمد نور بن الشيخ محمد علي عيون السود:

وهو من طلاب العلم الشرعيين ومن حفظة القرآن الكريم، وقد توفي بعد فترة ليست بطويلة في المدينة المنورة ودفن بالبقيع عليه رحمة الله تعالى، وأفادني أستاذنا الشيخ محمد علي مشعل أن الشيخ محمد نور لما جاء إلى المدينة جلس في الحرم يقرأ للحفظة، وقد تلقى الطريق النقشبندي عن شيخنا أبي النصر رحمه الله تعالى.

٥- الشيخ أحمد بن الشيخ محمد علي عيون السود:

وهو من طلبة العلم أيضاً (كما ذكر ذلك الشيخ محمد علي مشعل في ثبته)، وما أفادني به أن الشيخ محمد علي عيون السود وأولاده تلقوا الذكر والطريق عن الشيخ أبي النصر قدس سره العزيز.

٦- العالم الفاضل

الشيخ نجيب بن عبد الغني عيون السود

هو العالم الفاضل والتقي الصالح، الشيخ نجيب بن عبد الغني عيون السود المولود في حمص والمتوفى فيها، وهو أكبر أولاد أبيه عبد الغني، وهذه العائلة من مفاخر عوائل حمص، ومن مشاهير علمائها، فأولاد السيد عبد الغني كلهم علماء، إذ هم أربعة، أكبرهم الشيخ نجيب، ثم الشيخ عبد الغفار، ثم الشيخ محمد علي (وقد تقدمت ترجمته أعلاه)، ويليهم الشيخ عبد الله، وكذلك أولادهم.

والشيخ نجيب ممن تلقى الطريق النقشبندي عن الشيخ سليم خلف قدس سره، وله ولدان عبد الغني، وعبد الرزاق، أما ولده عبد الغني فهو الوحيد من أولاد الشيخ نجيب الذي طلب العلم، وكان إماماً في مسجد من مساجد حمص (وهذا مما أفادني الشيخ محمد علي مشعل).

٧- الشيخ عبد الله بن عبد الغني عيون السود:

(المتوفى سنة ١٣٩٢هجرية، ١٩٧٢م)

وهو العالم التقي، والذاكر الخفي، الشيخ عبد الله بن عبد الغني عيون السود، المولود في حمص والمتوفى فيها، وهو رابع أولاد أبيه وكان إماماً وخطيباً وعالماً فاضلاً من علماء حمص، وتلقى الطريق عن الشيخ أبي النصر (كما أفادني الشيخ محمد علي مشعل).

وذكر في مقدمة تفسير (الرياض النضرة) أن الشيخ عبد الله كان من تلامذة أخيه الشيخ عبد الغفار، وكان فقيهاً فرضياً نحوياً، توفي عام ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م.

٨- العالم الكبير والفاضل الشهير

الشيخ عبد الغفار بن عبد الغني عيون السود

(١٢٩٣-١٣٤٩ هـ) (١٨٧٦-١٩٣٠ م)

وهو شيخ شيوخ حمص، وأستاذ الأساتذة فيها، وقد أدرك مولانا الشيخ سليم خلف قدس سره وتلقى عنه الطريق والذكر النقشبندي.

كتب الشيخ محمد علي مشعل عنه في ثبته: هو أقدم من الشيخ طاهر الأتاسي، ولم يكتب لي لقاء به حيث توفي وأنا صغير جداً. ومما شافهني به أستاذنا الشيخ محمد علي مشعل أنه أدرك وفاته بحمص، وقدم مع والده الشيخ محمد مشعل من (تلدو) إلى حمص لحضور جنازته، التي خرجت فيها حمص لتشيع جثمانه.

وكتب: وترك مؤلفاً يدل على علمه وفضله وهو (الرياض النضرة في تفسير سورة الفاتحة والبقرة)، وهو نادر المثال يدل على سعة علمه وعظيم فضله، ويندر أن يؤلف مثله. ورأيي أنه يجب العناية بهذا الكتاب وطبعه ونشره حيث فيه فوائد عظيمة. (وقد أفادني أستاذنا الشيخ وصفي مسدي أن هذا الكتاب طبع مؤخراً).

ولم يخلف الشيخ طالب علم يرجع إليه، فابنه **عبد الرزاق** طالب علم ولا يأكل إلا من كسب يده، وتوفي في حمص دون أن يتزوج رحمه الله تعالى. وكان من المداومين على حضور الختم النقشبندي عند الشيخ أبي النصر في الجامع الكبير.

وأما **فوزي** فطالب علم إلا أنه لم يسلك طريق والده، و**عبد البر** توفي دون أن يتزوج.

ومن الذي يثير الأسى أن يغلق العلم في هذا البيت، إلا أنه بلغني أن الأستاذ فوزي عازم على طبع كتاب الرياض النضرة. اهـ.

كما أفادني الشيخ محمد علي بأنه كان عند الشيخ عبد الغفار احترام كبير لشيوخ الأتاسية، لأنهم وصلوا إلى أعلى الدرجات العلمية.

أقول: وقد رأيت له أيضاً رسالة صغيرة ذات علم غزير في مكتبة والدي واسمها (رفع الأوهام عن مسألة القراءة خلف الإمام) وذكر فيها مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان في مسألة القراءة، وجاء بالأدلة المفيدة حول هذا البحث، كما ذكر فيها مسانيد الإمام الأعظم أبي حنيفة في الحديث وعددها (١٨مسنداً) ودفع الوهم عمن يقول بعدم استناد مذهبه إلى الحديث.

وكتب إليَّ الأستاذ المؤرخ محمد غازي حسين آغا بترجمته من كتابه المُعد للطبع عن (علماء حمص وأعلام حمص في ظل الخلافة العثمانية) ما يلي:

- **الشيخ عبد الغفار بن الشيخ عبد الغني عيون السود الشيباني.** (معاصر للشيخ سليم وولده الشيخ أبو النصر خلف. ولد في مدينة حمص سنة ١٢٩٣هـ ـ ١٨٧٦م. كان يسمى أعلم العلماء، وأفقه الفقهاء، ورائد المفسرين وشيخ المحدثين.

كان فقيهاً حنفياً يُقصد في أدق المسائل، وكان يدرِّس في الجامع النوري الكبير حيث يجتمع في حلقته الكبار من العلماء والطلاب في مدينة حمص وغيرها من مدن بلاد الشام، فكان يتلو آية من القرآن الكريم ويفسرها وطلابه يكتبون ما يقوله بدون مراجعة أو تنقيح نظراً لحسن نطقه وفقه عبارته ثم يرسل هذه الدروس إلى المطبعة وهكذا حتى أتم تفسير سورتي الفاتحة والبقرة في ثلاثة مجلدات (الرياض النضرة في تفسير سورتي الفاتحة والبقرة).

وقام بطبعها أخوه العَلَم الشيخ محمد علي والشيخ عبد الله عيون السود، والعلم الشيخ عبد القادر الخوجه، والشيخ عبد الجليل مراد، ولو أتم طلابه نقل هذه الدروس لحق له أن يكون من التفاسير القيمة. وكان إلى جانب هذا يُدَرِّس صحيح الإمام البخاري رحمه الله بالسند عن الشيخ خالد الأتاسي المفتي.

وقام رحمه الله بتأسيس جمعية علمية أو ما يشبه الرابطة، وكان أعضاؤها صفوة من علماء حمص الأفاضل، وكانت هذه الجمعية (أسبوعية) متنقلة في بيوت أعضائها حيث

يقرؤون أمهات كتب الفقه ويراجعون المسائل المعضلة ويتداولون ما يجري في مدينة حمص من أمور تستحق الدراسة والنظر فيها. ومن جملة أعضائها أخوه الشيخ مُحمد نجيب، والشيخ محمد علي عيون السود، والشيخ عبد القادر الخوجة، والشيخ محمد سعيد حسين آغا، والشيخ محمود السباعي، والشيخ محمد فائق أتماز السباعي، وأخوه الشيخ عادل أتماز السباعي، والشيخ عبد الكريم السباعي، والشيخ عبد الغني عيون السود، وانضم إليهم مؤخراً الشيخ طاهر الرئيس، والشيخ سعيد الحافظ، وغيرهم من كبار علماء مدينة حمص.

توفي سنة ١٣٤٩هـ ١٩٣٠م.

– **ملاحظة:** أجاز جدي الشيخ محمد سعيد آغا وقد ذكرتها لكم في ترجمته، وجدي أجازه في قراءة مؤلفات الإمام الشعراني رحمه الله عن القطب الشيخ سليم خلف قدس الله سره بالسند المتصل.

أقول: وأثناء تصحيح تجارب طبع الكتاب أهداني فضيلة عمنا الشيخ عمر ملاحفجي نزيل المدينة المنورة نسخة من كتاب (الرياض النضرة) الذي طبع في جدة عام ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م في جدة بعناية محمد عبد الرحمن عيون السود بن الشيخ عبد العزيز رحمه الله، وقد كتبت في مقدمة الكتاب ترجمة للشيخ المؤلف جاء فيها ما يلي:

مؤلف الكتاب: أبو عبد الرزاق، عبد الغفار بن عبد الغني بن دامس بن عبد المنعم بن زكريا الشهير (بابن عيون السود) بن باكير الشيباني المكي.

ولد في عائلة معروفة بالتدين، برز فيها علماء أجلاء، أدباء وساسة، في مدينة حمص في سورية عام ١٢٩٢هـ الموافق١٨٧٥م، وتوفي فيها بعد مرض استغرق السنوات الأربع الأخيرة من عمره ١٣٥٠هـ الموافق ١٩٣٠م، عن ٥٥عاماً، ودفن في الكثيب الأحمر في حمص.

كان (كما سمعت من والدي الشيخ عبد العزيز) حاذق الذهن، كريم الفطرة، غزير العلم، يتقد ذكاءً، لا يكاد يسمع أو يقرأ شيئاً إلا حفظه، وكان في طليعة العلماء الكبار الغُيّر على الإسلام، وكان أثره الكبير في طلبة العلم خاصة، ثم في الناس عامة، وكان محلاً

لثناء كبار علماء حمص الذين عرفوا فضله وصلاحه وخلقه.

وكانوا يصفونه بأنه صاحب الدرجة العالية في التحقيق والتدقيق، ويلقبونه بالأستاذ الكبير، والمحدث الشهير، والفقيه اللوذعي الأريب، والعالم الثبت الذي انتهت إليه رئاسة المذهب الحنفي في عصره.

ثم ذكر تلامذته ومنهم أخواه الشيخ محمد علي والشيخ عبد الله (ومرَّ معنا ترجمتهما آنفاً) والشيخ العلامة المحدث المرشد الشيخ محمد أبو النصر بن الشيخ سليم الخلف، والشيخ عبد العزيز عيون السود، والشيخ عبد الجليل مراد وغيرهم..

ثم **ذكر أولاده**: وذكر بعضاً مما ترجمه ولده الأستاذ فوزي ووقوفه الحازم ضد الاستعمار الفرنسي وازدراؤه لقوادهم.

وذكر **آثاره العلمية** سوى كتاب الرياض النضرة وهي:

شرح سنن أبي داود في تسعة أجزاء بخط يده على ورق كبير، ورسالة دفع الأوهام عن مسألة القراءة خلف الإمام.

كما كان له فتاوى دونها في حياته، ورسائل كثيرة وإجازات فُقدت كلها.

وكتاب مبادىء فن الميقات، لا زال مخطوطاً أيضاً. ذكره ولده الأستاذ فوزي وهو بحوزته.

وقد ذكر هذان الأستاذان لوالده كثيرً من التهميشات والتعليقات على كتبه التي باعوها نزولاً على دواعي مقتضيات العيش، وقد حرمنا بيع المكتبة من فرصة مطالعة هوامشه ووضعها في متناول دراسة الباحثين المعنيين. اهـ من مقدمة الرياض النضرة باختصار.

٩- العالم المدقق والفقيه المحقق، العارف الرباني

الشيخ عبد العزيز بن محمد علي عيون السود

(١٣٣٥-١٣٩٩ هـ) (١٩١٦-١٩٧٩ م)

هو العالم الفقيه، والقارىء الجامع، والصوفي الذائق، والكريم المضياف الشيخ عبد العزيز ابن الشيخ محمد علي عيون السود، سليل العلم والفضل.

ولد في حمص عام ١٣٣٥هـ/ ١٩١٦م.

حدثني عنه أستاذنا الشيخ محمد علي مشعل فقال: هو الولد الثاني لشيخنا محمد علي، وقد كان متعبداً صالحاً ومقبلاً على الذكر والأوراد، وكان على جهة عالية من التقوى والنُّسك، وقد أصيب بمرض السل في صغره، فكانت هذه العلة سبباً لأن يحفظ القرآن الكريم، فأتقنه حفظاً وتلاوة، ثم تلقى القراءات شيئاً فشيئاً بطرقها العشرة من طريق الطيبة، والشاطبية والدرة، كما تلقى القراءات الأربعة الشاذة أيضاً وصار من كبار علماء القراءات في العصر.

وكان يتولى منصب أمين فتوى حمص، وله آثار علمية لم تطبع بعد، وعرضها علينا، وقد وصل رحمه الله إلى درجة شيخ القراء في العالم الإسلامي.

ومن تلامذته في القراءات:

١- **الشيخ تميم الزعبي:** وهو الآن في المدينة المنورة، ومجاز من كبار قراء العالم الإسلامي، وينطبق عليه لقب شيخ قراء العالم الإسلامي.

٢- **الشيخ سعيد العبد الله:** شيخ قراء حماة، وقد أخذ عنه القراءات السبعة، ودرس عليه العشرة وأجازه الشيخ عبد العزيز بها.

٣- **الشيخ أيمن سويد** حفيد العلامة الشيخ أمين سويد، وقد أجازه الشيخ عبد العزيز تسجيلاً (بواسطة آلة تسجيل) بالقراءات العشرة من طريقي الدرة والطيبة والشاطبية، وقد سمعنا مع بعض العلماء في المدينة المنورة صوت الشيخ عبد العزيز وهو يقول في المسجل: أجزت الشيخ أيمن سويد بالقراءات العشرة، وشهدنا ووقعنا أن هذا صوت الشيخ عبد العزيز. اهـ.

كما تفضل الشيخ محمد علي مشعل وأعطاني ثبته الذي ترجم فيه لعلماء حمص وفيما يلي ما كتبه عنه:

الشيخ عبد العزيز عيون السود: وهو الثاني من جهة السن (لأولاد الشيخ محمد علي) ولكنه الأول عند والده وعند الناس، وكان يعتني به والده، حفظ القرآن مبكراً وأصيب بمرض السل والتحق بالمصح فترة لكنه كان مقبلاً على القرآن والعلم. وبعد تخرجه من دار العلوم (بحمص) تلقى القرآن عن شيوخ القراء، فأجيز من الشيخ عبد القادر قويدر العربيني بالعشرة من طريقين: الطيبة والشاطبية والدرة، ثم أجيز من شيخ قراء مصري زاره في بيته في حمص، وأقام عنده حتى تمت إجازته، ثم من الشيخ محمد علي الضباع (المصري).

وهنالك قصة طريفة، فالشيخ عبد العزيز كان يحج كل عام، ومرة كان هو ووالده الشيخ محمد علي في الحج، فاستأذن والده - وكانا بمكة - أن يذهب إلى مصر للتلقي من الشيخ محمد علي الضباع، شيخ القراء في مصر، فقال له والده: اصبر إلى الغد. وفي الغد سمح له بالسفر فذهب على غير ميعاد، فاستقبله الشيخ الضباع إلى باب البيت وهو لا يعرفه أبداً وبمجرد لقائه سأله عن والده، الشيخ محمد علي وكان لا يُدخل على الضباع إلا بإذن، لكنه في هذه المرة قال لمن حوله: جاءنا ضيف، وخرج إلى الباب واستقبله وأدخله وسأله عن والده الشيخ محمد علي عيون السود.

وفهمت أن والده الشيخ محمد علي عيون السود رأى رسول الله ﷺ في المنام وقال له: اسمح له بالذهاب إلى مصر حتى يحظى بالشيخ الضباع، ورأى الشيخ الضباع في المنام الرسول ﷺ وذكر له أن الشيخ عبد العزيز جاء لزيارته من مكة، وهكذا تم اللقاء.

وأجيز الشيخ عبد العزيز، وأصبح فيما نعلم شيخ القراء في العالم الإسلامي ليس في حمص ولا في سورية بل في العالم الإسلامي. وكانت له صلة كبيرة بدمشق، وكان صديقاً للسيد محمد المكي الكتاني، والسيد المنتصر الكتاني، وللشيخ منلا رمضان، ولسائر علماء دمشق.

وقد سافرنا معه، ومعنا الشيخ وصفي مسدي والشيخ أبو السعود عبد السلام، والشيخ عبد الفتاح مسدي إلى الكويت ثم السعودية، والتقينا بالسيد المنتصر الكتاني، وأخذ لنا موعداً مع الملك فيصل رحمه الله والتقينا به.

وقد أجيز من قبل الشيخ عبد العزيز عدد من القراء، كما كان عضواً في جمعية العلماء بحمص. اهـ منه.

ترجمته في مجلة حضارة الإسلام:

وقد نشر الشيخ محمد علي مشعل ترجمة له في مجلة حضارة الإسلام التي كانت تصدر بدمشق بعددها الأول لسنتها العشرين بتاريخ ربيع الأول ١٣٩٩شباط ١٩٧٩ تحت عنوان **رجل فقدناه**، ومما جاء في المجلة نقتطف ما يلي:

وفي صباح يوم السبت ١٣ صفر الخير ١٣٩٩ و١٣ كانون الثاني ١٩٧٩م أصيبت حمص مدينة ابن الوليد وسورية والعالم الإسلامي بموت عالم رباني هو الشيخ عبد العزيز عيون السود عن عمر يناهز الستين، قضى هذا العمر في العلم والتعليم والدرس والتدريس، فهو قدوة للعاملين المخلصين، ومنارٌ للأجيال في طريق الحق المبين. والعلماء العاملون يحيون بعد موتهم أو استشهادهم بذكرهم ومآثرهم وآثارهم.

نشأته وشيوخه: ولد في حمص عام ١٩١٦ في أسرة عريقة في العلم والفضل، فآل عيون السود معروفون بحمص بالتقى والعلم، فجده الشيخ عبد الغني عيون السود من العلماء، وعمه الشيخ عبد الغفار عيون السود شيخ مشايخ حمص المشهورين، وهو علم من أعلام الفقه، ودان له علماء عصره، وفقهاء زمانه، وهو علم من أعلام تفسير القرآن والحديث، وكتابه (الرياض النضرة في تفسير سورتي الفاتحة والبقرة) زاد العلماء والوعاظ، وكنز الموجهين والمربين، يذكر فيه أصح التفاسير عن علم وفهم ودراية ورواية، ويستشهد

بالأحاديث ويخرجها ويشرحها، ويذكر آراء الفقهاء فيها بعيداً عن التطويل الممل والاختصار المخلّ.

وقد تلقى (الشيخ عبد العزيز) عن الشيخ عبد الغفار، والشيخ عبد القادر الخوجة، والشيخ طاهر الرئيس، والشيخ عبد الجليل مراد، والشيخ محمد علي عيون السود وغيرهم.

ووالده الشيخ محمد علي عيون السود عالم عظيم، وهو أستاذ أصول الفقه والفقه.

كما تلقى (الشيخ عبد العزيز) العلم في دار العلوم الشرعية التابعة للأوقاف عن العلماء الفضلاء، الشيخ زاهد الأتاسي، والشيخ أنيس كلاليب، والشيخ محمد الياسين، والشيخ أحمد صافي، والشيخ محمد علي عيون السود والده، وتخرج عام ١٩٣٦م.

علومه: أصابه مرض قطعه عن الناس، فحفظ القرآن الكريم، وكان يطبق العلم بالعمل، وكان يتمثل الإسلام إيماناً وعبادة ومعاملة وخلقاً وسلوكاً، فأعطاه الله علماً يزيد على المكتسب، ومنحه قلباً نيراً وفيضاً غزيراً. وهذا أمر يجب على طالب العلم ألا ينساه، فمن عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم ﴿واتقوا الله ويعلّمكم الله﴾، (ولو خفتم الله حق خيفته لعلمتم العلم الذي لا جهل معه).

كان كثير التلاوة للقرآن في الصلاة، وكان يديم التهجد قبل الفجر، ويحيي ما بين المغرب والعشاء، ويحيي ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس، ويحرص على تطبيق السنة في عبادته وأكله وشربه ونومه وكل تصرفاته، ويحرص على صلاة الضحى، وكان كثير الصلاة على النبي ﷺ، وكثير الزيارة للصالحين، طلباً للحصول على السعادة عملاً بقول النبي ﷺ: (هم القوم لا يشقى بهم جليسهم)، وكان يرى النبي ﷺ في المنام أكثر الليالي، وكان وقوراً مهاباً، من رآه لأول وهلة هابه، ومن خالطه عن قرب أحبه.

علوم القرآن: تلقى القراءات السبع من طريق الشاطبية عن الشيخ سليمان الفارسكوري المصري، ثم حفظ الدرة والطيبة، ونزل إلى دمشق فقرأ على الشيخ محمد سليم الحلواني شيخ القراء في دمشق وقتئذ، وأخذ عنه القراءات العشر من الشاطبية والدرة.

ثم رحل إلى الديار الحجازية حاجّاً في خدمة والده، وحفظ (الفوائد المعتبرة في

القراءات الأربع الزائدة على العشرة). وقرأ في مكة المكرمة بعد الحج على الشيخ أحمد حامد التيجي شيخ قراء الديار الحجازية القراءات الأربع عشرة بمتن الشاطبية والدرة والطيبة والفوائد المعتبرة. ثم استأذن والده للذهاب إلى مصر وتلقى القراءات عن شيخ عموم المقارئ المصرية محمد علي الضباع، فأذن له ورحل إليه، وقرأ القراءات الأربع عشرة من طريق الشاطبية والدرة والطيبة والفوائد المعتبرة. كما وتلقى عنه المقدمة في التجويد لابن الجزري، ومنظومتي (عقيلة أتراب العضائد) و (ناظمة الزهر) كلاهما للإمام الشاطبي في علم الرسم والضبط والآي. وقد أجازه كل منهم وهم علماء القراءات في العالم الإسلامي.

وبينه وبين النبي ﷺ ستة وعشرون رجلاً كل منهم مشهور بشيخ قراء زمانه، مشهود له بالتحقيق والتدقيق، وهذا إسناد لا يوجد اليوم في الدنيا أعلى منه ولا أقرب منه إلى النبي ﷺ، وهذا الأستاذ مفخرة الأمة الإسلامية، وله الميزة التي فضله الله بها على سائر الأمم، والخصوصية التي خصه الله بها.

وكان الشيخ رحمه الله تعالى مع ذلك كله عالماً بالتفسير ومحققاً، وله تحقيقات وأبحاث لها شأنها واستنباطات خاصة في الفتن والملاحم وعلامات الساعة الصغرى والكبرى، وعسى أن تنتشر في مدينة حمص بعد نشر هذه الإجازات، وقد أصبح شيخ القراءات في العالم الإسلامي كله دون منازع، وعرف فضله شيوخ القراءات فاعترفوا له بالسبق رواية ودراية وبالنطق.

وافتتح دار الإقراء بحمص، وأخذ عنه الكثيرون علوم التجويد ومخارج الحروف، والقراءات والرسم والآي، وأجاز بالقراءات السبع عن طريق الشاطبية، والقراءات الثلاث فوق السبع من طريق الدرة، للشيخ عبد الغفار الدروبي، وقد تلقى عنه الشيخ سعيد العبد الله شيخ قراء حماة الذي يقوم على دار الإقراء بحماة الآن في جامع الدلوك القراءات الثلاث فوق السبع بمضمن الدرة والقراءات السبع بمضمن الشاطبية عن طريقه وأجازه.

وقد أجاز المحدث النعيمي الجزائري الذي وفد خصيصاً من الجزائر للقراءة على الشيخ

عبد العزيز، وتلقى عنه القراءات الأربع عشرة من طريق الشاطبية والدرة والفوائد المعتبرة، وقرأ عليه الشيخ محي الدين الكردي (الدمشقي) ختمة كاملة لورش من طريق الأصبهاني من طريق الطيبة فأجازه. وقرأ عليه آخرون وأجازهم.

علوم الحديث: له باع في علم المصطلح وفي قواعد الجرح والتعديل، وحفظ الكتب الستة والمسلسلات، وأجيز من قبل النعيمي الجزائري المحدث، وعنده إجازات في رواية بعض الأحاديث.

علم أصول الفقه والفقه: تلقى هذا العلم من منابعه الأصلية بالسند المتصل بأبي حنيفة النعمان، حيث عمه الشيخ عبد الغفار ووالده الشيخ محمد علي وشيخه الشيخ عبد القادر خوجة، فقهاء بالتلقي، منهم في أعلى مرتبة، دراية ورواية، وكان الشيخ عبد العزيز يشبههم إلى حد بعيد حتى في لباسه، والهيئة والأسلوب، والخلق والسلوك، والتحقيق والتدقيق، وكان متمكناً يُرجع إليه في الفتوى وحل المعضلات.

وقد أصبح من أعلى المراجع في حمص في هذا الميدان، يجله علماء حمص ويشار إليه بالبنان في سورية والعالم الإسلامي كله، وله اطلاع واسع لا ينكر في علوم اللغة العربية، ومحفوظاته ثلاثة عشر ألف بيت من الشعر في العلوم كالشاطبية والألفية.

علم التوحيد: كان دقيق التعبير عن عقيدة السلف يميل إلى الأخذ دوماً بطريق الفطرة عن الكتاب والسنة بعيداً عن التعقيد، ويكره إدخال العامة في أبحاث المتكلمين.

تحفظه في الفتوى: كان متحفظاً كثيراً، وإذا سأله طالب علم مسألة، أرشده إلى مطالعتها في كتاب، وكان قوي الحجة حاضر البديهة، سريع الإجابة بالدليل، حنفي المذهب، عليماً بمذهبه أدلة وأحكاماً، مطلعاً على بقية المذاهب ويحب الرجوع إلى ذوي الاختصاص.

أخلاقه: جمع مع العلم التواضع للعلماء والمعلمين، والبساطة في المأكل والمشرب والمجلس، كان حسن المعاشرة حسن الصحبة، يهتم بجلسائه ومرافقيه وتلاميذه، ويعتني بهم ويحسن رعايتهم.

كان باراً بوالديه وأعمامه محترماً موقراً، حريصاً على خدمتهم والرفق بهم، وعلى الرغم

من مرضه فقد كان بنفسه ممن يغرس في قلب من يراه بر الوالدين عملياً، وكان يكثر من زيارتهم بعد الممات ويذكرهم دوماً مع الاحترام والتوقير، وكان باراً بشيوخه، وحسن الخدمة لعلماء عصره، يحرص على رضاهم، ويزور من يظهر فيه الصلاح والخير.

وكان قليل المزاح وإذا مزح لا يقول إلا حقاً، وكان كثير الذكر كثير الصلاة يحافظ على الصلوات في أوقاتها، ولا يصلي إلا جماعة، وقد نقل عنه الثقات أنه لم يُصلِّ منفرداً ألبته لا في سفر ولا في حضر.

وفي ليلة وفاته أتم صلاته قبل النوم ونام، إلا أنه أحس من حوله بتعبه، وقام للتهجد كعادته وتوضأ ثم بدأ الصلاة ومات وهو في الصلاة في الساعة الرابعة قبل الفجر وهذه منحة عظيمة.

وإنا لنرجو الله سبحانه أن يجمعنا به في مستقر رحمته مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ومع العلماء العاملين. اهـ من الحضارة.

أخذه الطريق عن الشيخ أبي النصر:

وقد حدثني الشيخ محمد علي مشعل، أنه تلقى الطريق النقشبندي والذكر عن شيخنا أبي النصر، وكان يحافظ على الأذكار والأوراد ولا يتركها، كما يحافظ على حضور الختم الشريف.

وقد أعطى الشيخ أبو النصر إجازاته في الطريق كلها للشيخ عبد العزيز رحمهما الله تعالى.

أقول: وقد أكرمني الله سبحانه عام ١٩٧٤ بزيارة الشيخ عبد العزيز في بيته في حمص مع عمي فضيلة الشيخ محمد سعيد المسعود مفتي الباب رحمه الله وأضافنا الشيخ ليلتها في حمص في منــزله العامر، وبجانبه مسجده وبتنا ليلتها لديه، وتمتعنا بكرم أخلاقه وضيافته وحسن لقائه، وقد كان العم جاءه من أجل حاجة لذى قريبه الأستاذ محمد فوزي عيون السود في دمشق وتم قضاؤها والحمد لله تعالى.

وكما زرناه مرة أخرى أنا وأخي عبد الله في مسجده رحمه الله تعالى.

وقد ترجم له في كتاب علماء دمشق من صفحة ٩٤٢ إلى٩٤٥ نقلاً عن مقالة الشيخ محمد علي المنشورة في الحضارة أعلاه وعن تلميذه السيد عدنان المجد ونقتطف منها ما لم يذكر أعلاه وهو ما يلي:

وهو من أعلام العلماء إذا تحدث بينهم كان له قدره وجلاله، يجذب إليه الجالس بكلامه، وقد حدثوا في هذا الشأن أنه التقى في إحدى المرات مع شيخ الأزهر الدكتور عبد الحليم محمود، وضم المجلس نائب رئيس الجمهورية، وتطرق الكلام إلى أحاديث يوم القيامة وأخبارها، ففصل صاحب الترجمة في الموضوع، وتناول مستقصياً ما قاله العلماء، وأدلى بدلوه، فأثار إعجاب الحاضرين وعجبهم. فلما مضى سأل شيخ الأزهر نائب رئيس الجمهورية: كيف رأيت الشيخ ؟ قال: لقد ملك علي نفسي.

أحب النبيَّ ﷺ وآل بيته واحترمهم، وأنزلهم في نفسه منـــزلة شريفة عزيزة، وكان يرى النبيَّ ﷺ في أغلب لياليه.

بقي أن نسوق ما نقل عارفوه عن كرمه الذي كان قليل النظير، فقد كان محباً للضيوف يكرمهم ويتولى شؤونهم، وبنى لهم غرفاً متصلة بمنـــزله ليؤمن لهم راحتهم، وقد ينـــزل به الضيف ومعه زوجته وأولاده، فجعل لهم غرفاً غير الأماكن التي ينـــزل بها الرجال وحدهم، ولا يزهد بأي ضيف منهم حتى لو كان صغيراً، وقد ينـــزل عليه من لا يعرفه فيحسن ضيافته واستقباله.

ولم تكن أحواله المادية في سعة، ولهذا فقد اضطر أحياناً لبيع بعض ما يملك ومنها كتبه للقيام بحق الضيافة، ثم عوض الكتب التي باعها حين تيسر له المال.

وفي ليلة وفاته صلّى ونام، ثم أحس بالتعب، لكنه قام للتهجد كعادته، فتوضأ للصلاة، وما إن بدأها حتى توفي في سجوده وكان ذلك في الساعة الرابعة قبل الفجر ١٣ صفر ١٣٩٩ هـ ــ ١٣ كانون الثاني ١٩٧٩ مـ. اهـ منه

رحمه الله تعالى رحمة واسعة ونور ضريحه، وجعل في أولاده الكرام الخلف الصالح عن هذا السلف الفاضل.

ومن رثاء الشعراء له يوم وفاته:

بكى عليك البيـان اليـوم والقلـم ... يا كامل الفضل والإرشاد يا علـم
بكت عليك عيون سـال مـدمعها ... دمعاً هتوناً فسال الـدمع وهـو دم
عبد العزيز عيـون السـود وا أسـفاً ... عليه مات التقى والعـز والشـمم
بنى من العلـم صـرحاً لا يطاولـه ... بذاك من قـرأ القـرآن أو علمـوا
علم القـرآت أضـحى دون سـيده ... يبكيه حزناً وقد أودى بـه العقـم
شيخ جليل لـه في العلـم منـزلة ... جلت عن الوصف لا يرقى لها قلـم
فإن أتيـت عـن التفسـير تسـأله ... وصلت فهو العليم الحـاذق الفهـم
هو العلى والنـهى والفضـل أجمعـه ... والعزم والحزم والإفصاح والحكـم
ففضـله جـاء موروثـاً ومكتسـباً ... والفضل في أهلـه يرعـى ويحتـرم
مـآثر لـيس يحصـيها معـددها ... لكـن منكرهـا لاشـك متـهم
كساه رب الورى ثوب الوقـار فـتى ... وشاب وهو بحسن السمت يتسـم
سمت وصمت وفهم والتـزام تقـى ... وهيبـة ورضـاً، صـبر ولا بـرم
عبد العزيز ومـن كانـت خلائقـه ... كما وصفت تخلد ذكـره الأمـم
وليس بذكر هـذا الفضـل معترفـاً ... من استوت عنده الأنـوار والظلـم
لقنت ناشئة الأجيـال كـل هـدى ... وكنت أعذب ورد في الهـدى لهـم
جاؤوك يبغون علماً فانبريـت لهـم ... معلمـاً منقـذاً ممـا يضـلهم
نستودع الله شيخاً كان شـيخ تقـى ... وكان في العلم وهو المفـرد العلـم

حمص ١٤ صفر الخير ١٣٩٩ هـ ـ ١٣/ كانون الثاني ١٩٧٩ م، نظم: راتب السيد.

٣- من آل الأتاسي:

١- العالم الفقيه والصوفي النبيه

الشيخ طاهر بن الشيخ خالد الأتاسي

(...-١٣٤٧ هـ) (...-١٩٢٨ م)

هو العالم الفقيه، والصوفي المدقق النبيه، سليل بيت العلم والتقوى المفتي الشيخ طاهر ابن الشيخ خالد الأتاسي، ولد في حمص ونشأ فيها، وتلقى العلم عن والده وعن الشيوخ الكبار فيها من طبقة والده.

وحدثنا عنه أستاذنا الشيخ عبد الباسط أبو النصر أنه كان ممن يتلقى العلم لديه هو والشيخ أحمد الكعكة ورفاقهم في طلب العلم في المعهد الشرعي بحمص، وقد أدركوه شيخاً كبيراً، وقد استفادوا منه علماً غزيراً.

كتب عنه الشيخ محمد علي مشعل في ثبته ما يلي:

(عالم علامة ساهم في تتمة شرح المجلة (مجلة الأحكام العدلية) التي أُلِّفت زمن الخلافة العثمانية، من قبل العلماء الثقات، وصدرت عام ١٢٨٦هـ [أقول: وهي بمثابة القانون المدني، حيث تضمنت أحكام المعاملات في الفقه الحنفي، وكانت قانوناً يحكم به القضاة في دولة الخلافة حتى ألغاها في سورية الانقلابيون عام ١٩٤٩م] وشرحها والده الشيخ خالد الأتاسي وبقي منها القسم الأخير، وهو الدعاوي والبينات والقواعد الكلية.

[أقول: وهي في ستة مجلدات كبار مطبوعة، ومن أهم المراجع في الفقه الحنفي في المعاملات].

وقد كان شرح المجلة للشيخ خالد أعظم شرح رأيناه ويدل على غزارة علم ودقة فهم وثقة كاملة.

وشرح الشيخ طاهر الأتاسي للقواعد الكلية (التي لم يشرحها والده) أجمل وأعظم وأدق ما عرفت.

لم يكتب لي شرف التلمذة عليه لصغر سني، لكن حضرت له محاضرة، وبعض علماء حمص تحدثوا لي عن غزارة علمه وقوة بيانه.

ولد له ولد واحد اسمه فيضي الأتاسي، وقد مات الشيخ طاهر و لم يبق وراءه إلا شرح المجلة، وهناك له رد على القاديانية جميل وصغير) اهـ منه.

ومما حدثني عنه أستاذنا أبو أسامة الشيخ محمد علي مشعل، في المدينة المنورة ربيع ثاني عام ١٤٢٣هـ قال: إن الشيخ خالد الأتاسي كان له تسعة أولاد، وكانت عنده حلقة علم كبيرة عند ولده الشيخ طاهر، لم أدركها أنا، ولكن أدركت الشيخ وسمعت كلامه، وكان كبار علماء حمص يداومون على حلقة الشيخ طاهر.

وكان الشيخ خالد وولده الشيخ طاهر الأتاسي، وكل علماء الأتاسية والسباعية، كلهم نقشبنديون، أخذوا الطريق النقشي عن الشيخ أبي النصر، بل كل علماء حمص على الإطلاق نقشبنديون، وكان منهم من أدرك الشيخ سليم خلف وأخذ عنه. اهـ.

أقول: ومما حدثنا شيخنا عبد الباسط عن شيخه الشيخ طاهر أنه كان يقرأ لهم مختلف العلوم قال: وجئناه يوماً بعد طلوع الشمس لنحضر الدرس أنا ورفاقي فقال لنا: لقد فاتتني صلاة الصبح هذا اليوم يا أولادي ! قلنا: كيف حدث هذا يا أستاذنا ؟ قال: دخلت غرفتي بعد صلاة العشاء، أبحث في الكتب عن مسألة فقهية، وصرت انتقل من كتاب إلى كتاب، مطالعة وبحثاً وتفتيشاً، فلم أشعر إلا وضوء الشمس يملأ الغرفة !

مات رحمه الله في حمص ودفن فيها عام (١٣٤٧هـ ١٩٢٨م) وشهدت حمص جنازته، وأَسِفَت على علم غزير وضع في قبر هذا الحَبر الكبير.

٢- الشيخ المعمر والمفتي المؤرخ

الشيخ توفيق الأتاسي

(...-١٣٨٥ هـ) (...-١٩٦٥ م)

كتب عنه في ثبته الأستاذ الشيخ محمد علي مشعل ما يلي:

الشيخ توفيق الأتاسي، الذي أصبح مفتياً لحمص بعد الشيخ طاهر الأتاسي، ويكنى (أبو حسن) وابنه حسن كان المستنطق (قاضي تحقيق) الذي له شأنه في حمص.

حضرت له مجالس، وكان يجتمع عنده العلماء، ولم يخلّف طالب علم.

وكان الشيخ توفيق عالماً بالتاريخ القديم والحديث، وكان عضواً في المجلس الإسلامي الأعلى (مجلس الأوقاف) وعمره مئة سنة، وكان يمشي مع الشيخ سعيد النعساني مفتي حماة وعمره مئة وعشر سنوات، وكانا زينة وهيبة للمجلس. اهـ.

وكان أيضاً ممن تلقوا الطريق والذكر عن **سيدنا الشيخ أبي النصر**، ويحضر مجلس الختم في الجامع الكبير كما أفادني الشيخ محمد علي حفظه الله.

٣- الشيخ المفتي والعالم الورع

الشيخ بدر الدين الأتاسي

(...-١٣٩٠ هـ) (...-١٩٧٠ م)

وكتب عنه الشيخ محمد علي في ثبته ما يلي: الشيخ بدر الدين أتاسي، مداوم على حلقة الشيخ عبد القادر خوجة، وهو ابن أخته، ومن أوعى الحاضرين، وكان يلبس طربوشاً بدون عمامة، ولم يعف لحيته، وكان خاله (الشيخ عبد القادر) يشتد عليه، وعندما توفي خاله الشيخ عبد القادر لبس العمامة وأعفى لحيته، وكان مثل خاله، يأكل من كسب يده.

وبعد وفاة المفتي الشيخ توفيق الأتاسي أصبح الشيخ بدر الدين المفتي، وكان أهلاً لهذا المنصب من جهة العلم والفتوى، والورع والتقوى، وكان لا يغفل عن ذكر الله تعالى.

كما كان لا ينقطع عن الصلاة على النبي ﷺ وبخاصة صباح الجمعة عندما يزوره العلماء، وهو الرئيس الفعلي والحقيقي لجمعية العلماء من كل الجهات. وكان مرجعاً في كل ما يتعرض له طلاب العلم من مشكلات. اهـ منه.

وكان ممن تلقى الطريق والذكر عن **سيدنا الشيخ أبي النصر**، وكان يحضر مجلس الختم الشريف النقشبندي في الجامع الكبير كما أفادني بذلك الشيخ محمد علي مشعل.

وحدثني الأخ الشيخ محمد فيصل الدروبي قال: وكان يحضر ليلة الأربعاء في بيته علماء حمص في كل أسبوع لتداول المسائل المشكلة التي تطرأ خلال أيام الأسبوع، وكان كثيراً ما يحضر خطبة الجمعة عندي في جامع الدبلان وجامع الدروبي عندما أخطب فيهما، ومما نبهني عليه مرة أني كنت أصلي وفي قعود التشهد قد وضعت رجلاً فوق رجل، فقال لي: يا محمد فيصل؛ هذا خلاف السنة، فقلت معتذراً: إن في أصبعي الكبرى ألماً لا أستطيع

وضعها بالطريقة المسنونة، فقبل مني العذر جزاه الله خيراً.

وكانت وفاته رحمه الله عام (١٩٧٠ أو ١٩٧٣م -١٣٩٣هـ) ودفن في حِمص. كما أخبرني الأخ الشيخ محمد فيصل دروبي.

٤- الشيخ التقي والعالم العامل الشيخ تقي الأتاسي:

كتب عنه الشيخ محمد علي مشعل في ثبته ما يلي: الشيخ تقي الأتاسي، كان عالماً عظيماً، وكان من تواضعه يحضر دروس الشيخ عبد القادر خوجة، ولما سئل عن السبب قال: إني أريد أن أموت طالب علم.

وكان الشيخ الخوجة يقول: استفدنا من الشيخ تقي، فصرنا نحضِّر الدروس. ولم يخلّف الشيخ طالب علم. اهـ منه.

وكان تلقى الطريق والذكر عن سيدنا الشيخ أبي النصر، ويحضر مجالس الختم الشريف في الجامع الكبير كما أفادني الشيخ محمد علي مشعل.

٥- الشيخ الفاضل والعالم العامل الشيخ أبو السعود الأتاسي:

وكتب عنه الشيخ محمد علي مشعل في ثبته: ويذكر من العلماء والأفاضل، ولم يكن لي مقام معه، ولم يخلّف طالب علم. وكان كما ذكر لي، قد تلقى الذكر والطريق على شيخنا أبي النصر ويحضر مجالس الختم النقشبندي.

٦- الشيخ الزاهد والعالم الورع الشيخ زاهد الأتاسي:

وكتب عنه الشيخ محمد علي في ثبته: الشيخ زاهد الأتاسي مدير دار العلوم الشرعية،

عالمٌ فذ، زاهدٌ على حقيقته، ورعٌ يراقب المدرسين من العلماء مراقبة دقيقة مع منتهى الاحترام والأدب مع كبر سنه، وجلالة قدره، وغزارة علمه.

كان أستاذ النحو والبلاغة، وقد كتب الله لي أن قرأت عليه شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك، وكتاب جواهر البلاغة، و لم أرَ أدقَّ ولا أعلم منه، كما كان يدرِّس الفقه الحنفي، وقد توفي و لم يخلِّف طالب علم. اهـ منه.

وكان من مشايخ والدي، وكان من العلماء الكبار الأفاضل. (كما حدثني عنه أيضاً الأخ الشيخ محمد فيصل الدروبي).

٧- العالم العارف والمحب الكامل الشيخ عارف الأتاسي:

وقد حدثني عنه الشيخ وصفي مسدي، وتقدمت ترجمته في مريدي مولانا سليم.

٨- الشيخ الفاضل والعالم العامل الشيخ عبد الفتاح الأتاسي:

وهذا العالم الفاضل ابن العالم العارف الشيخ عارف الأتاسي، تربى في أحضان والده الذي كان مريداً صادقاً للشيخ سليم خلف، ونشأ الولد على ما أنشأه عليه أبوه، كما قال القائل:

وينشأ ناشئ الولـــدان فينا على ما كـــان عـــوّده أبوه

وقد كان من أفاضل العلماء الصلحاء، كما حدثني بذلك الشيخ وصفي مسدي والشيخ محمد علي مشعل، وتلقى الطريق والذكر عن الشيخ أبي النصر قدس سره العزيز.

٩- العالم الصالح والمفتي الفاضل الشيخ طيب الأتاسي:

المتوفى سنة ١٤٠٦ هـــ، ١٩٨٦ م. وهذا العالم الفاضل الشيخ طيب بن الشيخ عبد الفتاح

ابن الشيخ عارف الأتاسي، آخر مفتٍ لحمص من آل الأتاسي، وقد كتب عنه الشيخ محمد علي مشعل في ثبته ما يلي:

الشيخ طيب أتاسي؛ والده من العلماء، وقد نشأ على التقوى والصلاح، ولما انتسب لدار العلوم الشرعية (المدرسة الوقفية) جانب جامع الدالاتي، وكان المدير الشيخ زاهد أتاسي، وعام انتسابي للمدرسة نقلني مديرها من الصف الأول إلى الثاني بعد اختبار، وأحدث في نفس العام الصف السادس في المدرسة فأعيد بعض الطلاب المتخرجين للصف السادس وكان منهم: الشيخ طيب، والشيخ وصفي مسدي، والشيخ عبد العزيز عيون السود.. وغيرهم.

وبعد تخرجه من المدرسة استمر في طلب العلم وحضور الحلقات عند الشيخ طاهر الأتاسي، والشيخ عبد القادر خوجة، وحضور جلسة مساء الثلاثاء، وكان مظهر تقى وصلاح، وورع وعبادة وكمال، يشهد بذلك كل معارفه من العلماء وغيرهم، وكان له درس عام، وكان خطيباً في مسجد خالد بن الوليد طيلة حياته، وكان مدرساً عاماً، وبعد وفاة الشيخ بدر الدين الأتاسي أصبح هو مفتي حمص.

وكان لوجوده في الإفتاء أيضاً شأن؛ فمن أجل الدستور اجتمع المسؤولون مع علماء حمص في بيت المفتي الشيخ طيب أتاسي، وكان الحوار الهادىء فاقتنع الجميع بوضع دين الدولة الإسلام في الدستور، ووضع مادة الفقه الإسلامي مصدر التشريع، ووضع مادة محاربة الإلحاد والحفاظ على الأخلاق، وقرروا أن يكتب العلماء مذكرة للرئيس بذلك. اهـ.

وحدثني الشيخ محمد علي مشعل أن الشيخ طيب كان ممن تلقى الطريق والذكر عن الشيخ أبي النصر وكان مداوماً على حضور الختم النقشبندي، ومأذوناً بإدارته.

توفي الشيخ في حمص ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦ وتولى أمانة الفتوى بعده الشيخ وصفي مسدي، ثم بعد ذلك أسندت الفتوى للشيخ فتح الله القاصي.

قال أخي عبد الله المسعود: كنت في بيت شيخنا عبد الباسط في حلب عندما زاره الشيخ طيب الأتاسي بعد عودته من سفره إلى البلاد الإسلامية التابعة للاتحاد السوفيتي قبل

انحلاله. قال الشيخ طيب: بعد زيارتي لتلك المدن الإسلامية وتجوالنا فيها، وكان حوالي عام ١٩٧٨ تقريباً فسألني مسؤول إعلامي سوفيتي من أجل إعلانه في الإذاعة فقال: كيف وجدت حرية الدين ووضع المسلمين في الاتحاد السوفيتي ؟ فقلت له: لا يوجد حرية دين لديكم، ووضع المسلمين غير جيد.

قال: فأنهوا زيارتي من دون الوفد وعدت إلى سورية، ولما التقيت بوزير الأوقاف السوري بعد عودتي وسألني عن سبب عودتي المفاجئة فذكرت له الذي جرى، وكنت آنذاك مفتياً لحمص بالوكالة.

فقال لي: من أجل دفاعك عن دينك وقوة إيمانك سأقوم بتثبيتك في وظيفة المفتي. وفعلاً أصدر بعد ذلك قراراً بتعييني مفتياً لحمص بالأصالة.

وعلل الشيخ كلامه السابق لما سئل، فقال: كيف أقول كلاماً غير صحيح ولعلي أموت بعده، فماذا أجيب ربي عن قولي ؟. (رحمه الله وطيب ثراه). اهـ حديث أخي عبد الله.

٤- ومن علماء حمص من آل السباعي:

١- العالم الفاضل والتقي الورع الشيخ محمود أتماز السباعي:

وهو من علماء حمص الأجلاء وهو صهر الشيخ محمد أبي النصر خلف، وكان مواظباً على حلقات العلم عند الشيخ سليم وعند الشيخ أبي النصر، وله أولاد وأحفاد بررة أتقياء، (كما أفادني والدي رحمه الله وكما ذكر ذلك الشيخ محمد علي مشعل في ثبته). وأفردنا له ترجمة ملحقة بمريدي مولانا سليم، فارجع إليها.

٢- المحب الكامل والعالم الفاضل الشيخ فائق أتماز السباعي:

وكان عالماً من علماء حمص، مواظباً عند الشيخ أبي النصر في الزاوية. يقول الشيخ محمد علي مشعل: وقد أدركته مراراً في زاوية الشيخ أبي النصر، وكان لا يرضى أن يصب القهوة في الزاوية لضيوف الشيخ إلا هو، وكنا نحن الشباب نحاول أن نأخذ عنه صب القهوة فما كان يرضى إلا أن يصب بنفسه، ولكل القادمين قبل بدء المولد، ثم بعد بدء المولد يجلس بجانب الشيخ أبي النصر.

٣- المنشد المحب، والعالم التقي الشيخ عادل أتماز السباعي:

وهو أخ الشيخ فائق، وهو أصغر منه، كان مواظباً على زاوية الشيخ أبي النصر، وهو طالب علم ومنشدٌ أيضاً، كان دائماً بين يدي الشيخ أبي النصر مع بقية المنشدين، أمثال أبي حسن النداف، والمنشدين الآخرين الذين يحضرون ليلة الجمعة لإقامة المولد في زاوية الشيخ أبي النصر (عن الشيخ مشعل).

٤- العالم القارئ، والفقيه الصالح الشيخ عبد الكريم أتماز السباعي:

وهو من العلماء الأجلاء، كان أحفظ الحفاظ لكتاب الله تعالى، وهو إمام الجامع الكبير في حمص، وله حلقة في الفقه الشافعي أمام محراب الجمعة في الجامع الكبير، وهو من المشهورين بالصلاح، وقد زرته (والكلام للشيخ محمد علي مشعل في ثبته) بصحبة الشيخ عبد العزيز عيون السود في مرضه، فكان منظره منوراً بنور الله.

كما كان مدرساً في التجهيز (المدارس الثانوية) ولم يدرس من علماء حمص بالتجهيز غيره، وهو ممن تلقى الطريق والذكر عن الشيخ أبي النصر، وكان يواظب على حضور الختم في الجامع الكبير. اهـ منه.

وكان لا يسمح لأحد أن يغتاب في مجلسه، وكان أستاذي في المعهد العلمي الشرعي وقرأت عليه السيرة النبوية كما أفادني الأخ الفاضل الشيخ محمد فيصل الدروبي.

٥- العالم الفاضل، والمحب الصالح الشيخ عبد الكريم السباعي "الأحمد":

من العلماء، له غرفة في الجامع الكبير في حمص، وكانت عنده حلقة علم، وكان يجلس إليه بعض الحفاظ يتدارس معهم القرآن، وكان يلقب بالأحمر، ولعله لشقرة لحيته، (كما في ثبت الشيخ محمد علي مشعل) وأخبرني أنه كان يواظب على الختم الشريف النقشبندي في الجامع الكبير، وممن تلقى الطريق عن الشيخ أبي النصر رحمه الله تعالى.

٦- الشيخ الطبيب، والمحب الفاضل الشيخ رفيق السباعي:

دكتور طبيب يسكن الشام (دمشق) ولكنه من حمص، وهو من أكبر تلاميذ الشيخ بدر الدين الحسني، وكانت له وظيفة خيرة بجمع الأوراق من الأرض وحرقها خشية أن

يُداس عليها، وقد لقيته عدة مرات وزرته في بيته في دمشق (من ثبت الشيخ محمد علي مشعل) وأخبرني أنه ممن تلقى الطريق والذكر عن الشيخ أبي النصر، رحمه اللهُ.

وحدثني الأخ الشيخ محمد فيصل الدروبي أنه حضر معه في بيت الشيخ محمد سعيد الكحيل في حمص، وكان مع والده الشيخ عبد الغفار الدروبي قال: فرأيت منه أمراً عجيباً يدل على تواضع جم؛ فإنه إذا وقع شيء من فتات الطعام على السفرة، كان يأكله بفمه من السفرة لا بيده (تواضعاً وشكراً لله على نعمه) وقد رأيت ذلك بعيني. وتوفي في دمشق (على أغلب الظن).

٧- العالم الحازم، والفاضل الكامل الشيخ بدوي السباعي:

إمام الشافعية في الجامع الكبير في حمص وهو من العلماء الحازمين الأنيقين في اللباس والعمامة، ومن الذين لهم مهابة وتقدير.

وله ثلاثة أولاد:

١- روحي؛ وهو شخص طيب ولكن ليس من العلماء.

٢- الشيخ محمود السباعي: وكان إماما للشافعية في الجامع الكبير بعد والده، وكان مدرساً في دار العلوم الشرعية قبل التغيير (لمنهاجها) وبعد التغيير، وكان من أساتذتي في الجغرافيا، جزاه الله خيراً وهو من الطيبين أهل اللطف، كثير الابتسام، مزوح مع الأدب.

٣- الشيخ صلاح السباعي؛ وكان أيضاً من حملة العلم الشرعي، وكان مديراً لأوقاف حمص، وكان لطيفاً جداً، وله أثر طيب في الأوقاف رحمه الله تعالى.

ولم أعلم خلفاً من أولاد الشيخ بدوي السباعي طالب علم، وهذا البيت بيت علم. (من ثبت الشيخ محمد علي مشعل).

وأفادني مشافهة أن الشيخ بدوي كان ممن تلقى الطريق والذكر عن **الشيخ أبي النصر** وكان ممن يحضر الأختام النقشبندية في الجامع الكبير رحمه الله تعالى.

٥ً- ومن علماء حمص من آل صافي:

١- العالم الكبير والولي الشهير الشيخ سليم صافي بن الشيخ أحمد:

وقد سبقت ترجمته في بحث تلامذة مولانا الطوزقلي قدس سره العزيز، فهو من العلماء الزهاد، والأسخياء الأجواد، وقد كتب عنه الشيخ محمد علي مشعل في ثبته تحت عنوان: **الشيخ أبو النصر خلف**، ما يلي:

شيخ شيوخ البلد كلهم (أي الشيخ أبو النصر)، دخلوا في الطريقة النقشبندية، علماء الأتاسي وجميع من ذكرتهم ومن لم أذكرهم، والده (أي والد أبي النصر) الشيخ سليم خلف، ووالد (الشيخ أحمد صافي)، الشيخ سليم صافي، و(السَّلِيمَانِ) هما من أعظم العلماء الربانيين.

وقد عُرف الشيخ سليم صافي بزهده في الدنيا، وإنفاقه في سبيل الله، فكان يأخذ العجين إلى الفرن، فيخبزه ويعود به إلى البيت فيقف له الفقراء على الطريق فيرجع إلى البيت وليس معه رغيف، ويذهب بالكبة الصينية كذلك فلا يرجع إلى البيت منها جزء ولو صغير.

وطلب منه فقير سروالاً فوقف في الطريق، والتفت إلى الجدار وخلع سرواله وأعطاه للفقير، وقد توفي قبل ولادتي بكثير، والذي أذكره وأنقله عن ثقات. وقبره في حمص في المقبرة جنوبي القلعة، ولما أزالوا القبور، فانكسر البلدوزر عند قبره وتركوه، وقد مررت وشاهدت قبره وحيداً فقط في المكان. [اهـ منه].

٢- العالم الفقيه والفاضل النبيه الشيخ أحمد بن الشيخ سليم صافي:

شيخ شيوخ البلد، وكل العلماء الذين هم أصغر سناً تلقوا العلم عليه، وقد قدَّر الله أن

يأتي إلى المدرسة دار العلوم الشرعية ويدرِّس فيها دروس التفسير والحديث والفقه والأصول، وقد تلقيت عنه، ولم يخلِّف إلا الشيخ **عبد الوكيل صافي** ابنه، وأما **عبد العليم** فصار مديراً للمعارف في حمص مدة من الزمن.

وقد درَّس في (تلدو) وكنت من طلابه وعمري سبع سنوات، وكان (الشيخ أحمد) خطيب جامع الدالاتي، وأصبح ابنه الشيخ عبد الوكيل هو الخطيب في جامع الدالاتي بعده. والشيخ عبد الوكيل من طلاب العلم الشرعي المعدودين، يدرس في جامع خالد بن الوليد، ويخطب في جامع الدالاتي وعنده قلادة شهادات. (من ثبت الشيخ محمد علي مشعل)؛ وأفادني أن الشيخ أحمد ممن تلقوا الطريق والذكر عن الشيخ أبي النصر رحمه الله تعالى.

٣- الشيخ العالم والداعية الفاضل الشيخ محمود صافي:

من الدارسين والمدرسين، والدعاة والكتاب المتفوقين، الذين لهم ذكر حسن بين ذويهم وإخوانهم، ومن العائلة المشهورة في حمص بالعلم والتقوى والزهد والتصوف، فهي عائلة العالم الولي المشهور الشيخ سليم صافي، والعالم العظيم الشيخ أحمد صافي.

والشيخ محمود له (إعراب القرآن الكريم) وقد أجاد وأفاد، وله مؤلفات أخرى. (من ثبت الشيخ محمد علي مشعل)، وأفادني أيضاً مشافهة أن الشيخ محمود ممن تلقوا الطريق والذكر عن الشيخ أبي النصر قدس سره العزيز.

٦ً- ومن آل الكعكة في حمص:

١- المحب الواله، والعالم الفقيه، والفاضل النبيه

الشيخ أحمد بن أحمد الكعكة الحمصي

(١٣٢٩-١٤١٨ هـ) (١٩١١-١٩٩٨ م)

هو العالم الفقيه، والمحب الصادق الواله، والمتعلق بشيخه وآله، العالم العامل، والفاضل النبيل، الشيخ أحمد بن الشيخ الصالح الذي يعتبر من أهل الكشف؛ الشيخ أحمد بن إسماعيل الكعكي، ولد في حمص عام ١٣٢٩ هـ، ١٩١١م [1]، ونشأ فيها، ودرس على مشايخها علوم الشريعة، وكان من زملائه في الدراسة بحمص وحلب ابن شيخه أستاذنا الشيخ عبد الباسط أبي النصر، رحمهم الله وقدس أرواحهم.

ومن مشايخه في حمص: الشيخ عبد القادر الخوجة، وكان التلاميذ يقرؤون عليه وهو جالس في دكانه في السوق وهم أمام بابه، وكان الشيخ الخوجه من فقهاء حمص المعدودين، والشيخ محمد الياسين، والشيخ محمد توفيق الأتاسي مفتي حمص، وكانت دروسهم حلقات علمية في المساجد.

في المدرسة الخسروية: ثم التحق بالمدرسة الخسروية بحلب، إذ كانت قبلة طلاب العلم في بلادنا الشامية، وسبب إرساله إليها هو شيخه أبو النصر، وبعد أن أنهى دراسة الخسروية التحق بالمدرسة الشعبانية بحلب أيضاً، فأمضى فيها ثلاث سنوات من السنوات التسع التي بقي فيها بحلب، ينهل من علوم أساتذها وعلمائها الأفاضل، وتخرج من الخسروية عام ١٩٣٦ م، ١٣٥٥ هـ.

---

[1] ذكر تاريخ ولادته في سجلات المدرسة الخسروية عام ١٩١٣ م، وهذا يقابل عام ١٣٣١ هجري.

وكان شيوخه في حلب: الشيخ أحمد الزررقا، والشيخ أحمد الكردي، والشيخ راغب الطباخ، والشيخ أحمد الشماع، والشيخ عيسى البيانوني، والشيخ إبراهيم السلقيني، والشيخ محمد الناشد، والشيخ فيض الله الأيوبي، والشيخ عبد الله عبد المعطي، والشيخ محمد أسعد العبه جي، والشيخ سعيد الأدلبي، والشيخ عبد الله حماد التادفي.

وكان من رفاقه فيها المتخرجين معه: الشيخان محمد شريف ومحمد حافظ النبكيان، والشيخ منير الطحان، وحمدان الصالح، والشيخ كامل بدر، والشيخ جمعة أبو زلام (البابيون)، والشيخ علي الحلو من النجارة (الباب)، وعبد الله الحاج (سمعان)، وعبد الله الأمير الأنطاكي، وعلي عرب الحلبي، ولطفي البطل الإدلبي، وبكري النجار المارعي، ومحيي الدين العسالي، وأحمد الرشيدي، وعبد الله العتر الحلبي.

العودة إلى حمص: ثم عاد إلى حمص وقام بالإمامة في جامع (الصحن) والخطابة في جامع (أبي ذر الغفاري) في حي باب تدمر بحمص، وألقى دروسه في مساجد حمص (الكبير والنور والدالاتي)، وظلّ منصرفاً للعلم والتعليم، ولم يتزوج إلا بعد وفاة شيخه أبي النصر ١٣٦٩هـ.

أول التقائه بالشيخ أبو النصر: كان هذا وهو طفل، يقرب عمره الثماني سنوات، دخل إلى الجامع الكبير في حمص فوجد ناساً في غرفة الجامع الكبير، يتصدرهم الشيخ أبو النصر، ووجد من يوزع الحصى على الحاضرين لأجل الختم النقشبندي، فظنه الطفل حلوى (ملبس)، فجلس الولد أحمد معهم وقال في نفسه: الآن يوزع الشيخ علينا الملبس، ولما انتهى الختم سأل الشيخ الولد عن اسمه واسم أبيه، واصطحبه معه إلى زاويته، وأعطاه مع الحلو متن الغاية والتقريب، لأبي شجاع، وقال له: احفظه، وبعد عشرة أيام حفظه وأسمعه للشيخ في الزاوية، فألقى الشيخ أنظاره عليه، وقام برعايته، ولما بلغ من العمر عشر سنوات وهو في رعاية الشيخ لقنه الطريق، وأمره بالذكر الخفي، ثم أشار على والده بأن يدرس العلم، فدرسه على مشايخ حمص ثم حلب.

حياته العلمية: وبعد عودته إلى حمص واشتغاله بالإمامة والخطابة، انصرف كلياً إلى العلم والتدريس، ومصاحبة الشيخ في حِلّه وترحاله، وأمضى حياته في دراسة ومطالعة

الكتب في الفقه والتفسير والتصوف.

وكان برنامجه الأسبوعي؛ قراءة كتب الفقه الشافعي، وأصول الفقه (حاشيَة البناني)، والتحرير، وقرأ أكثر من كتاب فقه شافعي، وذلك ليلة الإثنين، مع الحكم العطائية، أما ليلة الخميس فخصصها لتفسير القرآن الكريم والنحو، فقرأ حاشية شيخي زاده على تفسير البيضاوي، وأوضح المسالك على ألفية ابن مالك، ومغني اللبيب بعد الأوضح.

وكان الحضور الذين يتلقون عليه الدروس من طلبة العلم، وكل منهم معه الكتاب الذي يقرؤه الشيخ، وكان من الحاضرين: الشيخ ممدوح جنيد، والشيخ محمد السقا، ومحيي الدين مستو، وابنه موفق الكعكي، وكان أغلب الحضور من هؤلاء مدرسون في المدارس، ويجتمع على الدرس أحياناً ما يزيد على الثلاثين مستمعاً، من كبار المثقفين والمتعلمين، والأساتذة. وذكر لي ابنه موفق أنه كان يذاكر مع والده العلم في أكثر الليالي، وأحياناً إلى صلاة الفجر، قال: فنصلي الفجر بوضوء العشاء.

ولعه وحبه للشيخ أبي النصر: قال الأستاذ موفق: كان والدي مولهاً ومولعاً بحب الشيخ أبي النصر، وما من يوم يمر علينا إلا ويحكي لنا عن الشيخ وأحواله وكراماته، وكانت تجري معه أحوال غريبة إذا ذَكَرَ الشيخَ أبا النصر، وتفيض عيناه دموعاً، وكان يقول لنا: اشهد يا بني أن لحمي ودمي وعظمي وكل ما في بدني، إنه يحبك يا شيخ أبا النصر، وكان يدعو دائماً الله سبحانه أن يحشره مع شيخه أبي النصر تحت لواء سيدنا محمد ﷺ، وكان يقيم الختم الشريف بعد المغرب في جامع الصحن كل يوم، وبعد صلاة الجمعة في جامع أبي ذر الغفاري.

أخلاقه: كان رحمه الله صداعاً بالحق، آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، وكان موسوي الطبع (حاد الطبع)، لا يرضى عن منكر رآه حتى يغيره إن استطاع ! لطيف المعشر، محباً لطلابه ومن يتعلم لديه، وبالأحرى لكل الناس، دمعته سخية، وبسمته حاضرة.

حبه للعلم شيء لا يوصف، لقد أمضى حياته فيه متعلماً ومعلماً ودارساً وموجهاً، يقرن العلم بالعمل، والتصوف عنده محبة وسلوك وخلق وأدب.

(يقول أبو يحيى: وقد شهدت رحاب مسجد أبي ذر بحلب دروسه ومواعظه، أيام كان يزور ابن شيخه عبد الباسط في حلب الشهباء، كما سعدنا بحديثه، ودعاباته يوم زار والدنا الشيخ محمد علي المسعود في الباب، رحمه الله ونور ضريحهما).

كان من مؤسسي المعهد العلمي في جامع سيدنا خالد بن الوليد مع شيخه عبد القادر الخوجة، وإذا جاءه من يطلب تلقين الذكر، وكان قد تلقنه من شيخ آخر، يقول له: ابق على شيخك ووردك، ويمتنع عن تلقينه إياه.

وبلغ من حبه العظيم لشيخه وآله، أنه كان يدافع عنهم، ويذكر مآثرهم في كل مجلس، وبخاصة الشيخ عبد الباسط، قال ابنه موفق: حكى والدي وسمعته منه كثيراً؛ أن الشيخ سليم أجاز الشيخ أبا النصر بإجازة خطية، وبعد وفاة الشيخ سليم أراد بعض الإخوان إلباس الشيخ حافظ الابن الأكبر لمولانا سليم تاج أبيه، فألبسوه إياه، لكن الإخوان كان مرادهم أبا النصر، فالتفوا حوله منذ انصرافهم من الجنازة، فلما رأى الشيخ حافظ هذا؛ خلع تاج والده وألبسه لأبي النصر. قال موفق: وحكى والدي أيضاً؛ أن الشيخ أبا النصر خلَّفَ ابنه الشيخ عبد الباسط، وأجازه بالتوجيه والإرشاد وبكل شيء.

قال: وسمعت من الشيخ محمد الحامد عندما جاء إلى حمص وزارنا ونام عندنا بعد المولد يقول: إن الشيخ حسن البنا سلك الطريق النقشبندي عن أبي النصر بطريق المراسلة، وسلّكه الشيخ أبو النصر به، ثم أجازه به. قال: وذكر هذا الكلام والدي أكثر من مرة، وكانت هناك رسائل من الشيخ حسن البنا للشيخ أبي النصر، وقد أستأذن والدي شيخه فقرأها.

إجازات الشيوخ العلمية له: كان الشيخ أحمد رحمه الله يحرص على الإجازة العلمية، وهذا صنيع العلماء منذ القديم، وقد حصل على عدة إجازات علمية من شيوخه في حمص وحلب وغيرها، ومن أوائل ما حصل عليه، إجازة شيوخه في المدرسة الخسروية بحلب الذين ذكرناهم أول البحث، وقد أفرد له الشيخ راغب الطباخ الحلبي إجازة فيما قرأه عليه من علوم الحديث، والسيرة والحديث الشريف، قراءة دارية ورواية وبحث وتدقيق، كما جاء في إجازته المؤرخة ٢٧ ربيع الثاني ١٣٥٧ هـ، والمدونة في نهاية كتاب (الأنوار

الجلية في مختصر الأثبات الحلبية) للشيخ راغب الطباخ، الذي طبعه الشيخ في مطبعته بحلب. كما أجازه لاحقاً شيخه الشيخ أسعد العبه جي، مفتي الشافعية بحلب إجازة عامة بجميع ما أجازه به أشياخه من سائر العلوم من فقه وحديث وتفسير ومن آلات ذلك.

كما أجازه شيخه الأستاذ أحمد المكتبي الحلبي، والإجازة مؤرخة ٢٤ جمادى الثانية ١٣٧٤ هـ، ١٩٥٤م، وأجازه الشيخ محمد أمين سويد الدمشقي إجازة عامة بالعلوم العقلية والنقلية، كما تلقى عن أشياخه من المصريين وشاميين وعراقيين، و لم يذكر للإجازة تأريخاً.

وأجازه الشيخ أحمد بن الشيخ سليم المراد الحموي إجازة عامة بالعلوم الشرعية والأدبية، حسبما أجازه مشايخه الذين ذكرهم في الإجازة وهي محررة بتاريخ ٨ جمادى الآخرة ١٣٧٢ هـ، ١٩٥٢ م.

وأجازه الشيخ محمد العربي التباني الجزائري، بمروياته في كتب الحديث، صحاحها ومسانيدها ومعاجمها وغيرها، حررها بمكة ٢٩ محرم ١٣٧٩ هـ، ١٩٥٩ م، وكانت له رغبة باتصال سنده بالإمام الشافعي، فالتقى في موسم حج عام ١٣٧٨ هـ بأحد علماء حضرموت ممن يتصل سندهم في الفقه بالإمام الشافعي ﷺ فطلب منه الإجازة فحرر له إجازة مؤرخة جمادى الآخرة ١٣٧٩ هـ، وأرسلها له وهو (الشيخ فضل بن محمد بن عوض بافضل التريمي الحضرمي). كما كان سيدي أبو النصر قد أجازه بإجازة شيخه أحمد الشريف السنوسي التي أرسلها للشيخ عام ١٣٦٥ هـ، ١٩٤٥م.

خاتمة: وقد ذيل كل هذه الإجازات التي حصل عليها بإجازة ولده الأستاذ موفق بها، وقد توفي في حمص ١٢ شوال ١٤١٨ هـ، الموافق ٩آذار ١٩٩٨ م، ودفن فيها رحمه الله، ورفع درجاته مع أشياخه في عليين.

- وكتب لي تلميذه ومريده الأستاذ المؤرخ محمد غازي حسين آغا ترجمته من كتابه وهو قيد الإعداد (علماء وأعلام حمص في ظل الخلافة العثمانية) وهذه هي الترجمة:

* **الشيخ أحمد بن الشيخ أحمد كعكة.** (خليفة الشيخ أبي النصر قدس الله سره).

ولد في مدينة حمص سنة ١٣٢٩ هـ، هو العالم العامل والصوفي المرشد الكامل سيدي

وأستاذي ومعتمدي وقدوتي إلى الله تعالى الفقيه الكبير الشافعي النقشبندي.

بعد أن قرأ القرآن الكريم وتعلم القراءة والكتابة في مكاتب حمص الأهلية بدأ حياته في تعاطي أسباب معاشه مع التوجه التام إلى العلم وسلوك طريق المعرفة، وتعرَّف على المرشد الكامل الشيخ أبي النصر خلف قدس الله سره. وصار له الرغبة الزائدة في طلب العلم والحرص على عدم فوات أي فرصة للاجتماع بشيخه ومرشده قدس الله سره.

ثم قال: وكان يحب الصالحين والأولياء ويزور أضرحتهم وقد رافقناه في زيارته إلى ضريح الشيخ أحمد الصيادي الرفاعي والشيخ عقيل المنبجي، والشيخ أبي بكر بن هوار البطائحي، والشيخ معروف... وكانت زيارته ودخوله بما يوافق الشرع الحنيف والمنهاج القويم بأدب وكمال تام.

كان شيخنا الجليل من أخص تلاميذ المرشد الكامل الشيخ أبي النصر قدس الله سره، حيث حضر معه وصحبه في زياراته وبعض أسفاره وقرأ عليه ولازمه وسلك على يديه طريق السداد و لم يزل يلحظه بأنظاره ويمده بهمته حتى بلغ مبلغ الكمال فأذن له بالإرشاد.

وخلَّفه شيخه ومرشده قدس الله سره خلافة مطلقة وأجازه بمروياته مشافهة وكتابة، وبعد وفاة شيخه ومرشده قدس الله سره شرع شيخنا في تسليك وتلقين الذكر ونشر العلم والطريقة النقشبندية فأجاد في ذلك.. وكان شيخنا الجليل وفياً كل الوفاء لشيخه ومرشده (أبي النصر) قدس الله سره، وقد علَّمنا كيف نكون أوفياء لمشايخنا وعلمائنا ومن له حق علينا.

وكان يفاخر به في سائر مجالسه ويذكر فضائله السنية وشمائله العلية، ويعترف له بالجميل وحسن الصنيع معه حيث وجهه إلى طلب العلم وطريق المعرفة، وينسب إليه كل فضل، وفخر، وعلم، ومعرفة، وكمال، ونبل، وجود، وكرم، وخصال حسنة، وتمسّك بكتاب الله وسنة نبيه المصطفى ﷺ وآداب محمدية، ونفس ذكية، ومناهج مصطفوية، ووراثة نبوية، وأحوال عالية وأطوار سامية، وترفّع عن حطام الدنيا، ولا شك بأن الشيخ قدس الله تعالى سره أهل لذلك، حتى ينتهي شيخنا الجليل بوصف خلقه فيتغزل به وبمحاسنه وكأن محاسن أخلاقه وشمائله وخصاله الحميدة وأخلاقه المرضية انعكست على تعابير

وجهه. ويصفه لنا كما ارتسم في قلبه وكان يلتفت ويقول لي: (يا غازي يا ليتك تعرفه).

وكان شيخنا الجليل ينصح الطلبة والشباب والحضور في مجلسه ومجالسه العامة والخاصة بل أينما حلّ إلى طلب العلم على يد العلماء العاملين، ويحثهم على صحبة المرشد الكامل... وتم لي سلوك الطريقة النقشبندية العلية على يديه مع الاشتغال بالذكر وأوراد هذه الطريقة المباركة ومتابعة الختم الشريف والرابطة الشريفة.

وأجازني إجازة خطية في الطريقة النقشبندية العلية، وثبت العلامة الشيخ أحمد سليمان الأروادي المعروف بـ (المنتقى المفيد في العقد الفريد في علو الأسانيد) وثبت (الإجازة السنوسية) عن شيخه ومرشده **الشيخ أبي النصر** قدس الله سره.

وأجازني في قراءة كتاب الأم عن العلامة الشيخ فضل بن محمد بن عوض بافضل التريمي الحضرمي الشافعي، وأجازني في قراءة حزب الإمام النووي عن العلامة الشيخ عبد القادر القصاب الديرعطاني. جزاه الله عنا خير الجزاء وسقى ضريحه صوب العفو والرضوان.

توفي صباح يوم الإثنين ١٢/شوال سنة ١٤١٨هـ الموافق ٩آذار ١٩٩٨ م وشيع بموكب مهيب من منـــزله في حي باب تدمر إلى مسجد الصحابي الجليل سيدنا خالد بن الوليد، ولم يتخلف عن تشييعه أحد من أبناء المدينة، وبعد الصلاة على الجنازة وقف جموع العلماء وطلابه يشيدون بمآثره وأحواله. وقد فقدت مدينة حمص بوفاته العالم الكبير والصوفي المرشد الجليل الذي أمضى عمره بين علم وتعليم وتوجيه ونصح وإرشاد وقضاء حوائج الناس على ضوء الكتاب والسنة آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر. وقد قلت فيه مؤرخاً:

أعظـــم بـــأسمى مرقـــد حلّـــهُ	بحـــر العلـــم الشـــافعي الصـــافي
سامي المعارف ومن تســمى أحمــد	مـــن آل كعكـــة طيـــب الاعـــراف
خاضَ الشــريعة والحقيقــة وانتمــى	للســـــادة الأمجــــاد والأشـــــراف
قد كـــان كنـــزاً نســتنير بهديــه	بمنــــاهج العرفــــان والإتحــــاف
مـــني ســـلام الله جـــاء مؤرخـــاً	وخـــص بـــه بقيـــة الأســـلاف

٢- العالم المربي، والفقيه العالم

الشيخ محمود بن محمد جنيد الكعكة

(١٣٣٣-١٤١٤ هـ) (١٩١٤-١٩٩٣ م)

هو العالم الفاضل، والتقي العامل، الشيخ محمود بن محمد جنيد كعكة المشهور بالشيخ محمود جنيد، ولد في حمص عام ١٣٣٣ هـ، ١٩١٤ م، عاش يتيماً بعد وفاة والده الذي استشهد في حرب الدولة العثمانية مع روسية.

تعلم في الكتاب مبادئ العلوم الأولية، ثم أصيب بالفالج في طفولته، ولما عجز عن التعلم في المدرسة، صار أخوهُ الشيخ محمد جنيد يأتيه بما تعلمه من شيخه (محمد الياسين)، في المسجد، ويعلمه إياه، فحبب الله إليه العلم والفقه، واهتم بالتلقي من أخيه أولاً ثم من غيره فيما بعد.

وقد كان يحب الصالحين منذ صغره، ويحب كل ما يقرِّبه منهم، فحفظ القرآن الكريم صغيراً، وكانت شمس الطريقة النقشبندية وشيخها مولانا الشيخ محمد سليم ساطعة في حمص، واستمرت تنير بخليفته وولده الشيخ محمد أبي النصر، فتأثرَّ هذا الشاب بها، وتلقى الطريق عن خليفة مولانا سليم الشيخ أحمد بركات، ثم عن الشيخ المرشد محمد أبي النصر خلف قدس سره، وداوم على أورادها وأذكارها (مع الختم الشريف).

وقدَّر الله سبحانه شفاءه من مرض الفالج، مما مكنه من متابعة نشاطه العلمي والروحي، واستمرار العلم والتعلم والدعوة إلى الله عز وجل، حيث أنه منذ صغره كان مهتماً بالعلم والفقه، وكان كثير ممن تعلموا على يديه أكبر منه سناً.

<u>**بعض شمائله**</u>: وقد اشتهر الشيخ رحمه الله مع تقواه وورعه بأمور كثيرة:

١- زهده الذي كان مجال حديث الناس من أهل حمص، وينقلون عنه كثيراً من القصص التي وقعت معه وتشبه قصص كبار الزهاد والعباد في الأزمنة السابقة.

٢- أسلوبه في الدعوة إلى الله عز وجل، فقد تأثرت به أجيال كثيرة، ولقد كان مسجده (مسجد الشيخ كامل) مدرسة تربوية شرعية تغص بالمئات من طلاب العلم الذين كانوا ينهلون من مورده.

٣- وكان يعرف عنه حبه، بل عشقه لأمرين:

أ- التحدث عن الصالحين وكراماتهم، فكان لا يمل من الحديث عن هذا الجانب وفي أي مجلس جلسه.

ب- تحويله كل مجلس جلسه إلى مجلس فقه في دين الله، فغرامه بالفقه وفي تفهيم الناس أمور دينهم لا يكاد يجارى، وهو في كل هذا محتسب أجره عند الله، لا يبتغي أجراً من أحد سوى من ربه، إنْ في المسجد أو البيت أو الدكان.

عمله العجيب في دكانه: كان يقضي سحابة نهاره في دكانه، ولكن ما هي وظائف وأعمال هذه الدكان ؟!

١- هي دار إفتاء، فلا يكاد يمشي عنه مستفتٍ إلا وآخر وراءه آخر، والشيخ ذو فقه خصب ورحب، وهو ثقة في فتواه، فما ردت له فتوى طوال حياته.

٢- وهي: جمعية إصلاح ذات البين، لأن الخصومات التي تحلُّ فيها وبتوجيهه وفقهه وروحانيته، تعجز عن حلها جمعيات متخصصة ومحاكم متفرغة.

٣- وهي مستشفى يقصدها المرضى ليحظوا بتلاوة الشيخ أو رقيته، ولقد أجمع الكثيرون على أن رقاه وتلاوته شفاء لكثير من الأمراض والأسقام.

٤- كما أنها جمعية بر وخدمات اجتماعية، فالشيخ رحمه الله ثقة الناس فيه؛ جعلته محلاً لأموال زكواتهم، وصدقاتهم، ليوزعها بالنيابة عنهم إلى مستحقيها، من الفقراء يومياً.

٥- وهي مدرسة؛ فإن الطلاب كانوا ينتظرون فراغ الشيخ من هؤلاء، وهم جالسون على مقعد خشبي، ليقرأ لهم درساً في الفقه، فإذا انتهوا جاء غيرهم ليقرأ لهم درساً في النحو وهكذا.

٦- وهي مع هذه الأمور كلها كانت تُحَيِّرُ الناس، إذ كيف يستطيع الشيخ أن يقوم

بهذه المهام، ومع هذا كله كانت دكان الشيخ مقر (جمعية العلماء) فلا يخلو يوم إلا ويمر بالشيخ ثلة من العلماء يأتون ليتدارسوا معه معضلة علمية، أو حل إشكال في عبارات فقهية، أو بحث مسألة تهم الأمة في دينها وعقيدتها.

٧- وأخيراً فإن دكان الشيخ كانت للبيع والشراء، فماذا كان يبيع ويشتري إن بقي من وقته فراغ ؟! كان فيها بعض بالات الغزل يشتريها الشيخ جملة ليبيعها مفرقة، وكان البيع والشراء هو الحظ الأقل أمام تلك الوظائف التي ذكرناها ويقوم بها الشيخ رحمه الله.

والأمر الملفت للنظر أن الشيخ رحمه الله تعالى كان ربّ أسرة مؤلفة من ثلاثة عشر شخصاً يعيشون على الأقل من القليل، ولكن الله بارك له في عيشه وقوته، ولم يكن الشيخ يتقاضى راتباً أو أجراً على دروسه أو تعليمه، بل هو المحتسب الأجر عند الله عزَّ وجلَّ، ولما شغرت فتوى حمص، وعرضت عليه، رفضها وظلّ على حاله التي أسلفناها.

ومع هذا كله فالشيخ صاحب أوراد وأذكار، لم يترك أوراده التي تلقاها عن شيوخه، ولا الأذكار النبوية التي يتخلق بها المسلم في حياته، ومع هذا وذاك فهو محب ولهٌ بسيدنا محمد ﷺ، ترى ذلك عليه من كثرة الصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ﷺ، مع أوقات من الخلوة مع نفسه لا يكلم فيها أحداً.

حدثنا عن كراماتك يا أبي ؟: سأله أولاده يوماً إنك تحدثنا كثيراً ولا تمل عن كرامات الصالحين، والأولياء العارفين، وحديثك معجون بكراماتهم، وأنت شيخ البلد، ومن الصالحين فيها، فاذكر لنا كرامة من كراماتك ! فأجابهم قائلاً: أحدثكم ؟ قالوا: نعم. قال: أحدثكم ؟ قالوا: نعم. قال: انتبهوا، أكرمني الله سبحانه بكرامة ما بعدها كرامة، منذ صغري وأنا أُدَرِّسَ وأُوَجِّه منذ عشرات السنين لم أنقطع عن درس جامع الكبير بعد صلاة الصبح، منذ كذا وكذا سنة لم أنقطع عن درس جامع (الشيخ كامل) بعد صلاة المغرب، يا أولادي؛ تكفيني كرامة هذه الاستقامة والمثابرة والنشاط الذي يعطيني الله إياه.

كان رحمه الله متشدداً في حاله ونفسه وأهله وعياله، لا يأخذ بالرخص إنما هي العزائم، ولا يهادن نفسه في كسبه وأوراده وعباداته، ولا يرضى أن يأتيه قرش من شبهة.

أما بالنسبة للعامة فكان يلتمس لهم أيسر الحلول، ولا يشدد عليهم من باب قوله ﷺ: (يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا)، وإذا وجد مذهباً يحل مشكلة الكثير من الناس في كسبهم ومعاشهم وعباداتهم فرح وصار ذلك عنده عيداً، ويقول: لأن نجد لهم مذهباً شرعياً وقولاً معترفاً به يعملون به خير من أن توجد عندهم الجرأة على مخالفة الشرع [1].

وفاته وجنازته: كان يوم وفاته يوماً مشهوراً يذكرُهُ أهل حمص، فهناك إجماع على أن حمص تعطلت بالكامل عن مزاولة أي عمل، ليشارك أهلها - حتى النصارى - بتشييع جنازة الشيخ إلى الكثيب الأحمر، إلى جوار الصالحين والعلماء العاملين، وعلى مقربة من الشيخ أحمد الطوزقلي قدس الله أسرارهم جميعاً وكان هذا يوم الأحد ٣ ربيع الثاني ١٤١٤ هـ الموافق ١٩/ ٩/ ١٩٩٣م.

وقد خلف الشيخ محمود رحمه الله أولاداً لهم النشاط في العلم والدعوة، أكبرهم الشيخ **سهل** الذي يدرس في معهد سيدنا خالد العلمي والشيخ **أحمد**، والدكتور عبد البر، و**محمد ضياء**، حفظهم الله ومتع بهم ونفع بهم.

(مصادر ترجمته مما كتبه لي ولد أخيه العالم الفاضل الأستاذ الداعية الشيخ ممدوح جنيد في المدينة المنورة صفر ١٤٢٣ هـ). ونقلت من ثبت الشيخ محمد علي مشعل ما يلي:

الشيخ محمود جنيد: عالم رباني يعيش من كسب يده، إمام وخطيب، الراتب يوزع ولا يدخل إلى الدكان، له حلقة علم في الجامع الكبير مستمرة، فقه وحديث، وله درس أيضاً في جامع خالد بن الوليد رضي الله عنه للنساء، كان الشيخ طاهر يقوم به، وبعد وفاته قام عليه الشيخ محمود جنيد، له درس في مسجده، وقد تخرج من حلقاته أناس كثيرون سدوا مسدّاً عظيماً في الإمامة والخطابة، وهو مرجع الفتوى، والدكان فيه حلقات علم أكثر من البيع والشراء. وبعد وفاة الشيخ عبد القادر، والشيخ طاهر، أصبح هو الوحيد الذي يرجع إليه، لكن هناك غرفة الجامع الكبير فيها الشيخ أحمد الكعكة والشيخ

---

[1] قال أخي عبد الله: زرته بمعية الشيخ سعيد الكحيل في بيته لما أقعده المرض وقبّلنا يده، والتمسنا صالح دعواته.

أبو السعود، يسدّون مسدّاً لا بأس به. اهـ منه. وقد رثاه الشعراء والخطباء، ومن الشعر الذي قيل فيه هذه القصيدة الحسناء للشاعر عبد الغفار حسن إسماعيل قال:[1]

قد هزَّ حمصَ وريفها هزَّ الكمدْ | صوتٌ نَعى لِلخَلْقِ أستاذَ البلدْ
نبأ له صعق العباد فأغلقوا | كل المتاجر ما تأَخَّر من أحد
الله أكبر في المآذن جلجلت | وكأنها كانت زئيراً من أسد
لَّما تعالت في المآذنِ صيحةٌ | الله أكبر مات عالمنا الرشَد
هرع الشباب من المدائن والقرى | ليساهموا في نيل أجر لا يحد
من (جلق) جاءت وفود جمةٌ | نعم الوفود ومن على الغالي وفد
حيُّوا جماهير الصناعة كلهم | خرجوا لكسب ثوابهم حتى الولد
فالمسلمون جميعهم قد شيَّعوا | من ريفنا ورجال أحياء البلد
أدَّى الصلاة على الجنازة أمة | مليون شخصاً في دعاء لا يرد
لم يتسع حرم الصحابي الذي | فتح الشآم وفي مدينتنا رقد
وكذلك الساحات ضاقت بالورى | وحدائق كبرى فصلوا في جلد
صلوا عليها بالعراء ودونما | ظل يرد الحر أو ماء برد
شيخ يودع مسجداً ولطالما | أعْطى الدروس وفي مُصلاه قعد
حمص الحزينة شيعت أستاذها | في موكب ضخم ولا يحصى العدد
والنعش تحمله الأكف وفوقه | تمشي من الأعلى ملائكة الأحد
سارت أمام النعش أفواج وقد | رَصَّوا الصفوف كجحفل كان احتشد
أصواتهم في وحدة القراء إذ | علت الفضاء كأنها برقٌ رَعَدْ
سارت ألوف من خيار الناس في | دربين قبل الدفن يرجون المدد
مات الذي سمع العباد دروسه | فتيانهم وشيوخ حمص ومن سجد

جمعية العلماء أدت خدمة … جُلّى لمن خدم الشريعة وانفرد

إذ كان في الدنيا جليس كتابه … يتصفح الكتب القديمة والجدد

لا شكرَ للعلماء هذا واجب … قاموا به لله في هذا الصدد

شيخ عزيز النفس كان مكرماً … فيهم وطَوْداً ثابتاً لا ينتقد

يُفتي فما تخفى عليه قضية … في عالم الفِقه الحنيف إذا قصد

بحّاثة في العلم كان بعصرنا … هذا إمام المسلمين المجتهد

عهدوا له دفع الزكاة … لأهلها فغدا على الدفع الأمين المعتمد

وله تلاميذ دعاة للهدى … جذبوا الشباب إلى كتاب المعتقد

فتخلقوا بالمصطفى وبشيخهم … كل على بحر الشريعة قد ورد

حتى تآلفت القلوب وأبعدت … عنها الضغائن والعداوة والحسد

ستظل حمص حزينة من بعده … وتظل ذكراه تطوف إلى الأبد

متقشف بكسائه وغذائه … ورع فلا يخشى سوى الفرد الصمد

لا يرتدي جوخ السعادة إنما … يكفيه ثوبٌ في إزارٍ من مسد

وله بفاروق الصحابة أسوة … مادام في شكر الإله وما حمد

شيخ تعهَد واستقرَّ بنفسه … زهد لدنياه وأنجز ما عهد

قامت مدينة خالدٍ في دفنه … ضيفاً على علماء مقبرة البلد

محمودُ قد نفعتْ عُلومُكَ أمة … وتركتَ من يدعوا فأنجبت الولد

نم في رياض الحق نوماً هانئاً … إذ كل من زرع الفضائل قد حصد

وانعمْ أبا المعروف في دار الملا … واظفرْ بأجر الصالحين إلى الأبد

حمص في ٣/ربيع الثاني/١٤١٤هـ، الموافق ليوم الأحد ١٩/ ٩/ ١٩٩٣م، **عبد الغفار حسن إسماعيل**.

٣- الشيخ محمد الخالد بن محمد جنيد الكعكة
الشهير بالشيخ محمد جنيد
(١٣٣١-١٤١١ هـ) (١٩١٢-١٩٩١ م)

هو الشيخ الفاضل والعالم العامل، محمد الخالد بن محمد جنيد كعكة، والمشهور باسم الشيخ محمد جنيد، ولد في حمص في عام ١٣٣١ هـ، ١٩١٢ م، ولم تمض سنوات قليلة حتى التحق والده بالجيش العثماني أيام الحرب العالمية الأولى، وأحب الجهاد فاستشهد في المعركة في بلاد روسية.

شيوخه في العلم: تلقى تعليمه الأولي في الكتّاب، كعادة أقرانه، وبعد إتقان مبادئ القراءة والكتابة والتلاوة (التجويد)، التفت إليه علامة حمص الكبير الشيخ محمد الياسين بسمار، الشهير بكنية (عبد السلام) وأعطاه من وقته حصة طيبة، حيث نهل منه عدة علوم، وذلك في مسجد الصحابيين الجليلين (وحشي وثوبان).

والشيخ محمد الياسين علم من أعلام حمص علماً وعملاً، وزهداً وورعاً، وقد كان الشيخ محمد جنيد يعتبر شيخه (محمد الياسين) مدرسة كاملة، أغناه عن ملازمة الكثيرين، لذلك لا يكاد مجلس يجلسه الشيخ محمد جنيد إلا ويذكر فيه فضائل شيخه ومآثره، أو غيرته على العلم وأهله.

شيوخه في الطريق: وكانت أجواء حمص آنذاك مفعمة بعطر كثير من العلماء والمرشدين خصوصاً الشيخ محمد سليم خلف رحمه الله، ومن بعده ولده الشيخ محمد أبو النصر ومنه أخذ طريق السادة النقشبندية.

مع القرآن الكريم: حفظ الشيخ محمد جنيد القرآن الكريم صغيراً، وأخذ القراءات عن أستاذه الشيخ **عبد المجيد الدروبي** رحمه الله تعالى، وكان المترجَم له يميل إلى العزلة في

مسجد الشيخ مسعود في حمص، ثم فتح له باب الحج، فصار يحج كل عام، وبلغت عدد حجاته /٤٦/ حجة، وقد حج ماشياً من حمص، ثم صار يحج بالوسائل المتاحة آنذاك، و لم ينقطع عن الحج سنة واحدة.

نشاطه العلمي والإجتماعي: كان نشاطه محصوراً في أمرين اثنين:

الأول: تحفيظ القرآن الكريم بالتعاون مع **الشيخ عبد العزيز عيون السود** رحمه الله بمدرسة الإقراء في حمص، حيث ظلّ ملتزماً هذا النشاط إلى ليلة وفاته في المدينة المنورة.

والثاني: خدمة حجاج بيت الله الحرام كل عام، حيث كان يحج معه العدد الكبير، الذين يجدون فيه الخبير بشؤون الحج الذي يخفف عنهم المتاعب والمشاق، كما يجدون فيه **المرشد الروحي**، فيشهدون في عبادهم هذه متعة روحية لا ينسونها طيلة حياهم، وهو مع هذا كله **المفتي** المتخصص بفقه الحج على المذاهب الأربعة.

وكان رحمه الله إماماً وخطيباً في مدينة حمص، يقصده الكثيرون من أمكنة بعيدة ليصلوا خلفه ويتمتعوا بصلاته الخاشعة، يستمعون إليه فيها تالياً للقرآن الكريم بخشوع وخضوع وبالخصوص الصلوات الجهرية وبالأخص منها صلاة الفجر.

ويجمع علماء حمص على أنه ليس هناك إمام يعشق المحراب وصلاة الجماعة مثله، وخلال عشرات السنوات التي ظلّ فيها إماماً في محراب (مسجد الحميدية)، لم يكن غيابه عن المسجد إلا أوقاتاً معدودة على الأصابع، عدا أيام الحج من كل عام، وإذا دعي إلى نزهة في بستان أو وليمة كان يشترط على الداعي أن يعيده إلى مسجده وقت الصلاة.

وإذا أردنا تعداد ما اشتهر به وعرف به نقول:

١- شغفه بالقرآن الكريم تلاوة وتعليماً.

٢- ملازمته للجماعة وحبه لها بشكل لا نظير له.

٣- قلة كلامه مع الناس، (وفي التلاوة شغله).

٤- خدمته للحجيج في كل عام.

٥- حبّه العظيم لسيدنا رسول الله ﷺ، فكان إذا وصل المدينة المنورة بعد الحج وغادر

حجاج بلده الديار المقدسة إلى أوطانهم فإنه يطيب له المقام في طيبة الطيبة وروضتها المباركة، حتى إذا انتهى الحجيج من بلاد الإسلام المختلفة من زيارالهم ينتظر الإذن من صاحب الروضة المطهرة، فإذا جاء الإذن ويعرف ذلك أهل هذا الشأن وأهل الصدق في محبة رسول الله ﷺ، غادر إلى بلده.

جواره في طيبة وموته فيها: ولصدق محبته للحضرة النبوية كتب الله له الجوار الشريف في طيبة الطيبة مدة أحد عشر عاماً من ١٤٠٠ هـ، حتى ١٤١١ هـ، فأصبح يقضي معظم وقته في المسجد النبوي الشريف، فلا تراه فيه إلا تالياً للقرآن الكريم ومعلماً له، إلى أن توفي في المدينة المنورة صبح يوم الجمعة ٢٦ شوال ١٤١١ هـ، الموافق العاشر من أيار ١٩٩١م، وصلي عليه عقب صلاة الجمعة في المسجد النبوي الشريف، ودفن في البقيع الشريف، وهذا ما كان يتمناه ويطلبه من ربه بإلحاح رحمه الله ونور ثراه.

(هذه الترجمة مما كتبه لي ولده الأخ الصديق والمحب الودود الشيخ ممدوح، بصيف عام ١٤٢٣ هـ، كما كتب لي أيضاً ترجمة عمه الشيخ محمود). وكتب عنه الشيخ محمد علي مشعل في ثبته ما يلي:

الشيخ محمد جنيد: شقيق الشيخ محمود، عالم زاهد، إمام جامع الدالاتي بحمص، يحج كل عام، من حفظة كتاب الله، وله علاقات بالشيخ بدوي في جامع سيدنا خالد، ومع الشيخ أحمد مسدي، ومع كل هؤلاء الذين لهم صفة المجاذيب، وكان لا يفتر عن ذكر الله، وقد رزق أولاداً صالحين أكبرهم الشيخ ممدوح. اهـ منه.

٤- الداعية الفاضل

الشيخ ممدوح بن الشيخ محمد جنيد كعكة

(١٣٦٠ هـ) (١٩٤٠ م) أمدَّ الله في عمره

وهذا العالم الفاضل ثمرة ذلك الولي العامل؛ الشيخ محمد جنيد وأكبر أولاده، ولد حفظه الله في حمص ١٣٦٠ هـ، ١٩٤٠ م، وتلقى مبادئ العلم أول ما تلقاها عن والده الشيخ محمد، ثم في معهد حمص الشرعي (الثانوية الشرعية) وحصل على الإجازة في الشريعة من جامعة دمشق (كلية الشريعة)، لعام ١٩٦٧ م، وكان من زملائي في الدراسة فيها، وبعد تخرجه عمل إماماً وخطيباً ومدرساً في مساجد حمص.

كما عين مدرساً (للتربية الإسلامية) من قبل وزارة التربية، ودرّس في ثانويات حمص، ودار المعلمين فيها، كما أسندت إليه جمعية العلماء والمعهد الشرعي في حمص، أمانة السر والتدريس فيها، حتى عام ١٤٠٠ هـ، ١٩٨٠ م، حيث جاور في مدينة رسول الله ﷺ ولا زال فيها، ويتردد على حمص في كل صيف.

شيوخه: وكان من شيوخه في حمص الشيخ أحمد الكعكة، وهو الذي **لقّنه الطريقة النقشبندية**، وحبّبه فيها وفي شيوخه، ولا يخلو درس أو مجلس إلا والشيخ أحمد يحكي لهم عن الشيخ سليم وأبي النصر، ومن شيوخه الشيخ وصفي مسدي والشيخ عبد الغفار الدروبي، والشيخ عبد الفتاح مسدي، والشيخ عبد الخالق الحصني، وعمه الشيخ محمود جنيد، ووالده الشيخ محمد، وأخذ القرآن الكريم عن الشيخ المقرئ عبد العزيز عيون السود.

ولازم في المدينة المنورة صحبة مولانا العارف الكبير والولي الشهير محمد زكريا البخاري النقشبندي، ويحضر عنده (الختم الشريف)، ولا زال في صحبته ويقرأ لديه ما يكلفه به

الشيخ في مجلسه، كما لازم العلامة الشيخ أحمد القلاش وقرأ عليه التفسير، وكان يصحب أستاذه الشيخ أحمد الكعكة، في أسفاره لحلب لزيارة **شيخنا عبد الباسط** رحمه الله تعالى.

(وهذه المعلومات عن الشيخ ممدوح أخذتها عنه مشافهة في لقاءاتي المتكررة معه في المدينة المنورة وفي حمص عندما كنت أزوره من أجل جمع تراجم علماء حمص).

وقد كتب الشيخ محمد علي مشعل عنه في ثبته ما يلي:

الشيخ ممدوح جنيد: العالم الواعظ بقوله وفعله، الذي يحبه كل من يعرفه، تحمّل أثقال العوائل المتضررة، وهو من الفطنة والذكاء وسداد الرأي على مستوىً عالٍ، يزور الأصدقاء والضعفاء، ويكرم الفقراء، وهو مركز من مراكز الخير، واعظ حكيم، وفقيه كريم، ومحسن رحيم، وله أولاد صالحون قدوة حسنة، وأمثلة فاضلة، منهم من استشهد، ومنهم من أوذي في الله، ومن أولاد الشيخ ممدوح: محمد جنيد، وأسامة ومبشر، وكلُّهم على مستوى عالٍ من الصلاح والتقوى.

وبالخلاصة: إن آل جنيد عائلة مرموقة معلومة معروفة بالتقوى والاستقامة والصلاح والخير، وإني أدعو من صميم قلبي للشيخ ممدوح وأولاده، وأسأل الله أن يزيدهم علماً وفضلاً وأن ينفع بهم. اهـ منه، وأنا أقول: آمينَ آمين.

٥- العالم الزاهد، و التقي الخفي

الشيخ أحمد جنيد الكعكة

الشيخ أحمد بن جنيد كعكة من مواليد حمص، وهو شقيق الشيخ محمد خالد جنيد كعكة، وشقيق الشيخ محمود جنيد كعكة؛ نشأ في بيئة صالحة زاهدة، تعلم في كتاتيب حمص، حفظ كثيراً من القرآن الكريم، وقرأ بعض الدروس على **الشيخ محمد الياسين بسمار**، لكن العزلة كانت تغلب عليه، فكان دائم الصمت قليل الكلام، فرَّغ نفسه للمسجد حيث كان يعتكف في مسجد الشيخ مسعود أكثر الأوقات، يؤذن فيه ويؤم الناس ويخدم المسجد بيده، لا يلبي الدعوات أبداً، ولا يأكل من عند أحد ألبتة.

حج كثيراً إلى بيت الله الحرام لكنه ما يكلم أحداً، يأخذ معه زاده وهو خبز التنور اليابس فإذا شعر بالجوع رطَّب كِسرات الخبز بالماء وأكلها، هذا طيلة فترة الحج، لا يحب أن يراه أحد، فكان يجلس في مكة في مكان مقابل ميزاب الرحمة بحيث يرى الكعبة ولا يراه الناس، وإذا حصل أن إنساناً رآه وجلس بجانبه يسلم عليه ويعطيه كأس ماء زمزم من إبريق بجانبه فإذا شرب هذا الأخ وبقي جالساً ترك الشيخ مجلسه وانتقل إلى مجلس آخر، وهكذا كلما جلس بجانبه إنسان وأراد أن يكلمه سلَّم عليه مودعاً وانتقل إلى مجلس آخر وهكذا، فهو يحب الخلوة مع ربه دائماً.

عاش عيشة الكفاف، تزوج وله أولاد، كان أغنياء حمص يكلفونه بتوزيع بعض الأقوات للفقراء في رمضان، فكان يشتغل بنفسه ويوصل هذه المواد إلى بيوت الفقراء ليستر حالهم من الوقوف على بابه، وكان هذا الأمر متعباً له ولكن يشعر فيه بلذة ونشوة عظيمة، يقضي حوائج الناس ويساعدهم على طاعة الله عز وجل، وفي شهر رمضان يمر على البيوت بَيتاً بيتاً قبل الفجر ليوقظهم ويعينهم على أداء سنّة السحور.

لم يكن على درجة من العلم بحيث يتصدر للفتوى فكان لا يفتي الناس ويحيلهم على العلماء ولو كان يعرف الحكم... للناس فيه اعتقاد ويعتبره الكثيرون على درجة من الولاية ويلتمسون منه الدعاء.

ونتيجة لهذه الحال طيلة حياته، أعني حال العزلة والزهد والورع والصمت، فقد صار له حال في آخر حياته إذا مر في الشارع ورأى الأولاد يلعبون، فبدل أن يسمح لهم بتقبيل يده هو يقبل أيديهم ويقول لهم: ادعوا لي. ويكرمهم ويمسح على رؤوسهم حتى إن الأولاد الصغار تعلقوا به حباً وتوقيراً وصلح حال الكثيرين منهم بنظراته وتوجهاته.

أخذ الطريق، **طريق السادة النقشبندية من الشيخ المرشد أبي النصر خلف رحمه الله،** وداوم على أذكاره إلى أن لقي الله سبحانه وتعالى. وتوفي في حمص ودفن فيها رحمه الله ونور ضريحه.

(هذه الترجمة كتبها لي ابن أخيه الشيخ ممدوح جنيد حفظه الله).

٧- ومن آل المسدّي في حمص:

١- العالم الكبير والفاضل الشهير

الشيخ وصفي المسدّي الحمصي

(١٣٣٦ هـ) (١٩١٧ م) أمدَّ الله في عمره

ولادته ونشأته: ولد هذا العالم الفاضل، والرجل الكامل، الذي ترعرع ونشأ في حجر الكمال والعلم، ورضع من لبان الفضل والحلم في حمص عام ١٣٣٦ هـ - ١٩١٧ م، في بيت والده العالم الفاضل، والولي الكامل الشيخ أحمد المسدي، وكان والده أدرك مولانا الشيخ أحمد الطوزقلي، عندما كان عمر والده خمسة عشر عاماً، تلقى مبادئ علومه الشرعية في مدرسة حمص العلمية في حياة والده رحمه الله، وتوفي والده وعمره /١٨/ عاماً، ثم أكمل علومه على مشايخ حمص المتوافرين آنذاك ومن أجلهم الشيخ طاهر الأتاسي، والشيخ عبد الغفار عيون السود، والشيخ أبو النصر، وسواهم، وتولى تربيته الروحية وملاحظته القلبية والعناية به الشيخ راغب الدويري رحمه الله، الذي أدرك الشيخ سليم ونهل من علومه ومعارفه، كما كان مريداً صادقاً لدى الشيخ أبي النصر.

شيوخه في الطريق: وقد تلقى الطريقة النقشبندية عن أبيه وعن الشيخ أبي النصر. يقول الشيخ وصفي حفظه الله: كان الشيخ أبو النصر إذا سلم عليَّ تودّد إليَّ وقال: أبوك شيخنا وأنت ابن شيخنا، وقد رأيت رؤيا بعد وفاة الشيخ أبي النصر وخلاصتها: أنا كنا جالسين في مجمع من الناس، فقالوا: سيمر الفحل. قلت من هو ؟، قالوا: الشيخ سليم. قلت: على عيني، فحل وفحل ! ثم مرت كوكبة نورانية فيها الشيخ سليم، فقال لي: أذنّا لك في تلقين الطريق، ثم ذهب، وفي نفس المنام حدثت نفسي: أني نسيت أن أسأله، هل الرابطة عليه أم

عليّ ؟ فقلت: من الأدب أن تكون عليه. ثم رأيت نفسي (مناماً) في مجلس كله مشايخ، فقلت لهم مفاخراً: وينكم ؟! ما في واحد سنده أعلى من سندي، عن الشيخ سليم عن الطوزقلي عن خالد الحضرة، من منكم أعلى سنداً مني ؟ قالوا: أنت.

وكانت هذه الرؤيا بعد وفاة الشيخ أبي النصر رحمه الله تعالى، وذلك لأن بعض المشايخ طلبوا مني أن أتلقن الطريق، فكنت أقول لهم: أنا لست أهلاً لأكون سالكاً، فقد أخذنا الطريق تبركاً من الشيخ أبي النصر.

من أحوال الشيخ أبي النصر وآثاره:

وكان أبو حسن النداف (منشد الشيخ) مرافقاً للشيخ أبي النصر، وكان يحكي لي الحكايا العظيمة عن الشيخ أبي النصر، وكان مما حكاه أبو حسن، أنهم لما قطعوا الفرات إلى الجزيرة وكان هناك عرب الوَلْدَة في انتظارهم، فلما وصل الشيخ إلى البر، جاء شيخ عرب الولدة، وقد صار معه حال عظيم، إذ أنه صار يتدحرج على الأرض أمام الشيخ لما أبصر الشيخ قادماً في سيارته، وهجم قومه من العرب على سيارة الشيخ وحملوها على أكتافهم، وهم في حال عظيم من الوجد والشوق والمحبة، فقال الشيخ أبو النصر ناهياً لهم: اتقوا الله يا جماعة، أنا عبد، أنا عبد. فقالوا له: أنت عبد، ولكن الله سبحانه أنقذنا بك، لقد كنا قطاع طريق، ولا نذكر الله، ولا نعرف صوماً ولا صلاة، ولا نعرف شيئاً، وبواسطتك صرنا ذاكرين لله، صائمين مصلين، فمهما عملنا معك من احترام، فهو قليل بجانبكم وجانب حقكم علينا.

قال الشيخ وصفي: ولقد كان احترامهم للشيخ وتأدبهم معه، كما فعل الأنصار مع سيدنا رسول الله ﷺ، وقد كان الشيخ محمد الحامد من ذوي الأحوال، وقصة لقياه للمرة الأولى مع الشيخ أبي النصر في حلب معروفة. (وسنذكرها في ترجمة الشيخ محمد الحامد رحمه الله تعالى).

أقول: وقد كانت الأحوال الصادقة، والمواجيد تغلب على أهل الجزيرة، وكانوا يتأثرون بأي أثر من آثار الشيخ، وقد استفاض هذا منهم، وقد حدثنا به أكثر من عالم ومحب.

الشيخ راغب الدويري وعنايته بالشيخ وصفي: وتابع الشيخ وصفي حفظه الله حديثه: لقد كانت - مع هذا كله - وجهة الشيخ أبي النصر علمية، فأينما ذهب يحثُّ الناس على العلم، وأينما ذهب كان العلماء الكثيرون بصحبته، وكان هكذا الشيخ راغب الدويري، يحب العلم والفقه، وكان منـــزوياً في جامع (القصيِّر)، وبقي فيه ثلاثين عاماً لم يخرج منه، وكان يقف أحياناً على باب الجامع، فقال لي مرة، وكان هذا في أول شبابي وطلبي للعلم، قال لي: شيخي بدْنا درس، بدْنا - أي نريد - نتعلّم. فقلت: أمرك. وكنت أدرس في جامع قريب منه، بين المغرب والعشاء، فإذا انتهيت من درسي وصليت العشاء، اذهب إلى جامع القصير، وأعمل الدرس بعد العشاء، ويحضره الشيخ راغب، وكان يريد مني أن أدرِّس الفقه، فكنت أقرأ الفقه هناك.

صحبة أهل الكمال، لا أهل الأحوال: قال لي مرة: نريد أن نتعلم. وكان بهذا يلفت نظري إلى الحرص على العلم والتعليم، وأحسست أن له عناية خاصة بي والتفاتاً إليَّ، وتوجيهاً لما هو الأنفع والأصلح لطالب العلم، ومن الحادثة التالية تظهر دقته وعنايته بطالب العلم، وتوجيهه إلى الحق والصواب، فقد حضر إلى حمص أحد أهل الفضل من المجاذيب وهو الشيخ يحيى الصباغ الدمشقي، وكان مظنة الولاية، إذ كان من طبقة الشيخ أحمد الحارون، بل هما من طبقة واحدة، وسهرنا معه عند الحاج عبد العزيز الديك، وكان تاجراً من صلحاء حمص، وصارت المذاكرة في المجلس مع أهل العلم الحاضرين لمن يزورون الشيخ يحيى من أهل العلم والفضل في حمص، فسمعتهم يقولون: غداً نذهب لزيارة الشيخ راغب الدويري، فعلق في ذهني هذا الكلام أكثر من غيره لحبي الشيخ راغب، وكنت آنذاك لا أزال أدرس في معهد حمص العلمي (الشرعي)، وفي اليوم التالي بعد قراءتي للدرس في جامع القصير، وكنت أجلس بعد الدرس إلى الشيخ راغب أسمع منه حكايا الصالحين عن الشيخ سليم وغيره، وكان في ذهني خبر، وهو أن الشيخ يحيى الصباغ، ومرافقته من المشايخ سيزورون الشيخ راغب، فأحببت أن أخبر الشيخ راغب بذلك، ظناً مني أن ذلك يسرّه فقلت له: سيدنا. قال: نعم. قلت: هل جاءكم الشيخ يحيى ؟ قال: من

هذا الشيخ يحيى ؟ قلت: الشيخ يحيى، من أولياء الله. فقال لي: شيخي؛ نحن بدنا (نريد) حالَنا، ماذا ننتفع إذا كان هو ولياً، ونحن قاعدون بأرضنا ؟! فكانت كُلمات الشيخ راغب درساً لي وعبرة، ونزلت في قلبي، ووقعت مني موقعاً عظيماً، وهو أن ألتفت إلى نفسي بالتهذيب والتعليم، ثم قال لي: شيخي، شيخي، أنتم تعلموننا، نحن طريقنا الشرع، فإذا حِدْنا عن الشرع ضعنا، فلو رأينا واحداً يمشي على الماء، أو يطير في الهواء، وهو مخالف للشرع، فإننا نلقيه جانباً، ولو جاءنا كل يوم ولي، وحلّ لنا من الإسلام عقدة، أو عروة لضاع الإسلام، إن الذي يحفظنا ويحفظ ديننا هو الشرع الشريف.

وتابع سيدي الشيخ وصفي قائلاً: ومن يومها احتلت هذه الكلمات مكانها في قلبي، كسلوك ومنهاج، (الشريعة سياج)، لأننا متى تساهلنا بأوامر الشرع وأحكامه، فإننا نقضناه وهدمناه.

فالطريق التي توصلنا إلى الحقائق هي الشريعة، من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم، وهذا هو المقرر، لأن الإنسان قد يؤخذ بكرامات بعض المجاذيب، فإذا أمرنا المجذوب بعمل وفيه مخالفة للشريعة فإننا ننساق معه، وهذا خطأ، فالأصل المحافظة على الشريعة وآدابها، وخصوصاً لطلاب العلم، لأن طالب العلم قدوة لغيره، نرجو الله الثبات. اهـ.

حديث عن علماء حمص وصلتهم بالشيخ أبي النصر: كانت جلسة ممتعة ونافعة، ولقاءاً مميزاً مع علامة حمص وفقيهها، وأحد دعاتها الأعلام الذي تلقى علمه وتزكيته على أيدي الربانيين من ورّاث النبي ﷺ، ذلكم أستاذنا الفاضل الشيخ وصفي مسدّي، وقد كانت فرصة للقائه حيث قدم من جدّة صيف عام ١٤٢٠ هـ، إذ أنه كان يعود إلى حمص في غالب السنين، ليقضي فترة الصيف فيها، وكان قد أقام في جدة عام ١٤٠١هـ، وكان ذلك اللقاء في بيته العامر في حمص يوم الخميس الثامن من جمادى الأول ١٤٢٠ هـ، مع بعض أهل العلم، أذكر منهم الأخ الفاضل نزيل المدينة المنورة الشيخ ممدوح بن الشيخ محمد جنيد، والأخ الفاضل الشيخ إسماعيل الأحمد أبا حذيفة، وكنت قصدت حمص لأتابع أخبار سادتنا من خلفاء مولانا خالد في حمص حرسها الله،

فكانت هذه الجلسة مع أستاذنا الشيخ وصفي الذي أفادني كثيراً، بالمعلومات الهامة، والسيرة الدقيقة لهؤلاء العارفين الربانيين وبالأخص منهم مولانا الشيخ الطوزقلي، وخليفته الأول مولانا محمد سليم، وشيخنا أبي النصر، وبعض تلامذتهم ومريديهم، الذين ذكرتهم فيما سبق من هذه الصفحات.

وقد سألته حفظه الله تعالى عن علماء حمص الذين كان لهم ارتباط وصلة بالشيخ سليم والشيخ أبي النصر قدس سرهما، وعن الصلحاء الذين كان لهم ارتباط بهما، ذكر منهم والده الشيخ أحمد، وذكر الشيخ سليم صافي، والشيخ خليل السقا، وأبا سعيد الشعار، وقد ذكرناهم سابقاً، ومن علماء حمص الذين تلقوا التربية والذكر على يدي الشيخ أبي النصر: الشيخ محمود السباعي، والشيخ أحمد الكعكة، والشيخ عبد العزيز عيون السود، وواظب الأخير عند الشيخ راغب الدويري، وكان ينام عنده، وسلكه الطريق، وقام به بحق سلوكاً قويماً.

ومنهم الشيخ عبد الجليل المراد، والذي كان يدرس في الجامع الكبير بعد الشيخ أبي النصر متبرعاً، ومن صلحاء حمص الحاج أحمد ويس، ولم يكن من أهل العلم، وكان من الصالحين، ومن تلاميذ الشيخ أبي النصر المحبين له، وكان الحاج ويس - والكلام للشيخ وصفي- من المواظبين عندي في الجامع، وكان يحكي لي عن الصالحين، وبالأخص الشيخ أبي النصر، وقد توفي منذ فترة، وهناك صالح آخر من آل مندو توفي أيضاً.

وكان لدى الشيخ أحمد الكعكة موسوعة عن أخبار الشيخ أبي النصر، وكان الشيخ عيسى البيانوني متفانياً في حب أبي النصر.

وتابع الشيخ وصفي: وأنا ممن أخذ الطريق قديماً [1]، وكنت مواظباً عند الشيخ أبي النصر في الزاوية، وكان معنا الشيخ عبد الباسط أيضاً.

مع الشيخ عبد الباسط أيضاً: وكنا نزور الشيخ عبد الباسط في حلب أنا ومجموعة

[1] وعلق الأستاذ الشيخ إسماعيل كتابة: إذاً هو ملتزم وليس متبركاً.

من علماء حمص، بعد انتقاله إليها، وزرناه أيضاً قبيل وفاته، ومرة زرنا الشيخ أبا النصر قبل أن ينتقل الشيخ عبد الباسط من حمص حيث كان عند والده، وكان الشيخ أبو النصر ينظر إلينا (نحن طلاب العلم) وعمائمنا بيض، وينظر إلى عبد الباسط (وعمامته صفراء)، كأنه يريد من عبد الباسط أن تكون عمامته أيضاً بيضاء.

فقلت للشيخ وصفي: إنه اعتم في آخر حياته بعمامة بيضاء، فقال لي الشيخ وصفي: هذه أنا سببها. فقلت: كيف ؟ قال: كنا في العمرة عام ١٣٩٤ هـ، ١٩٧٤ م، ودخلت المسجد النبوي، ووجدته هناك يعتم بعمامة بيضاء، فقلت له: والله، هذا التجلي الذي معك بحضرة النبي ﷺ، لازم ما تتغير هذه العمة البيضاء، خَلَصْ، الله يرحم والدك، ألا تذكر يوم زرناه في آخر حياته، ونظر إليك، وقال: اعتم مثلهم ؟! فقال لي الشيخ عبد الباسط: خَلَصْ. (أي سأبقى على العمامة البيضاء)، ومن يومها بقي عليها.

وكتب شيخنا (إسماعيل أبو النصر): وقد أذن له بالعمامة البيضاء في الحضرة النبوية (آنذاك) حسبما تحدث بهذا الحاج كامل حنيفي.

لقد كان هناك تواصل بيننا ومودة، وهناك في حلب ولده الشيخ إسماعيل يقوم مقامه، وهو طالب علم، ويعمل دروس ومجالس.

فقلت للشيخ وصفي: لقد قال الشيخ عبد الباسط لنا: لقد تركنا لكم الشيخ إسماعيل.

بارك الله في حياة شيخنا (وصفي المسدي) وأمد في عمره، ونفعنا به وبأمثاله من العلماء العاملين.

وكتب عنه الشيخ محمد علي مشعل في ثبته ما يلي:

الشيخ وصفي مسدي: تخرج من مدرسة العلوم الشرعية بحمص، وبعد تخرجه استمر في حضور حلقات العلم الموجودة في حمص، وبخاصة حلقة الشيخ عبد القادر خوجة، وكان إماماً وخطيباً لجامع القاسمي، وكان له درس في الجامع الكبير، وكان مدرساً عاماً.

كان معدوداً في الدرجة الأولى في الورع والتقوى والعبادة، وكان متميزاً بالوعظ والإرشاد، وخطيباً مفوهاً لا تُمَلُّ دروسه ولا يستطال خطابه، وكان زينة المجالس، ولا زال

في طليعة المحدثين والفقهاء العارفين، وله منــــزلة عالية عند العلماء وعند الناس، وهو مرجع في أيامنا هذه للفتوى، وللإجابة على أسئلة العامة.

ولما جاء إلى جدة خطيباً في مسجد أبي داود، أصبح المسجد مقصوداً من الكثيرين للاستماع إلى الشيخ.

وكان العضو المتحرك في جمعية العلماء بحمص، وعندما قررت الجمعية إقامة حفلة أسبوعية في المساجد، كان على رأس الخطباء الشيخ وصفي مسدي، وكنت أحاضر معه في أكثر الأوقات.

وعندما أنشئت مدرسة جمعية العلماء (المعهد الشرعي في حمص) بجامع سيدنا خالد بن الوليد، كان الشيخ وصفي في طليعة المدرسين، وفي الليلة التي يجتمع بها العلماء كل أسبوع يكون الشيخ وصفي أساساً فيها.

وفي كل وفد للعلماء يكون الشيخ وصفي عضواً فيه، وهكذا كان الشيخ وصفي ركناً ركيناً في كل لقاء واجتماع، وحتى أن العلماء كانوا لا يبرمون أمراً دونه، وله أولاد صالحون وتلاميذ نجباء من أحسنهم (أبو الطيب). اهـ منه.

وقد ذكرت حبه ومودته لآل أبي النصر في ترجمة شيخنا عبد الباسط حين زار حلفايا وطيبة الإمام وحماه، وكيف كان هو وقريبه الشيخ عبد الفتاح المسدي يشاركان المنشدين بأصواتهما الندية مع خبرتهما وذوقهما في النشيد فضلاً عن العلم والتقوى.

٥- العالم العامل، و الكريم الفاضل

الشيخ عبد الفتاح المسدي

هو العالم الفاضل، والداعية العامل، الشيخ عبد الفتاح المسدي، المولود في حمص والمتوفى فيها، كتب عنه الشيخ محمد علي مشعل في ثبته ما يلي:

الشيخ عبد الفتاح المسدي: تتلمذ على الشيخ طاهر الأتاسي، وتلقى عنه، وكان كثير التردد على الشيخ توفيق الأتاسي، وبخاصة بعد أن صار مفتياً، وتلقى عنه، إلا أنه أخيراً لازم الشيخ عبد القادر خوجة في جميع حلقاته في جامع البازرباشي، وفي الجامع الكبير، ويعد من أكبر تلامذته، وكان ناضجاً في الفقه الحنفي وأصوله، وفي النحو.

وقد مارس التعليم في الابتدائي في مدارس المعارف (وزارة التربية) ولما عيّن في الرستن تتلمذ عليه أئمة الرستن؛ الشيخ عيسى المصري، والشيخ محمد أبو سعيد، والحاج محمد الإبراهيم، وكان قد تخرج من الأزهر بمصر، ولما عيّن في (تلدو) التف حوله والدي وعمي وأقاربي وأخوالي من بيت عبارة، وكان له صداقة مع عمي والد زوجتي، حسن عمر عبارة، مختار (تلدو) وزعيمها، ومع كل وجهاء (تلدو).

(وكان له صلة بأهل الصلاح والتقوى، والولاية وبالأخص منهم الشيخ محمد أبي النصر خلف في حمص، حيث تلقى الطريق والذكر عنه، كما كان مواظباً على حضور الختم الشريف عندما يكون في حمص).

وكان له صلة بالشيخ بدوي الذي كان مقيماً في جامع سيدنا خالد، وله صلة أيضاً بالشيخ أحمد الحارون في دمشق، وله معه حكايات، كان كريماً جداً، يصلي في الجامع الكبير، فإذا وجد أحداً من معارفه القرويين أخذ بأيديهم رأساً إلى طعام الغداء، فيقدم لهم ما في البيت، دون تكلف، وكان مضيافاً.

وله أبناء على مستوى من الصلاح والتقوى والعلم، منهم عبد الكافي المسدي، وهو مهندس زراعي، وبيته بيت صلاح وعلم، والدكتور ياسر المسدي من خيرة حملة العلم الشرعي سلوكاً وفهماً ورأياً، وعبد الواسع وعبد الودود. اهـ منه.

ولما أسست جمعية العلماء بحمص (المعهد الشرعي) كان الشيخ عبد الفتاح من أوائل المدرسين فيها، واستلم إدارته مدة من الزمن، وكان يدرس معه فيها الشيخ وصفي المسدي، والشيخ أحمد الكعكة، والشيخ أبو السعود عبد السلام، والشيخ حسن شمس الدين وأكابر علماء حمص. اهـ منه.

٨- ومن آل الدروبي:

١- العالم العامل والداعية الزاهد

الشيخ عبد الفتاح الدروبي

(١٣٠٠-١٣٨٩ هـ) (١٨٨٢-١٩٦٩ م)

الشيخ العالم والداعية المجاهد، والفاضل الزاهد، الشيخ عبد الفتاح الدروبي الحمصي، ولد ونشأ في حمص، وتربى على أيدي علمائها ومشايخها، قال عنه معاصروه أنه كان على غاية من الصلاح، يندر وجود أمثاله في عصرنا، وكان يتجول في القرى حسبة لله تعالى، ينشر الدعوة ويقرئ القرآن الكريم، وكان يجلس شهراً أحياناً في القرية يعلمهم ويعظهم، ولا يأخذ على ذلك معلوماً أو راتباً، وحاولت جمعية العلماء أن تجعل له راتباً منها فأبى.

وكان ينتقل من قرية إلى قرية معلماً ومرشداً، ووصل إلى (سلمية) وكان فيها - كما حدثني الشيخ محمد علي مشعل - رجل حمصي اسمه الحاج رضا المعصراني، يملك فيها محطة وقود (كازية) وكان يجلس عنده أحياناً، ثم يأوي إلى المسجد، ويقرأ القرآن ويفسره، وكان يجلس أيضاً عند بعض الناس في دكاكينهم يقرأ القرآن بطريقة خاشعة، فاهتدى على يديه كثير من الناس، والتزموا تعاليم الإسلام وأحكامه، وتميزوا عن غيرهم بتمسكهم والتزامهم في تلك البلدة، وكثروا وصار لهم وجود وقوة، وهذا ما أزعج الآخرين إبان الاحتلال الفرنسي لسورية، فطلبوا من الفرنسيين إخراج الشيخ من البلدة فأخرجوه، وكان إخراجه سبباً في التزام الجم الغفير لتعاليم الشريعة الإسلامية والمجاهدة ضد الفرنسيين، وانتشر بسبب إخراجه الالتزام بالتقوى والصلاح وأحكام الإسلام؛ لأن الناس علموا أن الشيخ على حق، والفرنسيين على باطل، ولم تكن بضاعة الشيخ سوى القرآن الكريم، وتلاوته بصوت خاشع، وتفسيره بكلماته المعبرة.

وتردد بعده العلماء من حمص وحماة على البلدة، وكثر الملتزمون بتعاليم الإسلام وعمرت المساجد والحمد لله. وكان الداعية الأول الشيخ عبد الفتاح رحمه الله.

حدثني بهذا الشيخ محمد علي مشعل ثم قال:

وقد زرته في آخر حياته مع الشيخ عبد العزيز عيون السود في مرضه، فلاحظت نوراً يحيط به، وكان أسمر اللون انكش الوجه رحمه الله تعالى.

كما كتب عنه الشيخ مشعل في ثبته:

عالم عظيم زاهد، مترفع عن حطام الدنيا يتجول في الوعظ والإرشاد، يجلس في القرية شهراً أو أكثر ينام في المسجد يعلّم فيه، يقرأ القرآن وأحياناً ينشد ثم يعظ. وختم كلامه بقوله: عالم رباني منوَّر. وأفادني أنه ممن تلقى الطريق والذكر النقشبندي عن سيدي أبي النصر، وكان مواظباً على حضور الختم الشريف، توفي بحمص وكانت وفاته حوالي ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م ودفن فيها رحمه الله ونور ضريحه.

٢- وابنه الشيخ عبد الغفار الدروبي:

(١٣٣٨ هـ) (١٩٢٠ م)

قال عنه الشيخ محمد علي مشعل: كان ولده عبد الغفار خليفة والده في القرآن الكريم وفي العلم، وإن صار حظه في العلم أكثر من أبيه، إلا أن الفتح كان على يد أبيه، وكان يلازم مسجد الدعوة في حي جورة الشياح في حمص، وكان لجمعية العلماء مجلس علم كل يوم ثلاثاء في مسجده، وكانت غالباً ما تقام المناسبات الإسلامية والموالد فيه.

وله ولد طالب علم جيد اسمه محمد فيصل الدروبي، ولفيصل ولد اسمه عبد الغفار خطيب في جدة.

وعين مدرساً في المعهد الشرعي التابع لجمعية العلماء. ولما انتقل لمكة المكرمة عين مدرساً للقراءات في جامعة أم القرى وغيرها، ثم انتهى عقده لكبر السن، وهو الآن مقيم

في مكة وله خطبة في مسجد في جدة، ويُقْصَد المسجد من أجل الاستماع للشيخ عبد الغفار الواعظ الحقيقي قولاً وعملاً، فهو قدوة في الزهد والترفع عن الدنيا. اهـ منه.

وحدثني الشيخ محمد فيصل بن الشيخ عبد الغفار الدروبي حفظه الله عندما زرته في حمص لأتابع تراجم أبيه وجده وعلماء حمص النقشبنديين وذلك بنهاية شهر ذي القعدة ١٤٢٣هـ كانون ثاني ٢٠٠٣ م، حدثني عن أبيه وجده بعدما قرأت له ما كتبت عنهما أعلاه، ووافق عليه قال: كان جدي الشيخ عبد الفتاح يصوم الاثنين والخميس دائماً طيلة حياته، وكان لا يأكل في اليوم أكثر من أكلتين، فطور وعشاء.

ومن كراماته: أنه كان يسمع في آخر حياته تسبيح الجبال (أقول وهذه وراثة عن سيدنا داود عليه السلام إذ يقول الله تعالى: ﴿يا جبال أوِّبي معه والطير﴾).

قال الشيخ محمد فيصل: وحدثني جمع غفير بأن الجد بنى مسجداً في قرية من قرى حمص اسمها (الضبعة) وعندما تم البناء وأرادوا أن يقيموا فيه صلاة الجمعة لأول مرة، ودخل الناس للصلاة، فقال لهم الشيخ عبد الفتاح رحمه الله ونور ثراه: ما زالت أرض المسجد رطبة، لذلك نريد أن نصلي الجمعة خارج المسجد. فقالوا: لماذا ؟ قال: هكذا. ولم يخالفه أحد، فلما خرجوا من المسجد وقع المسجد، ولم يصب أحد بأذى.

ولكن عندما بدأ الناس يتحدثون، بأن هذه كرامة للشيخ، ترك القرية وهاجر منها ولم يرجع إليها إلا بعد أن أقنعهم بأن هذه قضية عابرة.

قال محدثي الشيخ محمد فيصل: وكان الشيخ ينام من الليل نصفه، ثم يقوم سدسه، ثم ينام سدسه الثاني، ثم يقوم السدس الأخير، وهكذا طيلة حياته، لقد رأيت ذلك منه بعيني.

تعليم عملي: وتابع الشيخ محمد فيصل: وقد كنت مع الجد والوالد ومعهم الشيخ عمر قسوّم، وهو نقشبندي من أهل الصلاح والتقوى والمعرفة بالله سبحانه، وكنا في نزهة إلى منطقة خارج حمص، وهي المنطقة التي نسكن فيها الآن، وتسمى (الإنشاءات) محل منزلي هذا، ولما عدنا من النزهة، وكان الجد والوالد يقرأ القرآن، وكنت طفلاً معهم، عمري بين ٥ و٧ سنوات؛ فحملت من البستان الذي جلسوا فيه حجَرة صغيرة مدورة

كالكرة، ألعب بها، ولما رآها جدي وقد بلغنا في طريق العودة منتصفه، سألني الجد: ما هذه يا محمد فيصل ؟! فقلت: حجرة ألعب بها. فقال لي: يا محمد فيصل؛ ماذا تقول لصاحب البستان يوم القيامة إذا سألك لماذا أخذت هذه الحجرة من بستاني ؟! فقلت له: أردها الآن. فقال: اذهب وردها، وأنا ووالدك ننتظرك، ويقرأ كل منا جزءاً من القرآن الكريم، فعدت إلى البستان لأردها وكانت المسافة حوالي نصف ساعة تقريباً، فكنت أركض تارة وأمشي أخرى، وهم ينظرون إلي حتى رجعت.

يقول الأخ الشيخ محمد فيصل الدروبي: لقد تعلمت من هذه الملاحظة فيما بعد؛ أن المؤمن أمين حتى على التراب والحجر، ولقد أثرت هذه الحادثة في نفسي حتى هذه الساعة، وهذا تعليم عملي للأخلاق الفاضلة والحمد لله تعالى.

ومما كتبه لي المؤرخ الأستاذ محمد غازي حسين آغا من كتابه (علماء وأعلام حمص في ظل الخلافة العثمانية) هذه السطور عن الشيخ عبد الفتاح وكتب:

- **الشيخ عبد الفتاح الدروبي**: (عالم معاصر للشيخ **سليم** والشيخ **أبي النصر خلف**).

ولد في مدينة حمص ثم تلقى علومه الشرعية على علماء زمانه، وعندما صار له ملكة تامة وهب نفسه لخدمة العلم والعلماء، فكان يتنقل في قرى حمص وباديتها للوعظ والإرشاد وتعليمهم أمور دينهم وإقامة شعائر الدين القويم، فكان في كل قرية ينــزل بها يقوم بتعليمهم، ثم يجمع المال الكافي من المحسنين لإنشاء مسجد فيها لتقام فيه الصلوات الخمس والخطابة والتدريس. ثم ينتقل إلى قرية أخرى وهكذا أمضى مدة عمره داعياً إلى الله تعالى بالحسنى والموعظة الحسنة حتى وافاه الأجل في مدينة حمص، وقد فرضت عليه السلطات الفرنسية المستعمرة للبلاد الإقامة الجبرية في مدينة حمص، ثم عاد كسابق عهده بعد الاستقلال. توفي سنة ١٣٨٥ هـ الموافق ١٩٦٥ م [1].

---

[1] ذكر لي الأستاذ الشيخ محمد فيصل حفيده أنه توفي سنة ١٣٨٩ هـ الموافق ١٩٦٩ م.

٩- ومن أكابر علماء حمص الأعلام:

١- الشيخ الفقيه، والصوفي النبيه

الشيخ عبد القادر بن حسن الخوجة

(حوالي ١٢٩٣-١٣٧٣ هـ) (١٨٧٣-١٩٥٣ م)

هو العالم المدقق، والفقيه المحقق، والصوفي العامل، والعالم الكامل الذي جمع بين الشريعة والحقيقة، والعلم والعمل الشيخ عبد القادر بن حسن خوجة، المولود في حمص حوالي عام ١٢٩٣هـ - ١٨٧٣م؛ الذي تربى في أحضان العلم والعلماء، ونشر العلم بين صفوف العامة والعلماء، وتلقى الطريق منذ شبابه [١] على شيخ حمص سيدي محمد أبي النصر النقشبندي رحمه الله وقدس روحه.

وتلقى العلم في صباه وفتوته على شيوخ حمص وأهمهم والده الشيخ حسن الخوجة وعلامة حمص الكبير الشيخ عبد الغفار عيون السود وغيرهم، ولم يشأ بعد تخرجه على يد شيوخ حمص أن يعيش من علمه، بل كان يعيش من كسب يده، فكان له دكان في سوق حمص (عطار) وفي دكانه كانت حلقات العلم، والأسئلة والفتاوى.

أفادني بهذا؛ العالم الداعية الشيخ محمد علي مشعل الحمصي، ونقلت من ثبته الذي ترجم فيه علماء حمص ما يلي:

◆ **الشيخ عبد القادر خوجة:** عالم عظيم، رجع إليه الفقه الحنفي في حمص، وهو رئيس الحلقة التي يدرّس فيها الفقه والحديث النبوي (شرح صحيحي البخاري ومسلم)، وهو من

---

[١] الراجح أنه أخذ الطريق عن الشيخ سليم خلف كما سنذكر بعد مما كتبه ولده الأستاذ طلحةِ خوجة، إذ أن الشيخ سليم توفي ١٣٢٨ هـ وكان عمر الشيخ عبد القادر آنذاك ٣٥ عاماً.

أعظم تلاميذ الشيخ عبد الغفار عيون السود (زوج أخته)، وقد بلغني أنهم قرؤوا حاشية (رد المحتار على الدر المختار) للمحقق الشهير ابن عابدين خمس مرات من أولها إلى آخرها، وقد قرؤوا شروح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني، وللقسطلاني، والملا علي القاري عدة مرات في الحلقة.

وكان هناك درس مساء الثلاثاء من كل أسبوع يجتمع فيه العلماء وطلاب العلم، ويتداولون المسائل الفقهية والفتاوى المستجدة ورأس الحلقة الشيخ عبد القادر خوجة.

ورئيس جمعية العلماء في حمص دوماً (المفتي) والشيخ عبد القادر نائبه، إلا أنه الرئيس الفعلي.

يمتاز الشيخ عبد القادر بأنه يأكل من كسب يده، فعنده دكان في سوق الحسبة (عطار) وفي هذا الدكان الأسئلة والفتاوى، والمحاكمات، يرضى بحكمه المسلم وغيره، ويمتاز بخلق حسن ليس له نظير، وبعلم غزير، ودقة في الفهم والإفتاء، وهو والدي الروحي في حمص.

أسندت إليه إدارة مدرسة دار العلوم الشرعية بعد وفاة الشيخ زاهد، وقد درس في المدرسة، كذلك أسندت للشيخ محمد علي عيون السود أيضاً.

وكان الشيخ الخوجة إماماً للمسجد الكبير في آخر حياته، ولكن الرواتب التي كان يأخذها، ينفقها ولا يدخلها على الدكان.

مبشرة بيوم وفاته: رأى الشيخ راغب الدويري الذي كان مقيماً في جامع بيت القصير بحمص النبي ﷺ في المنام والشيخ عبد القادر موجود فقال النبي ﷺ: يا عبد القادر ادعُ لنا. فتصاغر أمام النبي ﷺ وقال: كيف أدعو لك وأنت رسول الله. فقال له: ادع لنا. فأوَّل الشيخ راغب الرؤيا بأن الشيخ عبد القادر سيتوفى في هذا اليوم، فنــزل الدويري إلى السوق وشاهد الشيخ عبد القادر في الدكان يبيع ويشتري حسب العادة، فعاد إلى المسجد، وفي اليوم نفسه صلى الشيخ عبد القادر صلاة الظهر إماماً في الجامع الكبير حسب عادته ثم ذهب إلى البيت، وفي الطريق حصلت له أزمة (نوبة) فجلس في الأرض

(شارع أبي الهول) فأسرع من رآه وحملوه إلى البيت، وكان قريباً، وبعد قليل فارق الحياة رحمه الله تعالى، وكان هذا عام ١٩٥٣م- ١٣٧٣ هـ ودفن بحمص رحمه الله.

أولاده:

١- **الشيخ حسن خوجة:** (بالدكان) فقيهٌ فاهم، ورعٌ ومثقف على والده، وكان يسأل عن مسائل فيفتي بدقة وهو من الصالحين، وقد توفي وله أولاد صالحون.

٢- **الشيخ محمد طيب خوجة:** داع من دعاة الإسلام معروف بفهمه ووعيه، وفضله له مكانة في القلوب، توفي مهاجراً في الكويت.

٣- **عبد المتين خوجة:** طبيب نسائي على درجة عالية من الطب قام بعملية جراحية واستغرقت ثماني ساعات، أصابه بعدها إعياء وتوفي وخرجت حمص بجنازته بشكل منقطع النظير إكراماً له ولوالده.

٤- **طلحة خوجة:** قاضٍ في حمص، وقد ذهب للكويت بصفة قاضي وهو الآن يتردد بين حمص والكويت وله سمعة طيبة ودقة في الفهم وسداد في الحكم، والله ولي التوفيق.

ومن تلامذته الذين كانوا يحضرون عنده: الشيخ بدر الدين الأتاسي (وهو ابن أخته)، والشيخ عبد الفتاح المسدي، والشيخ تقي الأتاسي، والشيخ مؤيد شمسي باشا، والشيخ محمد علي مشعل. اهـ من ثبت الشيخ مشعل

آثاره العلمية: وقد ترك من الآثار العلمية، معظم علماء حمص الذين درسوا عليه وتخرجوا من دار العلوم الشرعية، بالإضافة إلى مقالات علمية كان يكتبها في مجلة الحقائق الدمشقية، ورسالة في البيوع، طبعت في حمص عام ١٣٨٥ هـ وقدم لهذه الرسالة القيّمة الفقيه العالم الشيخ **محمد الحامد** وقال في آخر المقدمة مترجماً للشيخ عبد القادر خوجة ما يلي:

◆ **ما قاله الشيخ محمد الحامد فيه:** (هذه الرسالة تحفة كبرى يزيد من قيمتها ويرفع من قدرها أنها أثرُ رجلٍ فاضلٍ كبير، وفقيه علم عظيم، قد كمله الله علماً وعملاً وخلقاً حسناً في تواضع شريف، والتفات منيف، وذلك هو الأستاذ الفقيه الحجة الشيخ عبد

القادر خوجة، الذي أسأل الله أن يغدق شآبيب الرحمة على جدثه، ويسكنه فسيح جناته وأن يرضى عنه رضاءً لا سخط بعده، آمين.

حقاً لقد كان شمس العلماء وفقيه الفقهاء، وموئل الطالبين، وقد - والله - فجع به المسلمون وحزنوا لفقده، ووجدوا من ورائه فراغاً، ولعل الله يجعل من تلامذته خلفاً يملؤه.

كنت أسأله عن بعض ما يعرض لي من إشكالات علمية يحتاج الطالب الجواب عنها ليأخذ كلٌّ من المسائل موضعه من ذهنه فلا تنتشر عليه، ولا يقع في الفوضى العلمية التي هي أشد خطراً على المحصل من أي شيء آخر، كنت إذا سألته أجدني بين يدي حبر جليل محقق وفقيه عميق مدقق، ينـــزل كلامه من نفسي منـــزل اليقين، لأنه ثمرة جهد شديد، بذله في عمر مديد؛ لتحصيل المعرفة، يمده ذكاء وافر وأفق واسع، وورع ملأه تقى وإخباتاً لربه الكريم عز شأنه وتعالى جدّه.

ولعل القارىء الكريم يلمس إخلاص الشيخ رحمه الله تعالى الساطع نوره من بين سطوره، ومن خلال كلماته، وعلامة ذلك أنه لم يشأ التوسع في التأليف، وليته فعل لننعم بآثاره الشريفة، ونغترف منها علماً هو أشهى لمرتاده من اللذائذ الجسمانية التي يقتتل الناس عليها، لكنه رحمه الله تعالى نظر إلى ما يبعد الناس عن الانزلاق فكتب فيه فقط رأفة منه بهم ورحمة وإبراء لذمته من آفة الكتمان، وتلك شيمة العلماء العاملين ورثوها من مورثهم سيدنا رسول الله ﷺ فهو بالمؤمنين رؤوف رحيم، وقد بلّغ الرسالة وأدى الأمانة، فجزاه الله خير ما جزى نبياً عن قومه ورسولاً عن أمته، وجزى خيراً كل من تأسى به وسار في سبيله فرأف ورحم وتعلم وعلم.

وأرّخَ الشيخ الحامد الرسالة يوم الخميس ٢٨/ ربيع الآخر سنة ١٣٨٥ هـــ ووقّع بقوله: (الفقير إلى الله تعالى: محمد الحامد مدرِّس جامع السلطان وخطيبه في حماه).

◆ **<u>ما قالته جمعية العلماء بحمص فيه:</u>** وقد قدمت للرسالة (في أحكام البيوع) ما يلي: (ومؤلف هذه الرسالة رحمه الله تعالى؛ عالم ثبت ثقة، تفقه على مشايخ انتهت إليهم رئاسة المذهب في عصره؛ منهم فضيلة العلم الفقيه الشيخ عبد الغفار بن الحاج عبد الغني عيون

السود الذي تفقه على مفتي حمص العالم الفقيه الشيخ خالد الأتاسي شارح المجلة وسنده معروف مشهور متصل بخاتمة المحققين العلامة السيد محمد أمين عابدين صاحب حاشية (رد المحتار على الدر المختار)، وكل من هؤلاء تفقه على جماعات متصلة أسانيدهم بصاحب المذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان المتصل سنده بسيد النبيين وخاتم المرسلين ﷺ إلى يوم الدين. وقد كان المؤلف رحمه الله تعالى مرجع الخاصة والعامة جاداً في الإفادة والاستفادة، ولمزاولته أعمال التجارة اطلع على كثير مما يقع الناس فيه، فألف هذه الرسالة قياماً بواجب النصيحة، وامتثالاً لأمر الله تعالى ورسوله ﷺ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) اهـ منه.

◆ وقد زودني الشاب الفاضل الشيخ (عبد الملك المبارك) الحمصي بترجمة للشيخ رحمه الله أملاها عليه ولده الأستاذ **طلحة خوجة** وهي كما يلي:

نشأ في بيت علم وتقوى وورع، تلقى العلم على يد والده الشيخ حسن خوجة، ثم عن شيخه الشيخ عبد الغفار عيون السود وهو في نفس الوقت زوج أخت الشيخ عبد القادر.

وقد أخذ الطريق النقشبندي على يد القطب الشهير (**الشيخ محمد سليم خلف**)، والعلم عن الشيخ أحمد صافي، والمفتي الشيخ توفيق الأتاسي، والشيخ محمد المبارك.

لم يأخذ علمه من المدارس والجامعات، وإنما من أفواه العلماء جلوساً على الركب.

وبعد وفاة شيوخه انتهت إليه رياسة المذهب الحنفي في حمص، حيث تولى تدريس فقه المذهب على أقرانه.

وتلاميذه من أقرانه: الذين تتلمذوا على يده الشيخ عبد الجليل مراد، عبد الفتاح مسدي، فكان يعقد درساً في الفقه في مسجد (البازرباشي) ودرساً في جامع (النوري الكبير) يقرأ فيه كتاب صحيح البخاري وشرحه ويعقد دروساً خاصة في بيته.

أشهر تلاميذه رحمه الله: الشيخ بدر الدين الأتاسي، والشيخ أبو السعود عبد السلام، والشيخ أحمد الكعكة، والشيخ عبد العزيز عيون السود، والشيخ محمد جندل الرفاعي، والشيخ عارف الفاخوري. ومن تعلقه بشيخه أوصى أولاده أن يدفنوه بجانب شيخه.

نبذ عن حياته: لم يتكسب رحمه الله من علمه، وإنما كان يمارس التجارة في محله، فكان يجلس فيه للتجارة ولحل مشكلات الناس وقضاياهم، ومحله ورثه عن والده في سوق الحسبة.

ولكنه في سنواته الأخيرة من حياته، وإثر وفاة الشيخ سعيد الملوحي إمام الجامع النوري الكبير، أمَّ الناس لمدة تسعة أشهر بدون راتب، ثم وجهت له الأوقاف رسمياً منصب الإمامة، فكان لا يصرف أجر الإمامة على بيته، وإنما يصرفه في وجوه أخرى.

وبعد وفاة الشيخ محمد علي عيون السود (مدير المعهد الشرعي) وجهت إليه دائرة الأوقاف إدارة المدرسة الشرعية، فكان يصرف راتب الإدارة مثل ما يصرف راتب الإمامة (ينفقه في وجوه الخير).

علومه التي برع فيها: برع في الفقه الحنفي، وكان لا يفتي إلا على مذهبه، كما برع في علوم اللغة العربية والصرف (الصرف والنحو والبلاغة) وكان مرجعاً فيها؛ كما برع في علم الفرائض (المواريث) وكان مرجع أهل حمص فيها حتى أن النصارى كانوا يستفتون الشيخ في مسائل الإرث.

وكان له المشاركة في علم التفسير والحديث الشريف (وقدمنا أنه كان يقرر صحيح البخاري وشرحه).

جمعية علماء حمص: وكان له الفضل الكبير في تأسيس جمعية العلماء عام ١٣٦٥ هـ الموافق ١٩٤٥م وكان يرأسها فخرياً المفتي الشيخ توفيق الأتاسي، وكان الشيخ عبد القادر نائباً للرئيس، وبجهوده أسس (المعهد الشرعي) في جامع خالد بن الوليد.

مصنفاته: رسالة في البيوع (مطبوعة) ورسالة في الصرف (من علوم اللغة العربية) لم تطبع.

توفي رحمه الله في كانون الأول عام ١٩٥٣ م ودفن في مقبرة الكثيب باب تدمر. وشيعته حمص بشيبها وشبابها رحمه الله ورضي عنه، وأسكنه فسيح جناته. اهـ منه.

٢- الشيخ الحافظ، والعالم المتقن، والقارئ الجامع

الشيخ محمد الياسين عبد السلام "الشهير بسمار"

(١٢٨٤-١٣٦٤ هـ) (١٨٦٧-١٩٤٥ م)

هو العالم الفاضل، والعامل الكامل، الحافظ لكتاب الله، القارىء المتقن شيخ قراء حمص وشيخ كل المجازين بالقرآن الكريم فيها، أجاز العلماء والقراء في حمص وغيرها هو وابنه الشيخ أبو السعود عبد السلام.

◆ قال عنه الشيخ محمد علي مشعل: شيخ القراء، وأكبر علماء حمص، وهو شيخي، ويحبني أكثر من أولاده، ولما كنت في (المدرسة اليوسفية) أتلو القرآن، وأنا بعيد عنه [طبعاً] فإذا أخطأت كان يردُّني ويصحح لي الأخطاء، وكان هذا في المنام والله أعلم، بل لا أعرف ذلك إلا يقظة، إذ كنت أقرأ جالساً، ولم يكن لدي مصحف، فكان يردُّني ويصحح لي الأخطاء، ولما جاءني المصحف بعد شهرين، وكان هذا أعظم هدية لي، وصرت أتلو فيه، فإذا بي أجد كل ما ردني به شيخي صحيحاً وفق رده، وأنا لم أكن أشعر أن رده لي كان مناماً، إني كنت أحس أنه يقظة، وتأويلي أنه المنام، وذلك من الصفاء وأحسه يقظة.

وكتب عنه في ثبته: كان شيخ القراء في حمص مجازاً بالقراءات السبعة عن طريق الشاطبية، وكان هو يجيز لها من يدرس عليه، وقد خَلَفَهُ ابنه الشيخ أبو السعود واثنين آخرين من خيرة الناس. لم أحضر له الدروس لكونه ترك التدريس لكبر سنه، وأوكل الأمر لابنه الشيخ أبو السعود عبد السلام، وهو شيخ من شيوخ القراء وآل إليه الأمر بعد والده.

وكان الشيخ - كما أفادني الشيخ مشعل - **ممن تلقى الذكر والطريق النقشبندي عن**

الشيخ أبي النصر، وكان مداوماً على حضور الختم الشريف.

◆ وقد أهداني الأخ المؤرخ محمد غازي حسين آغا رسالة مطبوعة ترجم فيها الشيخ محمد الياسين وولده أبو السعود أنقل منها ترجمته كما ذكرها بما يلي:

ولد الشيخ محمد الياسين في مدينة حمص بحي باب الدريب سنة ١٢٨٤ هـ ــ ١٨٦٧ م، في بيت علم وتقوى، تلقى علومه على والده، ثم تتلمذ على يد الشيخ عبد الله السعداوي المغربي الشاذلي نزيل مدينة حمص، فقرأ عليه الفقه الشافعي والتوحيد والتصوف في زاويته المعروفة بحي جمال الدين.

ثم لقّنه الطريقة الشاذلية بالسند المتصل عن الشيخ أبي محمد سعد المغربي التباني عن الشيخ موسى بن حسن المصري عن الشيخ محمد الضافري المدني عن الشيخ عبد الرحمن الجمل، والسند معروف... وتلقى عن سواه من علماء حمص التفسير والقراءات والحديث وعلم التوحيد وعلوم اللغة العربية.

واجتمع بعلماء هذه الأمة فأجازوه بمروياتهم، وله إجازة في القراءات عن الشيخ محمود الكيزاوي عن الشيخ أحمد الرفاعي عن الشيخ أحمد المرزوقي، والسند معروف... وهو أجاز بهذا السند ولده العلامة الشيخ أبو السعود.

وقد توجه إلى عكا بفلسطين برفقة العلامة الشيخ مصطفى الترك واجتمعا بالمرشد الشيخ علي نور الدين بن يشرط الشاذلي المغربي.

كان الشيخ محمد الياسين يدرّس في حلقات المساجد لاسيما في الجامع النوري الكبير، الفقه الشافعي، كحاشية الباجوري والخطيب وغيره من أمهات كتب السادة الشافعية، ومتن الأزهري وشروحه في النحو، وصحيح الإمام البخاري وبعض شروحه، وشرح الأربعين النووية، وعلم المنطق (إيساغوجي) والتجويد، وعلم القراءات، وغيرها من علوم أهل زمانه. وله حلقة تدريس لخاصة الطلبة في جامع الصحابيين وحشي وثوبان.

وممن قرأ عليه شيخنا وأستاذنا العلامة الشيخ أحمد الكعكة، والعلامة مؤيد شمسي باشا الحنبلي حيث قرآ عليه علم الفرائض، وغيرهما كثير.

وكان يدرس في مدرسة الأوقاف الشرعية (الثانوية حالياً)، مختصر ابن أبي جمرة، والفقه الشافعي، والنحو والمنطق، والتجويد، ومن ألمع تلامذته فيها العلامة الكبير الشيخ عبد العزيز عيون السود الشيباني.

وكان يدرس كذلك في مدرسة الاتحاد الوطني الأهلية الخاصة بالذكور والإناث، وكان يديرها المربي الكبير الأستاذ عبد الحميد الحراكي، ومن تلامذته فيها الأديب الأستاذ أدهم الجندي.

وكان يغلب عليه ملامح فقهاء السادة الصوفية في التحقيق والتدقيق والأخذ بمقامات أهل الحقيقة وآدابهم، وحل رموز كلام السادة الصوفية العارفين بالله تعالى.

وكانت له صلة وثيقة بجدي العالم الفرضي الشيخ محمد سعيد حسين آغا المكناسي الحسيني الشافعي النقشبندي، وكان لا ينقطع عن التردد إليه وخصوصاً في حل مسائل الميراث والتقسيم الشرعي لضلوعه بهذا العلم. وكثيراً ما يطالع معه مؤلفات الإمام الشعراني ﷺ لاهتمام الشيخ بمطالعة كتب السادة الصوفية ولخصوصية جدي رحمه الله بقراءة كتب الإمام الشعراني وحل رموزها، وله في ذلك إجازة بالسند المتصل عن شيخه ومرشده الشيخ سليم خلف قدس الله سره، وكانا يحذران كثيراً من قراءة كتاب الطبقات الكبرى المنسوب ظلماً للإمام الشعراني من قبل أعدائه.

وقد عين متولياً على وقف آل الجندلي الرفاعي، ووقف جامع كعب الأحبار، وقد أوكل إليه مأمور أوقاف حمص عند توليه الوقف المذكور ترميم الجامع من ريع الوقف لشدة ورعه فأحسن التصرف في استثمار الوقف وعملية الترميم من ريع السنة الأولى. وعين كذلك متولياً على جامع الشيخ جمال...

توفي سنة ١٣٦٤ هـ - ١٩٤٥ م رحمه الله تعالى ونفعنا بالعلماء والصالحين آمين.

٣- الشيخ القارئ، والعالم العامل

الشيخ أبو السعود عبد السلام

(١٣١٩-١٤١٨ هـ) (١٩٠١-١٩٩٧ م)

كتب عنه الشيخ محمد علي في ثبته: هو شيخ شيوخ القراء وآل إليه الأمر بعد والده الشيخ محمد الياسين عبد السلام، وكان موسوعة في التفسير والحديث والفقه واللغة والتوحيد، وكان يدرس التوحيد ويدرس الفقه ويدرس مصطلح الحديث ويدرس التفسير والحديث، وكان جريئاً في قول الحق لا يخاف في الله لومة لائم.

ومما حدثني عنه الشيخ محمد علي مشعل قال: وقرأت عليه وكنت تلميذه وكان عمري ١١ سنة، وكان عجيباً في علومه، وصار إماماً في الجامع الكبير، ومن أبرز أعضاء جمعية علماء حمص، ومن كبار علمائها، وصار شيخ القراء بعد والده، كما حدثني الأستاذ الشيخ وصفي مسدي أنه كان من أساتذته رحمه الله.

وكان ممن تلقى الذكر والطريق النقشبندي عن شيخنا أبي النصر رحمه الله وطيب ثراه، (كما أفادني الشيخ محمد علي مشعل).

◆ وكتب عنه الأخ المؤرخ محمد غازي حسين آغا الحمصي في الرسالة التي طبعها وترجم فيها والده ثم ابنه أبو السعود بعده بما يلي:

شيخنا وأستاذنا وقدوتنا العالم العامل، والفقيه المحقق الكامل الشافعي العمدة في الأحكام والمسائل، والمعول عليه في كل صعب لغزارة علمه وورعه وشدته في الحق.

ولد في مدينة حمص ١٣١٩ هـ ـ ١٩٠١ م في بيت علم وتقوى خلفاً عن سلف.

وهو أحد كبار فقهاء حمص وعلمائها الجهابذة الأعلام؛ له الباع الطويل في علوم

القرآن الكريم والقراءات، والحديث الشريف، والفقه والأصول، والفرائض، وعلم السير. وكان ضليعاً في علوم اللغة العربية.

ولم يكن الشيخ أبو السعود صوفياً، ولا علم لي بأنه انتسب إلى طريقة من طرق السادة الصوفية، فلا تظنه إلا من كبار رجال الصوفية العارفين.

كما إنه كان غيوراً على كل مسلم مستقيم على الكتاب والسنة النبوية المطهرة، فكان يدافع بكل ما أوتي عن بعض مشايخ السادة الصوفية المرشدين لعلمه باستقامة أحوالهم، وعدم خروجهم عن الكتاب والسنة، ويرد عنهم كل اعتراض، وكم وجَّه كلمة حق في وجه كبار الأعلام دون النظر إلى رتبهم ووظائفهم ومراكزهم الاجتماعية لخروجهم عن آداب الشرع، أو لتصرُّف صدر منهم بدون حق؛ وخصوصاً للمسؤولين عن الأوقاف الإسلامية الذين تصرفوا بالوقف الإسلامي بدون وجهة شرعية، وأساؤوا لهذا الأمر فكان يتتبعهم ويردهم عن فعلهم، ويظهر أمرهم ويواجههم قولاً وفعلاً بكل جرأة وجسارة آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر. ونحن الآن بحاجة ماسة وملحة لأمثال الشيخ الجليل أبي السعود في جرأته وإقدامه وعدم مبالاته بأمثال هؤلاء مهما كانوا.

وكان لا يحب التردد إلى أهل الدنيا، وربما انقطع عن بعضهم، وقد كانوا يهابون جانبه لشدته في الحق ولورعه وعفته. كان جليلاً مهاباً ورعاً يعلو وجهه نورٌ ومهابة جسوراً في الحق، كثير الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا تأخذه في الله لومة لائم.

وكان لا يتكلم إلا في الأمور الشرعية، مثابراً على العلم وتعليمه وتلقينه وتوضيحه والتحقيق في فروعه وأصوله مؤيداً كلامه بالنصوص القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة ثم أقوال الأئمة.

وكان طلق اللسان قوي العبارة حسن التعبير، وقد آتاه الله بلاغة الحديث وفصاحة العرب في النطق، والباع الطويل في إقامة دعائم الدليل الشرعي، فالنص حاضر في عقله مستقر في صدره يجيد ويكثر من نقل النصوص والأدلة الشرعية، ويأتي بكل مفيد مفهوم لغزارة علمه وسعة حفظه.

وكان محباً لمن يقرأ عليه ويلازمه، رقيق الطبع لطيف المعشر معهم، وكم كنا نحب مجالسته ونرغب في ذلك ونتحفظ معه كثيراً ونهابه لكثرة تشدده في الحق، وغيرته على العلم وعدم ضياع الوقت دون فائدة، إلا أننا نلمس منه الروح الطيبة والنفس الإنسانية السامية.

تلقى الشيخ أبو السعود علومه الأولية في مكاتب حمص الأهلية، فقرأ القرآن الكريم وتعلّم القراءة والكتابة، ثم حفظ القرآن الكريم ثم أدخله والده المدرسة الرسمية ونال منها الشهادة بتفوق تام، ثم شرع في طلب العلوم الشرعية على والده العلامة والفقيه الكبير في زمانه، فنهل من علومه وارتوى من معارفه منذ صغره حتى غدا العلم منهجه ومنهاجه يرتقي فيه ويزداد كمالاً.

ثم تابع واجتهد عليه لاسيما في علم القراءات، وكتب له إجازة عالية في ذلك، وقرأ عليه الفقه الشافعي، والحديث الشريف والتوحيد واللغة العربية وعلم المنطق. وتابع تعليمه على كبار علماء عصره وأولهم العلامة الكبير الشيخ عبد الغفار عيون السود الشيباني، فقرأ عليه التفسير وشرح صحيح الإمام البخاري ﷺ، والعلامة الشيخ جمال الدين الجمالي، والشيخ مصطفى بن أحمد الترك، والشيخ خالد الكلاليب العشابي، والعلامة الشيخ أحمد صافي حيث قرأ عليه تفسير البيضاوي، والعقائد النسفية، وشرح مغني اللبيب، والعالم فرضي حمص الشيخ محمد سعيد حسين آغا المكناسي الحسيني، حيث قرأ عليه علم الفرائض وتابعه في حل بعض المسائل لصعوبتها في زمانهم، وكذلك على غيرهم من أجلاء علماء بلده وما أكثرهم وأورعهم في زمانه لطالب علم كالشيخ أبي السعود في إقباله ورغبته واستعداده لذلك.

ثم جدَّ واجتهد حتى حصل على أعلى المراتب، وأجاز له شيوخه كافة بمروياتهم، وله إجازة عالية السند برواية كتب الحديث الشريف عن العلامة الشيخ نعيم بن أحمد بن علي النعيمي الجزائري وذلك في زيارته لمدينة حمص سنة ١٣٨١ هـ ـ ١٩٦١ م.

وكان العلامة الشيخ محمد طيب الأتاسي مفتي مدينة حمص رحمه الله يعود إليه في مراجعة بعض المسائل لاسيما في الفقه الشافعي.

... حج الشيخ أبو السعود مراراً برفقة بعض علماء حمص، وقد حدثني عمي والد زوجتي الحاج ظهير بن مصطفى العضيمي، أنه بعد أداء فريضة الحج سنة ١٩٦٤م وعند زيارتهم للرسول الأعظم ﷺ بلغ الشيخ أبو السعود أن أحد المدرسين في الحرم النبوي الشريف الموظف من قبل المملكة قد كفَّر السادة الصوفية وكفَّر من تبعهم واعتقد بهم، فتألم الشيخ لهذا الأمر وعزم على مواجهته في اليوم الثاني، وبالفعل حضر الشيخ في اليوم الثاني يعلو محياه مهابة وجلال فتقدَّم المجلس بمفرده رغم وجود غيره من علماء حمص في حج هذه السنة واستمع إلى كلام المدرس الذي تابع سلسلة دروسه وتكلم عن أهل الذكر من السادة الصوفية وشبههم بأنهم في فعلهم هذا ينبحون نبيح الكلاب، فلم يسع الشيخ الجسور إلا أن يقف أمام جموع الناس بمفرده ويواجه المدرس مواجهة لم يترك له منفذاً للخروج، ويقول له: أما كفاك كما بلغني البارحة أنك كفرت المسلمين واليوم تشبه الذاكرين منهم بأنهم ينبحون نبح الكلاب. وأتى بالنصوص القرآنية كعادته والأحاديث النبوية، وطالبه بالنص والحجة ويقول له: النص بالنص والحجة بالحجة والبرهان بالبرهان وأنت في فعلك هذا تؤذي صاحب الرسالة ﷺ. وكان يطالبه بالدليل الشرعي ويشدد عليه في ذلك، إلا أن المدرس لم يتلفظ بردٍ سوى قوله: القاضي يقضي بيننا. ويريد بذلك انتصاره بالسلطة، وكان الشيخ أبو السعود قد روى صدور المؤمنين بعد غيظهم من هذا المدرس المأجور، وهكذا إلى أن أتى الحرس لحسم الموقف فخرج الشيخ أبو السعود من المكان خروج المنتصر للحق، ولم يترك مجالاً لأي فرد من الحرس أن يلمس طرف ثوبه لمهابته وشدته في الحق. فما أشد احتياجنا الآن لأمثال هذا الشيخ الجليل الذي لم ينظر إلى عواقب الأمور بقدر ما ينظر إلى المسؤولية التي ألقيت على عاتقه كعالم مسلم من هذه الأمة، جريء في الحق، ناصر للحق، مهما كانت العواقب والنتائج.

نعم إن شيخنا كان أمة في رجل، وهكذا فقد جمع شيخنا وأستاذنا بين العلم ونشره والعمل لكسب معاشه كعلماء حمص الأوائل مع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى أن لاقى وجه ربه الكريم صباح يوم الجمعة ١٠ جمادى الأولى سنة ١٤١٨ هـ الموافق

١٢أيلول ١٩٩٧م، وشيعه أبناء حمص بموكب مهيب يتقدمه مفتي حمص والسادة العلماء حيث صلي عليه عقب صلاة عصر ذلك اليوم في مسجد **الصحابي الجليل خالد بن الوليد**، ثم ألقى مفتي حمص والسادة العلماء كلمات الرثاء تقديراً لهذا العالم الجليل، منهم الشيخ إسماعيل المجذوب، ومنه إلى مثواه الأخير في مقبرة تل النصر. وقبره الآن ظاهر يزار... **وله من الأولاد الذكور:** صديقنا الأخ السيد محمد فاروق، والسيد فايز، والسيد عبد الرحيم.

لعمري لقد كان شيخنا رحمه الله تعالى معقل الشرع وركنه، تسطع شموس العلوم في مجالسته، حساماً في الحق، والمعتصم بالحق وأحكام الحق والعلم والتحصيل، شاباً وكهلاً وشيخاً إلى أن رحل من دار الفناء وحلَّ في دار البقاء.

ومما قيل في رثائه رحمه لله تعالى، قصيدة لتلميذه الأستاذ محمد بن الشيخ عيسى اليوسف السعدي:

تَساءل المجدُ من هذا الـذي شـجيت	لفقـد طلعتـه الأخـلاق والقـيمُ
من ذا الذي شيعته حمـص تسـبقها	مواكب العز يبكي خلفها الكـرم ؟
فحدثتـه العـلا تحـديثَ صـادقةٍ	ودمـع حسـرتها بـالود ينسـجم
هذا المحدث، شمس الفقه مـا أفلـت	في موكب الزهد.. هذا السابق العلـم
المقرىء الجامع الحامي الكتاب ومـن	شـهدت لغيرتـه الآيـات والكلـم
أبو السـعودِ كـريم النَبعـتين ومـا	يُحصـي شمائلـه طـرسٌ ولا قلـم
فاسـتدرك المجـد مسـبوقاً بعبرتـه	وسادن العلـم مـن بـالله يعتصـم
المرجع الفذ في الأعلام مـا برحـتْ	أسرار سـيرتهم ترنـوا لهـا الأمـم

ومن علماء حمص:

٤- الفقيه المدقق، والفاضل العالم

الشيخ طاهر الرئيس

هو الفقيه المدقق، والعالم المحقق، وإليه المرجع في الفقه الشافعي في حمص في أوائل القرن المنصرم الشيخ طاهر الرئيس.

كتب عنه الشيخ محمد علي مشعل في ثبته ما يلي: عالمٌ عظيم رجع إليه الفقه الشافعي في البلد، وهو رئيس الحلقة التي يدرس فيها الفقه الشافعي، وعنده مدرسة أهلية ابتدائية تعلّم فيها معظم أبناء حمص، وله درس للنساء بعد ظهر الجمعة في جامع خالد بن الوليد.

وكان مرجعاً للفقه الشافعي في حمص في الفتوى وغيرها، وكان يجلس في غرفة الجامع الكبير التي فيها حلقة العلم (الفقه الشافعي) والحديث، وقد قرىء في الحلقة الكثير من كتب الفقه الشافعي. كما كان للشيخ حلقات بين المغرب والعشاء في النحو، فقرأنا عليه كتابي الإظهار والكافي، كما قرأنا عليه الصرف والبلاغة، وكان له ابن طالب علم اسمه عبد الكريم، توفي قبله، فكان الشيخ يبكي عليه ويقول: مت قبل أن أموت) اهـ منه.

وكان من أقران الشيخ أبي السعود عبد السلام (كما ورد في ترجمته السابقة)، وكذلك من أقران الشيخ عبد العزيز عيون السود، والشيخ أحمد الكعكة وغيرهم.

وقد أفادني الشيخ مشعل بأن الشيخ طاهر ممن تلقوا الطريق النقشبندي على سيدي أبي النصر، وكان يحضر الختم الشريف الذي يقام في الجامع الكبير في حمص ومواظب عليه.

توفي رحمه الله تعالى في حمص ودفن فيها.

٥- العالم الفذ، والفقيه الكبير

الشيخ أنيس الكلاليب

كتب عنه الشيخ محمد علي مشعل في ثبته ما يلي:

الشيخ أنيس كلاليب: عالم فذ، كبير السن كان يدرِّس الفقه الشافعي، وهو مرجع كبير فيه، كما كان يدرِّس المنطق في (المدرسة الوقفية - دار العلوم الشرعية بحمص)، وكان يحدِّث بأحاديث جذابة وينقل لنا وقائع الامتحان الذي كان يجري في زمن الخلافة العثمانية.

ومما حفظته من لسانه: أنه لما حضر هو أمامَ العلماء الأجلاء الذين قد أوكل إليهم اختبار العلماء، لإعفائهم من الجندية الإجبارية سألوه عن معنى (لا بُدَّ)، فأجاب على الفور: (لا مُفارقة)، فقالوا له: نجحت وقد سألنا قبلك الكثير فلم يجيبوا. وكان يدرِّس العروض، كما كان شاعراً عظيماً، وكان يختار قصائد ليلقيها علينا لنحفظها. توفيت زوجته وتوفي ابنه الوحيد فلم يخلف أحداً، وهذا البيت لم يبق فيه طالب علم. اهـ منه.

وأفادني الشيخ محمد علي أن الشيخ أنيس ممن تلقى الذكر والطريق النقشبندي عن شيخنا أبي النصر، وكان مواظباً على حضور الختم الشريف.

٦- العالم المتواضع، والعامل الكامل

الشيخ عبد الخالق عمر الحصني

(١٣٢٩-١٣٩١ هـ) (١٩١١-١٩٧١ م)

◆ كتب عنه الشيخ محمد علي في ثبته ما يلي:

من علماء حمص، خريج الأزهر، وكان مختصاً بالتفسير، ومدرساً في الجامع الكبير في حمص، ومدرساً في دار العلوم الشرعية وهو أحد أساتذتي، ويعتبر من العلماء الناضجين، وكانت لي به صلة عظيمة.

وقد قال لي يوماً: عندي بنت صالحة فهل عندك شاب صالح ؟ قلت: نعم، الشيخ محمود سويد، وكان مدرساً في مدرستي (ثانوية علي بن أبي طالب في تلدو)، وفي المساء زرت الشيخ ومعي الشيخ محمود وتم العقد بمهر قليل. وسافر في اليوم الثاني إلى وظيفته. وبعد فترة قال لي: عندي بنت أخرى، فقدمت إليه الشيخ مصطفى عويدات، وكان مدرساً عندي أيضاً، وتم العقد له بمهر قليل جداً، وفي اليوم الثاني سافر بزوجته. اهـ منه.

وأفادني الشيخ محمد علي أنه ممن تلقى الذكر والطريق النقشبندي عن الشيخ أبي النصر وكان يحضر الختم الشريف في الجامع الكبير.

◆ وتفضل الأستاذ الشيخ عبد الله المبارك من حمص فزودني بنبذة عن حياته وصورة شهادته الأزهرية، وأثبت هذه النبذة فيما يلي:

نسبه: هو الشريف عبد الخالق بن عمر بن أحمد بن رسول الحصني، من ذرية الشريف عبد القادر بن أحمد بن عبد الرحمن بن إسماعيل بن محب الدين بن شمس الدين تقي الدين الحصني الشافعي المتصل نسبه إلى الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه والسيدة فاطمة الزهراء بنت سيدنا محمد رسول الله ﷺ.

وهذا النسب حسب ما هو مدون بسجل أنساب السادة الأشراف رقم /٣٢٣٦٩/ بتاريخ ٥/٤/ ٢٠٠٠ في نقابة السادة الأشراف في القاهرة.

لمحة من حياته: هو من مواليد محلة جمال الدين /١٩١١م/ ذهب إلى القاهرة ليقيم مع أخيه عبد الرحمن المقيم هناك، وليدرس العلوم الشرعية والدينية والعربية في الجامع الأزهر الشريف، وحصل على الشهادة الأهلية للغرباء ثم الشهادة العلمية للغرباء سنة ١٣٤٦هـ - ١٩٢٧م وجاء زيارة إلى حمص سنة ١٩٣٠م. وكان ينوي الرجوع إلى الجامع الأزهر الشريف ليصبح مدرساً في الجامع ولكن وفاة والده حالت دون ذلك.

استقر في مدينة حمص ثم تزوج من ابنة خاله، وعين خطيباً وإماماً بجامع وحشي وثوبان في مدينة حمص القديمة /باب الدريب/.

درَّس في مدارس حمص الإعدادية والثانويات الخاصة، وبعدها عين مدرساً في الثانوية الشرعية لحين وفاته في ١٣٩١ هـ- ١٩٧١ م. وله ستة أبناء وأربع بنات. رحم الله العالم الفاضل وأسكنه فسيح جناته.

وقد ذُكِرَ في الشهادة الموقع عليها من شيخ الأزهر والممنوحة بتاريخ ١٥/رجب ١٣٤٦ هـ: إن الشيخ العالم الفاضل عبد الخالق الحصني بن عمر أحمد الحصني من ناحية (حمص، سورية)، قد نال شهادة العالمية الخاصة بالغرباء التي قررها مجلس الأزهر الأعلى، وذلك بعد أن أدى الامتحان بنجاح في الفقه وأصوله والتفسير والحديث ومصطلحه، والتوحيد والنحو والصرف والمعاني والبيان والبديع والمنطق، وإنا نوصيه بتقوى الله تعالى وإرشاد الناس إلى ما فيه صلاح دينهم ودنياهم.

٧- ومن علماء حمص

الحاجّ كامل رجّوب

(١٣٣٥ هـ) (١٩١٦ م) أمدَّ الله في عمره

ومن أفاضل أهل حمص وطلبة العلم النابهين فيها الحاج كامل الرجوب، ولد في حمص عام ١٣٣٥هـ ١٩١٦م، ودرس فيها العلوم الشرعية على أيدي كبار علمائها أمثال الشيخ عبد القادر خوجة، والشيخ طاهر الرئيس وسواهم الذين كانت تفخر بهم حمص، وكان من رفاقه في الطلب (كما ذكر ذلك في ثبته الشيخ محمد علي مشعل) أخوه عبد الباري مشعل، ونسيب السباعي، وسيف الدين دياب، وإبراهيم المدني، ومحمد فيصل طرية.

وقد زرت هذا الرجل الفاضل في بيته في حمص، بعد أن التقيته في عدة مناسبات قدم إليها إلى حلب ومنبج، وكانت هذه المناسبات تخص أشياخنا آل أبي النصر، وكانت زيارتي له عام ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م؛ وحدثني حديث الشوق وهو الذي قارب التسعين عاماً عن شبابه الحسي والمعنوي بصحبة شيخنا أبي النصر، وقال لي: لقد صحبته ثلاثاً وثلاثين سنة منذ كان عمري خمسة عشر عاماً وحتى وفاته عام ١٩٤٩ في حمص قدس سره. ولما حج عام ١٩٤٨ كنت معه، ولم أترك مرافقته طيلة مدة الحج، حتى كان يظن كثير من الناس أنني ولده، وكان في خاطري مذ أنا طفل أن أذهب إلى الحج قبل صحبتي لسيدنا الشيخ، فذهبت سيراً على الأقدام مع قافلة الحجاج من حمص إلى درعا ثم إلى المفرق، وإلى عمان مرة ركوباً على الجمل ومرة ماشياً، حتى وصلنا تبوك فأرجعونا من هناك إلى معان، وكان معي رفيق من حمص، فرجع إلى حمص، وفي معان رأيت رؤيا وتوسلت فيها بالنبي ﷺ فيسر الله السفر من العقبة بحراً إلى جدة ثم مكة فحججت والحمد لله.

أما الحجة الثانية فكانت مع سيدنا الشيخ أبي النصر قدس الله سره.

وكنت أسافر مع الشيخ عندما يأتي إلى حلب والباب ومنبج، فكنا ننــزل في منبج في منــزل حاج مصباح لبنية، وفي الباب عند جدك الشيخ محمد المسعود، وكان يرافقنا الشيخ أحمد الكعكة والشيخ محمود السباعي، وكان الشيخ ينتقل في قرى الباب ومنبج وقضاء حلب، ولم أتركه نهائياً. وفي حمص لم أترك مجالس الشيخ أبداً، فمهما كنت مدعواً عند أحد فلا بد أن أحضر مجلس الشيخ في موعده، وبخاصة مجلس ليلة الجمعة في الزاوية بحمص.

ورافقت الشيخ إلى قرى حمص فكنا ننتقل على الدواب، إلى (حربنفسه) قريباً من (تلدو)، وفيها نركب الخيل إلى (تلدو)، حيث الشيخ محمد مشعل، وما جلست يوماً عندهم إلا وجدتهم يتهجدون ثم يوقظونا لصلاة الصبح.

وفي حلب، حكى لي أحد المحبين، مشيراً إلى عالم هناك، ونسيت اسمه، قال لي: كان هذا العالم أكبر خصم للشيخ أبي النصر، وحضر عليه رسول الله ﷺ في المنام، وقال له: يا فلان الذي يعادي (أو يعاكس) الشيخ أبا النصر، أنا بريء منه، مرتان أو ثلاثاً، فسلّم للشيخ وصار من أكبر أحبابه.

وقال لي شخص من أهل حلب، وهو مجاور في المدينة المنورة، منذ عشرات السنين، قلت: لعله الشيخ محمد علي الحلبي ؟ فقال لي: لا أذكر، لقد أنساني الكبر. قال: والله ما رأيت إنساناً دخل المدينة أهيب من أبي النصر.

قال: وحكى لي والد الشيخ محمد علي مشعل، قال: كنا في الحج في المدينة، وأنا ماشي في الطريق وجدت نفسي متعباً، فجلست ونمت وإذ بالجمل الذي أركبه قد شرد، فأيقظني رجل في المنام وقال لي: حاج محمد، قم، فتبعت الأثر، ووجدت الجمل، ولما عدت إلى حمص وسلمت على الشيخ سليم، قال لي: يا حاج محمد، أين الجمل ؟ من أيقظك ؟ ومن الذي دلك على الجمل، ومن الذي زوّرك ؟ فقبلت يدي الشيخ رحمه الله ونور ضريحه.

وسمعت من الشيخ عبد الجليل مراد أن الشيخ سليم كان يقول: يا من له الأمر كله، عبدك سليم تحيَّر دله.

وكان الشيخ كامل يتحدث حديث الشوق عن شيخه أبي النصر، ويقول لي: الشيخ شغلته كبيرة (أمره عظيم) ومعه سر إلهي، وهذا من الاختصاص الرباني.

لقد جذب أكثر علماء حلب وانقادوا له: البيانوني، والنبهاني، وبلنكو وغيرهم، كانوا لديه رحمه الله ونفعنا به دنيا وآخرة. آمين. اهـ.

متَّع الله شيخنا الحاج كامل رجوب بالعافية وأدام نفعه.

٨- الشيخ عبد السلام عباس

وأفادني الشيخ محمد علي أنه كان ممن يداومون على حلقات العلم، وممن يحافظون على التقوى، ويواظبون على الختم الشريف في الجامع الكبير، وتلقى الطريق النقشبندي والذكر عن الشيخ أبي النصر قدس سره.

٩- الشيخ حسن شمس الدين

ومنهم هذا الفاضل الصالح، وقد أفادني الشيخ مشعل، أنه من طلبة العلم واشتغل بالتجارة، وكان خطيباً للجمعة، وهو من أهل الفضل والصلاح وممن تلقى الطريق عن الشيخ أبي النصر والمواظبين على الأختام.

١٠- الشيخ أحمد ويس

ومنهم هذا الفاضل من أكابر المحبين لسيدي سليم قدس سره، والشيخ أبي النصر، ويروي عنهما الحكايات الصالحة، ويحكي كراماتهما الباهرة وقد وكله الشيخ أبو النصر بإدارة الختم في الجامع الكبير في حمص رحمه الله تعالى.

١١- العالم الداعي، والمحب الفاضل

الشيخ عبد المعطي شمسي باشا

قال عنه الشيخ محمد علي مشعل في ثبته ما يلي:

كان معلماً في (تلدو) وكان زميلي في دراسة كلية الشريعة في جامعة دمشق، وهو أول من أنشأ الفتوة في حمص، وكان له أسلوب في الدعوة، فإذا عين في المدرسة معلماً فإنه يأخذ جميع طلابه في اليوم الثاني أو الثالث إلى المسجد مما حير الآخرين منه.

وكان كريماً جداً، ووالدته الشيخة الصالحة خيرات بنت الشيخ سليم صافي، وكانت خليفة نقشبندية تدير الختم للنساء وهي عالمة وواعظة رحمها الله تعالى.

ولما خرجتُ من المدرسة اليوسفية - والكلام للشيخ محمد علي مشعل في ثبته - ألحَّت على ولدها الشيخ عبد المعطي أن يأتي بي لزيارتها فزرتها ودعت لي، ولما هاجر ولدها الشيخ عبد المعطي إلى الرياض توفيت لديه، وبقي ابنها الشيخ عبد المعطي إماماً في مسجد السليمانية في الرياض.

وقد جرت حادثة تدل على إكرام الله له، هي أنه خرج من المسجد بعد أداء صلاة المغرب متجهاً إلى مكتبة المسجد الموجودة في صحن المسجد وبعد لحظات من خروجه سقط سقف المسجد كله وبقيت المكتبة سليمة، وخرج الشيخ سليماً، فعدّ ذلك من إكرام الله للشيخ عبد المعطي، وقد توفي الشيخ في الرياض، وله أولاد بررة أتقياء.

وأفادني الشيخ محمد علي أن الشيخ عبد المعطي ممن تلقى الذكر والطريق النقشبندي عن الشيخ أبي النصر.

١٢- العالم الواعظ، والكامل الفاضل

الشيخ محمد مؤيد شمسي باشا

(١٣١٦-١٣٨٦ هـ) (١٨٩٨-١٩٦٩ م)

◆ من علماء حمص، وعائلة شمسي باشا على المذهب الحنبلي في حمص، ولا يوجد على المذهب الحنبلي غيرها، وكان الشيخ مؤيد عالماً خطيباً وواعظاً، ويفتي على المذهب الحنبلي، كما كان تاجراً يبيع الجوخ، وأكثر الجبب التي يلبسها العلماء في حمص تشترى من دكانه، وفيه أخوه الشيخ نصوح شمسي باشا، وهو من طلاب العلم الأبرار الأخيار، لطفٌ وعلمٌ وخُلقٌ.

وللشيخ مؤيد أولاد بررة أتقياء منهم: نجم الدين وقد أصبح محامياً وله باع كبير في هذا المضمار، ومنهم نور الدين وكان مدرساً في الكويت وله ذكر حسن وثناء حسن.

أما أخوه الشيخ نصوح فله أولاد بررة منهم: الشيخ عبد الواسع شمسي باشا وهو من خيرة طلاب العلم، علماً وعملاً وله ذكر حسن وهو من المتفوقين في اللغة العربية. (من ثبت الشيخ محمد علي مشعل).

وقد أفادني أن الشيخ مؤيد ممن تلقى الطريق والذكر النقشبندي عن الشيخ أبي النصر رحمه الله تعالى.

◆ وقد زودني الأخ الفاضل الشيخ عبد الملك المبارك بترجمته ونماذج من شعره أثبتها ذيلاً:

- الشيخ محمد مؤيد بن نجم الدين بن الشيخ وحيد شمسي باشا، أبو نجم الدين:

علم من أعلام حمص المعروفين، فقيه غزير العلم، كان مفتي المذهب الحنبلي في مدينته، إليه يفد المستفتون في أمور الزواج والطلاق فيجدون عنده الحلول الشرعية المريحة لكثير

من مشكلاتهم الزوجية والأسرية، حتى لقد أغنى الكثيرين منهم عن ولوج أبواب المحاكم الشرعية، والناس يحفظون عنه في ذلك أحاديث تروى وتُتناقل. أخذ علومه الشرعية عن جلة علماء حمص ومشاهيرهم من أمثال الشيخ عبد القادر الخوجة والشيخ محمد الياسين عبد السلام والشيخ أحمد صافي والشيخ فائق السباعي.

ثم كانت له في مختلف مراحل حياته حلقات تدريس في جامع الحنابلة وفي غيره من مساجد حمص، يجتمع إليه فيها أعداد كبيرة من طلاب العلم فيتلقون عنه وينهلون من علمه ولا سيما في علم الفرائض (المواريث) الذي كان من أبرز المجالات التي تمكن منها وبرع فيها حتى إن طلاب الحقوق كانوا يقصدونه للتعلم والمذاكرة. وكان إلى ذلك خطيب الجمعة في جامع السراج في شرقي حمص ودوام على ذلك حتى توفاه الله تعالى.

بعيد كل البعد عن التزمت والتشدد والفظاظة، فيه رفق ودماثة وملاينة مع حرص شديد على ألا تمسَّ أمور الدين وأسسه بجرح أو تقصير أو انتقاص.

محدِّث لبق، ما يكون في مجلس من المجالس إلا ويأخذ بألباب الحاضرين بحلاوة كلامه وطلاوة حديثه وغزارة علمه وتنوع محفوظه ومعرفته بنوعية الحاضرين.

خبير بالموسيقا، ملم أعمق الإلمام بالأصوات والنغمات، صاحب صوت جميل، إذا أنشد أرهفت له الأذان وطرب لإنشاده السامعون.

شاعر رقيق الحاشية، صوفي النـــزعة وإن لم يكن صوفي الطريقة، أكثر شعره في محبة رسول الله ﷺ، وفي الغزل الرمزي وله براعة خاصة في التشطير والتخميس... وفي نهاية هذه النبذة عن حياته شيء من شعره.

كان عمله تجارة الأجواخ، وكان له في صدر دكانه مكتبة عامرة بنفائس الكتب، وفي دكانه هذه يستقبل المتعلمين والمستفتين، فهي في آن معاً، محل تكسب ومكان فتيا وقضاء.

شخصية كبيرة مؤثرة متعددة الجوانب، محببة إلى الناس ما فتئت حمص تذكرها بكل الحب والتقدير منذ انتقل صاحبها إلى جوار ربه، ويظن بأنها ستظل ماثلة في أذهان أهلها ما افتقدوا الفقيه النير الذهن، والشاعر الرقيق، والمحدِّث اللبق.

كانت وفاته في الجامع الكبير بحمص في أعقاب جلسة علمية صباحية مع لفيف من العلماء وطلاب العلم ودفن في مسقط رأسه حمص.

نماذج من شعره في مدح الرسول ﷺ:

لي بـــين وادي المـــنحنى والبـــان   قلـــب يكابـــد لوعـــة الأشـــجان
ويظـــل بـــين خيامـــه مترنمـــاً   من ذكـــر جـــيران غـــدوا بأمـــان
أضحى يناشد عنـــهم ركبـــاً ســـروا   لربـــوعهم، وســـربة الغـــزلان
يا نســـمة هبـــت علـــى أطلالهـــم   وبأرضـــهم مـــرت وبالكثبـــان
بالله إن جـــاوزت حـــيَّهم ضـــحى   بُثِّـــي التحيـــة مـــن شـــجٍ ولهـــان
مُنُّـــوا عليـــه بعـــودة يحـــيى بهـــا   أنـــتم أهيـــل الـــبر والإحســـان
وترفقـــوا فـــيمن غـــدا بجمـــالكم   مترنمـــاً في أعـــذب الألحـــان
هيهات أسلوكم، وأنـــتم في الحشـــا   مـــني، مكـــان الـــروح في الأبـــدان
قسماً بصـــبح جبيـــنكم لمـــا بـــدا   حـــارت بطلعـــة حســـنه الـــثقلان
ما اشتقت طيبـــة والعقيـــق و رامـــة   إلا تحـــرك ســـاكني وجنـــاني
شـــوقاً لمـــن تخـــذ الـــبراق مطيـــة   وسمـــا لأشـــرف منـــزل ومكـــان
أعطـــاه رب العـــرش منـــه مهابـــة   عن خُلْقِـــه قـــد نـــص في القـــرآن
صلى عليك الله مـــا هـــبَّ الصـــبا   أو مـــا تـــرنم بلبـــل الأغصـــان

١٠- ومن آل مشعل في حمص "تلدو":

١- الفاضل العصامي، والداعية الرباني

الشيخ حسين بن صالح مشعل الحمصي

من آل الشيخ صالح التاذفي الحمصي

(١٣١٨-١٣٧٠ هـ) (١٩٠٠-١٩٥٠ م)

نشأته: هو الشيخ الفاضل والعالم العامل حسين بن صالح مشعل، من آل الشيخ صالح في تاذف (الباب)، هاجر جده إلى (تلدو) حمص منذ ١٥٠ عاماً واستوطن تلك القرية.

ولد في قرية (تلدو) عام ١٣١٨هـ / ١٩٠٠م.

لدى شيخه سليم: أرسله أخوه الأكبر الشيخ محمد مشعل خليفة الشيخ سليم في (تلدو) إلى شيخه مولانا سليم في حمص بعدما علمه القراءة والكتابة، فدرس العلم والعمل لدى شيخه سليم ولدى كبار علماء حمص، وبقي لدى شيخه حتى تخرج به وصار عالماً عاملاً بعد أن كان شبه أمي، وشارك أخاه الشيخ محمد في التعليم والتربية لأهل تلك المنطقة، وكان الراغبون في العلم يحضرون إلى (تلدو) من القرى المجاورة لها، فينهلون العلم والتربية، ويتزودون بالفضل والتقوى مع العلم والفقه، فصاروا أئمة في القرى ينشرون العلم والطريق النقشبندي في قرى التركمان والأكراد والشراكسة والعرب في منطقة الحولة.

وقد أضفى الشيخ حسين على مسجد القرية حركة ونشاطاً، فتحرك المسجد بالعلم والإيمان والتقوى والصلاح، فكنت ترى الذاكرين والمتهجدين يملؤون المسجد من قبل الفجر وحتى بعد العشاء.

تلقينه الطريق: وكان هذا الفاضل **قد تلقى الطريق النقشبندي من أخيه الأكبر الشيخ محمد قبل ذهابه إلى شيخه سليم، وتكمل لدى شيخه.**

وقال الشيخ محمد علي (ابن أخيه) في ثبته: (وقد جاء عمي الشيخ حسين فاهتم به والدي ودرس على علماء حمص الكبار، حتى أصبح أكبر عالم في الريف - على رأيي - وتلاميذ الوالد أصبحوا تلاميذه، وكل أئمة القرى التركمان والجركس تلاميذه. وقد ترك ولدين محمد زاهد مشعل، وعبد الكافي مشعل.

توفي الشيخ حسين ودفن في (تلدو) عام ١٣٧٠هـ /١٩٥٠م رحمه الله ونور ثراه.

محمد زاهد مشعل: ابن الشيخ حسين وقد تلقى العلوم عن والده ومن المعهد الشرعي بحمص التابع لجمعية العلماء ومن كلية الشريعة بجامعة دمشق، وأصبح معلماً ثم مدرساً وانتقل إلى السعودية، وكان مدرساً في حائل ثم انتقل إلى حريملاء فكان مديراً لمدرسة تحفيظ القرآن حتى توفي رحمه الله فيها وترك أولاداً صالحين.

وقد تلقى الطريق النقشبندي عن والده الشيخ حسين رحمهما الله تعالى.

٢- العالم المجاهد، والداعية المهاجر

الشيخ محمد علي مشعل

من آل الشيخ صالح التاذفي الحمصي

(١٣٤٣ هـ) (١٩٢٤ م) أمَدَّ الله في عمره

نسبه ونشأته: هو العالم العامل، والداعية المجاهد، من أمضى عمره وعلمه في سبيل الله، وهاجر وجاهد لإعلاء كلمة الله، الفاضل الصالح والمحب الصادق الشيخ محمد علي بن محمد خضر بن صالح مشعل آل الشيخ صالح التاذفي أصلاً، والحمصي وطناً، والمدني هجرة وموطناً، المولود في قرية (تلدو) من أعمال حمص، وتبعد عنها ٢٥ كيلاً عام ١٣٤٣هـ / ١٩٢٤م.

تعليمه الأولي: قال في ثبته الذي كتبه وأعطاني حفظه الله نسخة منه أثناء زيارتي له في بيته في المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام:

(لما بلغت السنة السادسة من العمر التحقت بالكتَّاب عند عمي الشيخ حسين مشعل، وصرت انتقل معه في القرى التي صار إماما فيها [البرج - تل ذهب] ثم انتسبت للمدرسة الابتدائية، وكان المعلم أبو بدر البدراني، ثم جاء إلى تلدو معلماً الأستاذ عبد العليم صافي ابن الشيخ أحمد صافي من شيوخ مشايخ حمص، وزار تلدو في حينها محافظ حمص زمن الفرنسيين، وقد كلفني (الأستاذ) وعمري يقارب تسع سنوات بإلقاء كلمة أمام المحافظ. (أي عام ١٩٣٣) وبعد الدراسة الابتدائية تابعت الدراسة لدى عمي الشيخ حسين فتلقيت عنه الفقه والعقيدة والقرآن والنحو والفرائض، ولما تم لي من العمر إحدى عشرة سنة كلفت من قبل عمي ووالدي بخطبة الجمعة وإلقاء الدروس العامة.

في المدرسة الشرعية بحمص: وانتسبت إلى مدرسة (دار العلوم الشرعية) بحمص، وقد

نقلني الشيخ زاهد أتاسي مدير الدار من الصف الأول إلى الصف الثاني بعد إجراء فحوص شفهية بالنحو والفرائض وأسئلة أخرى). حوالي عام ١٩٣٥م.

ثم يذكر من طلاب المدرسة من كان في صف أسبق منه، وعدَّ منهم الشيخ وصفي مسدي والشيخ عبد العزيز عيون السود والشيخ جميل مدوذر حيث كانوا في الصف السادس، أما أخوه عبد الباري مشعل فكان في الصف الخامس.

أساتذة المدرسة: (مديرها الشيخ زاهد أتاسي، وأساتذتها الشيخ أنيس كلاليب، والشيخ محمد علي عيون السود، والشيخ محمد ياسين عبد السلام شيخ القراء، وخلفه ابنه الشيخ أبو السعود شيخ قراء حمص قبل الشيخ عبد العزيز عيون السود، والشيخ عبد الخالق الحصني، والشيخ أحمد صافي، والشيخ محمود السباعي. وقد دَرَّسَ فيها أيضاً: الشيخ عبد القادر خوجة، والشيخ طاهر الرئيس، والشيخ عبد الباسط بن الشيخ أبو النصر، والشيخ مصطفى السباعي بعد انتهاء دراسته في الأزهر.

الخريجون: وتخرج من هذه المدرسة معظم الشيوخ الكبار الآن مثل الشيخ وصفي المسدي، والشيخ أحمد كعكة، والشيخ حسن شمس الدين، والشيخ جميل مدور، والشيخ عبد العزيز عيون السود، والشيخ عبد الباسط أبو النصر، والشيخ مصطفى السباعي).

ثم ذكر أنه كانت عدة حلقات علم للمشايخ في حمص منها حلقة الشيخ عبد القادر خوجة، وحلقة الشيخ طاهر الرئيس، يدرس فيها الشيوخ كتب الفقه والحديث والعربية.

وذكر من زملائه في الغرفة التي يسكن فيها: الشيخ فيصل طرية وأخوه عبد الباري مشعل، ثم ذكر من تخرج معه وهم: نسيب السباعي، سيف الدين دياب، إبراهيم المدني، محمد فيصل طرية، الحاج كامل رجوب.

العمل العلمي بعد التخرج: وتم التخرج من مدرسة حمص الشرعية عام ١٩٤٠م-١٣٥٩هـ قال: (وبقيت بعد التخرج متفرغاً للحلقات العلمية حتى عام ١٩٥٠م-١٣٧٠ هـ، وكنت أقوم بحلقات في الفقه الشافعي وفي شرح مجلة الأحكام العدلية للشيخ خالد الأتاسي وابنه طاهر، وفي النحو شرح ألفية ابن عقيل، والبلاغة، ومطالعة

الكتب وبخاصة كتب الإمام النووي).

الحج لأول مرة: وفي عام ١٩٤٥/١٣٦٤ ذهبت مع والدتي إلى الحج ونُزلنا على المطوف عبد الله كامل، وكان السير من دمشق بالقطار إلى حيفا ثم بور فؤاد ومنها بالباخرة إلى جدة، وفي بور فؤاد التقى ببعض العلماء السوريين الذين يدرسون في الأزهر ومنهم الشيخ محمد علي المراد. قال: ثم ركبنا في الباخرة "شيرالا" وتابعنا المسير في البحر الأحمر ومررنا ببركة فرعون، وكانت الباخرة تميل فيدوخ من الركاب من هو غير معتاد على هذا، والباخرة فيها ثلاثة آلاف راكب، وكنت أدرِّس في جهة والشيخ أحمد عز الدين بيانوني يدرِّس في جهة، و لم نجتمع في الباخرة، واجتمعنا في الحرم الشريف حيث كان يجلس والده الشيخ عيسى رحمهم الله جميعاً. ونزلنا بعيداً من الساحل في جدة حيث لم يكن هناك مرفأ مهيأ، وركبنا في قارب (شختور) حتى وصلنا الساحل ونزلنا في المكان المخصص لنا.

جدة: بلدة صغيرة مبنية بالحجارة والطين المخلوط بالكلس والسقوف كلها خشب، وليس هناك طريق مُسَفْلَتْ ولا معبَّد، الفسفوس في كل بيت، ليس هناك كهرباء بل سرج من الكاز، والماء ساخن يصعب شربه، ولا يشرب إلا للضرورة، ونمنا ليلة في جدة تذكر، وعانينا من الحر والرطوبة والماء الساخن ما شاء الله، ثم سافرنا إلى مكة على الجمال، وركبت أنا ووالدتي على جمل (شقدوف) من كل جهة مسقوف، حتى وصلنا (بحرة) ونزلنا هناك حيث قطعنا مرحلة وفي اليوم الثاني تابعنا المسير حتى وصلنا مكة أم القرى، وكانت الفرحة الكبرى، فبين جدة ومكة مرحلتان. ونزلنا على المطوف الشيخ عبد الله كامل، وكان يمشي معنا في الطواف أخوه عبد السلام، فهو المطوف الفعلي رحمه الله، ونزل معنا حجاج من سورية، من إدلب وحماة وحلب، وكانت الدروس بين المغرب والعشاء، وفي بعض الأوقات مستمرة، وكان المطوف مسروراً ومشجعاً، والإخوة (الحجاج) كلهم مسرورون.

تابعنا أداء المناسك وكنا نحضر الدروس في الحرم المكي للشيخ صالح الفلسطيني والشيخ حامد الفقي المصري، وكان يحضر معي في الدرس الشيخ إبراهيم طنجير من حماة والشيخ حافظ صندوقة مدرس المسجد الأقصى، و لم يمتلىء الحرم المكي بل قريب من النصف، و لم

تمتلىء عرفة بل قريب من النصف أيضاً. (ويصف الشيخ المدرسان الفلسطيني والمصري بأنهما شديدان ويعلن الأول تكفير المسلمين، ماعدا الفئة الموجودة في المملكة وكذلك الشيخ حامد المصري)، ثم يقول: كتب لنا لقاء مع الشيخ حسن البنا واستمعنا لخطابه العظيم في منى حيث وقف بعمامته الحمراء، وتحدث حديثاً شيقاً ثم حمل الحجاج أمانة وهي القرآن الكريم، يحفظونه أولادهم ويعملون به في كل مجالات حياتهم.

والتقينا بالسيد علوي المالكي واستمعنا لبعض دروسه وكان محدثاً عظيماً رحمه الله تعالى.. وبقينا في مكة ٥٥ يوماً حيث جئت في الباخرة الأولى ولم أرجع إلا في الباخرة الثالثة، والسبب أنا قطعنا تذكرة للسفر إلى المدينة ركوباً على الجمال، ولم تتيسر وكانت التذكرة بالسيارة ٤٠٠ ريال سعودي والجمل ١٧٠ ريال للراكب).

النشاط التعليمي في تلدو: ويذكر في ثبته أنه افتتح مدرسة في (تلدو) بالاشتراك مع عمه الشيخ حسين تشبه الكتاتيب يعلم فيها القرآن الكريم والحديث والمطالعة والخط والحساب... ثم تقدم ليكون معلماً وكيلاً في وزارة المعارف فعلم في قرية (كفرلاها) ثم حصل على شهادة الكفاءة عام ١٩٥٠ ثم عمل على بناء مدرسة في (تلدو) وانتقل إليها معلماً أصيلاً ومديراً عام ١٩٥١، ثم أسس مدرسة متوسطة أهلية (إعدادية) وعام ١٩٥٣ نجح في الثانوية العامة الفرع الأدبي.

ثم حصل على رخصة لإنشاء ثانوية (علي بن أبي طالب) الخاصة في (تلدو) وأصبح مديراً ومدرساً للمدرسة وصاحبها، ويذكر العقبات التي اعترضت إنشاءها حتى وفقه الله سبحانه بمساعدة من لا يرجو منهم ذلك، وأشرك معه في ماليتها من يطمع في الربح، وأصبحت هذه المدرسة (قلعة من قلاع الإسلام وكان لها أثر كبير في المنطقة وتخرج منها أعداد كبيرة يحملون الفكر الإسلامي).

في كلية الشريعة بدمشق: ولما أسست كلية الشريعة بجامعة دمشق (ذلك النور العظيم والخير الجزيل فانتسبت لكلية الشريعة عام ١٩٥٤ منذ تأسيسها، كما انتسب الكثيرون لدعم الكلية، وفي عام ١٩٥٩ أنهيت الدراسة في كلية الشريعة وحصلت على ليسانس في

الشريعة من جامعة دمشق وانتسبت للدبلوم العامة.

وفي عام ١٩٦١ حصل الانفصال [١] وأنا طالب في الدبلوم العامة في جامعة دمشق، ودخلت المجلس النيابي باسم جمعية العلماء، وأنا لا أزال طالباً في الدبلوم العامة؛ ثم حصل الانقلاب على المجلس النيابي وحكومة الدكتور معروف الدواليبـــي، ونجحت في الدبلوم العامة في التربية.

ثم يصف المنطقة وكيف أن الثانوية (في تلدو) خرَّجت الكثيرين من الطلبة الذين صار لهم شأن فيما بعد، وكان آل مشعل مرجع المنطقة في العلم والفتوى وحل الخصومات، وكيف كانت ثقة الناس بهم رغم اختلاف المذاهب والمشارب.

ثم يذكر بالتفصيل بعض الأحداث التي مرت على البلاد ودور جمعية العلماء بحمص (وكان عضواً فيها) في الإصلاح والتوجيه.

زيارة العراق والكويت والسعودية: قال: وفي عام ١٩٧٣ ذهبت مع بعض علماء حمص: الشيخ عبد العزيز عيون السود، والشيخ وصفي مسدي، والشيخ أبو السعود عبد السلام، والشيخ عبد القادر الدروبي، والشيخ عبد الفتاح المسدي، والقاضي أحمد قهواتية إلى العراق فنـــزلنا في معمل البرادات لآل الحافظ وزرنا الأماكن المهمة، منها مسجد الإمام أبي حنيفة ومسجد موسى الكاظم، وزرنا كربلاء، وقبور آل البيت... ثم ذهبنا إلى الكويت ونزلنا ضيوفاً على الشيخ عبد الرحمن النظامي وزرنا بعض الوجهاء، وحصلنا على تبرعات لجامع الفاروق في حمص. ثم ذهبنا إلى السعودية، وكان الملك فيصل هو ملك المملكة العربية السعودية فنـــزلنا ضيوفاً على الدكتور محمد علوي المالكي، ثم على السيد المنتصر الكتاني.

مع الملك فيصل: وقابلنا الملك فيصل تلك المقابلة التاريخية المنتجة المثمرة رحمه الله تعالى، وكان لا يتكلم إلا كلمات معدودة وقال: إذا لم نقم بمثل هذه الأمور فلماذا نحن موجودون ؟

---

[١] الانفصال بين دولتي سورية ومصر بعد أن كان قد قام بينهما وحدة عام ١٩٥٨م باسم الجمهورية العربية المتحدة.

ثم يصف بعض الأحداث التي جرت في سورية وفي حمص خاصة، مما أدى إلى دخوله (المدرسة اليوسفية) عام ١٩٧٣ وخرج منها عام ١٩٧٥.

مدرس حمص: قال: (وعينت مدرساً عاماً في الجامع الكبير في حمص من قبل وزارة الداخلية، والراتب يقبض من المحافظة، مثل كل المدرسين العاملين في مساجد البلد).

الهجرة إلى الحجاز: وفي عام ١٩٧٩ (خرجت من سورية إلى المملكة متعاقداً مع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٩٧٩ وبقيت في تبوك شهرين، وجاء الأمر بالعودة إلى سورية فرجعت، وعاملني الدكتور عبد الله التركي حفظه الله – وكان مدير الجامعة – معاملة كريمة فسمح لي بالعودة دون خسارة أو جزاء).

النشاط العلمي في المدينة المنورة: وفي العام التالي (١٩٨٠م) تم التعاقد مع الجامعة نفسها للتدريس في المدينة المنورة، وكان في لجنة التعاقد الشيخ حميد الحازمي، ولما وصلت إلى المدينة المنورة كان الشيخ حميد الحازمي مديراً للمعهد العلمي، ومديراً للمعهد العالي للدعوة الإسلامية التابعين لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وكان الذي يقوم بإدارة المعهد العالي الشيخ الدكتور خليل ملا خاطر، فباتفاق الشيخ الدكتور خليل مع الشيخ حميد كنت أدرس صباحاً في المعهد العلمي ومساء في المعهد العالي طوال مدة التعاقد... وكنت أعطي حديثاً قبل صلاة الظهر (عشر دقائق) في مسجد المعهد العلمي يحضره جميع الطلاب والأساتذة طوال المدة).

أقول: وبعد سنوات أصبح الشيخ مستشاراً لشركة إسلامية في جدة، يتوجه إلى جدة صباح السبت ويعود إلى منـــزله في المدينة مساء الأربعاء. ودروسه في المدينة خاصة في منـــزله يحضرها طلبة العلم يقرأ لهم الحديث والتفسير وما يحتاجه طلبة العلم من علوم أخرى.

وقد زرت الشيخ في بيته من أجل هذا مراراً وحدثني أنه لما كان في قريتهم (تلدو) كان يقيم الختم الشريف النقشبندي في زاويتهم يومياً بعد الفجر وبعد العشاء. وزيارته لشيخه أبي النصر كانت لا تنقطع مع والده، وبمفرده حال حياته وبعد موته قدس سره العزيز.

قال: وكنت أذهب مع والدي إلى تاذف وأنا صغير، ثم بعد ذلك ذهبت مع إخواني العلماء إلى الباب وتاذف مرات كثيرة.. وأذكر أني حضرت مجلس الذكر الذي يقام صباح الجمعة في الجامع الصغير في الباب، وكان عمك الشيخ محمد سعيد أو الوالد يقيم الختم الشريف فقدمني لإدارة الختم فاستحييت منه كثيراً، ولكنه أصرَّ تواضعاً منه على ذلك رحمه الله تعالى.

وقد رزق الشيخ حفظه الله أربعة أولاد ذكور، أكبرهم **أسامة**، وهو مجاز في الشريعة واللغة العربية ويحمل الدكتوراه في الإعلام، **ومصعب**، في الحاسب الآلي، **وعبد الباري**، دكتوراه في الاقتصاد الإسلامي، أما أصغرهم **أبو النصر** فيحمل الإجازة في الشريعة. بارك الله بهم وبأبيهم جميعاً.

وكان قبل أن يتكرم بإعطائي (ثَبَتَه) الذي ترجم فيه لنفسه ولعلماء حمص قد حدثني حديث الشوق والحب عن شيخه أبي النصر وعن مولانا سليم قدس سرهما وعن كراماتهما وقد أثبته في موضعه من الكتاب وقال لي:

خلفاء مولانا سليم: إن خلفاء مولانا سليم أربعة:

١- **ولده الشيخ محمد أبو النصر قدس سره**، وكان الخليفة الأول، ولا يتقدم عليه أحد وقد أجازه الشيخ سليم خطياً، كما أجاز والدي، والإجازة محفوظة عندي.

٢- **الشيخ حسين الخطيب الطيباني**: من طيبة الإمام في حماة.

٣- **الشيخ أحمد بركات التلاوي**: من تلبيسة في حمص.

٤- والدي **الشيخ محمد مشعل**: من تلدو في حمص.

وقال: (قال الشيخ سليم: أولادي مقدمون على خلفائي، وخلفائي مقدمون على خلفاء أولادي). كما كتب في ثبته ما دوناه أعلاه، وقال بعد ذكر الخلفاء: ولعل الشيخ سليم استخلف نساء، فأنا غير متذكر، ولكني أعرف أن جدتي أم والدي (شعاع عبارة) خليفة نقشبندية. وكتب في ثبته الذي دوَّن فيه علماء حمص عن شيخه أبي النصر ما يلي:

الشيخ أبو النصر خلف شيخ شيوخ البلد كلهم، دخلوا في الطريقة النقشبندية علماء

آل الأتاسي، وجميع من ذكرهم ومن لم أذكرهم، والده الشيخ سليم خلف، ووالد الشيخ أحمد صافي الشيخ سليم صافي هما من أعظم العلماء الربانيين. وقد عُرِفَ الشيخ سليم صافي بزهده في الدنيا، وإنفاقه في سبيل الله...

وأما الشيخ سليم خلف فهو عالم رباني، وأخذ عنه جميع العلماء الموجودين في حمص الطريقة النقشبندية وتربى على يده الكثير والكثير من الدعاة إلى الله والشيوخ، ثم أفاض في بعض مناقب مولانا سليم (ذكرها في ترجمة مولانا سليم)

ثم قال: وأما ابنه **الشيخ أبو النصر** فإنه توجه إلى شمالي حمص، واهتم بتلبيسة، ثم في القرى حول حماة وفي حماة نفسها، ثم قرى محافظة حلب، وكان فتح عظيم ونادر، وكل قرية دخلها أخذ منها طالباً أو طالبين أو ثلاثة ليتعلموا العلوم الشرعية، وكان يطلب من تجار حلب أن يقوموا بالإنفاق عليهم حتى يتموا الدراسة، وكذلك فإنه في حلب كلما دعاه وجيه من وجهاء حلب طلب أن يرسل أحد أولاده لطلب العلم الشرعي، وهكذا فقد صار معظم شيوخ حلب من تلاميذ الشيخ أبي النصر خلف.

والشيخ أبو النصر يجول في البلدان والقرى التابعة لحلب، وانتقل إلى الجزيرة، وكان الفتح أكبر وأكبر، فكثير من الأماكن لا صلاة فيها ولا أذان فكانت رحلاته الميمونة المباركة سبباً في العودة إلى الإسلام والى الصلاة وذكر الله.

وقد كتب الشيخ محمد الحامد عن الشيخ أبي النصر ما يفي بالغرض، ونقل الشيخ محمد رسائل من الشيخ حسن البنا إلى الشيخ أبي النصر وبالعكس، وزاوية الشيخ أبي النصر في حلب غرفة في الخسروية، تلك المدرسة العظيمة التي تخرج منها العلماء والأفاضل.

(أقول: الصحيح أنها مسجد أبي ذر في حي الجبيلة).

ثم ذكر تلاميذ الشيخ أبي النصر في حلب، وعد منهم: الشيخ محمد بلنكو مفتي حلب، والشيخ محمد النبهاني، والشيخ عيسى البيانوني وابنه الشيخ أحمد عز الدين، والشيخ عبد الباسط أبي النصر بن الشيخ أبي النصر وإخوته، ثم قال:

(**الشيخ محمد بلنكو**: مفتي حلب هو من المتفانين بحب الشيخ أبي النصر، ولا ينفك عن

الاتصال به وبأولاده.

الشيخ محمد النبهاني: وقد بلغ من عمله في سبيل الدعوة إلى الله مبلغاً يكاد يصل إلى ثلث حلب والله أعلم، الخشوع والأدب والذكر في تلاميذ الشيخ النبهاني وتلميذاته لا ينفك عن جميع أتباعه، والحجاب ملتزم في تلميذاته، فله دروس خاصة للنساء وبينهن زوجته ومحارمه.

الشيخ عيسى البيانوني: وهو عالم رباني محب لرسول الله ﷺ، ويفتخر بتلمذته للشيخ أبي النصر، وعندي رسالة موجهة منه لوالدي يخاطبه: إلى الشيخ محمد السَّلِيمي نسبة لشيخه الشيخ سليم خلف والد الشيخ أبي النصر خلف، وهو الذي أجاز والدي، والتوقيع: عيسى البيانوني خادم أبي النصر خلف.

والشيخ عيسى؛ أذكر وأنا صغير زيارته لوالدي حيث ذهب من حمص إلى (تلدو) لغرض الزيارة ولا يوجد طريق معبد، ولا سيارات، وبين حمص و (تلدو) ٢٥ كم.

وقد كان يحج كل عام ويزور دوماً قبل الحج إلا في السنة التي توفي فيها فإنه حج وبعد الحج رجع إلى المدينة وزار الرسول ﷺ، وتوفي في المدينة وقبره في البقيع بمكان قريب.

وابنه الشيخ **أحمد عز الدين**، وهو من العلماء المشهورين، وكان علماً من أعلام الإسلام وقد ربى تلاميذه منذ الصغر على اتباع السنة، وقد شاهدتهم في مسجد أبي ذر في حلب بعمائمهم على (صغر سنهم)، أدبٌ، ذكرٌ، وعلمٌ والتزام، وقد عرف هذا البيت بالتزام الوعد وعدم التخلف وربى تلاميذه على ذلك مع أولاده، ثم ذكر أولاده).

ثم ترجم مفصلاً لأستاذنا الشيخ عبد الباسط وإخوته وقد أثبتناه في ترجمة شيخنا أبي نزار، في فصل علماء حمص. اهـ.

ولا زال هذا العالم العامل والمحب الفاضل في المدينة المنورة، ينفع بعلمه وتقواه الطالبين والمترددين عليه. حفظه الله وأمد بعمره مع العافية والتقوى ورده إلينا سالماً غانماً. آمينَ آمين.

١١- ومن خلفاء الشيخ محمد مشعل ومريديه:

١- الشيخ محمد زاهد مشعل الحمصي

هو العالم الفاضل محمد زاهد بن العالم العامل الذاكر الشيخ حسين مشعل، المولود في قرية (تلدو). تربى في أحضان والده العالم العامل الشيخ حسين، وتلقى العلم عنه والذكر، ثم درس في المعهد الشرعي التابع لجمعية العلماء بحمص، وبعد أن نهل من علومه توجه تلقاء دمشق فانتسب لكلية الشريعة وتخرج منها. ثم عمل في حقل التعليم معلماً ومدرساً في المدارس العامة، ثم انتقل إلى البلاد السعودية هو وابن عمه مسلم الصالح مشعل، الذي سار على نفس الطريق، وكانا مدرسين في حائل، وبعد وفاة مسلم الصالح بحادث سير، بقي الشيخ محمد زاهد وحده في حائل، ثم انتقل إلى حريملاء فكان مديراً لمدرسة تحفيظ القرآن حتى توفي رحمه الله.

وقد ترك أولاداً صالحين، منهم عمار، وهو مدرس في ثانوية جدة الخاصة، وهو طالب علم متفوق وخطيب مسجد. [انتهى من ثبت الشيخ محمد علي مشعل] وقد أفادني أنه ممن تلقى الطريق النقشبندي والذكر عن والده الشيخ حسين، وعمه الشيخ محمد رحمهم الله وطيب ثراهم.

٢- الشيخ أحمد عبد الله العكش

كتب عنه الشيخ محمد علي مشعل في ثبته: إنه كان ملازماً لوالده الشيخ محمد مشعل، وينام في الزاوية النقشبندية في (تلدو)، وقد تتلمذ هذا الفاضل (أبو نجيب) على يد والدي ثم على يد عمي الشيخ حسين ثم على يدي، فكان يحضر جميع حلقات العلم، ولم يكن له همّ أن يكون إماما وموظفاً، وله أولاد منهم:

٣- الشيخ محمد بن الشيخ أحمد العكش

المعروف بين الناس باسم (الشيخ نجيب العكش)؛ تلقى العلم عن والدي وعمي الشيخ حسين، وقد كان طالباً في ثانوية علي بن أبي طالب في (تلدو) ثم انتسب لكلية الشريعة في

دمشق، ثم أصبح مدرساً في ثانوية علي ابن أبي طالب في (تلدو) ونائباً لمديرها ثم انتقل إلى المملكة السعودية، وأصبح مدرساً في الرياض، ثم في مكة، والآن هو إمام لمسجد في مكة.

٤- الشيخ سعيد عبد الله العكش

عم الشيخ محمد وأخو الشيخ أحمد عبد الله، من تلاميذ الوالد ومن تلاميذي، ومن أحب الناس إليّ؛ وكان قارئاً للقرآن، يقرأ في المجالس وفي الاحتفالات وفي مجلس الختم الشريف. اهـ من ثبته. وأفادني أن هؤلاء الثلاثة (من آل العكش)كانوا ممن تلقوا الذكر والطريق النقشبندي عن والده رحمهم الله تعالى.

٥- الشيخ فيصل طرية

كتب عنه الشيخ أبو أسامة في ثبته: من زملائي في الدراسة وكان أكبر مني سناً، وانتسب قبلي لدار العلوم الشرعية، واستمر معي حتى الشهادة، وكان ممن تخرج من المدرسة الشرعية بحمص، ثم صار خطيباً وإماماً في (تلدو) معي وبقي على هذه الحالة حتى توفي رحمه الله. وذكر لي أنه ممن تلقى الطريق والذكر النقشبندي عن والده رحمهم الله تعالى.

٦- الحاج محمد غاوي التركماني، وابنه محمد نور

من تلاميذ الوالد، وقد تتلمذ أيضاً على يد عمي الشيخ حسين مشعل، وقد أصبح في (برج قاعي) بعد خروج عمي من القرية، ثم انتقل إلى (طلف) وأصبح إماما بها، وابنه (محمد نور) من طلاب العلم الجيدين، استلم إمامة قرية طلف واستمر بها حتى الآن.

وقد أفادني الشيخ مشعل، أن الحاج محمد ممن تلقى الطريق والذكر النقشبندي عن والده رحمهم الله تعالى.

٧- الشيخ مرعي حسن الضاهر

قال عنه أبو أسامة: من تلاميذ والدي حاج محمد مشعل، وكان والده من الرجال الصالحين، قدمه للوالد وقال له: (الآباء يقولون: الجلد لك والعظم لي، وأما أنا فأقول الجلد والعظم الكل لك)، وهذا من حرصه أن يتعلم ابنه، وكانت أمه خالة لي في الله، وهو من عائلة لطفي التي منها الشيخ منير لطفي إمام جامع المسعود بحماه وخطيبه، وكان الشيخ منير من أفاضل الخطباء والدعاة إلى الله.

تربى الشيخ مرعي على يد الوالد، ثم التحق بالتلمذة على يد عمي الشيخ حسين مشعل، وأصبح مؤهلاً لأن يكون إماما وخطيباً وقد تنقل في عدة قرى، موسى الحولة، وطلف، والكراد، وتلذهب، مع الشيخ حسين مشعل، وأخيراً في طيبة سيدنا خالد، واستقر بها. ولما افتتح مسجد (شين) وقع الاختيار عليه ليكون إماما وخطيباً ومدرساً في (شين) لأنه يتمتع بشجاعة وأسلوب في الدعوة، وله اهتمام باختيار الأصحاب والأحباب للتعاون على الدعوة.

وأولاده كلهم طيبون ومنهم: **الشيخ محمد نور الضاهر** وهو من حملة الشريعة، ومن البارزين في العلم والعمل والدعوة، وقد حصل على الشهادة الإجازة في الشريعة من جامعة دمشق، وأصبح معلماً ثم مديراً لثانوية عامة، ثم انتدب لثانوية علي بن أبي طالب في تلدو... وعندما انتقل إلى المملكة السعودية، أصبح مدرساً في الثانويات، ثم اختير موجهاً، وأمضى فترة في التوجيه، وهو ممدوح السيرة ويثني عليه معارفه، وهو حريص على الخير، ثم أصبح محاضراً في كلية التربية التابعة لجامعة الملك عبد العزيز في المدينة المنورة، وله أولاد طيبون (صالحون)، وللشيخ مرعي أولاد غير ما ذكرت هنا. اهـ من ثبت الشيخ محمد علي، وقد أفادني مشافهة أن الشيخ مرعي ممن تلقى الطريق والذكر النقشبندي عن والده الشيخ محمد علي مشعل، أحد خلفاء مولانا سليم قدس سره.

١٢- ومن علماء حمص:

١- العالم المجاهد، والعامل الذاكر

الشيخ راتب حاكمي

كتب عنه الشيخ محمد علي مشعل في ثبته ما يلي: الشيخ راتب حاكمي، من طلاب العلم الذاكرين، وقد تربى على ذكر الله وعلى يد الشيخ راغب الدويري الذي كان منقطعاً إلى الله في جامع بيت القصير، وكان الشيخ راتب له مكتبة في نفس المسجد، وكانت علاقته مع الشباب المؤمن جيدة، وله ذكر حسن.

(أقول: وما أدراك ما الشيخ راغب الذي أخذ العلم والذكر عن العالمين الربانيين مولانا سليم وخليفته أبي النصر قدس سرهما، وقد أحسن الشيخ راغب التربية وتلقين الذكر والطريق للشيخ راتب حفظه الله).

وكانت للشيخ راتب يد بيضاء، حيث أن ناصر الدين الألباني زار حمص فاجتمع الشباب حوله في بيت أحد الأشخاص ومعهم الشيخ راتب، وقد أحضر الشيخ راتب بعض كتب الشيخ ناصر، وفيها يعزو مقالته لبعض الكتب، وأحضر الشيخ راتب هذه الكتب أيضاً، وصار يذكر للشيخ ناصر: أنت تقول هنا كذا وتعزوه (تنسبه) إلى هذا الكتاب، وفي هذا الكتاب غير ما تقول؛ وهكذا عدة أشياء من الكتابات، وقال للحاضرين: هذا الشيخ غير موثوق بنقله وعلمه؛ ولم يأت بعدها الشيخ ناصر إلى حمص.

وفي كل بلد أقام فيها الشيخ ناصر كان يركز على كشف الوجه بالنسبة للمرأة، فكشفت بعض النساء الصالحات عن وجوههن في دمشق، وكذلك في عمان، وانتشر انتشاراً كبيراً حتى لا تكاد ترى غطاء وجه إلا قليلاً، وقد أثر في الكويت.

هذا بعض ما حصل من الشيخ ناصر، وقد جاء محمد حسن السقاف بمساعدة تلاميذ الشيخ ناصر وكشف عن تناقضاته في علم الحديث.

أقول: وكان صدر للسقاف من هذه التناقضات الألبانية جزءان سماها: تناقضات الألباني الواضحات. ذكر فيها أحاديث يقول عنها الألباني في كتاب أنها صحيحة وفي كتاب آخر ضعيفة، أي أن التصحيح والتضعيف على هواه [1].

وقد فُتِنَ كثيرٌ من طلبة العلم والشباب المؤمن الذين لم ينالوا حظهم من علم مصطلح الحديث بما قاله الشيخ ناصر، وتجرؤوا به على هذا العلم واعتمدوا عليه وعلى كتبه في تصحيح الأحاديث، وهذه بلية عظيمة، وفتنة تولى كبرها هذا الألباني، عدا كشف الوجه، والأمور الأخرى التي زعزع فيها كثيراً من الثوابت والقواعد الأساسية في الدين والعقيدة والشريعة، ولكن الله سبحانه قيض من علمائنا العاملين المدققين من كشف عواره، وبين جهله، وفضح ضلاله، وقانا الله من كل منافق عليم اللسان، حيث قال الحبيب المصطفى ﷺ: (إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين) كما رواه الترمذي.

وفي رواية للطبراني: (إن أخوف ما أخاف على أمتي كل منافق عليم اللسان)، ولكن تيسير الله للأمة من يقوم بكشف الضلالات قائم وموجود كما أخبر المصطفى ﷺ في الحديث الذي ذكره الإمام السيوطي في الجامع الصغير: (إن لله تعالى عند كل بدعة كيد بها الإسلام وأهله ولياً صالحاً يذب عنه، ويتكلم بعلاماته، فاغتنموا حضور تلك المجالس

---

[1] وقد وفق الله سبحانه العالم المحدث الشيخ محمود سعيد ممدوح في كتابه الماتع المفيد (التعريف بأوهام من قسم السنن إلى صحيح وضعيف) وهو في ستة مجلدات طبعتها دار البحوث الإسلامية في دبي عام ٢٠٠٠، وطبعته ثانيةً عام ٢٠٠٢، قال في مقدمته: (فتسلط على السنن من لم يمارس الفقه ولم يخبر مدارك الأئمة، فجردها من مضمونها وهدفها وملمح أصحابها وتناسق أبوابها وأحاديثها وفقهها، فقسمها إلى صحيح وحسن يعمل به، وضعيف بأنواعه لا يعمل به، وهكذا في وضح النهار وعلى مرأى ومسمع كثير من الذين تصدروا للعلم. فكان الغرض من كتاب التعريف سد الثغرة المترتبة على تسلط بعض المعاصرين على السنن..) اهـ. وهو كتاب قيم نافع وضَّحَ في مقدمته فوائد جمة من دراسة الحديث وذكر أنواعه، وكيف أراد ناصر الألباني قطع طلبة العلم وخاصة المعاصرين عن مصادر السنة النبوية والالتفات إلى كتبه هو. وعلى طلبة العلم مطالعة هذا الكتاب القيم والاستفادة منه.

بالذب عن الضعفاء، وتوكلوا على الله وكفى بالله وكيلاً).

ثم قال الشيخ مشعل: والدكتور القرضاوي ذلك العالم المجاهد، أثرت فيه المدرسة العقلانية ومدرسة (المحلّى لابن حزم) فإذا هو داع عظيم لكشف الوجه بالنسبة للمرأة أو مصافحة النساء الأجنبيات والغناء والموسيقى وتمثيل المرأة، بقيود لا تتحقق، والله أسأل أن يلهم الدكتور يوسف أن يرجع عن هذه الأمور، أو يذكر الرأي الثاني - الذي لا يبيح هذه الأمور - على الأقل.

والشيخ راتب من العلماء الذاكرين وهو الآن بالمملكة السعودية، وله تلاميذ أبرار أخيار.. اهـ منه، وقد أفادني الشيخ أبو أسامة (مشعل) بأن الشيخ راتب ممن تلقى الطريق والذكر النقشبندي، وكان مواظباً على حضور الختم الشريف في حمص.

٢- التقي الورع والصالح الذاكر الشيخ مصطفى تدبير

كتب عنه الشيخ محمد علي مشعل في ثبته:

الشيخ مصطفى تدبير: من طلاب العلم الشرعيين الذين تخرجوا من المدرسة الشرعية في حمص، وهو من أهل التقى والورع، وكان خطيباً في حمص وإماماً، وانتقل إلى السعودية، واستلم مدة مسجداً إماما وخطيباً أيضاً، وهو من الدعاة إلى الله المتواضعين الطيبين وصلته دوماً مع الأتقياء والصالحين، وهو حرص على أولاده أن يسيروا في طريق التقوى جزاه الله خيراً. اهـ منه. وقد أفادني الشيخ أبو أسامة أن الشيخ مصطفى ممن تلقى الطريق والذكر النقشبندي أيضاً وهو مواظب على حضور الختم الشريف.

٣- الشيخ تقي البيطار

والده كان إماما في مسجد حمص، وكان الناس يشهدون له بالصلاح والتقوى، وقد

خلفه ولده الشيخ تقي، وكان من طلاب العلم المعدودين، من زملاء أخي عبد الباري مشعل، ومن قبله الشيخ مجاهد عبارة، وكان حريصاً على طلب العلم ومحباً لطلاب العلم، ومتواضعاً رحمه الله تعالى. اهـ من ثبت الشيخ محمد علي مشعل، وقد أفادني أنه ممن تلقى الطريق والذكر النقشبندي.

٤- الشيخ عبد الله جركس

وهو من خريجي الأزهر الشريف وكان إماما للجامع الكبير في المحراب الحنفي، ويعد من الفقهاء في المذهب الحنفي ومن أهل الصلاح ومن زملاء الدكتور مصطفى السباعي رحمهما الله (من ثبت الشيخ محمد علي مشعل)، وأفادني أنه ممن تلقى الذكر والطريق النقشبندي.

٥- الشيخ فضل الأنصاري بن الشيخ محمد الخالد الأنصاري

تخرج من مدرسة العلوم الشرعية (بحمص) ثم التحق بالأزهر الشريف، وكان من الخطباء المعدودين، وقد خطب الجمعة في عدد من المساجد بحمص، ودرس في المعهد الشرعي التابع لجمعية العلماء في حمص، وتوفي عزباً رحمه الله تعالى.

٦- الداعي إلى الله، المجرد عن الدنيا

الشيخ محي الدين الدوخي "الحمصي"

(١٣٢٩-١٤٢٠ هـ) (١٩٢٠-٢٠٠٠ م)

هو العالم الزاهد، والداعي إلى الله، المجاهد بنفسه في سبيل الله، المتجرد عن الدنيا وحكامها وشهواتها، الذي آثر الله والدار الآخرة الشيخ محي الدين الدوخي المولود في حمص ١٣٢٩هـ الموافق١٩٢٠ تقريباً.

نشأ هذا العالم الزاهد في حمص وتلقى علومه الأولية فيها كما كان يتلقى أمثاله في الكتاتيب. ثم تعلم على مشايخ حمص الأجلاء العلوم الشرعية التي كان يدرسها فقهاء حمص وعلماؤها كالشيخ عبد القادر خوجة، والشيخ طاهر الرئيس وأقرانهم.

وبعد أن أخذ حظه من علوم الشريعة التي تؤهله لإرشاد نفسه وإخوانه في ما يلزم من أمور العبادات والمعاملات، التفت إلى فقه الباطن فلازم مجالس مرشد عصره وفريد دهره سيدي الشيخ محمد أبي النصر، وتلقى عنه الذكر والطريق، وكانت نشأته توحي بزهده وتجرده فيما يتعلق به الناس فزادته أنظار شيخه زهداً في الدنيا وتعلقاً بالآخرة، وكان يعمل أول نشأته معلماً في مدرسة (الخالدية) الابتدائية الخاصة، ثم ترك العمل فيها، وآثر تعليم من لا يأتيهم معلم من أهل القرى، والأرياف، آنذاك، فاستقر في قرية (تل النبي مندو) وسكن فيها، ولزم المسجد المبني أعلى التل، وأقام في غرفته فيه متجرداً عن الدنيا، حيث لا زوجة ولا ولد، واشتهر أمره، وعلا ذكره، والزاهد فيما في أيدي الناس يحبه الناس، والزاهد في الدنيا يحبه الله، ونَشَرَ بضاعة الخير هناك، فأحبه الناس ورحلوا إليه والتفوا حوله من تلك القرية، والقرى المجاورة (القصير، والضبعة، وعرجون) وتتلمذوا

على يديه، ولقنهم الذكر الخفي والطريق النقشبندي.

ولم يكن له هَمْ إلا ما كان يلقنه أشياخنا لمريديهم: (إلهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي)، حتى وافاه الأجل وتوفي ودفن هناك عام (١٤٢٠هـ ــ ٢٠٠٠ م).

وكان ممن تعلق به، وأخذ عنه الطريق والذكر، وتتلمذ عليه رجل فاضل، وطالب علم نابه اسمه **الشيخ أحمد عبد النبي** وهو طالب علم متخلق بأخلاق العلماء، ومتمسك بطريق القوم الأصفياء، سار على نهج شيخه في حياته واستمر على ذلك بعد وفاته وبقي في نفس القرية يسير على سير أستاذه وشيخه، وينشر العلم والطريق حفظه الله ورعاه فقد نفع الله به وبشيخه خلقاً لا يحصون.

قال محدثي بهذا؛ الشيخ محمد فيصل بن الشيخ عبد الغفار الدروبي - عندما زرته بحمص أواخر شهر ذي القعدة ١٤٢٣ هـ ــ كانون الثاني ٢٠٠٣ - قال:

وقد عشت مع الشيخ محي الدين طفولتي وشبابي حتى توفي، وكنت مرة في مجلسه وأنا طفل، وكان مجلس إرشاد وإنشاد وحضره الشيخ سليمان الحايك وجاءه حال عظيم فقام يتوجه للإخوان الحاضرين في المجلس، ويقف أمام كل واحد بمفرده، وكنت طفلاً فخفت من حاله، إذ كيف سيتوجه إلي ويضع جبهته على جبهتي وأنا خائف، هكذا كنت أحدث نفسي، فلما وصل إلي: تركني وذهب إلى غيري دون أن أكلمه أو يكلمه أحد غيري، ولما انتهى المجلس وذكرت ذلك للشيخ محي الدين قال: إن الله أوقع في قلب الشيخ سليمان أنك خائف فتركك. قال الشيخ محمد فيصل: واعتبر هذه كرامة للشيخ الدوخي رحمه الله. اهـ عن الشيخ محمد فيصل الدروبي.

١٣- ومن أشراف حمص:

١- الشريف السيد الحاجّ

عبد الكريم حسين آغا

(...-١٣٥٤ هـ) (١٩٢٢-٢٠٠٣ م)

وكتب لي الأستاذ المؤرخ محمد غازي حسين آغا عن والده ما يلي:

الشريف السيد الحاج عبد الكريم بن العالم الفرضي الشيخ محمد سعيد حسين آغا. من تلاميذ **الشيخ أبي النصر** قدس الله سره **والشيخ راغب الدويري**. ولد في مدينة حمص سنة ١٩٢٢م.

قرأ القرآن وحفظ متن الجوهرة في التوحيد وقرأ شرحها وفقه العبادات على الشيخ محمد شاكر المصري في قاعته في جامع الدالاتي، ثم تلقى علومه في مدارس حمص وحصل على الشهادة المتوسطة العربية والفرنسية، والتفت إلى شؤون معاشه.

أخذ الطريقة النقشبندية العلية عن والده الشيخ محمد سعيد خليفة الشيخ سليم خلف قدس الله سره، وتابع مجالس المرشد الشيخ أبو النصر قدس الله سره، والشيخ راغب الدويري في جامع القصير. وفي سنة ١٩٤٣م فتح محلاً تجارياً في ساحة سوق الخضرة إلى الشمال من زاوية الشيخ سليم قدس الله سره، وتعاطى فيه بتجارة البذار للزراعة والعسل والتين المعراوي والزبيب الدربلي والجوز البلدي.

وكان سيدي الوالد رحمه الله طيب النفس محباً للصالحين سُقيَ سر نشوة هذه المحبة عن صدر والده الجليل، وكان كريم الأخلاق جميل الخلق، على وجهه مسحة من الجمال والمهابة، ومن غيرة الشيخ أبي النصر قدس الله سره عليه كان يأتي إلى محله في كل صباح

عند رواج السوق وتزاحم الأقدام ويقف على باب محله الذي يتوجه إلى الساحة العامة برهة من الزمن بوقاره وجلالة قدره وحضوره ونظره الثاقب وينظر إلى هنا وهناك، ثم يجلس مدة يسيرة ويدعو لوالدي بالتوفيق ويذهب إلى شؤونه.

وكأنه يقول لعامة الناس: هذا الشاب محسوب علينا لا ينبغي لأحد من أهل الدنيا وقرناء السوء الاقتراب من هذا المحل والنيل منه، وقبيل صلاة الظهر يأتي الشيخ راغب الدويري ويفعل كما فعل الشيخ محمد أبو النصر قدس الله سره، وبعد صلاة الظهر يأتي والده (جدي) الشيخ محمد سعيد، وكأنهم متفقون على ذلك.

هكذا كان حرص الشيخ قدس الله سره على مريديه، وهكذا كانت غيرته عليهم والتفاته إليهم في شؤونهم المعاشية، وكان سيدي الوالد رحمه الله يحفظ للشيخ أبي النصر قدس الله سره هذه المنقبة العظيمة من مرشد كامل مؤمن فطن، وكذلك للشيخ راغب رحمه الله.

وحدثني سيدي الوالد رحمه الله: إن أجمل وقت بعد صلاة العيد هو عند دخولنا إلى زاوية الشيخ قدس الله سره بحضور المرشد الكامل الشيخ أبي النصر قدس الله سره، ويتعالى صوت الشيخ سعيد الجابي السباعي وأبو حسن النداف وتغبطنا فرحة العيد وخشوع المخلصين وروحانية أهل الطريق، ويقول لي: (الله، إن في الذكريات ما يثير الشجون ويحرك السواكن)، وتفيض عيناه بالدمع.

وحدثني سيدي الوالد رحمه الله بما سمع من الشيخ محمد شاكر المصري رحمه الله: أنه خرج من جامع الباشا بعد صلاة العشاء ليلة الجمعة متوجهاً إلى زاوية المرشد الكامل الشيخ سليم قدس الله سره، لحضور المجلس العام (يتلى في هذه الليلة من كل أسبوع قصة المولد النبوي الشريف). وهو في الطريق رأى امرأة تمشي مسرعة والليلة ممطرة، فقال في نفسه معترضاً على خروجها في هذا الوقت المتأخر من الليل (وكان خروج النساء في هذا الوقت غير مألوف في مجتمعهم). وعند خروجه من الباب ناداه الشيخ قدس الله سره وقال له: يا ابني يا شاكر ؟ لا تعترض لعلها خرجت من بيتها لأجل مريض..، لعلها خرجت

من بيتها لأجل امرأة في حال الوضع، لعلها خرجت من بيتها لأجل كذا وكذا... وصار يذكر له أموراً يتعرض لها الإنسان ويفاجأ بها في حياته، والشيخ شاكر رحمه الله يبكي. وهذا حاله في كل مرة يذكر هذه الكرامة.

توفي سيدي الوالد مساء يوم الأحد ١٠ربيع الثاني ١٤٢٤ الموافق ١٠حزيران ٢٠٠٣ م.

وقلتُ فيه مؤرخاً:

أيـــا والـــدي لعـــلَّ عفـــواً ... علـى مثـواك يَهمـي كالسَّـحاب

ورثـــت المجـــد والنســـب المعلـــىَّ ... حســـينياً يتيـــه علـــى الرحـــاب

ويرقـــى عـــزك الـــوافي لشـــيخٍ ... ســـعيدٍ، الجـــد والـــدك المهـــاب

وجـــاورت الكـــريم بخـــير زادٍ ... فـــأجرك وافـــر يـــوم الحســـاب

وحدثني سيدي الوالد رحمه الله: أن جدي الشيخ محمد سعيد رحمه الله كان يصلي ليلة العيد صلاة الصبح والعيد مع المرشد الكامل أبو النصر قدس الله سره ويجلس إلى يمينه، المكان الذي أجلسه فيه شيخه ومرشده الشيخ سليم قدس الله سره. اهـ منه.

٢- الأستاذ الشريف المؤرخ

محمد غازي حسين آغا

(...-١٣٧٤ هـ) (١٩٥٤م) معاصر

وهو الأستاذ المؤرخ والشاب الشريف الفطن، سليل الأشراف والعلماء، المجتهد في العلم والطريق، الأستاذ محمد غازي بن الشريف الحاج عبد الكريم بن العالم الفرضي محمد سعيد حسين آغا المكناسي الحسيني.

ولد هذا الأستاذ الفاضل في مدينة حمص، ونشأ في أحضان والده وجده، وينتهي نسبه الشريف من جهة والدته إلى مولانا سعد الدين الجباوي، ومن جهة والده إلى الإمام الحسين كما بينا في نسب أبيه وجده.

وقد تلقى العلم ولازم مجالس العلامة الشيخ أحمد الكعكة في حمص وأجازه بالعلم والطريق النقشبندي وله اهتمام ملحوظ بالأعلام والعلماء، وقد ألف كتابه عن رجال الطريقة السعدية (جزءان)، وأهدانيه بعد طبعه بأيام في شعبان ١٤٢٤هـ.

كما ألف (علماء حمص في ظل الخلافة العثمانية) وهو قيد الطبع، وله إسهامات واضحة في سلسلة (دراسة وثائقية عن حمص) حيث اعتمد عليه المؤلف الزهراوي كثيراً، ويعتبر الآن أهم من يعتد بهم في دراسة تاريخ حمص وأعلامها.

وقد أجازه الشيخ أحمد الكعكة رحمه الله إجازة عامة بالعلم والطريق النقشبندي أثبتها ذيلاً. وقد ذكر أيضاً في الرسالة التي نشرها وترجم فيها الشيخ سعد الدين الجباوي (ط حمص ١٩٩٩ م) سنده في الطريقة النقشبندية.

وها هي إجازة الشيخ أحمد الكعكة له بالعلوم والطريق أثبتها ذيلاً:

بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لمن جعل مقام المتوجهين إليه اللائذين بجنابه الأقدس هو المرفوع، والمعْرِضين عن ذكره الملتفتين إلى هذه الأغيار هو الموضوع، وصلاةً وسلاماً على من أوتي جوامع الكلم واللسان الفصيح، وجاءنا بالملة السمحاء والدين الصحيح، وعلى آله وصحبه الذين سمعوا مقالته فوعوها، فأدوها إلينا كما سمعوها؛ فوصلتنا شريعته الغراء مسلسلة الإسناد بديعة النظام، خالصة من شوائب الانقطاع والأوهام، فحازوا بعلمهم الحسن المنازل العواليَ في دار القرار، ورتعوا في رياض الجنة مع الأنبياء الأخيار، وفازوا بالنعيم المقيم ورضوان الله العظيم. وبعد:

فقد طلب مني الإجازة محمد غازي بن عبد الكريم حسين آغا ولست بأهلٍ لأن أجاز، ولكن لما كان إسعاف الطالبين من أهم المقاصد، وكتم العلم من أعظم المفاسد، وتبليغه من أعظم القربات إلى الله تعالى، فقد أجزت الطالب المذكور بما تحق لي إجازته من مسموعاتي ومروياتي، وأجزته بالعلوم العقلية والنقلية، خصوصاً بثبت الولي الكبير الشيخ أحمد سليمان الأروادي، كما أجازني به مشافهة سيدي وأستاذي المرشد الكامل الشيخ محمد أبو النصر بن القطب الكبير الشيخ محمد سليم خلف آل الجندي. وكما أجازني به خطاً الشيخ أحمد بن الشيخ سليم مراد الحموي. وقد أجزته بما احتوى عليه هذا الثبت من العلوم العقلية والنقلية وعامة الطرق الصوفية وخصوصاً الطريقة العلية النقشبندية.

وأوصيه بتقوى الله عزَّ وجلَّ والتواضع ومكارم الأخلاق ونشر العلم والاشتغال بالذكر، وألا يألوَ جهداً في نشر الفضيلة، وأن لا ينساني من صالح دعواته في السرّ والعلانية، وأسأل الله لنا وله التوفيق في الدارين بجاه الحبيب الأعظم سيدنا محمد ﷺ.

وصلّى الله على سيِّدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلم.

يوم الأربعاء السابع عشر من شهر ربيع الأول ١٤٠٦ هـ الموافق ٢٠ تشرين الثاني ١٩٨٥ م

كتبه بقلمه وقاله بلسانه

خادم العلم الشريف والطريقة النقشبندية

أحمد الكعكة

فهرس الجزء الأول الكتاب

الفصل الأول: الشيخ أحمد الطوزقلي وخلفاؤه ومريدوه

* يشير هذا الرقم الموضوع بين قوسين إلى الرقم المتسلسل للترجمة ضمن المجموع الكلي لعدد الترجمات المفصَّلة التي حواها الكتاب، والتي بلغت (٢٣٩) ترجمة، منها (١٠٥) ترجمات في المجلد الأول.

الفصل الثاني: الشيخ سليم الخلف وخلفاؤه ومريدوه

[*] تجد في هذا البحث والذي يليه عدة ترجمات قصيرة لم تدخل ضمن التعداد العامّ.

الفصل الثالث: درّة العصر، وفخر أهل الذكر، ومرشد الطريقة، وعلَمُ الحقيقة، سيدي ومولاي الشيخ محمد أبو النصر بن الشيخ محمد سليم خلف

